2272
.68975
.366
v.3.
pt.1

2272.68975.366 v.3,pt.1
Musa
al-Mutawwal fi al-susyulu-
jiya

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

Princeton University Library
32101 072710849

منشورات كلية التربية في جامعة دمشق

المطوّل في علم الاجتماع

(السوسيولوجيا)

الكتاب الثالث

في

علم اجتماع التربية

الجزء الأول

تأليف

منير مشابك موسى

دكتوراه الدولة في الآداب (سوسيولوجيا) من جامعة باريس
شهادة اختصاص في السيكولوجيا الاجتماعية
مدرس السوسيولوجيا في كلية التربية بجامعة دمشق

مطبعة جامعة دمشق

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

Musa, Munir

منشورات كلية التربية في جامعة دمشق

al-Mutawwal

المطول في السوسيولوجيا

(علم الاجتماع)

الكتاب الثالث

في

سوسيولوجيا التربية

تأليف

منير مشابك موسى

دكتوراه الدولة في الآداب (سوسيولوجيا) من جامعة باريس
شهادة اختصاص في السيكولوجيا الاجتماعية
مدرس السوسيولوجيا في كلية التربية بجامعة دمشق

مطبعة جامعة دمشق

١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م

المقدمة

هذا هو الكتاب الثالث من مؤلفنا « المطول في السوسيولوجيا » وقد خصصناه، كما يدل عنوانه، لسوسيولوجيا التربية[1]. ولا يزال هذا العلم مجهولاً تقريباً من القارىء العربي لانه لم يصل الى علمنا كتاب الف باللغة العربية في هذا الفرع من فروع السوسيولوجيا، اللهم سوى كتيب صغير : « في الاجتماع التربوي » (الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٧) تأليف الدكتور عبد العزيز عزت، عولجت فيه بعض مواضيع قليلة من مجال سوسيولوجيا التربية وهو على قيمته يظل بعيدا عن ان يفي بأغراض سوسيولوجيا التربية الحديثة التي تدرس كثيرا من المواضيع الهامة الاخرى بالنسبة للمجتمع والعملية التربوية .

ومهما يكن من أمر فإن هذا العلم يعتبر تقريباً، علماً أمريكياً، ولا يزال مجهولاً حتى من قراء اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والروسية الذين لا يقرأون باللغة الانكليزية، لقد تأثرنا في كتابنا هذا بمواضيع ومنحى المؤلفين الامريكيين دون ان نتقيد بمذهب مؤلف واحد، أو مدرسة واحدة . وطبقنا المواضيع على المجتمع العربي في الاقليم السوري خاصة لمعرفتنا له اكثر من سائر أقطار الوطن العربي الأكبر .

وقد عالجنا المواضيع الآتية : لمحة تاريخية عن ظهور هذا العلم ، تعريفه

---

(١) ملاحظة : تؤثر استعمال : سوسيولوجيا التربية على استعمال : السوسيولوجيا التربوية ، لأن العلم الذي ندرسه ليس بسوسيولوجيا مطبقة على التربية ، بل سوسيولوجيا تدرس العملية الاجتماعية والنماذج الاجتماعية في المنظومة التربوية، ولكننا مضطرون أحياناً بحكم البحث والمرحلة التاريخية التي ندرسها ان نستعمل اصطلاح : السوسيولوجيا التربوية إلى جانب اصطلاح سوسيولوجيا التربية .

2272
.68975
.366
v.3
pt.1

وموضوعه ، التربيه وعملية التأهيل أو التبيؤ الاجتماعي (Socialisation) ، التربية والمجتمع أي نسبية التربية ، وظائف التربية ، التربية والدولة ، التربية والطبقات الاجتماعية ، التربية والاسرة ، هبوط النشاط لدى الاطفال في المدرسة ، المدرسة وعلاقتها بالثقافة ، المدرسة وعلاقتها بالمجتمع المحلي ، البنية الاجتماعية في المدرسة . التبيؤ الاجتماعي في المدرسة ، التربية والسينما والراديو... ، المعلم أو المربي وشخصيته وأدواره وتأثيره في سلوك التلاميذ ، التربية والمواقف الاجتماعية التربية للحرب والسلم ، الخ ...

نأمل ان نكون قد قدمنا للقارىء العربي ، عامة ، مايفيده ، ولمدرسي وأساتذة وطلاب دور المعلمين وكليات التربية خاصة بعض المعلومات التي لاغنى عنها في العملية التربوية ، ولبناة المجتمع العربي الجديد بعض الاسس الضرورية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لكل مجتمع حديث يرتفع على أسس العلم الصحيح الداعي الى الاشتراكية العلمية والديموقراطية الصحيحة والحرية والعدالة والمساواة وتأمين فرص متكافئة لجميع المواطنين في المجتمع الواحد ولجميع الناس في مختلف أقطار المعمور ...

دمشق في ٥/١١/١٥٩ منير مشابك موسى

القسم الأول

مدخل

ظهور سوسيولوجيا التربية، تعريفها وموضوعها

الفصل الأول

لمحة تاريخية

أصول سوسيولوجيا التربية ومؤلفوها ونزعاتهم

العلاقة بين السوسيولوجيا والتربية (او البيداغوجيا: فن التربية) علاقة وثيقة ولكنها بقيت مهملة زمناً طويلا من قبل علماء الاجتماع . ويمكن القول بصورة عامة ان تاريخ التربية دار بكامله حول الفكرة الآتية : هل من الواجب ان تلح التربية على الفرد ، ام على وجهة نظر المجتمع . ومهما يكن من امر فان كل اشكال التربية يجب في الواقع ان تجري داخل اطار المؤسسات والعمليات الاجتماعية . ولا تكون التربية فقط في العائلة التي هي الوسيط (او الوكالة) التربوي الاول لكل طفل ، بل تكون ايضاً في المجتمع العام ، والمدرسة ، والنادي والمهنة ، والحزب .... ويربي المجتمع معتمدا على قوى ومؤسسات اجتماعية ، وعوامل بيئية وثقافية متعددة وخاصة على التربية المنهجية (في المدرسة) وتعود التربية فتؤثر بدورها في المجتمع وفي مختلف أنماطه الثقافية والاتفاق عام تقريباً، بين علماء التربية ، على ان التربية عبارة عن ظاهرة اجتماعية ذات أهداف محددة . ولهذا حاول السوسيولوجيون الاوائل ان يطبقوا السوسيولوجيا على التربية ويستغلوا نتائج الدراسات السوسيولوجة في الحقل التربوي . وسميت هذه السوسيولوجيا المطبقة على التربية باسماء متعددة : السوسيولوجيا التربوية

(Educational Sciology)، سوسيولوجيا التربية Sociology of Education، التربية الاجتماعية Social Education (باللغة الانكليزية)، البيداغوجيا السوسيولوجية Sociologie pédagogique (بالفرنسية) والسوسيولوجيا البيداغوجية Soziologische Pädagogik (بالالمانية).

وفي المرحلة الاولى لظهوره، جمع هذا العلم بين **السوسيولوجيا والتربية** وقد افادت التربية افادة جلى من هذا التأليف والدمج

وتكلم كثير من الفلاسفة في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر عن اهمية التربية. والاساس في نظريات هذه القرون الثلاثة يمكن ان يوجز في ثلاث افكار رئيسية:

١ — ضعف اهمية المحيط الطبيعي في تعليل الفروق الفردية. (٢) القول بان الانسان يمكن ان يحسن ويصلح بوسائل البيئة الموجهة؛ (٣) استعمال التربية الشاملة كالعملية الاجتماعية التي يتم ضمنها الصلاح او الكمال البشري والتقدم الاجتماعي. نالت هذه الافكار التشجيع من فئات مختلفة، من فلسفة التاريخ ومن المدارس **الاجتماعية ـ السيكولوجية والبيولوجية** على رأسها: كومينيوس لوك، بازدوف، بستلوتزي، هربارت، فروبل، هيجل، بالي، فرغوسون آدم سميث، هيوم، فيكو، كونت، باجهوت، تارد وسبنسر.

Comenius, Loke, Rousseau, Basedow, Pestalozzi, Herbart, Frœbel, Hegel, Paley, Ferguson, Adam Smith, Hume, Vico, Comte, Bagehot, Tarde et Spencer.

اما في القرن العشرين فقد ظهر كثير من السوسيولوجيين الذين ألحوا على وجوب استعانة التربية بالسوسيولوجيا. ومن أهم هؤلاء في فرنسا اميل دوركهايم. وقد نشر كتاب بعد موته سنة ١٩٢٢ بعنوان: «التربية والسوسيولوجيا» Education et sociologie هو عبارة عن مجموعة محاضرات. وفي رأي

دوركهايم « ... التربية عبارة عن وظيفة اجتماعية بالذات »[1] . ويعرف دوركهايم التربية بقوله : « التربية هي الفعل الذي يمارسه جيل الراشدين على جيل اولئك الذين لم ينضجوا بعد للحياة الاجتماعية . والغرض منها أن تثير وتنمي لدى الطفل عدداً معيناً من الحالات الجسدية والعقلية والاخلاقية يتطلبها منه المجتمع السياسي بمجموعه ، والبيئة الخاصة التي « أعد لها خصصياً . »[2] ويتابع قوله : « ينتج من التعريف السابق أن التربية عبارة عن تأهيل او تبيؤ **اجتماعي** Socialisation **منهجي للجيل الفتي** . »[3] .

وهكذا ففي رأي دوركهايم التربية عبارة عن تأهيل أو تبيؤ اجتماعي ، ولهذا كان من الواجب أن نطبق علم الاجتماع على التربية .

وقد اعتبر أتباع دوركهايم سوسيولوجيا التربية كتطبيق من تطبيقات السوسيولوجيا المتعددة . وتابعه في آرائه التربوية هذه موريس هالفاكس Halbwachs ، وشارل بلوندل Ch. Blondel ، وفوكونّي Eh Fauconnet وحتى جان بياجي J. Piaget نفسه . إذ ألح بياجي على الدور الذي تلعبه المؤثرات الاجتماعية في التطور العقلي للطفل ... وبصورة عامة يعتبر اتباع دوركهايم الطفل غير القابل للتبيؤ الاجتماعي Unsocialized **والطفل المشكل** كطفلين منخلعين عن المجتمع désocialisés (De - socialized) وأصبحت الفكرة التطورية القائمة على «تبيؤ» الفرد حيوية لكل نظرة أو نظرية تربوية في أيامنا هذه، ولعب في الولايات المتحدة الامريكية سوسيولوجيون من أمثال جورج هربرت ميد G. H. mead ، وتوماس W. Thomas ، وبارك Park ، ويونج Young ، وبرنارد Bernard ، وبوجاردس Bogardus ، وبورجس Burgess ، وفارس Faris ، وسيلّين Sellin ، وسواهم دوراً هاماً في توضيح الآثار التربوية

---

(١) E. Durkheim : Education et sociologie P. 60

(٢) Ibid ; P. 49

(٣) Ibid ; P. 49

للوسائل التربوية ، عدا المدرسة ، كالسينما والعصابة ومجموعة اللعب ... ، التي تهم السوسيولوجي المربي أو التربوي .

اصول السوسيولوجيا التربوية في أمريكا : يمكن اعتبار السوسيولوجيا التربوية علماً أمريكياً خاصاً تقريباً . لان اكثر من ٩٥٪ مما كتب حول هذا الموضوع ألفه سوسيولوجيون ومربون أميركيون . ولانجد في فرنسا وانكلترا أي متن من المتون Handbook ou manuel , المخصصة لهذا الفرع . ولهذا تكونت اصول هذا العلم في الولايات المتحدة الامريكية . إذ تأسس قبيل الحرب العالمية الكبرى الاولى في الولايات المتحدة كثير من دور المعلمين لتهيئة وتدريب المعلمين . ولذا مست الحاجة لمعرفة كيف نعلّم وماذا نعلّم وقد قام علم النفس التربوي بدور هام ، وذلك بتقديم خدماته في المجال الاول : أي كيف نعلّم وما هي الطرق التي يجب أن نتبعها في التعليم . ولكن بقيت مشاكل ثانية معلقة دون حل مثل : ماذا نعلّم ، والعلاقات بين طرق التدريس المختلفة ، والمحتوى ، والفائدة الاجتماعية للعمليات التربوية . ولهذا اتجه بعض المبرزين في في الحقل التربوي الى دراسة المنهاج او البرنامج الدراسي ومواده ومحتواها وعلاقته بالمجتمع . وهكذا اتجه الاهتمام الى العلاقات القائمة بين المدرسة والبيئة الخارجية . ففي سنة ١٩١٢ كتب ايرفين كينج Irvin King : « ان عملية التعليم في الفرد مشروطة الى حد بعيد بالبيئة الاجتماعية داخل وخارج المدرسة ، ولهذا ظهر المبرر لدراسة السيكولوجيا التربوية ، من وجهة نظر السيكولوجيا الاجتماعية ، زد على ذلك أن هناك مفهوماً يقرر بأن غاية التربية ... يجب أن تعتبر الطفل كعضو في المجتمع ، ومن المحتمل ان يستمر على هذا المنوال ، وفاعليته كفرد ستقاس ، تقريباً وبصورة حتمية ، بالمفاهيم الاجتماعية ... وقد قدم نشؤ العلمين الاجتماعيين الحديثين : السوسيولوجيا والسيكولوجيا الاجتماعية ، المبادىء لعلم تربوي واسع المجال .. » (٤) .

---

(٤) King : Social aspects of education (1912). P. 1-2

وظهرت في نفس العام الحركة التقدمية في التربية حالة محل الفلسفة التربوية وعلى رأسها علماء أمثال : فايني Finney ، وإلوود Ellwood ، وسنيدن Snedden ، وبوبيت Bobbit ، ووليمز Williams ، وهايس Hayes ، وفارس Faris ... واعتبروا جميعاً أن المدرسة عبارة عن مؤسسة اجتماعية يمكن استخدامها لادارة (أو توجيه) اجتماعية فعالة اذا ما اعتبر العلمون والاداريون ان التربية عبارة عن عملية اجتماعية تعزز التقدم الاجتماعي وتساعد على تقوية تياره . وفي عام ١٩١٨ أصدرت الجمعية السوسيولوجية الامريكية تقريراً عن اجتماع لها بعنوان : « السوسيولوجيا والتربية » . وكان هذا التقرير يدور حول اهمية العلاقات المتبادلة بين السوسيولوجيا والتربية في حل مشاكل العملية التربوية . وظهرت مبادىء هذا الاتجاه في مؤلفات : الوود ، وجروفز Groves وجود Good ، وفايني ، وهارت Hart ، وكاينمان Kinneman ، وهوورث Howerth وسواهم (٥) ...

ألحت جميع هذه المؤلفات على ان التربية يمكن ان تنقذ او تحفظ العالم ، وتتبنى الفكرة القائلة بأن التعليم سيؤدي الى تحسن سريع وعميق في حياة المجتمع . وهكذا يصبح دور المدرسة دور المصلح والهادىء في سبيل تنظيم وترقية وتحسين الاوضاع الاجتماعية . **السوسولوجيا التربوية المنهجية** : في البدء أدخل بعض الاساتذة الامريكيين مادة « السوسيولوجيا التربوية » او « سوسيولوجيا للمعلمين » كمادة للتدريس . ففي عام ١٨٩٨ اعطى روس Ross دروساً في « سوسيولوجيا للمعلمين » في جامعة ليلند ستنفورد Leland Stanford .

وفي سنة ١٩٠١ اعطى الاستاذ دافيد سنيدن D. Snedden دروساً بعنوان « التربية والمجتمع ». وفي عام ١٩٠٢ اعطى ستانلي هول Stenley Hal

---

(٥) H.E. Barnes, H. Becker: Contemporary social theory P. 817-819.

دروساً في جامعة كلارك Clark University بعنوان : « سيولوجيا التربية ». وفي عام ١٩٠٦ أعطي في جامعة فيرجينيا اول درس في علم الاجتماع وكان عنوانه : « السوسيولوجيا التربوية » وفي عام ١٩٠٧ أعطى هنرى سوزاللو H. Suzallo ، في جامعة كولومبيا ، اول درس بعنوان : « السوسيولوجيا التربوية » . . . وهكذا تضاعفت هذه الدروس بسرعة قوية . حتى ان شابين F. S. Chapin وجد في عام ١٩١٠ احدى عشرة مؤسسة في التعليم العالي تقدم دروساً من هذا النوع . وقد لاحظ جيليت Gillette في عام ١٩١٤ وجود اربعة عشر درساً في المؤسسات التعليمية بعنوان : « سوسيولوجيا التربية » . ومنذ عام ١٩١٧ ظهرت مؤلفات في هذا الفرع او العلم بحثت فيها ونوقشت مفاهيمه . وظهرت دراسات حول المواضيع التالية : الاشكال الاجتماعية ، الرهوط الاجتماعية ، التقدم الاجتماعي ، صبغ البرنامج بالصبغة الاجتماعية ، أهداف التربية ، ادماج أو تكامل الشخصية ...

وظهرت في عام ١٩٢٧ تحول في الاتجاه بظهور مدرسة تجريبية في هذا العلم اهتمت بالدراسات التجريبية وتركت المناقشات المبدئية الاولى . وقد تركز هذا الاتجاه بعد عام ١٩٢٧ حول « مجلة السوسيولوجيا التربوية » بزعامة جورج باين G. Payne الذي يدعى في اميركا « أبا » السوسيولوجيا التربوية(٦) وكان رأي هؤلاء العلماء : لا يمكن ان تستخرج اهداف التربية من المبادىء الفلسفية بل يجب ان تحدد بالرجوع الى الحياة الاجتماعية التي تعتبر المدرسة جزءاً منها(٧) .

المتون التي ظهرت فى هذا العلم : كان ظهور أول كتاب يحمل عنوان : « السوسيولوجيا التربوية » في عام ١٩١٧ . اذ نشر في هذا العام ولتر سميث Walter R. Smiht كتاباً بعنوان : « مدخل الى السوسيولوجيا التربوية

---

(٦) F. J. Brown : Educational sociology (1947) P. 43

(٧) H. E. Barnes and H. Pecker : Opi. Cit. P. 21

An introduction to educational sociology وكذلك نشر دافيد سنيدن D. Snedden كتابه « السوسيولوجيا التربوية » في نفس العام Educational sociology-a Digest and Syllabus . وكان متأثراً بكولي Cooley ، وديوي J. Dewey . وتبعهما عام ١٩١٩ شانسلور W. E. Chancellor بكتابه « السوسيولوجيا التربية » وكان متأثراً بالمدرسة الاجتماعية – السيكولوجية التي كان يمثلها روس Ross . وعالج في كتابه مشاكل العادات والتقاليد ، والمؤسسات الاجتماعية والقياس الاجتماعي والرأي العام والتحريات من وجهة نظر روس . . . ونشر كلاو F. R. Clow كتابه : « مبادىء السوسيولوجيا مع تطبيقات تربوية » Principles of sociology with educational abplications .

وكان متأثراً بكولي وروس وديوي وجيدنغ Gidding . وظهرت بعد هذا كتب كثيرة لمؤلفين مختلفي النزعات والمذاهب من امثال : فايني ، وكاينمان ، ونورث North وبيرد ، وتتل Tuttle ، وولار Waller ، وبترز C. C. Peters ، وجورج باين ، وروسك Roucek ، وبراون F. J. Browen وسواهم ...

وهكذا تركزت السوسيولوجيا التربوية واقيمت دعائمها كعلم مستقل له اصوله ومبادئه يستمد الكثير من افكاره من التربية والسوسيولوجيا والسوسيومتريا والسيكولوجيا التربوية والسيكولوجيا الاجتماعية والانتروبولوجيا . . .

مدارس السوسيولوجيا التربوية : يوجد ثلاث مدارس في هذا العلم :

الاولى متأثرة بالفلاسفة الاجتماعيين وتعتبر امتداداً لمذهبهم وآرائهم ويسودها مبدأ « ماذا يجب ان يكون » وزعماء هذه المدرسة هم سنيدن ، وبترز ، وويس Weiss وهيس جلايز Hesse-Gleyz ، وشانسلور ، وكلاو ، وسميث) ، وانجل R. C. Angell .

والثانية ويمكن ان ندعوها بالمدرسة الوظيفية : Functional School ويتزعمها جورج باين الاستاذ في جامعة نيويورك ومن اتباعها : زورباف Zourbaugh وثراثر Thrasher ، وبراون ، وروسك ، وكوك Kook ، وزليني Zeleny ، ويلح اتباع هذه المدرسة على ان السوسيولوجيا التربوية هي سوسيولوجيا اكثر منها تربية . وان كل برنامج او منهاج تربوي سليم يجب أن يتمركز حول تأثير العوامل الثقافية والمجموعية في الشخصية ، وللتربية في رأي هذه المدرسة ، ثلاث وظائف رئيسية : (١) تمثيل وهضم التقاليد ، (٢) تنمية وتنشئة نماذج سلوكية اجتماعية جديدة ، (٣) الدور الابداعي للتربية . . وترى ان السوسيولوجي التربوي يجب ان يعنى بصورة مبدئية بالوظيفتين الاوليين — والحاح هذه المدرسة على جميع العلاقات الاجتماعية وسع مجال السوسيولوجيا التربوية ...

واما الثالثة فهي مدرسة صغيرة تنحو نحواً علمياً صحيحاً وغايتها فرض السوسيولوجيا التربوية كعلم مستقل كالسيكولوجيا ، لان هذا العلم يعتبر اساسياً في تطبيقاته المتعلقة بكل العملية التربوية . ومن اتباع هذه المدرسة : بايسترون Bystron ، وزنانيكي Znaniecki ، ووالر Waller ، وميستاكوفسكي Mystakowski . ويحاول هؤلاء ان يجعلوا من علمهم هذا علماً خاصاً وفرعاً مستقلا عن السوسيوجيا ، علماً لايكون مساعداً لعلم التربية ولكن علماً يدرس المجال الثقافي للتربية وعلاقته بالمجالات الثقافية الاخرى . واهداف علمهم هذا تحصر فيما يلي :

(١) وصف حياة الناس بكل دقة وعناية داخل المدرسة وخارجها . (٢) تحليل هذه المواد او المواضيع الموصوفة وخاصة بالاعتماد على وجهتي نظر علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ؛ (٣) التوصل الى عزل أسباب او عوامل التفاعلات التي تحدث في المدرسة وخارجها ...

والخلاصة : وفي النهاية نقول ان المدرسة كانت ولا تزال وسوف تبقى

أحد منابع السيطرة أو (الضبط) الاجتماعية . وهي كمؤسسة اجتماعية مكلفة بادماج وتنسيق القوى التربوية الاخرى تعتبر مسؤولة عن تكوين وغرس بعض مواقف اجتماعية ، وعادات ، ومعارف ومثل عليا وايديولوجيات ، وهكذا ظهرت ضرورة استعانة التربية بالسيوسيولوجيا، وبرزت السيوسيولوجيا التربوية الى الوجود ويجب ان تؤثر هذه السوسيولوجيا في حياتنا التعليمية لاننا في أمس الحاجة اليها . ذلك ان الحياة الصالحة الجيدة هي حياة اجتماعية ، ولا يمكن للافراد ان يعيشوا خارج المجتمع ويجب ينقل الالحاح على تنشئة الفرد الى حياة الجماعة او الى الحياة الجماعية التي يعد الفرد جزءاً منها . وهدف التربية الاساسي هو تكوين وانشاء المجتمع الصالح .

وعلى العموم تستمد سوسيولوجيا التربوية اصولها وطرقها من السوسيولوجيا والتربية والسيكولوجيا التربوية والسيكولوجيا الاجتماعية والسوسيومتريا والانتروبولوجيا ... ولا يعتبر هذا العلم حالياً ، الفلسفة السياسية للتربية ولا الفلسفة التربوية للسوسيولوجيا، انه يستخدم مبادىء وطرق بحث السوسيولوجيا والعلوم الاخرى التي عددناها ، في تحليل التفاعل الاجتماعي للطفل والراشد في مختلف وكالات ومؤسسات التربية . . . فهو اذن فرع اساسي من فروع السوسيولوجيا الخاصة والتي يجب ان نعتمد عليها في بناء مجتمع صالح وسليم وفي فهم الحياة الاجتماعية وخاصة في المدرسة والعملية التعليمية .

مصادر

H. E. Barnes and H. Becker : Contemporary social theory. (Appleton-Century. Comp. N. J. 1940) PP. 793-833.

F. J. Brown : Educational sociology (Prentice-Hall... London 1947 PP. 39-40)

D. H. Kulp, : Educational sociology. (1933) PP. 548-568

E. G. Peyne : Readings in educational sociology Vol I and II 1933-1934.

الفصل الثاني

تعريف سوسيولوجيا التربية وموضوعها

بعد ان القينا هذه النظرة التاريخية على ظهور سوسيولوجيا التربية ، نبادر الآن فنبحث في تعريفها . من المعلوم ان لكل علم موضوعاً يدرسه ، ولا بد لنا لفهم منحى علم ما واتجاهه من تعريفه وتحديد موضوعه ومادته اللذين يدرسهما.

تعاريف مختلفة :

لقد عرف سوسيولوجيون كثيرون السوسيولوجيا التربوية . ولكن عرفها كل فريق منهم تبعا لوجهة نظره او مذهبه او مفهومه .

آ ـ السوسيولوجيا التربوية كوسيلة للتقدم الاجتماعي:

هذا هو اعتبار السوسيولوجيين التربويين الاوائل حيث كانوا يرون كما رأينا سابقاً ، في هذه السوسيولوجيا احد العلوم التي تقدم لنا الاسس لعملية التقدم الاجتماعي ، ولحل مشكلة الشرور الاجتماعية . واول من عبر عن هذا الرأي هو ليستروورد Lesier F. Ward ، الذي كان يعتبر التربية وسيلة اصلاحية او تحسينية ، غايتها الاساسية اصلاح المجتمع . وقد شايعه في هذا الرأي جود ، والوود ، وكاينمن Good ; Ellwood , and Kinneman

ب ـ السوسيولوجيا التربوية كاساس لتحديد هدف التربية :

وقد اراد آخرون ، من امثال فايني ، وسنيدن ، وبترز ، وكليمنتز Clemeuts ، ان يكون هذا العلم عبارة عن التحليل الموضوعي لاهداف التربية ، فمثلا يقول سنيدن في تعريفه لهذا العلم : « الاختصاص الرئيسي للسوسيولوجيا التربوية هو التحديد العلمي لاهداف التربية » .(١)

جـ ـ السوسيوجيا التربوية كسوسيولوجيا تطبيقية :

وقد عرفها آخرون بانها تطبيق السوسيولوجيا على مشاكل التربية . ومنهم سميث ، وزورباف ، وكولب Kulp ، اذ يقول سميث مثلا في تعريف السوسيولوجيا التربوية . « هي تطبيق الروح العملية وطرق ومبادىء السوسيولوجيا على دراسة التربية » .(٢)

وفي رأي زلني Zeleny لا يمكن للسيوسيولوجيا التربوية ان تصبح سوسيولوجيا محضة Sociologie pure ، ويجب ان تطبق على ادارة التربية او الاشراف عليها . فوجهة النظر هذه تعتبر السوسيولوجيا التربوية كتكنولوجيا محضة ولا تعتبرها كعلم اطلاقا .

د ـ السوسيولوجيا التربوية كتحليل لعملية التبوء الاجتماعي

Socialising process

تأثر بعض السوسيولوجيين التربويين بالحاح بعض السوسيولوجيين والسيكولوجيين الاجتماعيين على نمو وتكامل الشخصية ، لذلك رأوا غرض علمهم في دراسة التبيوء الاجتماعي للطفل ، ولهذا اهتموا بالطرق التي يؤثر بها الرهط الاجتماعي في الفرد . ومن هؤلاء : إلوود وسميث وبروان ؛ اذ يقول بروان مثلا : « تهتم السوسيولوجيا بتأثير البيئة الثقافية الكلية التي تكتسب

---

(١) Snedden : Educational sociology . P. 33

(٢) W.R.Smith : an introduction to educational sociology. P. 15

وتنتظم فيها التجربة أو الخبرة . . وهكذا تهتم السوسيولوجيا التربوية وبصورة رئيسية بان تظهر كيف تجري العملية التربوية لتحقيق تكامل شخصية أفضل»[٣].

هـ ـ السوسيولوجيا التربوية كتدريب العاملين في الحقل التربوي :

انها وسيلة بيد المربين ، فعلينا ان ندربهم عليها ونعطيهم مبادئها . هذا ما يقول به بعض السوسيولوجيين التربويين من امثال : جورج باين وروبنز وبراون نفسه اذ يقول جورج باين : « نعني بالسوسيولوجيا التربوية العلم الذي يصف ويعلل . . العلاقات الاجتماعية التي بها او فيها او خلالها ، يكتسب الفرد وينظم خبرته » . ويتابع قوله « تهتم السوسيولوجيا التربوية بالسلوك الاجتماعي وبمبادىء ادارته او الاشراف عليه وضبطه »[٤]. فيريد هؤلاء ان يزودوا المعلمين والمدرسين بمعلومات هذا العلم ليقوموا بمهمتهم على وجهها الافضل . ولهذا نرى أن اكثر المتون الموضوعة في هذا الحقل أو في هذه المادة كتبت للمعلمين والمربين.

و ـ السوسيولوجيا التربوية كتحليل لمركز او وضع التربية في المجتمع :

لقد ظهرت نزعة بين بعض السوسيولوجيين التربويين من امثال : كوك ، وورنر ، وستندلر Kook , Warner and Stendler ، تحاول ان تلح على دراسة وتحليل الجماعة او المجتمع وخاصة بالاستناد الى وظيفة التربية . وهكذا ألح كوك بعض الشيء في كتابه « أسس الجماعة في التربية Community Bak-grounds of education » على وظيفة المؤسسات التربوية في الجماعة وحلل العلاقة الاجتماعية بين المدرسة والمظاهر الاخرى للجماعة .

ز ـ السوسيولوجيا التربوية كتحليل للتفاعلات الاجتماعية التي تنشأ في

---

(٣) F. Brown: Educational sociology. P. 25-36

(٤) G. Payne: Principles of educational sociology. (1928) P. 20 :

المدرسة ، وبين المدرسة والجماعة : وقد حاول آخرون أن يروا موضوع السوسيولوجيا الاجتماعية في دراسة وتحليل التفاعلات الاجتماعية التي تنشأ في المدرسة ، وبين المدرسة وسواها من المؤسسات الثقافية في المجتمع العام . فمثلاً حاول ولر waller ان يدرس دورا لمعلمين في علاقاتهم بتلاميذهم وبالجماعة التي يدرسون فيها (٥) . ودرس آخرون من امثال زنانيكي ، وويلسون، وجرينهو Greenhoe ، وورن warren ادوار المعلمين في التعليم العالي ، وفي المجالات الاجتماعية الاخرى . ودرس آخرون الزعامة ، والتجاذب والتنافر، وتركيب العصبة والعصابة وساهموا بدراساتهم بنصيب وافر في فهم الرهوط الاجتماعية التي تتكون داخل المدرسة .

ح – سوسيولوجيا التربية كتحليل علمي للعلاقات الاجتماعية في التربية :

ويميل بعض السوسيولوجيين التربويين المحدثين الى تسمية هذا العلم بـ « سوسيولوجيا التربية » بدلاً من « السوسيولوجيا التربوية » . ومن هؤلاء روبرت آنجل R. C. Angell الذي يقول بان السوسيولوجي التربوي يجب أن يكون سوسيولوجياً متخصصاً بابحاث العملية التربوية . ورأيه ان السوسيولوجيا التربوية عبارة عن فرع من فروع السوسيولوجيا المحضة أو العامة، ولهذا يفضل تسميتها بـ « سوسيولوجيا التربية » لانه يرى في المدرسة منبع او مصدر مادة يجب ان تحلل .

وهكذا يرى استحالة قيام علم تطبيقي في السوسيولوجيا التربوية . ولهذا فغاية هذا العلم ليست ادارة المدرسة بل تحليل العلاقات الاجتماعية فيها. ولادارة المدرسة تكنولوجيا خاصة (٦) . وكذلك يرى روتر Reuter ان « اهتمامات

---

(٥) Willard waller: Sociology of teaching. N. J. 1932

(٦) A. C. Angell: Science, sociology and education. In Journal of educational sociology. vol I. 1928. PP. 406-413

السوسيولوجي التربوي تختلف فقط عن اهتمامات السوسيولوجي العام بكونه يعمل في مجموعة خاصة من المواد . او يهتم بفهم أشكال التربية ووظائفها وتكاملاتها او نشوءاتها في مواقف متعددة ، ومعرفة سلوك وايديولوجيات رجال المدرسة مكتشفاً مفعول المدرسة في المؤسسات القائمة وتأثيرها في الشخصية »[٧].

أما نحن فنميل الى اتباع رأي هؤلاء، ورأي أحدث المؤلفين في هذا المجال: بروكوفر Brookover في كتابه «Asociology of education».(N, Yl 955) ونعرف سوسيولوجيا التربية بقولنا : هي التحليل (او الدراسة) العلمي للعملية الاجتماعية والنماذج الاجتماعية المتضمنة في المنظومة التربوية . وهذا يقتضي منا تحليل التفاعلات Interaclions البشرية في العملية التربوية سواء في المدرسة أم في المؤسسات الاجتماعية الاخرى كالاسرة والكنيسة (او « الجماعة » الدينية) والحزب .. والتوصل الى نظرية علمية قابلة للتجريب والاختبار تعلل وتفسر هذه العلاقات البشرية في العملية التربوية .

المواضيع التي يدرسها هذا العلم او مجال سوسيولوجيا التربية :

يدرس هذا العلم مواضيع كثيرة قسمها بعض المؤلفين الى أربعة أقسام:

أ - العلاقة بين المنظومة التربوية والمظاهر الاجتماعية الاخرى : ويشمل هذا القسم مواضيع متعددة منها : (١) وظيفة التربية في الثقافة ، (٢) علاقة المنظومة التربوية بعملية السيطرة او الادارة الاجتماعية وبمنظومة السلطة ، (٣) وظيفة المنظومة التربوية في عملية التبدل أو التغير الاجتماعي والثقافي او في تثبيت الوضع القائم ، (٤) علاقة التربية بالطبقات الاجتماعية او منظومة الاوضاع ، (٥) وظيفة او فعل العملية التربوية في العلاقات بين المجموعات العرقية والثقافية وسواها من المجموعات .

---

(٧) E. B. Reuter : The problem of educational sociology.. in journal of educ-sociology. vol p. 1935 PP. 15-22

ب – **العلاقات البشرية في المدرسة :** والقسم الثاني هو دراسة العلاقات البشرية داخل المدرسة ، ويشمل المواضيع التالية :

١ – طبيعة ثقافة المدرسة وخاصة اختلافها عن الثقافة خارج المدرسة .

٢ – انماط التفاعلات الاجتماعية لبنية المجتمع المدرسي . ويضم هذا الموضوع مايلي من الابحاث :

مختلف الاوضاع الاجتماعية في المدرسة ، الزعامة والعلاقة السيادية ، والدارج الاجتماعي ، وكذلك التفاعلات داخل العصبات (الشلات Cliques) والمجموعات المتجانسة .

ج – **تأثير المدرسة في سلوك وشخصية العاملين فيها :** ويمكن اعتبار هذا القسم كدراسة سيكولوجية اجتماعية للعملية التربوية . وفيه تدرس شخصية وسلوك المعلمين والتلاميذ وسواهم ممن تنطوي عليهم المنظومة التربوية العامة او الكلية . وهذه بعض مواضيع هذا الحقل :

١ – الادوار الاجتماعية للمعلم ، (٢) طبيعة شخصية المعلم ، (٣) تأثير شخصية المعلم في سلوك التلاميذ ، (٤) وظيفة المدرسة في عملية التنبؤ الاجتماعي لدى التلاميذ .

د – **المدرسة في المجتمع :** يبحث هذا القسم في التفاعلات القائمة بين المدرسة والمجموعات الاجتماعية الاخرى داخل المجتمع الاكبر والعام . وهذه بعض مواضيعه :

(١) المجتمع وتأثيره في أنظمة المدرسة ، (٢) تحليل العملية التربوية في المؤسسات الاجتماعية الاخرى خارج المدرسة : الاسرة ، الكنيسة او الجماعة ، (٣) علاقة المدرسة والمجتمع في الوظيفة التربوية و (٤) العوامل الديموغرافية والايكولوجية Ecological للمجتمع في علاقاتها بالنظمة المدرسية[٨] .

---

(٨) راجع : Brookover : Asociology of Education

ملاحظة : لن نتقيد في كتابنا هذا ، بحرفية هذه الاقسام الاربعة ولا بادراج المواضيع التي تضمها حسب معالجة بروكوفر ، وان كنا سنعالجها جميعاً ولكن تحت اقسام مختلفة بعنوانيها احياناً .

٥ – تطبيق بعض الدراسات على المشاكل الاجتماعية : ويمكن ان نضع قسما خامساً تطبيقياً يبحث في تأثير المدرسة في مشاكل المجتمع وامكانية اشتراك المدرسة في حلولها . وندرس فيه المواضيع الآتية : (١) المدرسة والتخطيط الاجتماعي ، (٢) المدرسة والحياة ، (٣) المدرسة والتعليم المهني ، (٤) التربية في السلم والحرب ، (٥) صحة الفرد وصحة الجماعة ، (٦) التربية والريف ...

وهناك مواضيع اخرى كثيرة تدرسها سوسيولوجيا التربية ، لايمكن حصرها جميعا هنا . نكتفي بما قدمنا لأنه يضم المواضيع الرئيسية التي يتفق عليها اكثر الباحثين في هذا المجال او الحقل .

الخلاصة : ماعددنا من مواضيع يدل دلالة واضحة على ضعف الاهتمام الحالي بدراسات السوسيولوجيا التربوية التقليدية ، ويظهر تزايد الاهتمام والالحاح على التحليل السوسيولوجي للمدرسة والعمليات التربوية . ويوحي هـذا بضرورة تحليل عميق للعلاقات البشرية في المنظومة التربوية ، والعلاقات البشرية القائمة بين المنظومة التربوية والمظاهر الاجتماعية الاخرى ، ويدعو ايضاً الى دراسة تأثير هذه العلاقات البشرية في سلوك الافراد . وهذا النوع من الدراسة يفرض علينا ان نميز سوسيولوجيا التربية هذه عن تطبيق السوسيولوجيا على التربية كما حدث في الفترة الاولى من ظهور السوسيولوجيا التربوية ..

بعض المصادر الهامة

W. B. Brookover: A sociology of education. N. Y. 1955 Chap. 2

L. A. Cook : A sociological approach to education N. Y. Mc-Graw-hill. 1950

G.S. Herrington: The satus of eductional sociology today. J. ofteductional sociology, vol 21. Nov; 1947

C. B. Moore and Cole (W. E.) Sociology in eductional Practice. Boston Honghton mifflin top 1952

F.G. Robbins: Eductional sociology.N.Y.Henry-holt. 1953

★ ★

القسم الثاني

التربية والمجتمع

الفصل الثالث

التربية والتنبؤ الاجتماعي Socialisation

قلنا فيما مضى ان التربية عبارة عن عملية اجتماعية. وقلنا أيضاً ان دوركهايم يعتقد بأن التربية عبارة عن تأهيل أو تنبؤ اجتماعي منهجي للجيل الفتي أو الطالع. ويرى بعض السوسيولوجيين التربويين ان التربية تعتبر باستعمالها الواسع، مرادفاً للتأهيل الاجتماعي[1]. وتدفعنا اهمية عملية **التأهيل الاجتماعي في العملية التربوية** الى البحث في العملية الاولى لانها تلقي ضوءا على بعض ماسيمر معنا من ابحاث. ولبحث التأهيل الاجتماعي اهمية كبرى في السيكولوجيا الاجتماعية لانه يدخل مباشرة في بحث الشخصية وكيفية انطباعها بالطابع الاجتماعي. ولهذا يلح السيكولوجيون الاجتماعيون الحاحاً قويا عليه. أما نحن فلا نتمكن هنا من ايفاء هذا الموضوع حقه لان التوسع فيه خارج عن نطاق بحثنا ومادتنا، ولاننا سنعود اليه في بحث التأهيل الاجتماعي في المدرسة. فكل مانقدمه هنا هو عبارة عن خطوط عريضة لهذه العملية تساعدنا على فهم طبيعة التربية ...

التأهيل الاجتماعي معناه وتعريفه :

يولد الطفل البشري في مجتمع ما، بدائياً كان أم متحضراً. ولهذا المجتمع تقاليده، وعاداته وأعرافه ومعاييره وقيمه ومثله الأعلى في التفكير والسلوك

(١) Brookover, Sociology of Education P. 313

والاخلاق . وكل طفل مقسور على أن يتعلم ما يتطلبه مجتمعه وأن يهمل مايرفضه ويستهجنه هذا المجتمع .. فالطفل مجبر على أن يتعلم كيف يأكل وكيف يتكلم وكيف يرتدي ثيابه ، وكيف يمشي وكيف يسلك مع الناس ؛ وهو مجبر أيضاً ، في المجتمعات الراقية ، على **تعلم القراءة والكتابة** ... وكل هذه مظاهر بارزة من مظاهر التأهيل الاجتماعي ... وأنماط السلوك التي يتعلمها الطفل يجب أن تتحلى بصفتين أساسيتين :

١) **يجب ان ترضي حاجات الفرد الأساسية** ، و ٢) ان تكون من تلك السلوكات السوية التي يرضى عنها المجتمع . واذا ما هيأنا الطفل للحياة الاجتماعية التي يتطلبها مجتمعه الخاص نكون قد طبقنا عليه عملية تأهيل اجتماعي .

فعملية التأهيل الاجتماعي تعني بمعنى ضيق تلك « العملية التي يتعلم الفرد بها ان يوافق سلوكه مع متطلبات معايير المجتمع الذي يعيش فيه كعضو من اعضائه » .

وبمعنى أعم يمكن أن نعرف عملية التأهيل الاجتماعي على أنها « العملية التي يصبح بها الفرد عضواً فاعلاً في رهطه أو جماعته ، عاملاً حسب معاييره ، متوافقاً مع عاداته ، خاضعاً لتقاليده ومتكيفاً مع الاوضاع الاجتماعية التي يتطلب فيها ، وبصورة كافية ، تسامح الآخرين هذا اذا لم يكن اعجابهم »[١] .

مراحل التأهيل الاجتماعي : تجري هذه العملية في المجتمع ، وهي لاتتم إلا داخل **علاقات** بشرية لان الطفل لايستطيع أن يتوصل الى اكتشاف نفسه واستقلالها عن الآخرين ولايتمكن من التوصل الى اكتساب شخصية اجتماعية الا بوجود الآخرين الذين يحيطون به . ففي اشتراكه مع الآخرين يتكون لديه شعوره بنفسه وذاته كموجود **مختلف عن الآخرين** . انه يقلد الآخرين وبمقارنته لحركات الآخرين وحركاته يكتشف **فرقاً** ما . لان حركات جسده

---

(١) راجع : J. L. Gillin and J. Ph. Gillin. Introduction to Sociology. Macmillan. 1947 p. 561

تحدث فيه احساسات داخلية بينما لا تحدث فيه حركات الآخرين مثل هذه الاحساسات ... ولكنه يدرك فيما بعد تشابهه مع الآخرين حيث يسقط عليهم مشاعره واحساساته ويدرك بهذا ليس ما يميزه عنهم فقط ولكن ما يشابهه بهم أيضاً.

ولنبحث الآن في العلاقات البشرية التي نمت فيها شخصيته وتوصل خلالها من أن يتعلم ما يتطلبه منه المجتمع الكلي أو العام.

الطفولة والتبيؤ الاجتماعي : يبدأ الطفل حياته في الاسرة وتقوم أول علاقاته الاجتماعية مع أبويه. فمدرسته الاولى هي الاسرة ومعلموه الاول هما والداه. فهنا يختبر المحبة والسلطة والادارة أو التوجيه والحماية والمثل العليا. وهنا يتعلم من اهله في الطفولة الاولى كيف يلبس، وكيف يأكل، وكيف يتكلم، وكيف يكون نظيفاً، وكيف ينام، وكيف يحترم الآخرين. ويكون تعلمه في المرحلة الاولى من حياته حيوانياً تقريباً. ويلعب هنا **القسر** دوره في اكتساب العادات الصالحة. وكلما كبر الطفل خفت طريقة القسر وحلت محلها طريقة التقليد والايحاء. إذ يبدأ الطفل بتقليد اهله وبالتأثر بإيحاءاتهم؛ وهكذا تعمق تجربته الاجتماعية اكثر فأكثر...

ويتعرض في الاسرة أيضاً لتأثير اخوته واخواته. اذ يتعلم كيف يجب أن يعاملهم بالحسنى ويتعاون معهم ويلاعبهم، ويحترم كبيرهم ويحب صغيرهم، ويتنازل عن بعض رغباته في سبيلهم.. ويختلف التبيؤ الاجتماعي لدى الطفل تبعاً لمركزه في الاسرة. فاذا كان طفلاً وحيداً مثلاً كان تبيؤه مختلفاً عما لو كان طفلاً يعيش في اسرة متعددة الاطفال. وكذلك يختلف هذا التبيؤ في حالة وجود الطفل بين بنات عديدات أو الطفلة بين ذكور عديدين. ويتأثر تبيؤ الطفل بوضعه الزمني بين اخوته واخواته اذ يختلف تبيؤ الطفل البكر عن تبيؤ الطفل الاخير مثلاً... ومهما يكن من أمر فان وجود أطفال آخرين في البيت يعطي الطفل أمثلة حية عن ردود الافعال الملائمة أمام **سلطة وتقاليد** وايحاءات وأهداف الاهل والآخرين الذين يقتدي بهم ويتخذون كأمثلة. وهكذا

فالتفاعل الذي يتم بين الطفل والاطفال الآخرين داخل الاسرة يجب ان يعتبر كعامل فعّال في عملية التبيؤ الاجتماعي ..

الطفل واللعب : وعندما يمكنه عمره من مغادرة البيت ليلعب مع أقرانه تحصل له عندئذ تجربة اخرى عميقة الاثر في تكوين شخصيته وتآلفه مع البيئة الاجتماعية . فباحتكاكه بأطفال مختلفين وبلعبه معهم يتعلم طرق التآلف مع الآخرين ، اذ يتعلم كيف يخضع لهم أو يخضعهم له . ومن هنا يمارس السيطرة أو الخضوع ، ويتعلم القيادة أو الانقياد . كما يتعلم التعاون والتآزر والنظام .

الطفل والمدرسة والتبيؤ الاجتماعي :

واذا تمكن الطفل من دخول المدرسة فانه يتعرض لتجربة أعمق من ذي قبل . إذ يحتك بأطفال آخرين ، وبأشخاص راشدين بيدهم سلطة قوية ، ويتبادل وإياهم التأثير في جو **يسوده النظام والاخلاق والعلم** . وهنا يجب على الطفل أن يتعلم كيف يؤالف أفعاله وألفاظه وأفكاره مع ما يتطلبه الآخرون منه من سلوك اجتماعي ومواقف مختلفة . وهنا تتعقد تجربته الاجتماعية لانه يعيش في عالم أعقد اجتماعياً من عالم الاسرة . ولذا تغنى تجربته الاجتماعية . (سنعود بالتفصيل الى التبيؤ الاجتماعي في المدرسة) ..

الطفل والمجتمع العام :

وكلما تقدم نمو الطفل زاد احتكاكه بالعالم الاجتماعي خارج الاسرة والمدرسة . وهكذا يدخل في حياته راشدون مختلفون ممن يعيشون في مجتمعه . فهناك الجيران « بلهجاتهم » المختلفة ، وافكارهم المتنوعة ، وثيابهم ذات الاذواق المميزة ، وهناك التجار ، والعمال واشخاص آخرون ممن يلعب معهم أو يصادفهم في الشارع .

الطفل والمطالعة والسينما :

وتفتح أمامه آفاق جديدة عندما يبدأ بالقراءة أو بسماع من يقرأ له ، عندئذ تتكشف له أفكار جديـدة وسلوكات مختلفة يطالعها في القصص الشائقة فتجذب انتباهه . وتتسع خبرته من خلال مطالعاته وتنضاف بهذا خبرته الادبية الى خبرته الواقعية . وتبرز أمامه مثل عليا جديدة فيستجيب لها شعورياً أو لاشعورياً . ولا يمكن أن ننسى تأثير السينما في نفسية الطفل وتقليده لابطال الافلام وتأثره بما يشاهد عند شعوب أُخرى من عادات وتقاليـد وأزياء ... وهكذا يكتسب عاداته ويتقبل المثل الجارية في مجتمعه وبهذا يتأهل اجتماعياً .

المراهقة والتبيؤ الاجتماعي :

وتظهر بحلول المراهقة أزمة تقتضي منه تلاؤماً جديداً مع الحياة . فنمو جسده يجلب معه مشاعر جديدة ومشاكل سلوكية جديدة يجب أن ترسخ في هذه المرحلة من مراحل العمر . وتعرض له مخاوف وآمال واندفاعات غريبة بالنسبة لتجربته السابقة . وتظهر أنواع من العادات غير المألوفة بالنسبة إليه يجب أن تتشكل . فليس عليه أن يتآلف مع الجنس المقابل او المغاير فقط ، بل عليه أيضاً أن يكتسب اتجاهات أخرى نحو من عداه من الراشدين من مختلف الطبقات ونحو أهله والاطفال ، وينفتح امامه عالم اجتماعي واسع مليء بالعلاقات الاجتماعية عليه أن يندمج فيه ؛ كما يجب أن يتعلم أشياء كثيرة تتعلق بالعائلة والجنس والمهنة .

واذا تابع الفرد دراسته وتربيته في المدرسة ، واذا احتك بشكل فعـال بالنوادي والجماعة الدينية وسائر المؤسسات الاخرى فانه يتعلم ايضا ان يتلاءم مع دائرة واسعة من الافراد تحت ظروف معقـدة . وتظهر في هذه المرحلة اخفاقات كثيرة في عملية التبيؤ الاجتماعي .

سن الرشد والتبيؤ الاجتماعي :

وعندما يتزوج يواجه سلسلة أخرى من السلوكات الجديدة . فالحياة مع « رفيق أو رفيقة العمر » تقتضي مبادلة الحب والتفاهم والاخلاص والتضحية والاناة والتحمل **والاحترام** . وهكذا يفتح الزواج أمامه علاقات وتفاعلات لم يألفها في طفولته ولا في يفاعه . وتعترض كل من الزوجين صعوبات جمة اذ لكل منهما أذواقه وعاداته واتجاهاته ومثله العليا ، ولكل منهما تربية عائلية مختلفة . واذا ما توصل كل منهما للتلاؤم مع الآخر فان تبيؤاً اجتماعياً جديداً يتم لكليهما. واذا أخفقا في التبيؤ فالنتيجة لهذا يكون عدم التوافق الزوجي والتعاسة وأخيراً الطلاق عامة . واذا أصبح أبا لأطفال فانه يواجه أيضاً وضعاً جديداً يجب ان يتلاءم معه كأب . فالزوجة والاولاد عبارة عن تعهدات مرتبطة بالثروة . فالشباب والطموح في المجتمعات المتحضرة هما دافع للرجل على صرف الجهد في المهنة أو للنجاح في المهنة ، ودافع للمرأة لأن تتميز بنجاحها كأم وكزوجة وكعاملة أو موظفة أو مستخدمة .. وكلما كبر الاولاد فان الابوين يهتمان بنجاحهم ، ويرتبطان بهم لانهم يريان فيهم أحلامهما التي يجب ان تتحقق في المجتمع الذي ينتميان اليه . ولهذا يتعلمان كيف يلائمان سلوكهما مع مقتضيات الدور الأبوي ، كما يتعلمان العمل مع الآخرين في مسؤوليات واسعة النطاق في العائلة والحياة المدنية . ويمس هذا التأهيل أعمق أعماق الأبوين ..

الكهولة والهرم والتبيؤ الاجتماعي :

وبعد هذا تنتهي غالباً عملية التبيؤ الاجتماعي . لان عادات وسلوكات وطباع الانسان تكون قد تشكلت ورسخت ويصبح من العسير تعديلها حسب مقتضيات الظروف الاجتماعية الجديدة . وهكذا **يتحجر الانسان** ويرفض التلاؤم مع كل جديد تقريباً . ويتجلى هذا التحجر في الشيخوخة اذ يظهر عدم التلاؤم مع

الواقع جلياً . ولكن قد نجد من يشذون على هذا ، وهؤلاء قلة . . . اذ ان عملية التبيؤ الاجتماعي تستمر عند بعض الافراد حتى نهاية حياتهم ..

وبهذه الطرق يتوصل الفرد لأن يتأهل اجتماعياً أو أن يتلاءم مع شروط الحياة الاجتماعية . وهكذا يتعلم كيف يتعاون مع أمثاله .فبالعطاء والأخذ، والمحبة والكراهية والتقليد والايحاء وتمثل المثل العليا الموجودة في مجتمعه ، والقيام بمسؤولياته ، يشكل مثله العليا في السلوك وعاداته في الحياة ، ويصبح جزءاً من الحياة الاجتماعية التي تحيط به .. وهكذا يكون التبيؤ الاجتماعي عبارة عن تلاؤم من قبل الفرد ، تلاؤم مع الشروط أو الاوضاع التي يفرضها المجتمع الذي يعيش فيه كفرد أو عضو .

اختلاف التبيؤ الاجتماعي باختلاف المجتمعات :

يختلف التبيؤ الاجتماعي بين مجتمع وآخر . وهذا تابع لثقافة المجتمع ودرجة حضارته وبنيته وتقاليده وعاداته ومثله العليا . ونقدم للقارىء التبيؤ الاجتماعي لدى بعض الشعوب البدائية والمتحضرة .

١) **المار كيزيون** Les Marquisiens (شعب يعيش في جزر المار كيز في بولينيزيا) . ما يميز ثقافة هذا الشعب هو كون الانظمة المفروضة على الاطفال تعتبر ضعيفة . اذ لا يوجد نظام عقوبي ولا قيود على الحياة الجنسية . وتهتم الأم قليلا بطفلها ولا ترضعه من ثديها وتوكل حراسته الى اخوته الكبار . وهكذا يلجأ الطفل الى أبيه اكثر من أمه .فعدم اكتراث الأم يقابله عطف وحلم الأب . وسلطة الأب ضعيفة حتى لا تكاد تلمس . وسبب ذلك هو **تعدد الازواج لزوجة واحدة** .

وبهذا الشكل ينشأ الطفل بين « آباء » متعددين لا يمارس عليه أحدهم سلطة قاسية . وهكذا ينشأ الولد دون قسر ظاهر على شخصيته ، ولا يعتمد على قدرات الراشد ولا يرتبط به ارتباط التابع بالمتبوع ، ولا يعتمد الا على نفسه ، وهكذا

يكتسب ذلك البلوغ المبكر الذي يعتبر البلوغ الجنسي المبكر أحد مظاهره .

٢) **التناليون** Les Tanalas : ما يميز ثقافة التنـاليين ، وخاصة بالنسبة للابناء الذين ولدوا بعد الولد البكر ، هو الضعف والصرامة والتحجر . الاسرة أبريسية Patriarcale ، يتزوج فيها الأب من نساء عديدات . وسلطته مطلقة تهيمن على الجميع وخاصة على الأبناء غير البكر الذين يجب ان يعملوا من أجله ومن اجل أخيهم الاكبر الذي هو الوارث الشرعي لسلطته ، مع حرمانهم مما يرضي رغباتهم وحاجاتهم. والحظوة في هذا المجتمع مرتبطة بصورة رئيسية بالاعفاء من العمل ، وبحق فرض الاحترام والخضوع ، وبفرض النظـام ، وبالتمكن من توزيـع العقوبات والمكافـآت على الآخرين . وهكذا يتعلم الطفل النظـام بصورة مبكرة . وتفرض أمه عليه منـذ الشهر السادس السيطرة على عضلات البراز والتبول ، ذلك لعدم استعمال القماط أو « اللفلافة » و « الترابيات » .

وبهذا يربى فيه حس المسؤولية والخضوع بصورة مبكرة ... والالعـاب الجنسية ممنوعة هنـا تماماً .. يهتم الاولاد بكسب عطف أبيهم والحظوة لديه ، ولهذا ينشأ بينهم تنافس حاد . وبسبب هذا التنافس اهتم المجتمع بفرض الطاعة والخضوع . ولهذا يمكن القول : التلاؤم في هذا المجتمع يعني الخضوع ..

٣) **الكومنشيون** Les Comanches : (قبيلة تسكن في الجنوب الغربي من أوكلاهوما Oklahoma في الولايات المتحـدة الامريكية) . انهـا قبيلة عدوانية تعيش على الغزو . ولهذا فالنموذج المعشوق فيها هو **المحارب** العنيد . وهكذا فالتربية تكون محافظة ومتحررة معاً ، (ومن هنا نرى انعدام كل نظام تضييقي) ، وداعية للنمو الحر لكل امكانيـات ومؤهلات الذات ... وفيها السلطة تابعة للقوة . والتآزر مفروض بين الجميع وروح التضامن اجبارية . وارادة القوة والعدوانية متجهتـان نحو الخارج : أي نحو القبائل الأخرى والعشائر المجاورة .

٤) **الآلوريون** Les Alorais : آلور جزيرة صغيرة من الهند النيوزلاندية

تقع على مسافة ٧٠٠ ميل شمالي استرالية) نجد في هذا المجتمع تقسيما للعمل يفرض تأمين « اللحم » على الرجال وتأمين « الخضار » على النساء . فالنساء يقمن بكل الاعمال الزراعية الشاقة والتي تتطلب مجهوداً جباراً لوعورة الارض وتباعد أقسامها المحروثة الواحدة عن الأخرى . لذلك فالطفل يتمتع بالقليل من عطف أمه وعنايتها ؛ لأنها تتركه بعد أربعة عشر يوماً من ولادته وتعود الى الحقول تاركة اياه لاشراف وعناية اخوته الذين يفوقونه سناً . وهكذا ترتبط صورة أمه لديه بالحرمان والعدوان اللذين تثيرهما في نفسه تلك الصورة . ويتعرض دائماً الطفل لتقريع وسخرية وشتائم الكبار حتى في مرحلة المراهقة . وتؤلف هذه المعاملة الشائنة التربية الأساسية في هذه الجزيرة ... [٣]

٥) **الأرابيش** Les Arapesh : (من غينيا الجديدة) ينعدم في هذا المجتمع كل نوع من المنافسة أو المزاحمة المؤسسية أو المنظمة بين الافراد والقسر المفروض عليهم . وليس فيه مكافآت هامة للزعامة ولا تدرج بين الزعماء ولا احترام قوي للمختصين . والفردية العدوانية هي ، بصورة عامة ، الشواذ لا القاعدة . وعواطف الاخوة والتعاطف تمتد الى كل أفراد الجماعة ويشعر الفرد بمسؤوليته نحو الجماعة ككل . وهكذا يتطلب التبيؤ الاجتماعي من الفرد الارابيشي أن يكون وديعاً ، مسالماً غير طماع ، تعاونياً ، محباً ، طبيعياً وقليل التبصر بالعواقب [٤] .

٦) **الامريكيون** : يعجب في الولايات المتحدة الامريكية برجل الأعمال Business man الذي يجب أن يفيض بالطاقة والحيوية ، وأن يكون داهية

---

(٣) من اجل هذه الامثلة راجع :

Kardiner. The individual and his sosiety N y.1945 .

Kard iner · The psychological frontiers of society N.Y.1945.

D. ufrenne (M. La personalité de base. P.U.F.1953 .

(٤) راجع :

Margaret Mead. Gooperation and competition among the primitive peoples .

ثاقب الفكر ، تنافسياً ، ومزاحماً ، وقادراً على فرض ارادته على الآخرين . ويجب أيضا أن يكون عاملا صامداً ، عمليا ، شريفاً ، فعالا ، متينا ومدبراً غير مبذر . فالاميركي الصالح هو ، على العكس من الارابيشي الصالح، انسان اكثر عدوانية ، واكثر فردية، واكثر اختصاصا واكثر نمواً للذات وأقل ميلاً الى دمج ماله الخاص بمال غيره [٥] ...

٧) **ولنأخذ امرأة تربى في بلادنا حسب الطريقة التقليدية :** فتبيؤها الاجتماعي يتطلب منها **الخضوع، والاستسلام والحياء والخجل والخوف** والازورار عن الرجل والانفصال عنه ، والاعتقاد بأنها أقل ذكاء وأخلاقا وقيمة ، وبالتالي أقل جدارة بالحرية منه ... وقد عبر علي بن أبي طالب عن هذا الاتجاه بقوله : « خيار خصال النساءشرار خصال الرجال : « الزهو والجبن والبخل » [٦] و« ان النساء نواقص الايمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول » [٧] . و « المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لا بد منها » [٨] .

ولنأخذ بالمقابل امرأة تربى في المجتمع الفرنسي أو الدانماركي مثلاً . فنجد ان تبيؤها الاجتماعي يتطلب منها القوة والجرأة والحيوية والتعود على الاختلاط بالرجل وتفهم نفسيته وحاجاته ، ومتانة الشخصية والاعتداد بالذات والتعلق بالحرية والمساواة مع الرجل ...

ففي بلادنا يشترط في المرأة أن تكون **منفعلة** ذات شخصية وأخلاق سلبية بينما يشترط في المرأةالفرنسية مثلاأن تكون فاعلة ذات شخصية وأخلاق ايجابية ...

---

(٥) راجع :

Hoodward and Sutherland: Introductory sociology.1937 et 1948 .

(٦) علي بن ابي طالب : نهج البلاغة . شرح محمد عبده . مطبعة الاستقامة . مصر . الجزء الثاني س ٢٠٥ .

(٧) نفس المصدر السابق : الجزء الاول ص ١٢٥ .

(٨) نفس المصدر السابق : الجزء الثاني ص ٢٠٦ .

كل هذه الفروق التي رأيناها في التنبؤ الاجتماعي ومقتضياته بين مجتمع وآخر مرتبطة بالنظام **الاجتماعي والوضع الاقتصادي** والثقافي والمثل العليا التي تختلف في كل من هذه المجتمعات التي درسناها ...

كيف يتم التنبؤ الاجتماعي لدى الفرد وما هي عوامله وشروطه ؟

يتفق السوسيولوجيون والسيكولوجيون الاجتماعيون على أن عملية التنبؤ الاجتماعي لاتختلف اطلاقا عن عملية التعلم . وكل العوامل والشروط المساعدة على اتمام عملية التعلم تساعد على اتمام عملية التنبؤ الاجتماعي . وعملية التعلم كما هو معلوم في علم النفس تقوم على عوامل منها :القسر **والتقليد والايحاء والتقمص والاهتمام** والرغبة والحاجة والمكافأة والرموز والأفعال المنعكسة الشرطية (٩) . وقد رأينا ان عملية التنبؤ الاجتماعي عبارة عن عملية **تكيف مع البيئة الاجتماعية** . فهي في طبيعتها نوع من « الترويض » الاجتماعي في سبيل التوصل الى التلاؤم **مع التقاليد والعادات** والمتطلبات الاجتماعية ... فما هي العوامل التي تساعد على انجازها واتمامها ؟

شروط وعوامل التنبؤ الاجتماعي : يساعد على ذلك عدة شروط وعوامل نذكر أهمها :

١) **التقليد** : يتفق جميع المختصين بدراسة هذا البحث على أهمية التقليد في هذه العملية . فتارد ودوركهايم وميد وفرويد وكولي وسواهم مجمعون على أن التقليد يلعب دوراً هاماً جداً في عملية التنبؤ الاجتماعي . اذ يقلد الطفل أهله واخوته الكبار وأقرانه ومعلميه والراشدين الذين يحترمهم ... ويفعل مايفعلون ويطبق مايطبقون ، ويشعر بلذة عندما يقلدهم . وقد **يقلد آليا ، كما يقلد اراديا** فينتخب مايرضيه ويطرح مالا يوافق مزاجه وطبعه وذوقه . وفي كلا الحالين يساعده هذا التقليد على التكيف والتلاؤم مع البيئة الاجتماعية .

---

(٩) من اجل التعلم راجع . الدكتور فاخر عاقل : علم النفس التربوي . دمشق ١٩٥٧ .

٢) **التقمص** : يتم **التبيؤ الاجتماعي** بجزء منه على **أساس التقمص** . اذ يمكن ان نتقمص شخصية **الأب والمعلم** والزعيم السياسي أو الزعيم الديني والفنان والفيلسوف والعالم .. ويحتاج الطفل الى محبة وعطف أمه ، وبسبب هذه الحاجة يتعلم لأن ينصاع لأوامرها ويتخلق بما تريد . ويظهر هذا أهمية العلاقات العاطفية القائمة بين الطفل ومن يحيط به وخاصة الأم (أو الاب) . وكل خلل عاطفي يمكن ان يعيق عملية التقمص وبالتالي التبيؤ الاجتماعي ... ولكن قد يكون التقمص « متصالبا » أو (تصالبيا) (أي ان الفتاة تتقمص شخصية أبيها والفتى شخصية أمه) ففي هذه الحالة يكون تبيؤ الطفل معكوسا ، وقد يقضي هذا على **شخصيته** ومميزات جنسه ويدفع به الى شذوذات خطرة ... كما يمكن ان يكون اجراميا اذ قد يتقمص الطفل شخصية أحد المجرمين المشهورين أو الذين شاهدهم في السينما (شخصية ارسين لوبين وبعض الشباب الشواذ) ...

٣) **الايحاء** : هو قبول فرد مالفكرة أو لعمل مادون محاكمة أو تفكير منطقي . يتأثر تبيؤ الطفل بالايحاء . اذ كثيراً مايتلاءم الطفل ويتعلم أشياء كثيرة بواسطة هذه العملية النفسية . والطفل أكثر تأثراً بالايحاء من الراشد ، والمرأة اكثر ، بصورة عامة ، تأثرا به من الرجل . لذلك يقوم الطفل بأعمال كثيرة تحت **تأثير** ايحاء والديه أو معايير وقيم **مجتمعة** . كما يتعرض لتأثير ايحاء الشخصيات البارزة في مجتمعه أو خارج مجتمعه . فكل مايفعله هؤلاء وكل مايحبونه أو يقتنونه يوحي للغير باكتسابه وتطبيقه . لأن الخطوة عامل قوي في فرض الايحاء . وقد استغلت الدعاية عملية الايحاء في استغلال آراء العظماء والمشاهير لبث بعض الافكار والقيم والآراء . وكذلك استغلت الدعاية التجارية هذه العملية اذ كتبت احدى شركات السيارات ان سيارتنا قد وقع عليها في العام الماضي اختيار عضوين من اعضاء الاسرة المالكة البريطانية ، و٣٣ ديبلوماسيا يمثلون ٢١ دولة ، و٨ من اعضاء حكومة الاكوادور وحاكم من

المحكمة العليا في الصين ... وهكذا وبفضل هذه العملية يوفق الطفل وبصورة عفوية في تحقيق التلاؤم والتبيؤ الاجتماعيين .

وتستخدم الحكومات الديكتاتورية الايحاء لاحلال النظام والخضوع بين جماهير الشعب . وقد استخدم النظامان الفاشيستي في ايطاليا والنازي في المانيا الايحاء الجماهيري لفرض روح النظام والخضوع وقتل كل نزعة نقدية . ولذلك كان من مبادىء النازيين الاساسية ، القول : « ليس هدفنا ان نسأل لماذا ، ولكن هدفنا هو العمل أو الموت »... ويكون المرء اكثر قابلية لفعل الايحاء في حالات الهياج الجماهيري ، وفي الاوضاع المظلمة أو المنورة بشكل خاص ، وفي حالات التعب النفسي والجسدي وفي المواقف التي يبرز فيها الغموض ... وهكذا نستطيع ان نقول أن الايحاء يساعد على اتمام التبيؤ الاجتماعي ..

٤) **الاهتمام والحاجات والعواطف** : يساعد الاهتمام والحاجات والرغبات على تحقيق التبيؤ الاجتماعي . اذ يهتم الطفل أو الراشد بأن يحقق مايهمه ويهم مجتمعه وما يرضي حاجاته ورغباته وينال به رضا أهله ومعلميه ومربيه ومجتمعه بصورة عامة . ولو لم يرض التبيؤ الاجتماعي بعض حاجات أولية لدى الفرد لكان متعذرا ... اذ اذا عاكست عملية التبيؤ طبيعة الافراد فهي فاشلة عاجلا أم آجلا .. ومن أقوى الحاجات أو العواطف لدى الطفل هو **ميله الى كسب عطف ومحبة والديه** . ولذلك يطبق بصورة عفوية أو ارادية مايريدانه منه لينال محبتهما وبشاشتهما وعطفهما . وكم يكرر الطفل من عمل أو فعل أو حركة أو اشارة ليكسب اكثر فأكثر تحبيذ وسرور والديه وهما يراقبانه باهتمام زائد . وقد يطبق دوراً هاما في العملية التربوية وعملية التبيؤ الاجتماعي . ولذلك نجد بعض المجتمعات ترتكز على المكافآت اكثر بكثير منها على العقوبات لاتمام العملية التربوية وعملية التبيؤ الاجتماعي ...

٥) **القسر** : ويلعب القسر الفردي والاجتماعي دوراً هاماً في عملية التبيؤ الاجتماعي . وقد ألح دوركهايم على تأثير القسر الاجتماعي في الافراد ودفعهم

للتخلق والتمسك بعادات وتقاليد وأخلاق المجتمع الذين يعيشون فيه ، والانصياع لأوامره والتقيد بنواهيه . وهكذا يتوصل المجتمع الى غرس كل ما يريد فيهم ويتم بذلك عملية التبيؤ الاجتماعي الضرورية لبقائه وحفظ وحدته وكيانه .. وقد يكون **القسر معنوياً** ويجدي مع الاطفال الكبار واليافعين والراشدين . وقد يلجأ أحياناً الى **القسر المادي والى العقوبة** المادية ، ويلجأ الى هذا القسر في الطفولة الاولى خاصة ... وهناك بعض مجتمعات تفضل أن يتم التعلم والتربية على أساس القسر والعقوبة لا على أساس المحبة **والتحبيذ والمكافأة** ... وفي هذا الاسلوب قتل للشخصية ومحوها . وتغلب هذه التربية في المجتمعات **الديكتاتورية** التي تريد أن تزرع في القلوب الخوف والرهبة لاحلال النظام وفرض الطاعة على بعض الفئات الاجتماعية التي تعد خطرة على الفئة الحاكمة . وسنرى فيما بعد رأي مونتسكيو في هذه الناحية ...

وهكذا تتم عملية التبيؤ الاجتماعي ضمن سلسلة العلاقات **بين ـ الشخصية ـ** Interpersonnelles وفيها ترتبط المكافأة والعقوبة بأشخاص (الابوين والمعلم ...) ومن هنا يظهر الدور الهام للحب ، (أو الكراهية) ، المرتبط أو (المرتبطة) بالتحبيذ أو بعدم التحبيذ . وهكذا يتكون في نفس الطفل نوع من العاطفة المزدوجة نحو والديه ، عاطفة مشحونة بالمحبة والكراهية معاً .

٦) **الرمز واللغة** : وتساعد الرموز واللغة بصورة عميقة على التبيؤ الاجتماعي والتعلم لدى الانسان وتجعل تعلمه **أجدى وأعمق** وأسرع منه لدى الحيوان . إذ عندما يأخذ الطفل بفهم الرموز والمفاهيم يصبح تعلمه **مباشراً** ، يجري فيه ما يطلب اليه مباشرة وبعد سماع اللفظ أو الرمز ودون رؤية ما يطلب منه . وهكذا تحمل اللغة تجارب اجتماعية مختلفة وكثيرة يسمعها الطفل ويفهمها ويضعها في ذهنه ويحقق مضمونها وما توحيه دون مقاومة واحياناً عن رغبة وطواعية .

٧) **المنافسة والتعاون** : وللمنافسة تأثير قوي في عملية التبيؤ . اذ كثيراً

ما يثير المربون والاهل المنافسة بين الاطفال ليحققوا بعض **مثل وأفعال** ومعارف يريدون منهم ان يحفظوها لتساعدهم في المستقبل على التبيؤ الاجتماعي والتلاؤم مع الحياة بصورة عامة ... وللتعاون أثر عميق في اتمام هذه العملية أيضاً لأن الطفل عندما يتعاون مع سواه على تحقيق الاهداف **الاجتماعية تزداد رغبته** في اكتسابها والتلاؤم معها ... ويفضل البعض العملية الاولى، والآخرون العملية الثانية . وقد تؤدي العملية الاولى الى اوخم العواقب اذا **لم يعرف الاهل والمربون حدودها** .

٨) **التكرار** : تكرار **الافعال والافكار** والعواطف امام الطفل يؤثر فيه ويجعله يجري مايراد منه . وتكرار **الطفل لهذه الافعال والافكار والعواطف** يساعده على حفظها وتمثلها ودمجها في شخصيته ويشعره بلذة قصوى خاصة اذا أرضت أهله ومربيه والمجتمع من حوله ورغباته الخاصة أيضاً ..

٩) **الاقناع** : وعندما يكبر الطفل يستخدم معه الاقناع الذي يعتبر خير عملية أو عامل في تحقيق تبيؤ اجتماعي صحيح .

أبحاث أخرى بحثت حول التبيؤ الاجتماعي :

وقد بحث السيكولوجيون الاجتماعيون والسوسيولوجيون أبحاثاً أخرى تدور كلها حول التبيؤ الاجتماعي ، منها : آ ـ **عمر التبيؤ الاجتماعي** (متى يبدأ ومتى ينتهي) .

ب ـ **اتصال وعدم اتصال التبيؤ الاجتماعي** . أي هل عمليات ومحتوى وأهداف التبيؤ الاجتماعي في الطفولة تتفق مع تلك التي تتم في **المراهقة** مثلاً ؟ ، وبمعنى آخر هل هذه العملية متصلة أم أن هنالك اختلافات بين كل مرحلة من مراحل العمر تجعل الفرد يضطرب ويجد الصعوبات في الانتقال من أسلوب حياة الى آخر وبصورة مفاجئة . كما نجد ذلك في المجتمعات الغربية والراقية حيث

يختلف دور الطفل عن دور المراهق ؟ وهذا يؤثر في شخصية المراهق ويثيرفيها بعض الاضطرابات النفسية . وقد درست رث بنيديكت Ruth Benedict هذا الموضوع في ثقافات مختلفة وقارنت ، فيما يخص هـذه العملية ، بين البدائيين والامريكيين (١٠) .

ج - **ثبات عملية التبيؤ الاجتماعي** : ولدرجة ثبات التبيؤ الاجتماعي على نمط واحد أو متقارب اهمية كبرى .. حيث نجـد اختلافات كبرى في ردود الفعل التي تصدر عن العائلة والمدرسة والنادي والزمـلاء والمجتمع تجاه بعض سلوكات الطفل . وهذا يحدث في نفس الطفل تضاداً وتعارضاً ونزاعاً وتصارعاً Conflit . وبهذا يتعود ان يسلك بشكل مختلف تجاه كل من هذه المؤسسات . ولا يخفى ما في هـذا من أثر سيء في نفسية وشخصية الطفل ، وخاصة اذا كان الاختلاف رئيسياً بين كل من هذه المؤسسات إذ يؤدي أحياناً الى اضطرابات نفسية وعقلية قد تصل الى درجة العصابات والذهانات .

د - **أساليب وطرق التبيؤ الاجتماعي** : وقد درست طرق القمع والعقوبة وطرق التحبيذ والمكافأة وأيها أفضل في تحقيق هذه العملية الاجتماعية العامة . وذهب البعض الى تفضيل الواحـدة على الاخرى ، كما اتخذ البعض الآخر رأياً معاكساً . وقد ذهب آخرون **الى توازن الطريقتين** .

هـ - **مركز الذين يشرفون على عملية التبيؤ الاجتماعي** : كما بحثوا في المركز الاجتماعي لأولئك الذين يشرفون على عملية التبيؤ الاجتماعي (١١) .

والخلاصة : لايخفى ما لهـذه المواضيع من أهمية في فهم طبيعة التربية .

---

(١٠) راجع مقالها :

Gontinuities and discontinuities in cultural conditioning.in psychiatry ,1938,1,pp.161-167 .

(١١) من اجل هذه المواضيع الاخيرة انظر :

Lindzey(G.):Handbook of social psychology.T.II·PP·677-988

لأننا أكدنا في مستهل بحثنا **هذا أن التربية عبارة عن تبيؤ اجتماعي** . وبهذا ستلقي هذه المواضيع التي بحثناها هنا ضوءاً ساطعاً على ما سيمر معنا من أبحاث تربوية في الفصول القادمة . وسنرى أن التربية تختلف باختلاف المجتمعات والطبقات والاعمار والجنس على غرار عملية التبيؤ الاجتماعي . وسنرى أن الطرق ليست **واحدة** ، **والاشخاص الذين يقومون عليها ليسوا واحدين** والاهداف ليست واحدة ..

❀ ❀ ❀

بعض المصادر العامة

1 - G.Lindzey : Handbook of social psycholgy Vol,II.Addison wesley publishing co ,1954 .

2 — J.L.Gillin and J . ph. Gillin : An introduction to sociology Macmillan co ; 1947 .

3 — J.w·Bennet and Melvin M.Tumin : Social Life· N Y.1949 .

4 — Boring, Langfeld and weld: Introduction to psychology.N Y.1941.

5 — Lagache : Lasocialisation · In bulletin de psy chologie · (Paris-la Sorbonne .) T.IV 5.597 et suivant ...

6 — Wocdward and Sutherland . Introductory sociology · 1948 .

الفصل الرابع

بروى

التربية والمجتمع

قلنا سابقاً ان التربية عبارة عن عملية اجتماعية في طبيعتها واجتماعية في كثير من وظائفها . فما هي التربية وما هي علاقتها بالمجتمع ؟ وهل هي واحدة في كل المجتمعات أم انها تختلف باختلاف المجتمعات ؟ واذا كان الشق الثاني صحيحاً فما هي العوامل التي تؤدي الى مثل هذه الفروق والاختلافات . . ؟

معنى او تعريف التربية

للتربية تعريفات كثيرة ومختلفة كل الاختلاف . اذ يعكس كل تعريف اما وجهة نظر المعرف الفردية واما وجهة النظر المعروفة في المجال الثقافي الذي يعمل فيه . فبالنسبة للبيولوجي التربية هي بأغلبها عبارة عن تكيف . وبالنسبة للسيكولوجي هي مرادف للتعلم ، أما بالنسبة للفيلسوف والمربي خاصة ، فهي تعبر عن وجهة نظر المدرسة الفكرية التي ينتمي اليها .

١ – فمثلاً عرّف هادور كهايم كما رأينا سابقاً بقوله : « التربية هي الفعل الذي يمارسه جيل الراشدين على جيل أولئك الذين لم ينضجوا بعد للحياة الاجتماعية . والغرض منها أن تثير وتنمي لدى الطفل عدداً معيناً من الحالات الجسدية والعقلية والاخلاقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي بمجموعه والبيئة الخاصة التي

أعد لها خصيصاً »[١] .

٢ – **وعرفها فرانسيس براون بقوله**: « التربية هي العملية الموجهة بشكل واع (أو مقصود) والتي تحقق تبدلات في السلوك لدى الفرد وبواسطة الفرد داخل المجموعة »[٢] .

٣ – **وقد عرفها فورنيل بقوله**: « تربية فرد أو مخلوق تعني اذن بمعنى عام ، أن نفرض على نموه توجيهاً ما »[٣] ، اذ في رأيه عندما يتدخل الانسان في مجرى النمو العفوي لكائن ما ، سواء أكان حيواناً أم نباتاً ، فان هذا الكائن يخضع عندئذ لعملية تربية .

٤ – **ويقول ماتيو وبلانجيبنون** Mathieu et Blanguebnon تحقق التربية « تطبيق علم دقيق يهدف الى تكوين الرجل في الطفل واعطاء كل ملكاته الجسدية والذهنية والأخلاقية أقوى انطلاق أو تفتق ممكن ليتمكن بعلاقته مع البيئة من تحقيق كامل لكفاءته الشخصية المتعلقة بالكمال والسعادة»[٤].

٥ – **ويعرفها ويلس ن . بوتر بقوله** : هي العملية التي تكشف عن ذكاء التلميذ وقابلياته **الكامنة** وتيسر لها سبل الظهور ، أي تنميها كيما يستطيع السيطرة على نفسه وبيئته سيطرة جيدة »[٥].

ويتابع المؤلف رأيه قائلاً : « ويجب أن نلاحظ ان التربية عملية اجتماعية أيضا ، اذ يجب على الفرد ان يكتسب القدرة على أن يحيا حياة جيدة مع

---

(١) Durkheim : Education et sociologie.P. 49

(٢) F.J.Brown : Educational sociology.p.7

(٣) L.Fournel : Notions de pédagogie générale.P.7

(٤) A.Mathieu et E.Blanguebnon :Leçons de pédagogie 1930 . P.I

(٥) ويلس ،ن،بوتر : التربية وسيكولوجيا الطفل . (ترجمة أديب يوسف - طبعة ثانية. المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٥٨) .ص ٩٠

الآخرين ـ مع أسرته وجيرانه ، ثم ، عندما ينهي دراسته ، مع رئيس عمله وزملائه في العمل »[٦] .

٦ – **ويرى آخرون ان التربيـة عبارة عن عملية توافق أو تكييف** adjustement اجتماعي . وهذا المفهوم للتربية « يعني نمو الفرد وتبدله نمواً وتبدلا يساعدانه على مجابهة مختلف عوامل البيئة التي تؤثر في نمره وأعماله ، وهو يخالف مفهوم التربية كتدريب للعقل أو اكتساب للعادات أو المعلومات أو المهارات فقط »[٧] .

فالتربية عبـارة عن عملية اجتماعية تضع الطفل في اتصال مع مجتمع معين وليس مع المجتمع الانساني بكامله . ولهذا تختلف وظائفها وأهدافها الاجتماعية والفردية باختلاف المجتمعات والمؤلفين .

وظائف وأهداف التربية :

١ – **فمثلايرى جورج بابين** أن وظائف التربية تحصر في ثلاث : (١) هضم أو تمثل التقاليد ، (٢) تنمية أو انشاء أنماط أو نماذج اجتماعية جديدة و (٣) الدور الابداعي أو الانشائي الذي يجب ان تقوم به بالنسبة للمجتمع والفرد .

٢ – **ويعتبر روسك ان التربية** ذات طبيعة اجتماعية ثقافية . ولذلك يعتقد أن للتربية وظيفة عامة تؤديها في جميع المجتمعات . هي : بالنسبة للمجتمع حفظ الارث الثقافي ، وهي بالنسبة للفرد طبع الارث الاجتماعي فيه »[٩]

٣ – **وبرى بوتر** : أنه يجب أن تنسجم أهداف التربية في كل قطر مع

---

(٦) نفس المصدر السابق ص ٩٠ .

(٧) E.V.Good: Dictionary of Education. (1945).P·10

(٨) انظر مقدمتنا التاريخية .

(٩) J.Roucek and others :sociological foundations of ed-ucation N·Y crowel ·1942 ·P.57

فلسفته الاجتماعية والسياسية . فاذا كانت الامة ديموقراطية وكانت مصلحة جميع الشعب فيها هدفاً أساسياً من أهداف الدولة وجب على النظام التربوي أن يبذل أقصى جهده ليعد جميع أبناء الأمة وبناتها لواجبات المواطنة الواعية ويرى أن على التربية تأمين أربعة أهداف : جسمية (مهارات حركية وتوافقات بدنية ...) ، وعقلية (انماء القابليات العقلية)، وأخلاقية (احترام الحق والتسامح والتعاطف وغرس المثل العليا واحترام حقوق الآخرين والشعور بالمكانة في المجتمع)، وبديعية أوجمالية (انماء القابليات البديعية والجمالية .[١٠]

٤ – **ويعتقد دركهايم ان وظيفة التربية تحصر** في ان تثير في الطفل :
١ — عدداً معيناً من الحالات الجسدية والذهنية يعتبرها المجتمع العام الذي ينتسب اليه كحالات يجب ألا تنقص أي فرد من أفراده ، ٢) بعض حالات جسدية وذهنية تعتبرها المجموعة الخاصة (الطائفة ، الطبقة ، الاسرة والمهنة) أيضاً كحالات يجب أن توجد لدى جميع الافراد الذين يشكلونها » .[١١]

وهكذا يرى دوركهايم ان التربيـة ليست بالنسبة للمجتمع سوى وسيلة تهيء بواسطتها في قلوب الاطفال الشروط الضرورية لدوام وجوده الخاص .[١٢]

مما تقدم نرى أن جميع هؤلاء المؤلفين مع اولئك الذين مروا معنا في مقدمتنا التاريخية يعتبرون ان اهداف التربية يجب ان تنسجم مع المجتمع الذي تتحقق فيه . وبما أن المجتمعات تختلف فيما بينها بنظمها الاجتماعية وثقافتها ، ونظامها الاقتصادي ومثلها العليا وتقاليدها وعاداتها ، لهذا كان من الواجب ان تختلف فيها اهداف وأساليب ونظم ومحتوى التربية .

---

(١٠) بوتر : المصدر المذكور سابقاً راجع ص ٢١ – ٢٧ .

(١١) E . Durkheim : Education et sociologie . p . 48

(١٢) Ibid . , p . 49

اختلاف أهداف التربية باختلاف المجتمعات :

قلنا ان التربية تابعة للمجتمع الذي تتحقق فيه . وتاريخ التربية أكبر شاهد على صدق ما نقول . ولهذا نقدم للقارىء الآن مجموعة من الشعوب القديمة والحديثة مع نظمها التربوية .

أهداف التربية عند قدماء المصريين :

كانت ترمي التربية لديهم الى تخريج المتعلمين في الفنون والصناعات الرائجة في ذلك العصر ، كالهندسة والبناء والنقش والتصوير والطب والكتابة والجندية والموسيقى ، وكان الهدف توصل الانسان الى توفير عيش رغيد في الدنيا ورضا الآلهة ومحبتهم في الدار الآخرة . وهكذا كانت التربية عندهم عملية مادية .(١٣)

أهداف التربية عند اليونان :

تختلف هذه الاهداف في اسبارطة عنها في أثينا .

التربية في أسبارطة :

كانت اسبارطة مدينة صغيرة محاطة بعدد وفير من الاعداء وكان سكانها يفاجأون في كل وقت بغارات وحروب يشنها عليهم جيرانهم . لهذا اضطروا أن يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد لحمل السلاح . وهكذا كانت اسبارطة تعد أبناءها وشبانها للكفاح والجلاد ، وتجعل الشجاعة والاقدام وقوة الاجسام وطاعة القانون أسمى أغراض التربية . وقد وضعت للتربية نظماً وأساليب راعت فيها أن تكون وسيلة لحفظ كيان الحكومة وشد أزرها . وكانت الحكومة

---

(١٣) راجع مصطفى أمين : تاريخ التربية (الطبعة الثانية – مطبعة المعارف . مصر ١٩٢٦) ص١٨–١٩.

تسيطر على تربية الاولاد من يوم ولادتهم . ومنذ السابعة تضعهم في بيوت عامة ينامون ويأكلون فيها معاً .. ويتعودون فيها التقشف والحياة الشظفة . وكان للتربية المدنية المقام الاول في هذا النمط من التربية .

التربية في أثينا :

وكان هم التربية الاولى فيها ، كما في اسبارطة ، مصلحة الدولة ومنفعة الجماعة . ولكنها كانت تعد النشء لأعمال السلم ، كما تعدهم لأعمال الحروب ، وتأخذهم بالنظم السياسية الآثينية ، كما تأخذهم بمناهج الالعاب الرياضية والتمرينات النظامية . وكانت ترمي دائماً الى تكوين رجال تكافأت فيهم القوى الجسمية والعقلية والخلقية . وتحس دائماً ان الفرد لايحسن القيام بواجبه لحكومته ، الا اذا كمل في ذاته وتوازنت طبائعه توازناً صحيحاً .

أما تربية الاطفال فكانت منوطة بالامهات اسماً وبالاماء فعلاً . وكان التعليم الابتدائي حراً . وكذلك كانت للتربية البدنية أهمية خاصة ، اذ كانت تهدف الى تكوين المهارة والخفة والرشاقة والقوة البدنية واشتداد العضل مع جمال الصورة ولطف السمت .. (١٤)

وهكذا نرى هنا ان هدف التربية يختلف في الوطن الواحد بين مدينة ومدينة .

أهداف التربية عند الرومان :

كانت التربية الرومانية عملية محضة ترمي الى أغراض ماديه صرفة وهكذا كان هدف التربية مقصوراً على كسب الفوائد والمنافع المادية . وكانت التربية القديمة لديهم تعتمد على الاسرة حيث كان فيها سلطان الوالدين قاسياً . كما كانت الى مدى بعيد صناعية في الحرف والصناعات ترمي الى تخريج الاحداث وتعمل على **تخريج آباء قادرين ، وجنود باسلين ورعايا مخلصين** . وكانت تغرس في

(١٤) للتوسع راجع المصدر السابق : ص ٣٥ - ٥٩ .

النفوس الجد والوقار والطباع الساذجة وتقوي الابـدان وتثقف العقول ، وتطبع الاحداث على احترام الآلهـة وحب الآباء والأمهات وطاعة النظم والقوانين المرعية في البلاد وتبث فيهم خلق الشجاعة وبصورة عامة كانت التربية الرومانية ترمي الى ست فضائل : التقوى وقوة الخلق والجد او الوقار والشجاعة والحزم في تدبير الشؤون وتصريف الامور ، والامانة في المعاملة . (١٥)

أهداف التربية عند العرب :

كانت التربية عند العرب في العصر الجاهلي ترمي الى اعداد النشء لتحصيل ماهوضروري لحفظ الحياة . فكان الغلام يتمرن على اعمال آبائه ليسلك طريقهم في كسب العيش وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن وليقتدر على مدافعة الاعداء ومنازلة الوحوش وكان من أغراضها أيضاً بث العادات الفاضلة وغرس الخلال الطاهرة .

ولما جاء الاسلام عمدت التربية عند العرب المسلمين الى ان تكون أغراضها دينية ودنيوية معاً . فكانت التربية ترمي الى اعداد المرء لعملي الدنيا والآخرة وقال الرسول الكريم (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .) ومن اهدافها أيضاً كما يقول الغزالي التقرب من الله تعالى وبث روح الفضيلة والتخلق بالعادات الحميدة ، . وتعلم العلم والفقه والشريعة والآداب(١٦).

ننتقل الى اهداف التربية لدى بعض الشعوب الحديثة :

أهداف التربية الروسية الحديثة :

تختلف اهداف التربية في روسيا بعد الثورة عنها قبل الثورة . فبعـد عام ١٩١٧ (تاريخ نشوب الثورة الروسية ونجاحها) حدث انقطاع بين الماضي

---

(١٥) للتوسع راجع المصدر السابق : ص ١١٦ – ١٤٦ .

(١٦) « « « « ١٥٦ – ١٨٨ .

والحاضر في الحقل التربوي . فالتربية كانت قبل الثورة دينية روحية فانقلبت بعد الثورة الى تربية تؤمن بالمادية الماركسية والمادية التاريخية وتتنكر تماماً للروح الدينية .

فالمبدأ الاساسي للتربية هو ارتكازها على **القيمة السامية للعمل ، وخاصة العمل اليدوي للطبقة الكادحة** . فالعمل هو أساس الحياة وقيمتها الاولى . اذ يعتبر الروس ، كماركسيين ، العمل كالشرط الأول والاساسي للحياة البشرية . ويرون ان العمل لا يقدم للانسان ما يحفظ بقاءه فقط ، بل هو الذي خلق الانسان نفسه. اذ بفضل العمل انفصل الانسان عن المملكة الحيوانية. وسيصبح العمل في ظل النظام الشيوعي الحاجة الحيوية الاولى للناس وسيتحول الى **لذة وفرح** بدلا من أن يكون عبئاً ثقيلا ولعنة (على حد قول التوراة) .[١٧] وبما ان هذا العمل يتم لمصلحة الجماعة لذلك وجب أن تكون التربية بيد الدولة لتقضي على كل خصومة داخل الشعب وخارجه ... وتتجه التربية لأن تمحو الفوارق الطبقية بمحو البورجوازية .

ويمكن ان نعطي هذا التعريف الروسي لتدركوا أهداف التربية في روسيا: « غاية المدرسة البولشفية هي صب الاجيال في قالب المادية الجدلية ، ورسالة المدرسة هي تنفيذ المثل الاعلى الروسي القائم على اعداد مجتمع دون طبقات ، ويكون هذا الاعداد في صالح الكادحين. فهي تستأصل البقايا الفكرية الرأسمالية وتخرّج مجتمعا بولشفياً يخضع القوى لخدمته (أو منفعته) منزها عن كل نظرة ميتافيزيائية » .

والشخص في التعليم العالي الروسي مدفوع لان يتحلى بالثقافة (وتعني التخصص العالي) ، وروح البحث العلمي النافع للشعب ، والميل الى تعميم هذا العلم بين الطبقات الشعبية ، والجدارة على التلاؤم مع حاجات البيئة التي يعيش

---

(١٧) راجع : Petit dictionnaire philosophi que . Moscou (1955) : p . 613 — 615

فيها وخدلتها ، والايمان بقيمة العمل والملكية الجماعية [١٨] .

أهداف التربية في ألمانيا النازية :

كانت التربية في المانيا النازية تتميز بطابع هام ولذا وجب ان نلح عليها بعض الشيء . تستمد النظريات التربوية والاهداف التربوية من مبادىء الحزب النازي وخاصة التوجيهات الهتلرية . وأشهر الذين وجهوا التربية بعد هتلر هما مؤلفان : الفرد بوملر Alfred Baeumler (كان استاذاً للفلسفة والتربية في جامعة برلين) . وارنست كريك Ernest Krieck (كان رئيسا لجامعة فرنكفورت) . لقد أوحى هتلر في كتابه كفاحي على ان تهدف التربية الى ثلاثة أهداف : ١) اعداد الجميع للتوصل الى الوظائف العليا في الدولة دون تمييز بين طبقة وطبقة ، ٢) تعليم تطبيقي وعملي (أي يجب ان يتلاءم التعليم مع مقتضيات الحياة العملية) ، ٣) تربية مدنية .

ويذهب كل أصحاب النظريات التربوية النازية من فكرة عرقية تتعلق بالمتحد Communauté الواقعي للشعب الالماني أي (الفولكستوم) Volkstum ، المؤسس على العرق . ويتعرف كل من أعضائه على الآخرين بواسطة الدم . فبدلا من أن يقوم المتحد على التعاقد الاجتماعي فهم يعتبرونه كواقع وعامل فيزيولوجي . ويلحون على ثلاثة أمور هي :

١) — التفريق بين الفولكستوم الذي يضم جميع الالمان سواء أكانوا في ألمانيا أم خارج ألمانيا ، والدولة التاريخية التي تضم الالمان داخل المانيا فقط .

٢) — تفوق العرق الالماني ، ووجوب حفظه نقيا صافيا لان سر العظمة الالمانية يكمن فيه .

٣) — أهمية الدولة لان لها رسالة مقدسة هي ادارة قدر الفولكستوم خلال التاريخ .

---

(١٨) للتوسع راجع : Encyclopédie Française . Tome XV (1939) . section B.chap . III . 15°18 - 6 - 15°18 - 15

وهكذا ترون ان المحور الاساسي لهـذه التربية كان فكرة العرق على العكس من روسيا حيث نجد ان فكرة العمل هي المحور .

تربية الجندي السياسي :

اهتم النازيون بتربية جميع الاعضاء النازيين تربية سياسية قوية الطابع . فهم يعتبرون ان كل فرد الماني يجب أن يكون جنديا سياسياً . ويعطينا بوملر فكرة واضحة عن هذا الجندي بقوله : « الجندي السياسي هو انموذج ، انموذج تاريخي لجندي اليوم ، هو ذلك الانسان الذي يعلم لمن يطيع ولمن يحارب أو يكافح ، هو الانسان الذي يشعر بأنه جندي لفكرة محسوسة ، ورسول لمعطيات تاريخية . يجب ان يشمل نظام هذه التربية كل الالمان مهما كانت طبقاتهم ومهما كانت وظائفهم ... وكل من مر بهذا النظام التربوي عد جنديا سيـاسيا . ولا يختلف الجندي الحقيقي عن هذا الجندي السياسي الا بالتربية الخاصة التي يتلقاها علاوة عليه » (١٩) .

وقد أشار هتلر نفسه الى وجوب تقدم هذه التربية السياسية العسكرية على التربية العسكرية المحضة .

الذرائعية : وقد استندت هذه التربية على الفلسفة الذرائعية التي تلح على النفع والاستفادة من كل تربية ومعرفة . وبهذا صرح بوملر : « لايوجد فعل عار تماما عن الميول . فكل عمل سواء أكان فنيا أم علميا أم سياسيـاً ، يتحقق دائما حسب اتجاه ما . ففي الفن نسمي هذا الاتجاه الاسلوب وفي العلم الطريقة ، وفي السياسة الحزب ... فاذا اتخذنا موقفا حياديا وتسامحيا كنا مجرمين وكذبنا على أنفسنا ... للبحث العلمي شيء من صفة المحارب . اذ ما هي مسألة ما ؟ انها عدو تقتضي روحه الملاحقة . كل معرفة هي عبارة عن ظفر ، وكل نتيجة عبارة عن

---

(١٩) للتوسع راجع - A. Baeumler : Maennerbundt und wisse - nschaft . p . 159 - 165

معركة مظفرة » (٢٠) . وكذلك يقول كريك : « ان عهد العقل المحض والعلم الحر المتعلق بالقيم قد انقضى تماما » (٢١) .

معنى الوقائع التاريخية :

الى جانب هذه النظرة الذرائعية تقوم نظرة أخرى عن التطور التاريخي. اذ ليست الحاجة الى الموضوعية التي يجب ان توجه الشبيبة وتربيتها بل معنى الوقائع التاريخية كالحرب العالمية وحياة مشاهير الابطال . ومثل بروسيا ، والفتوحات العرقية .. ويعتقدون أن التطور التاريخي يتم على أساس العرقية..

فالتربية ، برأيهم ، قوية السلطان والتأثير ، يزداد تأثيرها حينما يتفق مع العناصر المقومة للوجود . فالتربية تؤدي الى ازدهار الانسان اذا ما اتجهت الى الاساسي فيه ، والاساسي فيه هو المحتد أو الاصل أو النسب . يربط هذا النسب الكائن الحي قبل ولادته الى الكائنات التي تمت الى أصله وجرثومته . **والذي يعبر عن هذا الأصل هو الدولة** . فالدولة والآثار المادية والروحية والثقافية تترجم عن الوحدة البيولوجية في الشعب . والدولة مظهر لارادة الشعب وتهيمن على مصير الامة . وليست الدولة فكرة أو مفهوما بل هي واقع قائم بذاته Sui generis . والتربية عبارة عن **الحاق الفرد بجرثومته** . والحكومة هي التي تضطلع بمهمة هذا الالحاق . ولهذا كانت التربية **جسمية أولاً وسياسية ثانيا** . والتربية العسكرية تعتبر مرحلة من مراحل الوصول الى هذا الهدف . لهذا تبدأ التربية بالناحية الجسدية وتنتهي بالناحية **السياسية القومية** . فهي تتجه أولا الى ما هو انفعالي ، والى تربية الخلق الصلب والجسم المتحمل وكذلك النفس القوية التي تتحمل المشاق والصعاب .

---

(٢٠) Ibid, . pp . 100 - 112

(٢١) Krieck : National - politische Erzienhung . p . 1

المنظمات ذات الصبغة العسكرية ومنظمات الشبيبة :

ولهذا الح النازيون على الخدمة العسكرية . وقد لجأوا الى تشكيل منظمات الشبيبة وهي منظمات ذات صبغة عسكرية . وتمتاز هذه المنظمات بأن غايتها اجتماعية الهدف منها ازالة الهوة بين الطبقات المثقفة والطبقات الشعبية . فكيف نظمت وعلى أي مبدأ ؟ **نظمت على مبدأ الزعامة** الذي يقضي ان يتمرن الفتيان وينقادوا لفتيان من الزعماء المسؤولين **عن سير حركة** هذه المنظمات ، ولهذا أعار النازيون أهمية خاصة لتربية الزعماء . ومهمة هذه المنظمات أن يحصل فيها نوع من المخض الاجتماعي تصهر فيه جميع العناصر لكي تخرج جنديا المانيا مثاليا . .

وتبعا لهذا خففت المواد العقلية **الصرفة** واعطي الوقت الكافي للتربية الجسدية . واصبح التاريخ وجهة نظر المانية خاصة . **وقد** أوليت عناية كافية لعلم النسل Euphogenie . وقد زاد الالحاح على الناحية الجنسية التي يجب ان تؤدي تربيتها الى تقديم نسل صالح وقوي يصل بنا الى السوبرمان Superman كما زادت العناية بالعمل **داخل زمر** أو مجموعات équipe وبالطرق الفاعلة . وانصب الاهتمام على تقوية **روح الجماعة** وتنمية روح الرفقة Esprit de camaraderie وتوثيق الاواصر التي تربط الفرد بالجماعة . لقد ألح الالمان على هذه الروح في جميع مراحل التعليم .

منظمات الفتوة :

وقد أنشأوا في التعليم العالي منظمات الفتوة وهي على نوعين : «شبان هتلر» و «شابات هتلر» ، لها برنامج رياضي وموسيقي وبرنامج مذهبي . ففي هذا البرنامج الاخير يقرأ الفتيان كفاحي وحياة هتلر ، ويطالعون شيئا عن اليهود وخطرهم وعن الفلسفة القومية الاجتماعية . .

ولهذا أنشأت أيضا **منازل الفتوة** . وعممت الخدمة الريفية على ابناء المدن .

وخدمة العمل (ممارسة عمل من الاعمال في كل معسكر) . ويشمل نشاط هذه المنظمات الاسرة والمدرسة دون ان يكون لهما أي تدخل في توجيه هذا النشاط .

وفي هذه المرحلة يؤخذ شبان أقوياء يفصلونهم عن رفقائهم ويدربونهم على عملية الزعامة . اذ يصبحون كالفرسان ...

وهكذا ترون ان كل شيء في هذه التربية يدور حول فكرة العرق والقوة ودمج الافراد الالمان في المجتمع الالماني دمجا قويا يؤدي بهم في النتيجة الى الخضوع الاعمى للدولة والزعماء ، وبهذا ترون كيف ان اهداف التربية تستمد من المثل العليا في هذا المجتمع ومن تنظيمه السياسي والاجتماعي[٢٢]..

التربية في انكلترا :

يلح الانكليز على تربية الشبيبة اكثر مما يلحون على تثقيفها . وترتبط التربية ارتباطا وثيقا بالوقائع **المحسوسة والموضوعية** وتنوعها . وترتبط أيضا بالماضي وتقاليده وعاداته وهذه احدى مميزات الشعب الانكليزي . ولكن هذا لا يعني ان التربية في انكلترا محافظة تماما ، ذلك لأننا نرى فيها نزعة ظاهرة وقوية نحو **العمل** المجدي والفعال الذي تلعب **الارادات الحرة** فيه دوراً هاماً . وهدف التربية الاول والوحيد تقريباً هو المردود الناجع ، أي ان تربيتهم تعتبر عملية **بالدرجة الاولى** ، لذلك نرى ان هم **المعلم الانكليزي الفخور** بمهنته هو تنشئة تلاميذ خادمين للوطن أقوياء بعقيدتهم واجسامهم ، **مهيئين للصعاب التي ستواجههم في مستقبلهم** ، مطبوعين على الطاعة ولكن **الطاعة المفكرة لا الطاعة العمياء** . ويثير المربي فيهم المحبة والتعاطف وروح التآزر وحب الموت في سبيل الوطن ، كما يكون فيهم التفكير السليم الصحيح والخيال المبدع ...

---

(٢٢) للتوسع راجع : Encyclopédie française . T . XV . Section B . Chap . II . 15° 14-14 15° 18-5

التربية فى الولايات المتحدة الامريكية

الولايات المتحدة الامريكية بلد الصناعة والمال والاعمال التجارية والمصرفية . . ولهذا تنزع التربية لأن تربي **رجل الاعمال** أو « **رجل العمل** » .. فهي عبارة عن تربية ذرائعية همها تنشئة شبيبة عملية مهيأة للحياة الاجتماعية . فيجب اذن ان تؤمن التربية للشاب أو الشابة اختصاصا او مهنة يتمكن ان يؤمن بواسطتها عيشه ، وخبرة اجتماعية وسياسية تساعده على ممارسة واجباته وحقوقه كمواطن واع وعلى التلاؤم مع متطلبات الحياة الواقعية اذ يتعلم الطالب في المدرسة الابتدائية كيف ينتخب رئيس الفرقة أو الندوة وأعضاء محكمة الصف ... وبهذا يتعلم منذ حداثته كيفية ممارسة العملية الانتخابية تلك العملية الهامة جداً في الولايات المتحدة .. كما تهدف التربية **لأن تكون فردية** . ولهذا تنزع الى تنمية فردية التلميذ وشخصيته وتعليمه كيف يحل مشاكله ومسائله بنفسه . ولهذا السبب قويت الطرق الفاعلة والفردية التي تنمي الاستقلال الذاتي . وهذا لايعني انها تربية تنمي الانانية والانفراد بالعمل . بل تهدف من هذا الى تقوية شخصية الطالب ليكون مبدعا ومكتشفا ومستقلا بذاته وقوي الشخصية ، وهي علاوة على ذلك تشجع العمل التعاوني بين التلاميذ وذلك بدفعهم الى عمل **الزمر** او **المجموعات** . وتقوي فيهم بهذا روح التآزر والتعاون . وتهتم التربية الاميركية أيضا باشاعة الروح الديموقراطية بين التلاميذ من جهة ، ومدرسيهم من جهة ثانية . ولهذا تلجأ الى طريقة تقسيم التلاميذ الى زمر يهتم كل مدرس بزمرة منها ويتعرف على أخلاقهم ومشاكلهم النفسية والمادية والاجتماعية ويحاول ان يرشدهم بقدر الامكان بمساعدة الادارة والطبيب النفساني والطبيب العادي والمشرفات الاجتماعيات ، وتقوى العلاقات بين الطلاب واساتذتهم في المرحلة الجامعية ويزداد اختلاط اولئك بهؤلاء ولا يندر ان يرافقوهم الى السينما والملهى والمرقص ويزوروهم في بيوتهم[٢٣] ..

---

(٢٣) للتوسع في دراسة التربيتين الانكليزية والاميركية راجع : المصدر السابق .

من كل هذه الامثلة يتبين لكم ان التربية مرتبطة بالمجتمع الذي تطبق فيه . فهي تابعة للنظام الاجتماعي والمثل الأعلى والأهداف السياسية والعسكرية والعملية القائمة في المجتمع العام أو الكلي ...

اختلاف التربية وأهدافها باختلاف المرحلة التاريخية في نفس الشعب أو المجتمع :

تختلف التربية وأهدافها في المجتمع تبعا للمراحل التاريخية التي يمر بها هذا المجتمع . وبما ان المجتمع في تبدل وتغير وتطور لذلك كان من الطبيعي ان تتلاءم التربية مع كل مرحلة تاريخية يمر بها فتتبدل وتتحور حسب متطلباته وأهدافه وتنظيمه الاجتماعي ...

التربية اليونانية :

فالتربية عند قدماء اليونان تختلف عنها في عهد المدن اليونانية المسيطرة ، وهذه تختلف عن تلك التي سادت في عهد الامبراطورية اليونانية . فالتربية القديمة كانت تربية بدائية تشبه تربية الانسان في عصوره الاولى ، اذ كانت الاسرة هي المؤسسة التربوية الوحيدة . ولم يكن لديهم شيء مقصود من التعليم الفني او العلمي أو الادبي وانما كانت التربية عندهم محض أنواع من التمرين على شؤون الحياة العملية . وقد رأينا كيف تغيرت التربية تغيراً عميقاً . اذ هدفت الى امرين ، أولهما أن يؤخذ الفرد بقسط وافر من حرية الفكر والعمل يناسب الحرية الواسعة التي ظهرت في عالم السياسة . وثانيهما ان يربى تربية أنبل من التربية السابقة ، يتمكن معها من الانتفاع بالفرص التي اتاحها العصر لتثقيف مداركه وانماء معارفه وترقية شؤونه . لذلك اتسعت مناهج التربية وانفسح المجال للخطابة والمناظرة الضروريتين للنجاح في الاعمال السياسية والاجتماعية[٢٤]

---

(٢٤) للتوسع راجع : مصطفى أمين : تاريخ التربية . الباب الثاني .

التربية الرومانية :

وكذلك اختلفت التربية الرومانية حسب المراحل التاريخية الهامة التي مرت بها هذه البلاد . فالتربية الرومانية القديمة كانت بدائية عملية تتم في الاسرة ويقوم بها الوالدان حيث ينشئان أولادهما على حياة البيت والمجتمع . وكان يساعد على تحقيق هذه التربية الدين والمجتمع وتقاليده . وعندما تكونت الامبراطورية الرومانية تأثرت تربيتهم بالتربية اليونانية وأساليبها . وأصبح من أهداف التربية الاولى تربية المواطن الصالح ، الشجاع والمستميت في سبيل مصلحة الامبراطورية . وهكذا أصبح لديهم مدارس ابتدائية وثانوية وعالية . وقد شجعت الحكومة هذه المدارس ولكنها مع ذلك لم تكن تشرف عليها ولم يكن تأسيسها الزاميا اطلاقا .

وعندما انحطت الامبراطورية أخذت التربية بالانحطاط : فبعد ان كانت عامة ينهل منها الغني والفقير والشريف والوضيع على حد سواء ، أصبحت في هذه المرحلة خاصة بالاشراف والأغنياء لاتعدوهم الى الفقراء وأوساط الناس . ذلك لان الناس كانوا يطلبون العلم ويقبلون على التربية لأحد امرين : اما للانتظام في سلك الشيوخ ، واما لالتماس الشهرة والمناصب العالية على طريق النبوغ في الخطابة التي كانت تعلم في مدارس البيان ... وهذا يظهر أن الفقراء لم يعد لهم مطمع في التربية أو العلم لأن هذه المناصب العالية أصبحت مقصورة على خاصة الامبراطور والمقربين اليه[٢٥] ..

التربية العربية :

وقد رأينا كيف اختلفت التربية وأهدافها وأساليبها عند العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، وقد انحطت التربية العربية في عصور انحطاط الامبراطورية

---

(٢٥) للتوسع راجع : المصدر السابق . الباب الثالث .

العربية حتى أصبحت مقصورة على أبناء الاغنياء ومقصورة على بعض «كتاب» يديرها «المشايخ» همها تعليم القراءة والكتابة فقط . وكان المسلمون يحفظون القرآن والمسيحيون يحفظون المزامير ... ولكن في عهد نهضتنا الحالية تغير الامر تغيراً جذريا تبعا لتقدمنا الاجتماعي والسياسي والصناعي والفكري ومن يقابل منكم بين التربية والتعليم منذ اربعين سنة والتربية في العهد الحالي يرَ الفروق العميقة والاساسية بين لونين من التربية : الاول بدائي والثاني سائر في طريق أرقى الدول الحديثة ..

التربية الروسية :

وقد رأينا الفرق بين التربية الروسية قبل الثورة الكبرى (١٩١٧) والتربية في العهد الشيوعي الماركسي . اذ كانت التربية ذات نزعة دينية روحية غالبة في العهد القيصري ، فأصبحت ذات منحى مادي وعلمي في العهد الشيوعي السوفيتي ..

التربية الالمانية :

وكذلك كان الفرق كبيراً جداً بين التربية الالمانية قبل حلول النازية والتربية النازية كما رأينا سابقا .

اختلاف التربية باختلاف الطبقات الاجتماعية :

في كل مجتمع طبقات اجتماعية . وتوجد في بعض المجتمعات البدائية طوائف اجتماعية . وفي هذه البلاد تختلف التربية حسب الطائفة . فمثلا في الهند القديمة نجد اربع طوائف اجتماعية هي : البراهمان (الكهنة) والكشاتريا (المحاربون) والفشيا Vaishyas (التجار) والسودرا (Sudras) اصحاب المهن من عمال وفلاحين) .

وخارج هذه الطوائف الاربع نجد المنبوذين أو الباريا (Parias) . وكان

لكل طائفة تربية خاصة تختلف عنها في الطوائف الأخرى . وفي كل الجماعات السرية نجد طائفتين أساسيتين هما : **العقال والجهال ، أو الخاصة والعامة ، أو المطهرون والمستمعون ...** تختلف تربية وثقافة كل منهما عن ثقافة الاخرى وهذا النوع من التربية والتثقيف موجود بين الاسماعيليين والنصيريين والدروز وسواهم من الفرق الباطنية ...

وكذلك في المجتمعات الراقية حيث تعمم أهداف تربوية عامة يجب ان تنطبق على جميع المواطنين ، نجد أن التربية تختلف ، على الرغم من ذلك ، بين طبقة وطبقة . فللطبقات العليا لونها الخاص في التربيـة وللطبقات الوسطى لونها الخاص وكذلك الطبقات الشعبية . وهل نستطيع أن نقول ان النبلاء والكهان وأفراد الشعب كانوا في فرنسا يتلقون نفس المبادىء التربوية ؟

وقد ذكر الاستاذ أندري جوسن بأن كل طبقة توصلت الى الحكم في فرنسا خلفت إرثها التربوي والاخلاقي للاجيال التالية أو المستقبلة اذ يقول : « لقـد خلقت طبقة النبلاء Noblesse عواطف جديدة ، الشرف الشخصي ، والشهامة تجاه الضعفاء ، والظرف مع السيدات ، واحترام المرأة ، والامانة في الوعد المعطى ، (كما خلقت) طبقة الكهان Clergé روح التقوى والاحسان ومساعدة الفقراء ، وعاطفة سمو قيمة الحياة الروحية ، والاهتمام بالكمال الداخلي . وخلفت البورجوازية القديمة للمتحدرين منها ، كإرث ثمين ؛ فضائلها الراسخة والمتواضعة ، والتمسك بها دون خور ، والسلوك المستقيم والمنتظم ، والاستقامة الصارمة ، والوجدان في العمل ، وعادات الاقتصاد ، وروح التوفير ، والاستعداد لتقديم الواجب على اللذة ، والميل الى تقدير المال أقل من الشرف[٢٦] .

يظهر من هذا النص انه كانت لكل طبقة من هذه الطبقات تربية خاصة بها تلح على نوع من الاخلاق والسلوك مختلف عن مثيله في الطبقات الاخرى ..

---

(٢٦) André youssain : Les classes sociales Paris . P . U . F . 1949 - p . 115

وهل يمكن القول أنه كانت في بلادنا تعطى مبادىء تربوية واحدة لابناء الاقطاعيين والارستوقراطيين ولابناء الطبقات الوسطى من تجار وموظفين وأصحاب مهن حرة ، ولابناء الكادحين الفقراء من أبناء العمال والفلاحين حيث كانت تشابه تربية هؤلاء تربية اليونان في عهدهم البدائي وتربية الروم في عهدهم الاول والتربية العربية في الجاهلية الاولى ، التي كانت تقتصر على التربية الاسروية البدائية ...؟؟

وقد رأينا في السوسيولوجيا العامة كيف ان أفلاطون جعل في مدينته الفاضلة ثلاث طوائف : الحكام والجنود واصحاب المهن ، وقرر لكل منها نوعا من التربية يختلف اختلافا عميقا بين طائفة وطائفة(٢٧).

اختلاف التربية باختلاف الجنسين :

تختلف تربية الرجال عن تربية النساء . والاختلاف يقوى أو يضعف تبعا لنظام الشعب الاجتماعي والسياسي وتبعا لنظرته الفلسفية والدينية الى المرأة. ففي كثير من المجتمعات البدائية نرى مركز المرأة محفوظا ومساويا لمركز الرجل ، وقد تصل الى زعامة البيت في الشعوب التي يسود فيها **النظام الأسروي الاموسي** Matriarcal ، ففي هذه الشعوب لانجد اختلافا قويا في النظام التربوي بين الجنسين . وهناك بلاد بدائية اخرى يسود فيها الرجال على النساء ، ونجد مركز المرأة منحطا ولذا تختلف تربيتها عن تربية الرجل. وفي الانظمة الاقطاعية نجد ان مركز المرأة منحطا وتربيتها غير لائقة ...وهكذا فالتربية بين الجنسين تابعة للوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي في المجتمع . ونعطيكم أمثلة موضحة .

تربية المرأة عند المصريين القدماء :

كان للمرأة عند المصريين القدماء بعض احترام لا بأس به . ولكن المجتمع كان ينظر اليها نظرة تقل عن نظرته الى الرجل . وكانت الشريعة تبيح تعدد

(٢٧) راجع منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا . الكتاب الأول. الفصل الأول. ص ١٤-١٦ .

الزوجات . وهذا يدل على عدم المساواة بين الجنسين . وقد كان للنساء نصيب من التربية ، اذ كن يتعلمن القراءة والكتابة والحساب ولكنهن لم يكن يتعدين التعليم الابتدائي في حال من الاحوال (٢٨) .

تربية المرأة في أسبارطة :

كانت تربية البنات في اسبارطة تشبه تربية الصبيان شبهاً كبيرا . تشبهها في خشونتها وألعابها الرياضية وتمريناتها العسكرية الاولية . اذ كان يفرض عليهن تعلم الجري والوثب والقفز ورمي الحلقات ورشق الرماح والمصارعة والملاكمة كالصبيان سواء بسواء .

كما كن يتعلمن الرقص والغناء والانشاد والضرب بالناي وعلى العيدان . . . وكن يربين منعزلات عن الذكور . وبينما كانت تربية الرجال ترمي الى اعداد جنود قادرين على الجلاد والحرب واحتمال المشاق ، كانت تربية النساء ترمي الى اعداد أمهات يلدن جنوداً أقوياء ويتمكن من غرس الروح الدينية والعواطف الوطنية في أولادهن (٢٩) .

تربية المرأة في أثينا :

كان الآثينيون يغفلون تربية البنات قصداً ، اذ كانوا يرون ان الغرض من التربية هو اعداد النشء للحياة العملية والدفاع عن الوطن . ولهذا كانوا يعتقدون ان الرجال هم الجديرون بهذه الحياة وهذه الواجبات دون النساء . ولذا وجب تعليم البنين واهمال تعليم البنات . والمرأة ، يجب في نظرهم ، أن تكون زوجا وأما ، ولهذا فهي لا تحتاج الى تربية سوى التربية المنزلية والخضوع والطاعة للزوج وغزل الصوف وحياكته وملازمة بيتها لا تخرج منه الا في الاعياد

---

(٢٨) راجع مصطفى أمين : تاريخ التربية . ص ٢٣ .

(٢٩) راجع المصدر السابق : ص ٤٣ .

والحفلات الدينية . وقد ذهبوا الى أبعد من ذلك اذ كانوا ينظرون الى كل امرأة مثقفة وذكية نظرة احتقار ويعدونها ناقصة الآداب والاخلاق [٣٠] ...

تربية المرأة عند الرومان :

بعد انقضاء العهد الاول من عهود الدولة الرومانية تمتع النساء بقسط وافر من الحرية ونصيب لابأس به من التثقيف . اذ كان الرومان يساوون بين المرء وزوجه ، وكانت المرأة الرومانية تختلط بالرجال وتستقبل الزائرين وتغشى المسارح والمحافل ودور القضاء. وكانت المرأة تتم تعليمها الابتدائي مع الصبيان. ولكن لم يكن يسمح لها بالتعليم معهم في المعاهد الثانوية . ولذا كان الاهل يستعينون بمعلم خاص يعلمها في المنزل (هذا اذا كانوا قادرين على ذلك). [٣١]

تربية المرأة عند العرب :

اذا استثنينا وأد البنات في الجاهلية أمكن ان نقول ان المرأة العربية كانت تتمتع في الجاهلية بقسط لابأس به من الاحترام . وكان حظها من التربية لابأس به . اذ كان يسمح لها بتعلم الشعر والخطابة وكثيراً من أعمال وفنون الرجال . كما كانت تتعلم القيام بواجباتها المنزلية ورعي الماشية وغزل الصوف والضرب على الآلات الموسيقية التي كانت معروفة لدى العرب آنذاك ، ومرافقة الرجل في الحروب تشجعه وتأسو جروحه ... كما كانت تربي فتاتها تربية جنسية صريحة وتفهمها واجبها كزوجة ..[٣٢].

وعندما جاء الاسلام زاد احترام المرأة وأصبحت تقرأ القرآن وتحفظ الحديث وتنشد الاشعار وتروي الاخبار وتشارك الرجال في شؤون السياسة وترافقهم الى الحروب .

---

(٣٠) راجع : المصدر السابق ص ٥٧ – ٥٨ .

(٣١) راجع : المصدر السابق ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٣٢) راجع المصور السابق : ص ١٦٠–١٦١

ولكن تبدلت النظرة الى المرأة في عصر الانحطاط وعزلت عن الرجال ومنعت من التعلم وأصبحت النظرة اليها نظرة سيئة جدا دامت الى عهد قريب ولا تزال تلعب دوراً هاماً بين كثير من فئات مجتمعنا الحالي .

وعندما حلت النهضة الحديثة في البلاد العربية خرجت المرأة من دارها وألقت عنها أثقال الماضي وأصبحت الآن تتعلم مع الرجل في المعاهد التعليمية على اختلاف درجاتها . ومع ذلك لاتزال تربية المرأة تختلف عن تربية الرجل في الكثير من نواحيها . وخاصة في المدارس الثانوية اذ تعلم الفتاة دون الفتى التربية المنزلية وتربية الطفل والاشغال اليدوية ... ولا تزال الافكار القديمة تلعب دورها في سوء النظرة الى المرأة ولا يزال كثير من المربين ينظرون الى المرأة نظرة غير سليمة ويضعونها في منزلة أدنى من منزلة الرجل ...

تربية المرأة في روسيا :

أما التربية في روسيا فتنظر الى المرأة والرجل نظرة متساوية ويتعلم الجميع نفس العلوم والتعليم مختلط في جميع مراحله. وقد غيرت الافكار الاشتراكية والشيوعية وخاصة الماركسية نظرة اتباعها الى المرأة واصبحت عنصر امساوياً للرجل . وتعمل التربية في روسيا على ازالة الفروق بين الرجل والمرأة كجزء من خطة عامة تريد ان تقضي على الفروق الطبقية والفروق بين المدينة والقرية.

تربية المرأة في اوروبا :

للمرأة في كل الدول الاوروبية مكانة مرموقة وقد توصلت المرأة في الكثير منها، الى حقوق الرجل . ولكنها مع ذلك لاتزال تتعرض لبعض الفروق التربوية . وطالما هنالك اسرة مؤسسة على الشكل الذي هي عليه في أيامنا فلابد للمرأة من أن تتعلم تربية الاطفال وادارة الشؤون المنزلية وتدبيرها. وبهذا ستظهر فروق بين تربيتها وتربية الرجل .

ولكن المستقبل سيكون في صالح المرأة . وستصل المراة الى مساواة كاملة مع الرجل وستنفض عنها غبار الماضي وستبدد عنها ظلمة قرون مظلمة وجائرة عديدة جعلتها أحيانا في مصاف الحيوان وأحيانا احط منه ! ومن يقرأ كتباً من أمثال نهج البلاغة وكتباً دينية سرية لدى الشيع الباطنية وكثير من المجتمعات الدينية السرية يرى الى أي حد بلغ الظلم والتجني في حق هذا المخلوق المظلوم : المرأة التي هي أمنا وزوجنا وأختنا ورفيقة كفاحنا ونصفنا المتمم في حياتنا الكونية !!

اختلاف مدة التربية باختلاف المجتمعات :

وتختلف مدة التربية باختلاف المجتمعات . وهذا تابع للنظام الاجتماعي والسياسي ودرجة الرقي الحضاري والثقافي . اذ كلما كانت المجتمعات بدائية كانت مدة التربية فيها أقصر ، وعلى العكس من ذلك كلما كانت المجتمعات راقية كانت مدة التربية فيها أطول . فهناك مثلاً مجتمعات بدائية تماماً **لانجد فيها أثراً للقراءة والكتابة** . فهنا تكون التربية عبارة عن تربية بدائية تتم أولا في نطاق الاسرة ، حيث يتعلم الاطفال من الوالدين العادات والتقاليد والافكار السائدة في مجتمعهم ، وحيث يتعلم الفتى مهنة والده ، والفتاة « مهنة » والدتها ، وتتم ثانياً في المجتمع العام حيث يتعلم الفتى والفتاة آداب السلوك الاجتماعية وكل مايتطلبه المجتمع من الفرد الانساني . فالتربية هنا عبارة عن عملية تبيؤ اجتماعي ولا تعرف نظامية تربية المنهجية التي تتم في المدارس ومعاهد العلم . فاذن هنا ليس هنالك من مدة حقيقية للتربية . وانما تبدأ عملية التبيؤ الاجتماعي منذ الطفولة الاولى وتنتهي في بدء زمن الرشد .

واذا ارتقى المجتمع الى درجة أعلى من درجات السلم الحضاري وتبنى تعليم القراءة والكتابة ظهرت فيه التربية التعليمية المنهجية على يد مختصين أو اختصاصيين . ولكن مدة التربية الحقيقية تكون قصيرة طالما ان التربية التعليمية تقتصر على تعلم القراءة والكتابة . ولا يزال كل منا يذكر كيف كان يتم التعليم

في « الكتاب » اذ كانت العملية التعليمية تتم خلال سنتين أو ثلاث يحفظ فيها التلميذ القرآن ويتعلم الكتابة (واحياناً كان بعض التلاميذ يتعلمون القراءة دون الكتابة) .

واذا ارتقى المجتمع الى درجة أعلى في السلم الحضاري انتظم التعليم لديه ، وتتم التربية في مدارس منهجية ونظامية وتبلغ المستوى الابتدائي . وتتم هذه التربية خلال خمس سنوات أو اكثر يتعلم بعدها التلميذ المهنة التي يجب ان يكسب بها عيشه .

واذا ارتقى المجتمع الى درجات أعلى في السلم الحضاري وجدنا ان التربية تتم فيه في **معاهد رسمية** أو حرة تتدرج من التعليم الابتدائي وتنتهي في التعليم العالي .. وتطول هنا مدة التربية اكثر من قبل حيث تصبح مواد البرنامج أصعب وأعقد وأغزر .. ومن يقابل بين مدة التربية في الامم الراقية اليوم ، حيث تحاول بعضها ان تجعل مدة التعليم الالزامي والتربية الالزامية تنتهي في الثامنة عشرة ، ومدة التربية في الكتاب كما كانت سائدة في بلادنا الى عهد قريب (ولا تزال متبعة في بعض المناطق الريفية) ير الفارق الكبير بين هاتين المدتين اللتين تتم التربية خلالها ،

اختلاف بدء التربية باختلاف المجتمعات :

تبدأ التربية في الاسرة منذ الطفولة الاولى في جميع المجتمعات . ولكن بدء التربية المنهجية النظامية يختلف باختلاف المجتمعات ، ففي «الكتاب» تبدأ التربية في الخامسة أو السادسة . وفي مدارسنا الرسمية تبدأ التربية في السابعة وتسري هذه القاعدة في كثير من المجتمعات الراقية التي تبنت نظام «رياض الاطفال» حيث يبدأ الاطفال فيها تربيتهم وتعليمهم منذ **الثالثة** وينتهون منها في نهاية السنة السادسة . والغايات التي يرمي اليها من التربية في هذه الرياض كما يقول فروبل هي : « رعاية

الاحداث وتدبير شؤونهم في السنوات الاولى من اعمارهم ، وتأهيلهم للحياة المدرسية التي تأتي بعد، والعمل على انماء قواهم الجسمية وتمرين حواسهم وايقاظ مداركهم وأقدارهم على تعرف مظاهر الطبيعة حولهم ، ووقفهم على اسرار الاجتماع والتعاون على الاعمال وتوجيه نفوسهم الى النافع الصالح في الحياة.[٣٣]

اختلاف اتصال التربية وانفصالها باختلاف المجتمعات:

في المجتمعات البدائية يوجد اتصال في التربية بالنسبة لمراحل العمر المختلفة . فالطفل (أو الطفلة) يهيأ منذ حداثته للحياة الاجتماعية التي سيحياها في شبابه وسن رشده . يمارس الطفل مثلا رعي الماشية منذ السادسة والسابعة ، ويعاون والديه في الشؤون الزراعية أو الحرفية .. ومن يزر منكم بعض قرانا التي لاتزال تعيش عيشة بدائية يشاهد الاطفال يعملون مع أهلهم منذ حداثتهم ويتعاونون معهم في جميع شؤونهم ، ومن يزر منكم الاحياء الفقيرة في المدن السورية أو العربية ير الاحداث يعملون عند الحلاقين والنجارين والحدادين والخياطين ... كأنهم شباب أو راشدون ، وكذلك الطفلة تمارس العناية باخوتها واخواتها الصغار منذ الرابعة أو الخامسة وتساعد امها في تكنيس البنت وتنظيفه والعناية بالمواشي ونقل الماء من النبع المجاور .. وهكذا لانرى في تربية هؤلاء انفصالا بين مراحل الطفولة والمراهقة والشباب.. بينما نرى انفصالا بينا في تربية الاطفال والمراهقين والشباب في الامم الراقية . اذ يقضي الطفل حياته الاولى باللعب وتعلم العلوم المجردة وينتقل فجأة اثناء المراهقة أو سن الشباب الى حياة أخرى ملأى بالمسؤوليات الجسام في النواحي الاجتماعية والسياسية والعائلية والمهنية . ويظهر الانفصال التربوي على أقواه في الناحيتين الجنسية والاخلاقية. اذ يبقى الاطفال في معزل عن القضايا الجنسية وعندما يدخلون مرحلة المراهقة يدخلون

---

(٣٣) نقلا عن المصدر السابق : ص ٣٣٩ .

من الناحية الجنسية الى عالم مجهول . وهذا يؤثر في نفسيتهم ويحدث في نفوسهم بعض الاضطرابات .. كذلك نجد في الطفولة بعض التسامح بالنسبة للاختلاط بين الجنسين وقد تتم تربية الجنسين معاً في المدارس الابتدائية . ولكن يفصل الجنسان ويوضع كل منهما في مدارس خاصة في المدارس الثانوية. وكل ذلك عائد الى أفكار متعلقة بالميول الجنسية وخطرها على الاخلاق . ولا يخفى عليكم مالمثل هذا الانفصال التربوي من تأثير سيء في نفوس المراهقين. ولا يخفى مالاختلاف وتغير القسر والضغط حسب مراحل العمر من اثر سيء في نفوس الناشئة.

ولهذا أخذت بعض الدول الاشتراكية والراقية بمبدأ التعليم المختلط والتربية المشتركة للجنسين في جميع مراحل التعليم .. أما في الولايات المتحدة الامريكية فيحاول المربون ان يجعلوا من المدرسة بيئة اجتماعية مصغرة يمارس فيها التلاميذ والطلاب الكثير من مسؤولياتهم التي سيضطلعون بها في شبابهم وفي حياتهم الاجتماعية العامة . ونجح هذا الاتجاه بفضل كتابات أنتروبولوجيين عديدين حول هذا الموضوع واظهار تفوق التربية ، من هذه الناحية ، لدى بعض الشعوب البدائية على التربية الامريكية . ومن أشهر الذين كتبوا في هذا الموضوع : مارغريت ميد M. Mead وكاردينر Kardiner ولينتون Linton وخاصة روث بنيديكت P. Benedict كما رأينا في الفصل السابق .

اختلاف الثبات والوحدة في التربية باختلاف المجتمعات :

ويختلف الثبات والوحدة في التربية باختلاف المجتمعات . ففي المجتمعات المتأخرة حضاريا بالنسبة للمجتمعات الراقية تماماً نجد أحياناً فرقاً بيناً بين التربية في الاسرة والتربية في المدرسة والتربية في **المجتمع العام** : في الكنيسة (او الجماعة) والحزب السياسي والنقابة والنادي .. فمثلاً اذا أخذنا بعض الاحياء الفقيرة في مدننا وبعض قرانا في المناطق الريفية المتأخرة ، وجدنا فيها فرقاً بيننا

بين التربية في الاسرة والتربية في المدرسة. ففي الاسرة قد تكون اساليب التربية قائمة على العنف والقسوة ، وقد تكون قائمة على الفوضى والتدليل ، وقد تكون التربية الاخلاقية ضعيفة ، وقد يكون البيت قذراً وكل مافيه يوحي بالقذارة ، وقد تكون التربية الجنسية قاسية والاخلاقية محافظة .. فعندما ينتقل اطفال هذه الأسر الفقيرة (اذا تسنى لهم ذلك) الى المدارس النظامية يجدون فرقاً قوياً بين التربية هنا والتربية في بيوتهم. فهنا يطلب المعلمون النظافة والنظام والتمسك بالاخلاق الطيبة والاجتهاد وقد يكونون متسامحين من الناحية الجنسية غير متمسكين بمبدأ فصل الجنسين .. وعندما ينتقل هؤلاء الى الحياة العامة يجدون أيضاً فروقاً أخرى في التربية . فقد يجدون الكنيسة (أو الجماعة) متفقة بتربيتها مع الاسرة من حيث المحافظة والتزمت والاخلاق ، والحزب السياسي أو النادي متوافقاً مع المدرسة في تسامحه وتقدميته .. ويؤدي هذا الاختلاف في وجهات النظر التربوية الى تصارع (أو نزاع) (Conflit) داخلي في نفوس الناشئة مما يؤدي أحياناً الى بعض الشذوذات والاضطرابات النفسية . وقد ألحت كارن هورني (Karen Horney) على تأثير هذا التصارع الداخلي في خلق الاضطرابات النفسية ، وفي دراستها عبر هامة يجب ان تستفيد التربية في بلادنا منها . (٣٤)

اختلاف طرق واساليب التربية باختلاف المجتمعات

وتختلف طرق واساليب التربية باختلاف المجتمعات فأساليب التربية في المجتمعات **المحافظة** والرجعية والمستبدة تختلف عنها في المجتمعات **التقدمية والديمقوقراطية**.

---

(٣٤) للتوسع راجع : Karen Horney : The neurotic personality of our time. W. Norton. N. Y. 1937

Karen Horney : our inner conflicts. W. Norton. N. Y. 1945

ففي المجتمعات المحافظة مثلا يطلب من التربية أن تخرج اناساً **تقليديين محافظين**، تقتل فيهم تقريباً كل روح ابداع وابتكار . ولهذا تعتمد التربية في أساليبها على **التلقين والمحاكاة والقسر ... فاذا اخذنا اساليب التربية عند قدماء المصريين** وجدنا انها كانت تقوم على الحفظ والتلقين والمحاكاة . « اما المعلمون فكانوا ، كما يقول مصطفى أمين، قساة القلوب غلاظ الاكباد، يرهقون تلاميذهم ويسومونهم سوء العذاب ، وكانت العصا احب ادوات التأديب اليهم. ومما يؤثر عنهم في ذلك قولهم « ان الطفل اذنه على ظهره ، فهو لا يسمع الا حين يضرب »[٣٥] وكانوا يحبسون بعض الطلاب المذنبين مدة ثلاثة أشهر في المعبد الذي يدرسون فيه[٣٦] .

واذا درسنا التربية عند الرومان وجدنا أنها بقيت زمناً طويلا تقوم على **الحفظ والتقليد** . ففي تعلم الحروف الهجائية مثلا ، لم يكن على الحدث الا ان يكررها ويكرر المقاطع المركبة منها بصوت جهوري مرتفع ، ويجهد نفسه في ذلك حتى يتم له استظهارها ... وكما يقول مصطفى امين « ... وتلك طريقة على ماترى خالية من انواع التشويق والترغيب ، ولا تتفق هي وطبائع الاطفال في شيء . لذلك عول المعلمون على السياط والعصي في حمل تلاميذهم على الانتباه والاقبال على الدروس ولقد غالوا في ذلك حتى اصبح اسم المعلم عند الرومان يدعو الى الذهن معاني الخوف والرعب ويذكر بصنوف الارهاب والتعذيب »[٣٧] .

ولم تكن تختلف طريقة الكتّاب في هذه المدارس القديمة ، ولا يزال كثير ممن تعلموا فيها يذكرون « قضبان » الشيخ أو « القرا » بكثير من **المرارة والتندر** . ومن يقارن بين هذه التربية التقليدية القائمة على القسوة والتخويف والتلقين ، **والتربية الفعالة المشوقة القائمة** على الترغيب والعطف والمحبة والاكتشاف

---

(٣٥) مصطفى امين : تاريخ التربية ص ٢٣٠ .
(٣٦) » » » » » ٢٣ .
(٣٧) » » » » » ١٢٨ .

والاستقلال الذاتي والمتبعة الآن في العالم المتمدن ، ير الفروق الهائلة بين تربية تحاول ان تقتل الشخصية والابداع وأخرى تبذل جهدها في سبيل تربية الشخصية وتفتق مواهبها وابداعها ...

وسنرى في فصل قادم العلاقة بين اساليب التربية ونظام الحكم في المجتمعات التي تحكمها دول . ففي الانظمة الاقطاعية مثلا يحاول الحكام ان يسبغوا على التربية لوناً من التدين والمحافظة ويجعلوا الاستبداد وقتل الشخصية والمحاكمة والمناقشة والتقليد والحفظ أسساً عامة لها . وسنرى أيضاً أن الحكومات الاستبدادية تتبع تقريباً نفس الخطة ...

اختلاف المربين باختلاف الشعوب والمراحل التاريخية لدى الشعب الواحد:

يختلف القائمون على التربية باختلاف الشعوب وباختلاف المراحل التاريخية لدى الشعب الواحد . فمثلا كان القائمون على التربية عند المصريين القدماء مقصورين على طائفة الكهنة . فكان الكهنة رجال العلم وحفظته والمعلمين والمؤدبين وكان الانسان اذا التمس معلماً لولده لم يجده الا بين افراد هذه الطائفة .[٣٨]

اما المربون لدى اليونان فكانوا بأغلبهم من الفلاسفة ولهذا كان سقراط معلماً وكذلك أفلاطون وأرسطو وأشهر فلاسفتهم . وكذلك اشتهر السوفسطائيون بالتعليم . وكان هؤلاء الفلاسفة يقومون بالتربية ويضعون أيضاً مبادئها وأسسها والطرق التي يجب أن تسير بحسبها في التدريس . وكان لكل ولد من الميسورين في أثينا **حارس** (ينتقى من الارقاء) يشرف على سلوكه ويراقب اخلاقه ويرشده . وكان على الولد ان يطيعه فان خالف كان للحارس ان يضربه ويجلده وكانت التربية لدى الرومانيين تسير على نفس النسق .[٣٩] وكان الكهنة في الهند القديمة هم الذين يديرون التربية ويشرفون عليها . وكذلك كانت الكنيسة ورجالها يقومون في العالم المسيحي في القرون الوسطى وبعدها بالتربية ويشرفون عليها.

---

(٣٨) راجع : المصدر السابق : ص ١٨ .

(٣٩) للتوسع راجع نفس المصدر السابق : ص ٤٥ - ١٣١ .

ولا تزال بعض الدول الاوروبية التي يسيطر فيها المذهب الكاثوليكي تحتفظ بالكثير من المدارس الخاصة التي يشرف عليها ويعلم فيها الرهبان والراهبات . وقد انتقلت نفس الحركة الى لبنان خاصة وسوريا أيضاً . وكذلك كان رجال الدين والمشايخ هم الذين يديرون ، في البلاد الاسلامية ، شؤون التربية ويقومون بها وبالتدريس كل في حلقته المخصصة له في جامع معين . ولا يخفى على القارىء ماسيكون لهؤلاء من أثر في توجيه التربية وخاصة في اتجاه محافظ . ولا يخفى عليه أيضاً كم سيكون لهذا المنحى من تأثير في دعم الاوضاع القائمة في اي بلد من البلدان .. أما الامم التي سيطرت فيها الدولة على توجيه التعليم وفصل فيها بين السلطتين الزمنية والروحية ، فان القائمين على التربية هم جماعة من الاختصاصيين نسميهم معلمين ومدرسين وأساتذة هيئوا خصيصاً (بصورة عامة) للقيام بمهمة التربية . وفي بعض البلدان يعد أغلب القائمين بالتربية من الجنس اللطيف . وهذا ملاحظ في الولايات المتحدة الامريكية حيث نجد أغلبية المدرسين والمعلمين من من النساء . ولهذا تأثير كبير على اتجاه التربية واخلاق التلاميذ وشخصياتهم وسنعود الى هذا البحث في فصل التربية والطبقات الاجتماعية ...

اختلاف المناهج باختلاف الشعوب وباختلاف مراحل التاريخ في الشعب الواحد:

وكذلك تختلف المناهج تبعاً لاختلاف المجتمعات . فهنالك بعض المناهج تلح على التربية البدنية اكثر من سواها ، كما في اسبارطة ، وأخرى تلح على العقلية ، كما في أثينا ، وصنف ثالث يلح على العلوم وتطبيقاتها ، كما في روسيا ، والولايات المتحدة ، وصنف رابع يلح على التاريخ والجغرافيا والمعلومات المدنية والاخلاقية دون أن يهمل العلوم النظرية ، كما هو في الاقليم السوري .. ذلك لان المنهاج تابع للاغراض السياسية والاجتماعية والاخلاقية والاصلاحية التي يهدف اليها المجتمع الذي يتبناه في مرحلة من مراحله التاريخية ... وسنعود الى هذا الموضوع في فصل قادم .

الخلاصة :

من كل هذه الجولة الطويلة يظهر لنا أن التربية تابعة في الكثير منها للمجتمع الذي تطبق فيه ولعاداته وتقاليده ونظامه السياسي ومثله الاعلى . ولهذا امكن القول أن التربية **ذات طبيعة اجتماعية** . وقد رأينا الحاح دوركهايم على هذه الناحية وتابعه في ذلك براون (F. J. Brown) (٤٠) وذهب في هذا الاتجاه كثير من المربين في فرنسا والولايات المتحدة الامريكية وانكلترا والمانيا وروسيا ...

وهي تبعاً لذلك نسبية تختلف أهدافها ووظائفها باختلاف المجتمعات ولا يمكن ان ننقل من شعب الى آخر نظمه التربوية بحذافيرها اذا كان النظام الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي مختلفاً في كل منهما عن الآخر . ولهذا اذا قلنا « أهداف التربية » فعلينا ان نوفق بينها وبين المجتمع الذي توضع له . ولكن هل يمنع ذلك من ان يكون للتربية بعض اهداف عامة يصلح استعمالها في كل المجتمعات الحضارية ؟ هذا ماسنجيب عليه في الفصل الآتي .

---

(٤٠) راجع : F. J. Brown : Educational sociology. Chap. 8

الفصل الخامس

وظائف التربية

تساءلنا في الفصل السابق ، بعد ان رأينا اختلاف أهداف ووظائف التربية ومناهجها وطرقها باختلاف المجتمعات، هل يعني هذا انه ليس للتربية من وظائف عامة شاملة يمكن ان تطبق على جميع المجتمعات ؟

اذا اعتبرنا جميع المجتمعات البشرية سواء المتحضرة منها والبدائية أو الأولية صعب علينا اعطاء وتحديد وظائف عامة شاملة تنطبق على كل المجتمعات وتصلح لكل منها . أما اذا اعتبرنا فقط المجتمعات الراقية التي تعتبر ذات ثقافة وحضارة ودولة ، امكننا حينئذ تحديد بعض الوظائف التربوية العامة والاساسية لدوام واستمرار ورقي وازدهار المجتمع . وتحصر هذه الوظائف في خمس هي :

١) الوظيفة الاولى للتربية هي : هضم وتمثيل او تمثل (assimilation) التقاليد :

وتنطبق هذه الوظيفة على جميع المجتمعات مهما كانت درجة حضارتها وثقافتها؛ اذ لكل مجتمع، مهما كان بدائياً محافظاً أو ثورياً متبدلاً، بعض التقاليد والاعراف والافكار والمثل العليا يتمسك افراده بها ويصرون على نقلها من جيل الى جيل، ولهذا كان على التربية نقل هذا التراث الاجتماعي الى الاحداث . وقد اعتبر جورج باين واتباعه هذه الوظيفة المرتبطة بنقل التراث الاجتماعي الى الاحداث

على انها الوظيفة الاساسية للتربية . وهكذا يجب اذن ان تؤمن التربية تمثيل او تمثل التقاليد المرعية من قبل افراد المجتمع .

ويرى جورج باين ان تمثل التقاليد (أو هضمها) يقوم على عمليتين :

١ – **التقليد** ، ب – **التشريب** (Inculcation) القائم على **الفهم** او **الضغط** والايحاء .

آ – فعندما يتكيف ويتلاءم الملقن أو المتلقي للعلم والتربية مع الوضع الاجتماعي بصورة شعورية او لاشعورية ، فعندئذ تكون عملية التلاؤم عملية تقليد .

ب – وعندما يقاد الملقن، او المتلقي للعلم والتربية، الى تغيير سلوكه او الى تلاؤم متبع في رهطه الاجتماعي ، نقول عندما يقاد تحت تأثير القسر الاجتماعي او الدعاية أو أي وسيلة أخري من وسائل التثقيف والتعليم عندئذ يخضع لعملية تشريب وترسيخ .

واذا ماصح هذا التمييز بين هاتين العمليتين فيكون للتفاعل (Interaction) الاجتماعي **مظهران هامان هما عمليتا: التكيف او التلاؤم الاجتماعي** (adjustement) والضبط الاجتماعي (social control) .

وهناك وكالات عديدة تساهم في اتمام وتحقيق هذه الوظيفة . اذ تبدأ في الاسرة وتتم وتنتهي في الوكالات أو المؤسسات الرسمية (أو الشرعية) التابعة للمدرسة والكنيسة ، أو الجماعة الدينية ، وفي التفاعل المستمر بين الوكالات غير الرسمية التابعة للجماعة والدولة . وفي النظمة الاجتماعية تكون هذه المؤسسات منفصلة ومستقلة فيما بينها قليلا او كثيراً . وهذا تابع لنوع النظام الاجتماعي والمذهب السياسي السائد في المجتمع ورقي الحضارة فيه .. وقد رأينا مالتضارب هذه المؤسسات أو الوكالات في وسائل واساليب التربية من تأثير سيء على نمو الفرد أو المتعلم .. وقد ألحت مارغريت ميد على مالمثل هذا التضارب في

المجتمع الامريكي من تأثير سيء في نفسيات الافراد وشخصياتهم[1].

وتعتبر عملية نقل التراث الحضاري عملية صعبة وشاقة . وتزداد صعوبة هذا النقل كلما تعقدت الحضارة وتشعبت مظاهرها ومناحيها وكلما زدنا في الفصل والتمييز بين نوع وآخر من انواع التربية : **تربية علمية ، تربية مهنية** ، تربية اخلاقية ، تربية دينية ، تربية اجتماعية ...

وتعقيد الارث الثقافي وتنوع مظاهره يوقعنا في حيرة من أمرنا . اذ أي نوع من أنواع الارث الثقافي يجب ان ننقل الى الاحداث وأي مظهر من مظاهره سوف يصبح افضل قيمة وشأنا في مرحلة نضجهم ورشدهم؟؟ أي القيم والافكار يجب ان تعطى للاحداث لتكون هي المسيطرة في حياتهم الراشدة ؟ هل ننقل التراث الثقافي المتعلق بالطائفة أو الجماعة الدينية أم التابع للدولة أم التابع لرأس المال ام التابع للعمل ، ام المرتبط بالرهط الذي يعيشون فيه والبيئة المحلية ، أم بالأمة بكاملها ؟ عندما كانت الكنيسة او الجماعة الدينية هي المسيطرة على مؤسسات التربية المختلفة كانت القيم والافكار الدينية هي التي تعطى للاحداث. ولكن الامر تغير في البلاد التي سيطرت عليها الدولة وأصبحت مفاهيم وقيم الكنيسة أو الجماعة الدينية اقل اهمية من ذي قبل . ومن هنا قام الخلاف الشديد بين التعليم (او التربية) الزمني والتعليم الديني .. وعندما سمحت الدولة لمؤسسات اخرى بتأسيس مدارس ظهر نوعان من التعليم (أو التربية) : **التعليم العام والتعليم الخاص** . ومن هنا ظهرت الافكار القائلة بعدم اشراف الدولة اشرافا تاما على مؤسسات التربية .. (سنعود في الفصل القادم الى بحث الاشراف على التربية) .

---

(١) راجع خاصة مقالها :

Margaret Mead : Our educational emphasis in primitive perspectivej : in the. Amer. Jour. of Sociology. May 1943. vol. 48. N° 6 pp. 633 — 639

مظهر آخر من تعقيد نقل التراث الحضاري هو العلاقة بين **العمل ورأس المال**، فعلى اهمية اي منهما يجب ان نلح ؟ وهل يمكن ان نبقى حياديين عندما نتكلم عن هذه المشكلة ؟. ففي البلاد الرأسمالية يلح على قيمة رأس المال ، بينما يلح في البلاد الاشتراكية على قيمة العمل ..

ومشكلة اخرى هي : هل الارث الثقافي هو من عالم الراشدين ام من عالم الاطفال ؟ اي هل يجوز نقل الارث الثقافي الى الاطفال ام يجب ان يقصر على الراشدين ؟

واذا ما استقلت الدولة بمفردها بنقل التراث الحضاري كنا أمام الحكم أو النظام الديكتاتوري الكلي . واذا ترك امر نقل هذا التراث دون أي توجيه والى اهواء الافراد والمؤسسات أدى بنا الامر الى الفوضى والتهدم الاجتماعي .. واذا ما انفردت فئة من الفئات دون سواها بتوجيه التعليم ونقل التراث الثقافي **كنا امام نظام الطوائف** كما كان سائدا في الهند ومصر[٢].

وقد ألح بعض المؤلفين والمربين على هذه الوظيفة وحاولوا ان يجعلوا منها الوظيفة المهيمنة والمسيطرة للتربية . وهذا يعني انهم يريدون بهذا تثبيت **الوضع القائم** (Statu quo) . ونجد مثل هذه الافكار في البلاد المحافظة التي تسيطر عليها فئات رجعية تريد ان تثبت الاوضاع القائمة لتستمر على استغلال الشعب والطبقات الكادحة . وقد أظهر بعض المؤلفين خطل هذا الاتجاه وفداحة ضرره بالنسبة للمجتمع والتقدم الاجتماعي[٣].

٢) **الوظيفة الثانية : للتربية هي تنمية وتنشئة نماذج سلوكية اجتماعية جديدة** . يرى جورج (باين Payne) **في أحد كتبه التي ماتزال مخطوطة** ، ان « التقدم الاجتماعي يرتبط بتبدلات الارث الاجتماعي كما يرتبط بدمج الثقافة

---

(٢) من أجل تفاصيل عن هذه الوظيفة راجع :

F. J. Brown : Educational sociology. p. p. 164 — 172

(٣) راجع : Brookover : A.sociology of Education. p. p 75-76

الماضية والتقاليد ونقلها من رهط الى آخر ومن الراشد الى الحدث . ويستلزم نمو المعرفة العملية تبدلا في اساليب الانتاجين الزراعي والصناعي ، واعادة انشاء في انماط حياتنا ، في مجالات الصحة واللهو والمهنة والحياة البيتية . ويتطلب النمو العلمي انماط سلوك جديدة يلعب « التشرب » أو التربية المنهجية فيها دورا مطلقا تقريبا »(٤).

ويحدث في كل المجتمعات تبدلات ثقافية وحضارية ، تختلف **ببطئها وسرعتها وعمقها وسطحيتها** وشمولها وضيقها تبعا لدرجة الرقي الثقافي والحضاري في المجتمع اذ كلما كان المجتمع متأخراً واوليا كان التبدل الثقافي فيه بطيئا وسطحيا . وكلما كان المجتمع راقيا وناميا من النواحي الثقافية والحضارية والسياسية والفردية كان التبدل الاجتماعي فيه اسرع واعمق واشمل . ولا يستغرب حدوث الثورات العميقة في هذه المجتمعات الاخيرة فتبدل المفاهيم بجملتها تبديلا عميقا وشاملا وكليا تقريبا ، كما حدث في روسيا بعد ثورة عام ١٩١٧ ، وفي الصين بعد الثورة الشيوعية ، وفي فرنسا بعد الثورة البورجوازية عام ١٧٨٩ . وسنعطي بعض الامثلة عن تبدلات اجتماعية معينة تقتضي تغير شروط الحياة الاجتماعية وتبعا لذلك تبدل نماذج السلوك الاجتماعية .

فالبنية الاجتماعية الكلية تتبدل بالتبدلات التي تطرأ على السكان . فمثلا عندما تكون أغلبية السكان المطلقة في مجتمع ما قروية ريفية فان البنية الاجتماعية والحياة الاجتماعية والسلوكات الاجتماعية يغلب عليها طابع **الاستقرار والجمود**. وعندما تتحول الاغلبية المطلقة الى **مدنية** فان الذي يسيطر على هذه المظاهر الاجتماعية هو **التبدل والنمو** والثورة في جميع النواحي الاجتماعية والثقافية . فاكتظاظ السكان في المدن يخلق شروطاً جديدة في الحياة والسلوك . فمثلا في مدن عظمى كنيويورك وواشنطن ولندن وباريس حيث يربو عدد السكان فيها بصورة عامة على عدد سكان الاقليم السوري نجد ان أساليب الحياة تبدلت تبدلا

(٤) نقلا عن : F. Brown : Educational Sociology. p. 172

عميقاً عما هي عليه في الريف وخاصة الريف البعيد عن المدن الرئيسية. اذا اختلفت طرق المواصلات (مواصلات فوق الارض وأخرى تحت الارض) ودور السكن (ناطحات السحاب في نيويورك) وطريقة المأكل (الاكل في المطاعم غالباً) ونظام الاسر (أسرة غير مستقرة) بسبب استقلال كل من الزوجين بمعاشه) وقل عدد الابناء، وازداد وعي العمال الطبقي ونزعوا الى مستوى معيشة مرفهة.. وتعقدت الحياة في جميع نواحيها الفنية **واللهوية** والاخلاقية **والاجتماعية** والمعاشية والمهنية ... لهذا مست الحاجة الى تبدل في انماط السلوك السابقة التي كانت ترين على سكان القرى. وعلى ساكن الريف الذي ينتقل الى مثل هذه المدن ان يغير من سلوك حياته السابقة والا بقي فقيراً بائساً مستغلا .. وهكذا يتبين لنا ان أنماط السلوك المتلائمة مع سكان يغلب عليهم النمط الريفي ويسيطر عليهم الاستقرار لا تصلح ولا تناسب الحياة المدنية العصرية المعقدة المتحولة والمتغيرة.

وتبدل آخر ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسكان ، هو التغير في معظم مجالات الاستخدام والعمل أو الوظيفة . فاذا أخذنا الولايات المتحدة الامريكية بين عام ١٨٢٠ وعام ١٩٤٥ لاحظنا هبوطاً سريعاً ومستمراً في الاعمال الزراعية من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٠ وصعوداً قوياً في الصناعة والمواصلات . ونلاحظ ايضاً بعد الحرب الكبرى صعوداً في نسبة **وظائف المكاتب** أو الدوائر (الخدمات العامة أو الخاصة) وهذه الخدمات الاخيرة تشمل الباعة أو التجار والمستخدمين في محطات الغاز والفحم والبترول والبنزين وفي بعض المنشئات الاخرى كالمطاعم والمقاهي والفنادق ووكالات السياحة والمواصلات وبيع الصحف وسواها .. ولكن الحرب الكبرى الثانية غيرت بصورة موقتة في الامر فحل معها تدهور قوي في الزراعة وصعود ملموس تماما في الصناعة وتدهور في الخدمات أو الوظائف الاستخدامية . وقد جرت الحرب معها ارتفاعا قوياً في وظائف الدولة ليس فقط في قوى الجيش ولكن في النواحي المدنية أيضا . ففي حزيران ١٩٤٥ كان في الجيش ١٢,٣٠٠٠٠٠ رجل وامرأة ، وفي الوظائف المدنية ٣,٦٠٠٠٠٠ رجل

وامرأة . والعودة الى اقتصاد السلم جر معه مشاكل جدية في التكيف ، وقد أصبحت انماط السلوكات القديمة غير ملائمة لحل هذه المشاكل . ووجد الامريكيون انفسهم أمام هذه المشاكل . ورأوا انهم اذا لم ينشئوا وينموا أنماطاً جديدة من السلوك الاقتصادي والاجتماعي ، فان بلادهم ستواجه انهياراً اقتصاديا أو حاجة ماسة الى تبني النظام الاشتراكي ..

ولم يتبدل فقط مجال العمل أو نوعه بل حصل تبدل عميق في عمر وجنس المستخدمين : فقد بقي الاطفال والمراهقون زمناً طويلا يشكلون قسما كبيراً من العمال في اوروبا وامريكا . فمثلا في عام ١٩١٠ كان في الولايات المتحدة الامريكية مايقرب من ٢ ١٠٠,٠٠٠ من الاطفال أو الاحداث الواقعة أعمارهم بين ١٠ و١٥ عاماً يعملون في المهن والصناعات المختلفة . وفي بعض الصناعات كانوا يؤلفون ٢٥٪ من مجموع العمال . وفي عام ١٩٢٠ نقص عددهم الى النصف تقريباً اذ بقي ... ١,٠٦١، وكان ٧٠٪ منهم يعملون في الزراعة. وجاء هذا هذا التناقص في العدد على أثر بعض التشريعات الملائمة وبعض قوانين العمل . وظل هذا التناقص مستمراً حتى ايامنا وأصبح عدد الاحداث العاملين ضئيلا جداً فيها ، والفضل في ذلك عائد الى القوانين العادلة التي حرمت عمل هؤلاء الاحداث . وقد ساهمت التربية في خلق مثل هذا الاتجاه اذ كان للمربين أثر قوي في نشر أفكار قيمة حول ضرر عمل الاحداث لنموهم **الفكري والجسمي والاخلاقي** . اذ ان هذا العمر هو عمر التعلم والتثقف والتهيؤ واللعب بالنسبة للاطفال . واذا ماتعلموا أصبحوا في المستقبل أفضل انتاجاً ونفعاً للبلاد ... وقد أخذت الدول الاشتراكية، وخاصة الاتحاد السوفياتي ، بمبدأ عدم تشغيل الاحداث وتتكفل الدولة بتعليمهم الالزامي والمجاني والمنحي (المساعدمالياً) .

وأهم من هذا التغير الذي حصل بالنسبة لعمل الاحداث ، هو التغير الذي حصل بالنسبة للنساء المستخدمات والعاملات الكاسبات لمعيشتهن بمهنة من المهن خارج المنزل . ففي جميع البلاد الراقية دخلت المرأة **ميدان العمل والوظائف**

والخدمات العامة . ومن يزر منكم في ايامنا هذه دوائر البريد والبرق ومختلف الدوائر الرسمية، ومختلف المنشئات التجارية والصناعية ير أي تبدل حصل بالنسبة للمرأة في بلادنا . اذ كنا منذ سنوات لانرى لها أثراً تقريباً الا في بعض الدوائر الرسمية وخاصة التابعة لوزارة التربية والتعليم . أما الآن فكل شيء قد تبدل وأصبحت المرأة تزاحم الرجل على كثير من الاعمال . أما في أوروبا والولايات المتحدة فقد أصبحت المرأة تزاحم الرجل على جميع الاعمال حتى على قيادة سيارات التاكسي والباصات وقطع التذاكر في المترو والباصات ، وحتى العتالة وجميع المهن التي كانت وقفاً على الرجال .

ففي الولايات المتحدة مثلا كانت أغلب النساء ، المستخدمات ، قبل النظام الصناعي ، يعملن كطباخات وخادمات ، وقائمات بشؤون أخرى منزلية ومعلمات.. ولكن الحرب الكبرى الاولى سببت ارتفاعاً قوياً ، ولكن موقتاً ، في عدد النساء المستخدمات في مجالات متعددة . أما الحرب الكبرى الثانية فجرت معها تغيراً عميقاً . اذ دخلت معها النساء في الصناعات الثقيلة والمتوسطة والخفيفة وفي الوظائف الادارية العامة والهامة وفي مجالات أخرى عددناها آنفاً . وقد أصبح عدد النساء العاملات والمستخدمات لايقل عن عدد الرجال بكثير حتى أنه يفوقه في بعض المجالات وخاصة التجارية والكتابية والمختصة بالآلة الكاتبة .

ونقدم هذه اللائحة التي يجد القارىء فيها عدد ونسبة النساء العاملات والمستخدمات خارج المنزل بين عام ١٨٧٠ و ١٩٤٥ في الولايات المتحدة الامريكية :

السنة	عدد النساء المستخدمات فوق سن العاشرة	نسبة كل النساء في سن العمل
١٨٧٠	١,٨٠٠,٠٠٠	١٢,١
١٨٨٠	٢,٦٠٠,٠٠٠	١٤,٧
١٨٩٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	١٧,٤
١٩٠٠	٧,٤٠٠,٠٠٠	١٨,٨
١٩١٠	٧,٤٠٠,٠٠٠	٢١,٥
١٩٢٠	٨,٦٠٠,٠٠٠	٢١,٤ (هكذا)
١٩٣٠	١٠,٨٠٠,٠٠٠	٢٢
١٩٤٠	١٢,٨٠٠,٠٠٠	٢٥,٤
١٩٤٤ (تموز)	١٨,١٠٠,٠٠٠	٣٦,٧
١٩٤٥ (تموز)	١٨,١٠٠,٠٠٠	٣٥,٩ (٥)

وقد اجريت دراسات في دترويت Detroit وفي مراكز صناعية أخرى أثناء الحرب الكبرى الثانية فأظهرت هذه الدراسات ان ٧٥٪ من النساء المستخدمات كن يردن الاحتفاظ بأعمالهن أو مهنهن بعد انتهاء الحرب على الرغم من أن مليوناً منهن كن قد جاوزن الخامسة والاربعين من العمر .

وعلى الرغم من دخولهن المهنة وزيادة عددهن على عدد الرجال **سبب الحروب احياناً** فان الرجال مايزالون ينظرون اليهن كأقلية و **كجنس قاصر** . ولكن الانتخابات ادخلت عنصراً جديداً في الواقع الاجتماعي ولهذا بدأ النساء يطالبن بمساواتهن بالرجال . ومن هنا خلقت مشكلة اجتماعية حادة يجب أن تحل ليس على اساس الضغط والارهاب ولكن على أساس الفهم والواقع والتقدمية . ولهذا اجريت في الولايات المتحدة دراسة حول ١٥٠٠ نموذج من المهن الصناعية ودلت نتائج هذه الدراسة على أن النساء يتقن ١٠٥٠ من هذه المهن تماماً كما

(٥) نقلا عن : F.Brown : Educational sociology·P. 180

يتقنها الرجال . وانهن يتفوقن بـ ٣٥٠ مهنة على الرجال ، وبقي ١٠٠ مهنة فقط يتفوق فيها الرجال ..وهكذا بدأت المرأة تطالب بحقها في العمل كالرجل وتمتنع « عن العودة الى المنزل » . والعودة الى المنزل » لن تحل مشكلة اجتماعية كهذه .

والذي يكفل الحل الصحيح هو انماط سلوكية اجتماعية جديدة تتمكن من التوصل الى ارضاء الحاجة الى مساواة مستحقة .

فالتبدل الذي حصل في الانتاجين الزراعي والصناعي ، وتعدد المؤسسات والوكالات ، والانماط الجديدة للسكن والوسائل المنزلية الحديثة ، ونمو التجديد التجاري وغير التجاري كل هذه التغييرات جعلت انماط السلوكات الاجتماعية التابعة للقرن التاسع عشر (أو القرون الوسطى في بلادنا) أصبحت سلوكات غير ملائمة لتجهيز الانسان المعاصر بالمعرفة الضرورية والمواقف الاساسية التي تفيده في التكيف الصحيح والتقدم المطرد . وقد ازداد تبعاً لهذا سوء التكيف وجرت الحرب الاخيرة معها ارتفاعاً قوياً في نسبة هذا هذا السلوك غير المتكيف ولهذا أصبحت الحاجة ماسة لايجاد انماط جديدة من السلوك **وعلى التربية ووكالاتها** أن تتزعم الحركة التي يجب ان تعطي لهذه السلوكات اتجاهها الصحيح ...[٦]

وهكذا نرى ان من وظائف التربية الاساسية المساعدة على **التقدم الاجتماعي** والتبدل الاجتماعي والتجديد الاجتماعي ، ويجب ان تغرس في النفوس الافكار التقدمية التي تساعد على الازدهارين الفردي والاجتماعي ، وتأسيس مجتمع أفضل وأسلم يتمكن الافراد من ان يعيشوا فيه عيشة أغنى وأغزر واسعد .

ونحن في بلادنا بحاجة ماسة لمثل هذا التوجيه التربوي لان افكاراً عتيقة لاتزال تسيطر في كثير من النواحي والمجالات ، ولان قوى رجعية لاتزال تدعم مثل هذه الافكار **لصالحها** وصالح الاستعمار . فنحن في مدارسنا أحرار بتعليم وترقية وتجديد كل مايتعلق بالعلم والتكنولوجيا ولكننا لسنا أحراراً في

---

(٦) للتوسع راجع : F.Brown:Op.Cit.PP. 172-183

نقد الاوضاع العائلية الزرية ، ولسنا أحراراً في نقد الملكية الفردية أو الخاصة ولسنا احرارا في الدعوة الى ترك بعض أفكار عتيقة بالية ومستبقات عرقية ودينية واجتماعية ، والى الدعوة الى فصل الدين عن الدولة ومنع التعليم الديني في المدارس الرسمية ، والى الدعوة لسيطرة الدولة على جميع المرافق العامة والاشراف على جميع المؤسسات ...

وهكذا فنحن واقعون في حيرة من أمرنا وفي دوامة تتقاذفنا اذ يؤمل منا كمربين ان نعلم صلاحية وصحة **التقدم** في مجال وصحة **الاستقرار** في مجال آخر ... ولا تزال كثير من الدول الرأسمالية تعاني مانعاني .(٧)

٣ـ **الوظيفة الثالثة للتربية هي نشر الافكار الديموقراطية او جعل الافكار الديموقراطية ممكنة التطبيق في المجتمع** . قد تقتضي بعض ضرورات تاريخية وقومية احلال الحكم الديكتاتوري ولكن هذا يجب ان يكون كمرحلة انتقالية وليس كوضع ثابت مرسخ . وعلى التربية في هذا الوضع وسواه ان تنشر روح الديموقراطية الصحيحة . وهذا يعني اعداد **الشعب للحكم الذاتي الواعي** . ويبدأ هذا الاعداد بتربية الاطفال ويمتد منهم الى الراشدين . ذلك لان النظام الديموقراطي لايمكن ان يعمل بنجاح الا اذا كانت مجموعة المواطنين فيه مثقفة ثقافة حسنة وأهلا لتحمل المسؤولية . والروح الديموقراطية لاتقتضي هذا فقط بل تقتضي احترام **مبادىء الغير** وعقائدهم وشخصياتهم **وعروقهم وحقوقهم المدنية والاجتماعية** . كحق التعبير عن الرأي ، وحق الحياة الحرة الكريمة ، وحق حرية المسكن ، وحرية الاعتقاد ، وحرية تأليف الاحزاب السياسية والنقابات المهنية ، وحق التظاهر وحق العمل وحق ضمان الشيخوخة ...

٤ ـ **الوظيفة الرابعة للتربية هي : اعداد الافراد للحياة الاقتصادية** . اذ

---

(٧) لدراسة قيمة جداً عن هذا الوضع في الولايات المتحدة راجع :

Robert and Helen Lynd : Middeltown in transition. N. Y. Harcourt 1937. p.p. 204 — 241 .

يجب ان تعنى التربية باعطاء كل فرد من افراد المجتمع مهنة معينة يستطيع ان يعيش منها ويحسن في الاوضاع العامة سواء في الناحية الاقتصادية أم الناحية الاجتماعية والثقافية حيث نصل بهذا الى زيادة **مطردة في الازدهار القومي والانساني** .

وبهذا نستطيع ان نقضي على الفقر والتفسخ الاجتماعي والجرائم الاجتماعية والانحطاط الاخلاقي ، الناتجة عن سوء الاوضاع الاجتماعية وعن عدم تمكن الناس من العمل والتعبير عن قابلياتهم الجسدية والفكرية[٨] .

٥ - **الوظيفة الخامسة للتربية هي** : اعداد الانسان **المبدع والخلاق** والمواطن **الصالح** والفرد السليم من الناحيتين الجسمية والاخلاقية ، والفرد البشري المتفتح غير المغلق ، المحب لجميع الشعوب دون مستبقات عرقية .

فالتربية تهدف قبل كل شيء الى تربية الفرد ، ولكن تهدف ايضاً الى تربية الفرد المؤهل للعيش في رهط معين ، وفي مجتمع معين ، وفي انسانية شاملة ..

انها تهدف لان تزود الفرد بالوسائل التي تجعله **اقوى وافضل** واكثر ثقافة . اذ لا قيمة للتربية اذا لم تتوصل الى تقوية الحكم والمحاكمة والى تكوين وتنمية العقل **المتفتح** (Open - mindedness) ذلك العقل الذي يتفتح على كل الاتجاهات ويأخذ منها الملائم . ذلك العقل المتطور الذي يتمسك بكل ماهو جديد صالح ليستطيع ان يعيش في عالم متطور وأحيانا بسرعة ، وهذا يدفع التربية الى تبني برنامج وطرق تخلق ديناميكية قوية ومرونة فاعلة ونشيطة في سلوكات الفرد وتدفعه الى التغير والتبدل في تلاؤمه مع التبدلات الاجتماعية .

---

(٨) للتوسع في الاهداف الاجتماعية للتربية راجع :

a) R. W. Gavian, A. A. Grayand and E. R. Groves : our changing social order. p. p. 563 — 568 .

b) ويلس. ن. بوتر : التربية وسيكولوجيا الطفل. « ترجمة أديب يوسف » ٨٢-٨٩

وهكذا نقوي من شخصيات الافراد ونزيد في عدد المبدعين الفكريين والقادة الاجتماعيين الذين يساعدون على الخلق والابداع والتقدم نحو أهداف ومثل عليا انسانية دائما متطورة الى ماهو افضل واسلم واصح ... ومن اقوى وظائف التربية واكثرها ضرورية هي أن تكون مبدعة خلاقة وانشائية .

هذه الوظيفة هي بمعنى ما ، وظيفة مثالية لايمكن التوصل الى اتمامها بشكل كامل ، بل تدفع الى الاقتراب منها ماامكن. واول مراحل تطبيقها يعتبر تنمية وعي وادراك الفرق بين ماهو الآن وما يمكن ان يكون ، بين ماتوصل اليه الفرد ومايمكن ان يتوصل اليه . أي يجب ان يفكر الفرد دائما في تحسين الوضع الذي هو فيه . وافضل الوسائل لتحقيق ذلك هي ان تنمي التربية في الفرد التفكير المنطقي التفكير المتفتح ، والتفكير الناقد ، والنقد الذاتي خاصة . **والنقد الذاتي** صفة من صفات الاشخاص **الاقوياء النزيهين الشرفاء** ، اولئك الاشخاص الذين يقفون بين زمان واخر ويتأملون ويتبصرون ويحاسبون انفسهم فيتساءلون : ماذا فعلنا حتى الآن ، وماهي الاخطاء التي وقعنا فيها وماهي مساوئنا وماهي نقاط ضعفنا وماهي الوسائل لتجنبها وخنقها ، وماهي حسناتنا ونواحي قوتنا وما هي خير الطرق لزيادة انتاجها ومردودها وتفتقها.؟

وتستلزم هذه المرحلة اساساً غنياً من المعلومات السديدة المبنية على **الواقع والتجربة** لاعلى المستبقات والافكار الثابتة ، والموضوعة من قبل عقل متطور وديناميكي يحاول دائماً أن يرسم نتائج جديدة وخططاً وطرقاً جديدة . لأننا لايمكن ان نبني المجتمع السعيد ونؤسس الجنة الارضية على الاوهام والاحلام. وقد عبرت مرغريت ميد عن وجهة النظر هذه بقولها : « عم وانتشر في امريكا اعتقاد مؤثر ، هو انه يمكن ان يبنى بالتربية عالم جديد لايبقى فيه انسان لايزال يتوهم (أو يحلم) ولايبقى فيه انسان ، ربي كما ربينا، يمكن ان يتوهم (او يحلم). انهم يقررون اننا اذا تمكنا من تربية اطفالنا على ان يكونوا اكثر تحررا مما كنا ، متحررين من (القلق anxiety) ، متحررين من الاثم والخوف

ومتحررين من القسر الاقتصادي ومقتضيات الضرورة ، مجهزين بما لم يمكن ان نتجهز به ، ومدربين على التفكير والاستمتاع بالتفكير ، مدربين على ان يحسوا (أو يشعروا) ويستمتعوا بالشعور (او الاحساس) ، فسوف ننتج عندئذ نوعا جديدا من الكائن البشري لم تعرفه الارض من قبل..»[٩]

وعلى هذه الشاكلة يجب ان نكوّن رؤوس اطفالنا ، والا نحشوها حشوا بالمذاهب التي تدفعهم في طريق واحد . بل علينا تعويدهم على ان يرسموا طريقهم في المستقبل دون ان نسمهم وسما عميقا بكل افكارنا ، ونترك لهم الخيار في ان يكونوا مفاهيمهم بتجاربهم وعقولهم ، وهكذا نترك باب المستقبل حرا ومفتوحاً أمامهم . ويجب تركيز جهدنا على تعليم اطفالنا ان يسيروا هكذا بعزم وثبات دون ان نرسم ونمهد لهم سبلا (او طرقاً) مستقيمة وضيقة ، وعلينا ان نعول عليهم في شق سبل جديدة خلال الصعوبات التي تعترضهم في مستقبل لم نعده[١٠]

وعلاوة على تكوين الانسان الخلاق وجب علينا ان نعد المواطن الصالح المتلائم مع مقتضيات حاجات المجتمع ، والنازع الى معاشرة الآخرين واقامة **العلاقات والروابط الموجبة** معهم ، تلك الروابط الموجبة القائمة على **المحبة و التعاون و التآزر والتفاهم والتسامح** والتضحية في سبيلهم ، والمتحرر من المستبقات العرقية والطائفية والاجتماعية والتحاسد والتباغض والتنافس القبيح أو الذميم والانانية الخبيثة ، والنازع الى العمل على كل مافيه جدوى للمصلحة العامة ولمصلحة اولئك الذين يعيش معهم ويتطلع واياهم الى مثل أعلى والى رسالة واحدة فيها الحق والجمال وكل مايعود على الانسانية جمعاء بالخير. ويجب ان نكون الفرد المتفائل المحب للكون والارض والمحب لجميع الشعوب الحرة

---

(٩) Margaret Mead: Our educational emphasis in primitive perspective, in the amer. jour. of sociology. May 1943. vol. 48. No 6. p. 639 .

(١٠) للتوسع في هذا الموضوع راجع: Ibid. pp. 633 - 639

المكافحة مع شعبه في سبيل **الحرية والسلام والعلم** والسيطرة على كل خيرات الارض لمصلحة جميع شعوب الارض .

وعلاوة على هذا وذاك يجب ان تنشىء التربية الفرد القوي بجسده وبنيته الفرد الذي يتمكن من الكفاح في سبيل حياة افضل واسعد، ويقوى على انجاب ذرية صالحة وسليمة قادرة على خدمة وطنها وشعبها وانسانيتها .

الخلاصة :

يظهر لنا من هذا العرض المقتضب لوظائف التربية ، أن التربية اجتماعية بطبيعتها ؛ ولكن يمكن ان يبدو لنا ان هذه الوظائف الخمس متعارضة . ذلك لان التربية يجب ان تعين على تمثيل وهضم التراث الاجتماعي ، وهذه وظيفة محافظة لايمكن ان تؤدي الى خلق انماط جديدة من السلوك الاجتماعي ولا الشخصية المبدعة الخلاقة . وهذا صحيح اذا ما اقتصرت مهمة التربية على القيام باحدى هذه الوظائف دون سواها . ولكن التربية الحقيقية هي تلك التي تقتضي توازنا : فتحفظ من تراثنا الثقافي مايكفل لنا استقراراً اجتماعيا في الشخص وفي البنية الاجتماعية ، وتخلق فينا تكيفا مستمراً مع السلوكات الاجتماعية الجديدة التي يخلفها التغير والتبدل والتطور في المجتمع ونظمه ومؤسساته ومنشئاته ووسائل انتاجه ، وتثابر على السيطرة على العالم ، هذا العالم الذي يمكن للعمل والعبقرية ان يحولاه الى **واقع معاش ، الى عالم** يريد الانسان فيه ان يحصل على **الحرية** التي يمكن معها من ان يصبح متحرراً من الجهل والخرافات ، متحررا من عدم الاطمئنان والبطالة ، متحرراً من المستبقات **والتميزات** العرقية والدينية والطائفية ومتحررا من ويلات الحروب ودمارها واستعبادها.

مصادر يمكن الرجوع اليها

١ – ويلسن . بوتر : التربية وسيكولوجيا الطفل . ترجمة أديب يوسف طبعه ثانية . دمشق ١٩٥٨ .

٢ – انظر مستهل الفصل السابق (الفصل الرابع) .

٣ – L. Fournel : Notions de pédagogie générale. Paris F. Nathan. 1933 .

٤ – R. Hubert : Traité de pédagogie générale. Paris. P. u. F. 1948 .

٥ – F. J. Brown : Educational sociology . London 1947 and N. Y. 1954 .

٦ – W. B. Brookover : A. Sociology of Education. N.y. 1955

٧ – R. W. Gavian, A. A. Gray and Groves : our changing social order.

٨ – J. S. Roucek and others : Sociological foundations of education. Th. J. Crowell. N. Y. 1942. pp. 719 — 723.

الفصل السادس

التربية والدولة ـ الاشراف على التربية

التربية والدولة ونوع الحكم :

بين الدولة والتربية علاقة وثيقة ، وبما ان الدولة هي المسؤولة عن سير **المجتمع ونظامه وألفه ووحدته** الفكرية والسياسية ووضع القوانين وتنفيذها لذلك كان من الطبيعي ان تهتم بالتربية ذات الطبيعة والوظائف الاجتماعية . وعندما تتمسك الدولة بنظام حكم معين تحاول ان تفرضه على جميع مواطنيها (او رعاياها) فتلجأ الى وسائل عدة ، منها التربية، لفرض افكارها وتوجيهاتها وخلق المواقف النفسية التي تتقبلها . وعندما تستأثر طبقة (او طبقتان) فانها تحاول ان تفرض نفسها طورا بالقوة وطورا بالايحاء والاقناع والتربية ، وهكذا تتم لها السيطرة والضبط الاجتماعيان . والسيطرة الاجتماعية والضبط الاجتماعي يتمان بطريقتين : ١) طريقة **القسر والضغط** عن طريق القوانين الصارمة واستعمال القوة الحازمة ٢) والايحاء والتقمص والتقليد والتفاعل الاجتماعي والدعاية . . وقد ألح دوركهايم على هذين النوعين من السيطرة (او الضبط) الاجتماعية . .[١]

ويدرس المؤلفون الامريكيون السيطرة الاجتماعية (او الضبط الاجتماعي)

---

(١) راجع : E. Durkheim: De la division du travail social. Paris : F. Alcan. 1893

(Social control) باهتمام زائد ، حيث يبحثون في أنواعها وأسبابها ووسائلها ونتائجها ويطبقونها على المجال التربوي [٢]. وبين التربية والدعاية علاقة وثيقة سنبحثها في فصل قادم . لهذا تعمد الحكومة الى استخدام التربية اكوسيلة للضبط الاجتماعي والسيطرة الاجتماعية .. لانها بالنسبة اليها نوع من الدعاية ، وتختلف اساليب التربية واتجاهاتها في الشعب الواحد باختلاف نظام الحكم واختلاف تركيب الدولة وطبيعتها فيه . وقد اشار مونتسكيو (Montesquieu) الى هذه الحقيقة منذ القرن الثامن عشر .

يرى مونتسكيو ان قوانين التربية تختلف باختلاف انواع الحكومات او الدول : اذ يرى ان موضوع هذه القوانين هو ، **في الحكومات الملكية** ، الشرف ، وفي الجمهوريات **الفضيلة** ، وفي الديكتاتوريات أو الحكومات المستبدة **الخوف** . ذلك لان مونتسكيو يعتبر ان لكل نوع من الحكم اساسه ومبدأه ، فمبدأ الملكية الشرف ، والديموقراطية الفضيلة ، والديكتاتورية الخوف . وتحاول كل من هذه الحكومات ان تصبغ التربية بصبغة مبدئها . لنتابع رأي مونتسكيو :

التربية في الملكيات (Monarchies) :

يقرر مونتسكيو اننا لانتلقى في الملكيات التربية الاساسية في المدارس العامة ولكن عندما ندخل العالم تبتدىء تربيتنا . وهنا نجد مدرسة **مايدعى بالشرف** ، هذا السيد الشامل الذي يجب ان يقودنا اينما توجهنا .

---

(٢) من اجر هذا الموضوع راجع :

a) Gurvitch et Moore : Twenth century sociology. Philosophical library N. Y. 1946. et trade. franc. la sociologie au XXe siècle. Paris. P. U. F. chap. X.

b) F. Y. Brown: Educational sociology. PP. 556-562

هنا نرى ونسمع ترداد ثلاثة اشياء : « يجب ان نضع في الفضائل نبلًا ما ، وفي الاخلاق (أو الآداب) (Mœurs)صراحة ما ، وفي التصرفات (أو السلوكات) (Manières) **تهذيباً ما** . » ولانحكم ، في هذه الحكومات ، على الافعال لانها صالحة ولكن بأنها جميلة ، لابأنها عادلة ولكن بأنها عظيمة ، لابأنها معقولة ولكن بأنها مدهشة (أو خارقة) .

فالشرف فيها يسمح بالظرافة أو اللياقة عندما تقرن بفكرة عواطف القلب أو فكرة الفتح . ولهذا تكون الاخلاق في الملكيات أقل نظافة وطهارة منها في الجمهوريات .

ويسمح بالخديعة عندما تقرن بفكرة عظمة الفكر أو عظمة الاعمال أو الشؤون كما في السياسة مثلا . أما بالنسبة **للاخلاق** (أو الآداب) فقد قلت عنها انها تستلزم صراحة ما . أي انها تستلزم **الحقيقة** في الاقوال . ولكن هل تقتضي هذا حباً بالصراحة ؟ اطلاقاً ! . انها تطلب ، لأن الرجل الذي تعود على قولها يظهر بمظهر الجريء والحر ... انها لدى النبلاء مظاهر ولهذا فهم يحتقرون صراحة الشعب المليئة بالحقيقة والبساطة .

أما القول بأن التصرفات يجب أن تتحلى **بالتهذيب** . فهذا شيء طبيعي حيث ان الانسان يجب ان يعيش مع الآخرين ، ويجب ان يرضيهم ويسرهم والا فانهم يحتقرونه ، ويصبح عاجزاً عن تحقيق أي خير او صلاح . ولكن لايستمد هذا التهذيب أصوله من منابع ظاهرة، بل من الميل الى التميز والتفرد. ان الزهو أو الصلف هو الذى يدعونا الى التهذيب . فالتربية تنصب على كل هذه الامور لتخرج الرجل الشريف المتحلي بكل الفضائل التي يتطلبها هذا النوع من الحكم .

اذن للشرف قواعده، وعلى التربية ان تتقيد بهذه القواعد ، واهم هذه القواعد هي الآتية :

١) يسمح لنا تماماً أن نبالي بثروتنا ولكن لايسمح لنـا اطلاقاً ان نبالي بحياتنا .

٢) عندمانعين في مركز أو مرتبة ما ، فعلينا ان لانفعل أو نتحمل مايظهر اننا ادنى من هذه المرتبة أو المركز .

٣) الامور التي يمنعها الشرف تعتبر أكثر منعاً (أو تحريماً) عندما لاتحرمها القوانين ، والامور التي يتطلبها تعتبر اكثر ضرورة عندما لاتتطلبها القوانين ..

التربية في الحكومة المستبدة :

وكما أن التربية في الحكومات الملكية لاتعمل الا على السمو بالقلب (او العواطف) فانها في الحكومات (أو الدول) المستبدة لاتعمل الى على تذليله أو اذلاله والحط من قواه . يجب ان تكون التربيـة **استعبادية** ... تفترض الطاعة العمياء والجهل في ذلك الذي يطيع ، وفي ذلك الذي يأمر . لأن على هذا أن يريد فقط لا أن يفكر ويشك ويحاكم . وفي الدول المستبـدة ، يعتبر كل بيت مملكة منفصلة . فالتربية ، التي تقتضي بصورة رئيسية العيش مع الآخرين ، هي اذن محدودة جداً . انها تقتصر على بث الخوف في القلب ووضـع معرفة بعض مبادىء دينية بسيطة جداً في الفكر . اذ المعرفة في هذه الدولة تصبـح خطرة والتنافس مشؤوماً ... فيمكن القول بمعنى ما ان التربية فيها باطـلة . اذ يجب نزع كل شيء لاعطاء بعض الشيء ؛ والبدء بتكوين **الانسان السيء للتوصل الى تكوين العبد الصالح** ..

لما يجب أن تهتم التربية فيها بتكوين المواطن الصالح الذى يساهم في التعاسة العامة ؟ فان احب الدولة ، فانه عندئذ يحاول أن يفك أو يحل نوابض (أو أسس) الحكومة . فان لم ينجح أضاع نفسه ، وان نجح تعرض لان يضيـع نفسه والامير والمملكة ..

التربية في الدولة الجمهورية :

نحتاج ، في الحكومة الجمهورية ، الى فعل أو قوة التربية بكامله . اذ يخلق الخوف في الحكومات أو الدول المستبدة من ذاته خلال التهديدات والعقوبات وينمو الشرف في الدول الملكية بفضل الاهواء . . ولكن الفضيلة السياسية هي عبارة عن **نكران للذات** وهذا امر شاق دوماً .

ويمكن ان نعرف هذه الفضيلة بحب القوانين والوطن . ويستلزم هذا الحب تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الشخصية . . هذا الحب مرتبط خاصة بالديموقراطيات . ذلك لان فيها ، دون سواها ، تعطى السلطة أو الحكم الى كل مواطن . . . وللمحافظة على الحكومة أو الدولة يجب أن نحبها . فالامر متعلق اذن بخلق هذا الحب في الجمهورية . ويجب ان تتعلق التربية وتهتم بسكبه في النفوس . ولكي يملك الابناء هذا الحب هنالك وسيلة أمينة هي امتلاك الأباء لهذا الحب . . . والآباء ، في هذه الدول ، أحرار وأسياد في اعطاء معارفهم وأهوائهم الى ابنائهم . فاذا لم يحصل هذا فمعنى ذلك ان مايتم في البيت الأبوي يهدم من قبل الانطباعات الخارجية . . .[٣] .

لا نحب هنا أن نناقش مونتسكيو اذ ان كثيراً من آرائه التي كانت تنطبق على دول قديمة أم على دول عاصرها هو بنفسه ، لم تعد تنطبق على الدول في أيامنا هذه . اذ ليس من الصحيح مثلا أن كل حكم ديكتاتوري يقوم على الجهل ، وان قام على الخوف في كل زمان ومكان . وكذلك ليس صحيحاً ان نعتقد بأن كل حكم ملكي يؤدي الى تربية المظاهر والمجاملة والتعلق بالمنصب والشرف والتضحية بالذات في سبيل الملك . . . ولكننا أثبتنا أقواله لنظهر لكم ان هذا

---

(٣) مقتبسة عن :

Montesquieu : de l'esprit des lois .Livre I.chap. I-V

المؤلف أدرك منذ القرن الثامن عشر ارتباط التربية بالدولة أو نظام الحكم . وسنعطيكم بعض امثلة موضحة تثبت لكم هذه الحقيقة .

فمثلا عندما كان الحكم القيصري قائماً في روسيا كانت التربية تلح على التعلق بالقيصر ، وتلح أيضاً على الافكار الدينية والعقائد المثالية والخيالية التي تساعد جميعاً على تثبيت الاوضاع القائمة ، كما كان يظهر فيها تحقير للعمل اليدوي ، وكانت هناك كثير من المدارس الاجنبية والوطنية الدينية والطائفية . وكان التعليم وقفاً على فئات معينة ويحرم منه كثير من ابناء الفلاحين خاصة وابناء العمال . وعندما قلبت الثورة الروسية الكبرى الحكم القيصري واستبدلته بالحكم الشيوعي لجأت الدولة الشيوعية او الاشتراكية الى تربية معاكسة تماما للتربية السابقة . فاصبحت التربية تلح على الشعب بدلا من القيصر وعائلته واتباعه ، وتلح على الافكار الماركسية والعلمية المعاكسة تماما للافكار الدينية وتضع العمل وخاصة العمل اليدوي كأساس للحياة الكريمة . وألغت جميع المدارس الاجنبية والدينية وأشرفت اشرافا كاملا على تعليم النشء وعممت التعليم على جميع أبناء الشعب بعد ان اصبح الزاميا ومجانياً ومنحياً .

أما في سوريا (قبل الوحدة) فقد تطورت التربية بتطور العهود التي تتالت عليها . فالحكم التركي كان مستبداً واستعماريا وطائفياً . فتجلى هذا في التربية . اذ كانت التربية تقوم على القسر والعنف والطرق العتيقة البالية ، وقتل الشخصية ، وكان المعلمون والمدرسون يعينون احيانا من فئة يمكن اعتبارها جاهلة لا تعرف سوى القراءة وكتابة الخط . ولهذا كان الاحتقار والازدراء لاصقين بهذه الفئة . وكان التعليم يقوم على أساس طائفي . فهناك مدارس طائفية للمسيحيين : منها الروسية ومنها الامريكية ومنها الانكليزية ومنها الفرنسية . . ومدارس طائفية للمسلمين وكانت مدارس رسمية بصورة خاصة . وحاول الحكم التركي استعمال اللغة التركية بدلا من العربية محاولة منه لتتريك البلاد العربية وادامة استعمارها . وكانت الامية منتشرة بشكل واسع جداً حتى ان بعض المناطق كجبال العلويين

وجبل الدروز كانت محرومة من المدارس تماما ؛ وكانت الامية منتشرة بين ٩٨ ٪ من السكان على الاقل . وعندما حل الانتداب الفرنسي محل الحكم التركي، أشرف المسؤولون الفرنسيون اشرافا كاملا على التعليم . وعينوا معلمين ومدرسين كانوا جواسيس وعيونا لهم على المواطنين . وشجعوا التعليم الطائفي وتركوا الحرية الكاملة لبعض مدارس طائفية وتبشيرية وحاولوا ان يلحوا على اللغة الفرنسية فكانت تدرس جميع المواد العلمية بها . كما ألحوا على الثقافة الفرنسية والتاريخ الفرنسي وجغرافيا فرنسا ومستعمراتها ؛ وكانوا بالمقابل يكرّهون بكل ماهو عربي ويشجعون كل النزعات الانفصالية والطائفية . . .

وعندما تسلم العهد الوطني بعد عام ١٩٣٦ حاول ان يعيد اهمية اللغة العربية، فأمر بتدريس جميع المواد العلمية بها ، كما حاول ان يلح على وحدة الوطن السوري بجميع اجزائه : سورية الحالية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن . وبعد الجلاء سنة ١٩٤٦ قوى العهد الوطني المفهوم العربي وابرز الاتجاه نحو القول بالوحدة العربية وألح على تدريس التاريخ العربي وجغرافيا البلاد العربية . ولكن العهد الوطني تمسك بالتعليم الديني في المدارس لتثبيت بعض أوضاع معينة . وهذا ماجعله يتسامح نوعاً مامع المدارس الطائفية لأن ديانات بعض الطوائف لاتدرس في المدارس الرسمية كما يدرس الدين الاسلامي . وكان هم العهد الوطني القضاء على الامية وتخريج مدرسين ومعلمين ليشغلوا فراغ التعليمين الابتدائي والثانوي . كما كان همه الالحاح على **قدسية الملكية الفردية** وقد صانها بالدستور والقوانين والقوة . ذلك لان الطبقة التي كانت تسيطر آنذاك كانت طبقة الملاكين الكبار والعائلات الارستوقراطية في المدينة والريف . والآن وقد بدأت الطبقة الوسطى تسيطر على جهاز الحكم فسنرى تبدلا في الافكار والمفاهيم والقيم والاساليب التربوية .

لماذا تتمسك الدولة بالتربية ؟ :

لكل نظام حكم أهداف وغايات يريد ان يحققها . لذلك يلجأ الى جميع

الوسائل لتحقيق هذه الغايات وتلك الاهداف . وبما ان التربية هي احدى هذه الوسائل الاكثر فعالية ، لانها تعتمد على **الاقناع والفهم والايحاء والقسر احيانا** ومبادىء التعلم بكاملها، لذلك كان من الطبيعي ان تلجأ اليها الدولة قبل سواها.

أ – فاذا كانت الدولة تريد ان تثبت وضعاً اجتماعياً أو ثقافياً أو سياسياً فانها تلجأ الى التربية وتجعل هذه تلح على احدى وظائفها الاساسية التي هي نقل التراث الحضاري والثقافي. فعندئذ تصبح التربية محافظة ورجعية بأساسها وتدعم بذلك أهداف الحكام الذين يريدون ان يستمروا بسيطرتهم واستغلالهم مع الطبقة التي يمثلونها لطبقات معينة .. وهكذا تكون التربية وسيلة لتثبيت الوضع القائم (Statu quo) . وخير مثال على ذلك التربية في بلاد كشرقي الاردن والعربية السعودية وايران ولبنان والباكستان والسودان ...

ب – **واذا كانت الدولة تريد نسف الماضي** واستبداله بحاضر ومستقبل جديدين لجأت الى التربية والحت على احدى وظائفها التي تقتضي خلق سلوكات جديدة تتلاءم مع الضرورات الاجتماعية المستجدة. وخير مثال لنا هناهو الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية هاتان الدولتان اللتان حاولتا ان تقتلعا الماضي العتيق من جذوره وتستبدلاه بحاضر جديد يتفق وروح العلم والحضارة الحديثة .

ج – **واذا كانت الدولة تريد ان تثبت** مصالح طبقة معينة وخنق الطبقات الاخرى لجأت عندئذ الى التربية مستغلة فيها وظيفة أساسية من وظائفها : هي **« ترويض » الناس** على قبول ما يريده الحاكم أو « الاب » أو الرئيس أو الزعيم ... كما حدث في المانيا النازية وايطاليا الهتلرية ، حيث حاولت الطبقة البرجوازية في كل منهما ان تخنق الحركات العمالية والتقدمية فاستعانت بوسائل عديدة ، منها التربية وعلماء التربية وفلاسفة التربية والمشرفين على التربية .

د – **واذا ما ارادت الدولة تهديم الفروق الطبقية** القائمة على العائلية والمال والتحزب السياسي لجأت الى تأمين فرص متساوية لجميع المواطنين ليتموا تعليمهم كل حسب كفاءاته . ويتم هذا عن طريق تأمين **تعليم الزامي ومجاني ومنحي** .

وخير مثال على هذا الاتجاه ما طبق في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية. وكان من نتيجة هذا الاتجاه ان ارتفع ابناء الطبقة الكادحة الفقيرة الى أعلى مراتب الدولة والى أرقى الفئات الاجتماعية ، بينما كانت هذه الطبقة الكادحة سابقاً مهملة وجاهلة وبعيدة عن أن تعبر عن كل فاعلياتها وامكانياتها . وحبذا لو طبقنا في بلادنا نفس الاتجاه لنرفع الظلم الاجتماعي المحيق بطبقاتنا الفقيرة التي تضم العمال والفلاحين وسواهم من الكادحين .

هـ - **واذا ما شاءت الدولة اقامة نظام اقتصادي سليم** واشاعة ازدهار مادي مسعد ، لجأت الى التربية تطلب منها العون لتقدم لها الاختصاصيين لكل ناحية من نواحي هذا الاقتصاد . فاذا **قررت القيام بالاصلاح الزراعي اكثرت** تبعاً لذلك من المدارس الزراعية والجامعات التي تخرج المهندسين الزراعيين والعمال والفنيين في جميع النواحي الزراعية التي يشملها ذلك الاصلاح . واذا قررت القيام بالاصلاح الصناعي اكثرت من افتتاح المدارس الصناعية والمهنية التي تخرج كل الفنيين الذي يحتاجهم ذلك الاصلاح. وهكذا نرى ان الحكومات التي تسير على اساس اقتصادي موجه تلجأ لان تجعل صلة قوية بين برامج التربية والتعليم من جهة والمتطلبات الاقتصادية من جهة ثانية .

و - **واذا ما ارادت الدولة اشاعة العينية** والتماثل بين المواطنين: العينية في اللباس والعينية في **التفكير** والعينية في الاخلاق والعينية في المشاعر ، لجأت أيضاً الى التربية التي هي خير وسيلة لتطبيق مثل هذا المشروع . وهذا الميل ظاهر في الدول الديكتاتورية اكثر من سواها . وقد يكون في هذا الاتجاه خير أحيانا كما في الدول الاشتراكية الصميمة . وقد يكون فيه سوء وشر كما في الدول الديكتاتورية العسكرية أو الديكتاتورية القائمة على أساس بورجوازي واقطاعي واستعبادي .. ومهما يكن من أمر فان محاولة صبغ جميع المواطنين بنفس الصبغة ومحاولة تطبيعهم و « ترويضهم » على نفس السلوكات يعد مضراً في النهاية وعائقاً **للابداع والتنوع** والعفوية التي تظهر اكثر ما تظهر مع **الحرية** الحقيقية .

ز – واذا ما شاءت الدولة تهيئة مواطنين واعين ومبدعين لجأت أيضاً الى التربية تستغل احدى وظائفها الهامة التي هي تنشئة المواطن الواعي والصالح والمبدع..

وهناك مشاريع كثيرة **اجتماعية وسياسية** لاتتمكن الدولة من تطبيقها الا اذا استعانت بالتربية التي تهيء **الاذهان** والاختصاصيين والوضع الاجتماعي الملائم لها.

اشراف الدولة على التربية:

بعد أن رأينا العلاقة الوثيقة بين التربية والدولة، نبادر فنسأل: هل يحق للدولة الاشراف على التربية؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نعرض بعض آراء الفلاسفة والمربين والاتجاهات في بعض الدول حول هذا الموضوع.

اختلاف الفلاسفة والمربين حول هذا الموضوع:

يعتقد بعض الفلاسفة والمربين ان الدولة يجب ان تشرف على التربية في جميع مراحلها. **ومن هؤلاء افلاطون** وفلاسفة الشيوعيين في روسيا وكذلك فلاسفة النازية والفاشيستية سابقاً.

فأفلاطون جعل للتربية أهمية عظمى في كتابه «الجمهورية»، وقد تأثر بهذا، وبنواح أخرى سياسية واجتماعية، بالنظام الذي كان يسود في اسبارطة. ولهذا أخذ عن التربية الاسبارطية تلك المبادىء التي تجعل للحكومة السيطرة المطلقة على شؤون التربية والتعليم. وتقتصر غاية التربية، لديه، على خدمة الحكومة وتوجب احترام العادات والقوانين القديمة المؤسسة على العواطف والميول النفسية. ويرى أفلاطون ان على الدولة ان تشرف وتسيطر على التربية وفي مختلف درجاتها. وقد رأى ان يؤخذ جميع الاطفال ويربون معاً ويخضعون لنفس

النظام التربوي ولنفس الافكار ولنفس الاساليب . ويربون هكذا الى الثامنة عشرة من العمر . وكل من يبرهن منهم على كفاية تامة وقدرة عظيمة تنتهي تربيته في هذه السن . ويتكون من هؤلاء طبقة الصناع في المدينة . أما الذين يتفوقون فيخضعون للتربية العسكرية حتى العشرين . وينتقى الجنود من اولئك الذين يقف بهم نموهم الفكرى عن تجاوز هذه المرحلة . أما الذين تظهر عليهم دلائل الذكاء والنبوغ فيدرسون ويخضعون لنظام تربوي خاص حتى الخامسة والثلاثين من أعمارهم ، وهؤلاء يكوّنون الفلاسفة الذين هم حكام الجمهورية [١] ..

أما أرسطو فيرى ان يقوم الآباء على تربية ابنائهم منذ ولادتهم الى السادسة من العمر ، وبعد هذا يجب ان تهيمن الحكومة على التربية كما قضت بذلك النظم الاسبارطية . ويرى ان تكون التربية عامة شاملة لكل افراد الدولة . وحرم من هذا الحق العبيد والصناع [٢] .

أما المربون في روسيا فيرون ان الدولة يجب ان تشرف اشرافاً تاماً على التربية لتطبع الجميع بالنزعة العلمية الصحيحة وبطابع الماركسية ـ اللينية ولتمنع الطبقات البورجوازية ، أو أولئك الذين لا تزال فيهم رواسب الماضي راسخة ، من توجيه بعض المواطنين والسيطرة عليهم والعمل على تهديم النظام الاشتراكي أو ديكتاتورية العمال والفلاحين ...

أما آراء بعض المربين في المانيا النازية فقد رأيناها في فصل سابق ولا حاجه لترديدها هنا [٣] .

وأما آراء المربين والفلاسفة في الدول الديموقراطية فتميل نحو الاعتدال

---

(١) للتوسع راجع : ١) افلاطون : الجمهورية . ٢) مصطفى امين : تاريخ التربية ص ٧٨ - ٨٢ .

(٢) راجع : مصطفى امين : ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) راجع ١) الفصل الرابع : التربية والمجتمع .

٢) Ecyclopédie française . Tome XV (1939) Secti - on B Chap . II

في الاشراف كما في فرنسا وانكلترا وسويسرا والدانمارك. ويميل بعض المؤلفين في الولايات المتحدة الامريكية الى القول بعدم اشراف الدولة على التربية .

اختلاف الدول حول هذا الموضوع

وتختلف الدول ، كالفلاسفة والمربين ، حول هذا الموضوع . ويمكن ان نصنف اتجاهات الدول القديمة والحديثة بالنسبة للاشراف أو عدم الاشراف على التربية الى أربعة أنواع من الانظمة :

١ - النظام الاول ويقتضي الاشراف التام والسيطرة الكلية والاحتكار المطلق لشؤون التربية .

ونقع في الدول القديمة على هـذا النظام في اسبارطة . اذ كانت الحكومة تأخذ الطفل من والديه في سن السابعة وتتولى تربيته مع الاطفال الآخرين في أبنية حكومية عامة . وكان الاطفال يخضعون حتى الثامنة عشرة من عمرهم الى نوع واحد من التربية البدنية والخلقية والعقلية والجمالية أو البديعية . وبعد الثامنة عشرة يمرن الشباب على شؤون القتال والحرب، وفي العشرين من عمرهم ينتظمون في سلك الجيش ويظلون فيه عشر سنوات ، تجبرهم الحكومة بعدها على الزواج ومراقبة شؤون الغلمان والشباب وتدريبهم والاكل معهم على موائد عامة [٤]..

ونجد هذا النظام أيضاً في الدول الحديثة : كروسيا السوفيتية الحالية حيث تسيطر الدولة سيطرة تامة على التربية وشؤونها ونشرها بين جميع طبقات الشعب دون تمييز بين فئة وفئـــة . وهكذا فالتربيـة محصورة تماماً بيد الدولة والمشرفين عليها [٥] .

---

(٤) للتوسع راجع : مصطفى امين : تاريخ التربية ص ٣٦ - ٤٣

(٥) للتوسع راجع : ي . ن ميويتسكي : التربية العامة في الاتحاد السوفياتي (ترجمه حسان زهري) جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي (١٩٥٩) .

اما النظام الفاشيستي في ايطاليا فقد كان يشرف على التربيـة اشرافاً قوياً وكان يميل الى حصره حصراً تاماً بيده وذلك بمحاولة منع كل تعليم طائفي وخاص واجنبي . لأن النظام الفاشيستي كان يعبر عن رأيه بقول موسوليني «الفاشيستية تريد الدولة» ولا تعتقد الفاشيستية بامكان إقامة نظـام اجتماعي لا يتم ضمن اطار الدولة ...

وتتمكن الدولة وحدها دون سواها من التسامي فوق مصالح الافراد ، أو الرهوط ، المتضاربة بقصد توجيههم نحو هدف أسمى . . وتتمثل هذه الدولة كديموقراطية مركزية ومنظمة وصحيحة وتامة » (٦) .

وهكذا كان النظام الفاشيستي يشرف على التربية بواسطة المدارس من جهة وبواسطة منظمات الاحداث والشباب من جهة ثانية . . (سنعود في نهاية هذا الفصل الى كيفية الاشراف الفاشيستي) . **أما النظام النازي في المانيا** فلم يكن يختلف في اتجاهه عن النظام الفاشيستي (٧) .

وهكذا نرى ان الانظمة الديكتاتورية سواء منها ديكتاتورية الكادحين والاغلبية الساحقة أي ديكتاتورية العمال والفلاحين ، أم ديكتاتورية البورجوازيات المتسلطة أم ديكتاتورية العسكريين ، تميل جميعاً الى السيطره على التربية والاشراف عليها كل ذلك في سبيل تثبيت وضع سياسي واجتماعي قد يكون حسناً وخيراً وقد يكون سيئاً وشراً .

٢ – النظام الثاني ويستلزم الفصل التام بين المدرسة والدولة :

ونجد هذا النظام في الولايات المتحدة الامريكية حيث تسيطر الحرية غير المساعدة (أي حرية التربية والمدرسة دون ان يكون لهـا حق المساعدة من الحكومة المركزية) . فاذا استثنينا بعض مدارس البحرية والجيش لتخريج

---

(٦) J.F. Brown : Educational sociology . P, 66

(٧) راجع الفصل الرابـع : التربية والمجتمع .

الضباط والاختصاصيين المهنيين وبعض مؤسسات اصلاحية حكومية كاصلاحيات الاحداث واصلاحيات السجون ومدارس الطرشان والخرسان وسواها ، نقول اذا استثنينا هذه المدارس والمؤسسات لاحظنا ان الاشراف على التربية والتعليم مرتبط بالافراد او بالجماعات : **الحكومات المحلية والكنائس والجمعيات الخيرية** والافراد او الشركات الصناعية الكبرى (كمؤسسة فورد) . . وهكذا فان « مكتب الدولة » المخصص للتربية (أو قل وزارة التربية والتعليم) يقتصر عمله بصورة رئيسية على نشر الاخبار والمعلومات والنصائح . وتمارس الحكومة المركزية (**او الاتحادية**) بعض السيطرة على المدارس المهنية والعسكرية باعطائها المنح والمساعدات، ولكن ادارة وسياسة المؤسسات العامة ترتبطان عادة بحكومة المقاطعة أو بالقائمين على شؤونها. وهذا يؤدي الى تنوع شديد في البرامج التربوية بين مقاطعة واخرى [٨] .

وهكذا فكل مؤسسة تربوية تعتبر حرة بتعليم ما تريد ووضع البرامج الملائمة للبيئة التي تدرس فيها . ولكن هذا لايمنع ان تتدخل الحكومة المركزية وبشدة في شؤون بعضها عندما تتنافى بعض الاتجاهات والاساليب التربوية وبعض المثل العليا الوطنية والنصوص الدستورية . كالذي حدث منذ اكثر من عام عندما تدخلت الحكومة المركزية بسلطتها وقواتها الحربية في قضية ليتل روك Little Rock المتعلقة بطرد الطلاب السود من مدارس البيض . وتمسكت الحكومة المحلية بالتميز العرقي وعاندت وأصرت على الاستمرار في الفصل بين السود والبيض . ولكن الحكومة المركزية نجحت في النهاية في ادخال السود الى المدرسة واجلاسهم الى جانب البيض يتلقون العلم معاً .

٣ ــ النظام الثالث ويقتضي الفصل الجزئي بين التربية أو المدرسة او الدولة

ونجد هذا النظام في فرنسا حيث يوجد فيها تعليم عام تابع للدولة (مدارس

---

(٨) راجع : J.L.Gillin and J. Ph. Gillin : An introduction to sociology p. 413

رسمية) وتعليم خاص مراقب ولكن غير مساعد من قبل الدولة .

٤ـ النظام الرابع ويدعى بالمختلط :

ويوجد فيه التعليم الرسمي العام الى جانب التعليم الخاص المراقب والمساعد من قبل الدولة . ويسود هذا النظام في انكلترا وهولندا وبلجيكا والجمهورية العربية المتحدة ... اما في انكلترا فتدفع الدولة للمدارس الخاصة اعانات ضخمة على ان تقبل بصورة اجبارية نصف تلاميذها على نفقتها .

النظام الحالي في الاقليم السوري :

والنظام الحالي في الاقليم السوري هو وريث النظام الفرنسي الذي فرضه المستعمرون زمانا لابأس به على بلادنا ، وهو ايضاً وريث العهد الوطني السابق الذي كانت تسيطر عليه طبقة ارستوقراطية المدن ومالكي الارض الكبار في الريف . وحاول الوضع الحالي ان يتخلص من كثير من المساوىء ولكنه لايزال غارقاً فيها .. ففي الاقليم السوري مدارس رسمية ومدارس خاصة . اما المدارس الخاصة فمنها الوطني **الحزبي** ومنها **الوطني الطائفي** ومنها الوطني **التجاري** ، ومنها **الاجنبي الطائفي** ومنها **الاجنبي اللاييكي** . وتقوم المدارس الخاصة في المستوى الابتدائي بربع العبء التعليمي ، وفي المستوى الثانوي بنصف العبء التعليمي تقريباً . ولما كانت مخصصات وزارة التربية والتعليم غير كافية لافتتاح مدارس تحل محل المدارس الطائفية والتجارية والحزبية ... ولما كانت المدارس الرسمية عبارة عن مدارس طائفية او شبه طائفية حيث يدرس فيها دين واحد دون سواه ، هو الدين الاسلامي ، لذلك كان من الصعب على هذه الوزارة ان تغلق تلك المدارس . لهذا آثرت نظام الاشراف عليها بارسال المفتشين بصورة مستمرة لتفتيشها ومراقبتها واجبارها على تطبيق البرامج الحكومية الرسمية ، بعد ان قدمت لها بعض المساعدات المادية الطفيفة من ١٠٠٠ـ٣٥٠٠ ليرة سورية

وندب احد معلمي التعليم الابتدائي لكل منها . وقد عينت مديرا عربيا لكل من المدارس الاجنبية . ونحن مع اشراف الدولة على المدارس الخاصة ، وخاصة الطائفية والحزبية والاجنبية منها. لا بل نميل الى اغلاق هذه الاخيرة عندما تتوصل الحكومة الى اقامة نظام تعليمي لا يبكي ، والى مدارس وطنية تستطيع ان تؤمن تعليم اللغات الاجنبية بصورة كافية وراقية ...

وهكذا نرى ان جميع الدول الحديثة تمارس على التربية والتعليم اشرافاً وسيطرة قد يزيدان وقد ينقصان وهذا تابع لنوع النظام السياسي والاجتماعي في كل منهما . وكلما اقتربت البلاد من الديموقراطية والاستقرار مالت الى الاضعاف من هذه السيطرة وذلك الاشراف .

لماذا يحق للدولة الاشراف على التربية ؟ مالت الدول القومية الاوروبية الحديثة الى فصل التعليم عن الكنيسة ، ولذلك حاولت كل منها ان تقضي على تسلط رجال الدين على التربية . وأول دولة بدأت بهذا الاتجاه كانت الدولة البروسية في زمن فريدريك الاكبر عام ١٧٦٣ ولم تستطع ان تنفذ تطبيق التعليم الرسمي قبل عام ١٧٩٤ . وكذلك بدأت فرنسا في عام ١٧٧٤ بانشاء بعض المدارس الثانوية ودور المعلمين الوطنية الرسمية وباشرت بالتعليم الابتدائي العمومي في عام ١٨٢٣ . وطبقت التعليم الابتدائي المجاني والاجباري في عام ١٨٨٢ . وادخلت التربية الاجبارية في انكلترا عام ١٨٧٦ ولم يقم نظام مدارس رسمية حقيقية قبل عام ١٨١٩ .. وكذلك طبقت بعض حكومات الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٨٣٤ التربية العمومية المجانية [٩] .

وهكذا تابعت بقية الدول الحديثة هذا الاتجاه واصبح للدولة **وظيفة تربوية** علاوة على وظائفها السياسية والدفاعية والاجتماعية والتشريعية والادارية

---

(٩) راجع : Ibid, : P .408

والقضائية والاقتصادية [١٠] واصبحت الوظيفة التربوية في أيامنا من **اهم وظائفها الاساسية** ونافست في هذه الناحية الاسرة والكنيسة او الجماعة الدينية . وتخول هذه الوظيفة الهامة الدولة حق الاشراف والسيطرة على التربية والتعليم في سبيل المحافظة على المجتمع . وكما يقول دوركهايم : « يجب ان تؤمن التربية بين المواطنين وحدة كافية من الافكار والمشاعر (أو العواطف) يستحيل بدونها (قيام) اي مجتمع . ولتتمكن من احداث هذه النتيجة وجب ايضاً الاتهمل كليا لتحكم الخصوصيين . ويتابع دوركهايم قوله : « ومنذ اللحظة التي تصبح فيها التربية وظيفة اجتماعية بصورة أساسية فان الدولة لايمكن ان تغفل الاهتمام بها . وعلى العكس من ذلك ، فكل ماهو تربية يجب ، بمعنى ما ، أن يخضع لها » . [١١]

وهكذا فان الدولة الحديثة التي اوكل اليها تأمين الحياة المادية للامة ، يصعب عليها ان تهمل حياتها الروحية والفكرية ذلك لان الاولى مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالثانية . وزيادة على هذا فان جوهر النظام السياسي الحديث هو **كونه نظام الحقوق** . فيجب على كل مواطن ان يعرف بعض مبادىء عن حقوق بلاده وعن حقوقه وواجباته الشخصية . وهذا مستحيل دون أقل قدر ممكن من التربية والتثقيف . ولا تتطلب الديموقراطية من كل منا فقط فضيلة اوفى ، كما كان يزعم مونتسكيو ، بل تتطلب ايضاً معلومات اوفى وتفكيراً شخصياً اوفى .

واصبح التعليم حقاً مقدساً لكل مواطن . وهو الوسيلة الوحيدة التي نكون بواسطتها شخصية الطفل الاخلاقية من جهة ، ونجعل منه ، من جهة اخرى ، عضوا واعياً في المجتمع السياسي . وهكذا تستلزم تربية المواطن : تأهيل الطفل للحياة الوطنية في الماضي (تعليم تاريخي) وفي الحاضر (تعليم اخلاقي)

---

(١٠) من اجل وظائف الدولة راجع :

A. Lemonnyer, J. Tonneau et R.Troude : précis de sociol - ogie.Marseille (1934) pp .339-372

(١١) E. Durkheim : Education et sociologie p. 6 0

وتسمح له بان يكتسب حقاً صفة الرجل (او الانسان) ونعني قيمة واحتراما (تعليم ثقافة عامة) وتهيئته لان يقوم بوظيفته التي تؤهله لها كفاءاته واذواقه (تعليم مهني)

ومهمة الدولة هذه يجب ان تنطبق على جميع مراحل التعليم والتربية . اذ عليها يقع عبء السهر والمحافظة وزيادة جميع القيم الاجتماعية التي تؤلف الارث الاجتماعي والوطني . وليست القيم الفكرية من هذه الناحية ، اقل قيمة من القيم الاقتصادية . ذلك لان خلق النخبة للادارة الروحية للبلاد (هدف التعليم الثانوي) ونشر الثقافة العلمية العالية (هدف التعليم العالي) وخلق وسائل البحث والعمل (المكتبات والمخابر ..) ليست أقل ضرورة من نشر الثقافة الاولية العامة (هدف التعليم الابتدائي) والمختص (هدف التعليم المهني) .

وهذا مايجعل المعلمين والمربين اقوى الدعائم للمؤسسات الديموقراطية . اذ بينما تعيش الملكيات المطلقة بفضل وحظوة التقاليد الدينية والاوليغارشيات والاقطاعيات بفضل حظوة السلطة الاقتصادية او الحزبية ، فان الديموقراطيات الصحيحة تعيش بفضل القوة التربوية للمدرسة وبفضل شعور المربين بالرسالة التي اوكلت اليهم . وهي رسالة جليلة حقاً .

ولا تتمكن أية مؤسسة سوى الدولة ان تؤمن مثل هذه الثقافة والتربية لكافة المواطنين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم وأوضاعهم المادية . ومن هنا جاءت ضرورة التعليم الاجباري وتستطيع الدولة وحدها القيام بهذا العبء الثقيل والمجهود الضخم .. ولا يعني اشراف وسيطرة الدولة على شؤون التربية والتعليم اطلاقا حصرهما فيها بصورة مطلقة . لان الحصر والسيطرة الكلية مضران ومعيقان للعملية التربوية الصحيحة . وهذا للاسباب الآتية :

١) لاتتمكن الدولة من اعطاء تربية كاملة في النواحي **الدينية والاخلاقية والطباعية** .

٢) تصبح الدولة مع الزمن **محافظة** . ولهذا تكون المؤسسات الخاصة والافراد المختصون اكثر تجديداً وتقدمية . حيث يميل تعليم الدولة الى تطبيق

توحيد مناهج الدراسة وتبسيط الوسائل والطرق وعينية الافكار، وهذا الايلائم جميع المواطنين: المعلمين منهم والمعلمين .

٣) **وعندما تؤمم التربية** : فان المخصصات الحكومية تصبح مع الزمن غير كافية لحاجاتها . وتهمل كثيراً من الاصلاحات وتتأخر عن القيام ببعض التجديدات ، كما تعرقل **نمطيتها (او روتينها)** السرعة في تطبيق الاصلاح ، وخير مثال على هذا الروتين الخانق الروتين في بلادنا. اذ اذا طلبت احدى المدارس مكنسة أو لوحا زجاجيا لنافذة كان كان عليها تنتظر أشهرا لانزيد تعيينها لئلا نجرح شعور المسؤولين القائمين على شؤون التربية في بلادنا !!

٤) في الديموقراطيات وفي الديكتاتوريات على السواء يمكن ان يسيطر حزب (او طبقة) على جهاز الدولة وعندها تميل لان تسيطر على الجهاز التربوي وتتخذ منه منبراً للدعاية له ولمبادئه ، ويجوز باستمرار في مناهجه ويثقل على روحه ، واتجاهه . والتعليم يجب الا يفرض من قبل فئة من فئات أخرى. وكما يقول دوركهايم : « لايمكن ان تكون المدرسة (ملكا) لحزب، ويقصر المعلم في واجباته عندما يستخدم السلطة التي يملكها ليجر تلاميذه الى **عتيق افكاره المسبقة الشخصية** مهما امكن ان تبدو له مبررة . . »[١٢] ومهما يكن من امر ولتجنب هذه المحاذير ، وجب ان نتعلق بحرية التربية والتعليم مع الاعتراف بحق اشراف الدولة المحدود والمعقول عليها . ويجب ان تعطي الدولة الحرية للمدارس الخاصة على شرط ان تتقيد جميعاً بمبادىء اصبحت مقدسة بالنسبة لكل **عربي شريف وواع هي** :

١) — **فكرة الوحدة العربية والعمل على تقوية مفهوم القومية العربية** : ذلك لان الوحدة العربية اصبحت بالنسبة للبلاد العربية المتفرقة ضرورة حيوية من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية . والحياة اليوم **« للدول القارات »** لا **« للدول الامم »** القائمة على امم ضيقة وشعوب صغيرة .

---

(١٢) Ibid, : p. 62

٢) – **احترام اللغة العربية والثقافة العربية** : وهذا واجب لان تراثنا الثقافي يتركز فيها تقريبا . ونعرف ان الاستعمار عندما يريد ان يهدم شعبا من الشعوب يلجأ أولا الى تحطيم لغته وثقافته وتكريهه بها ليحل محلها لغته وثقافته هو . ويقضي بهذا على الشخصية المميزة لهذا الشعب ، ويجب ان تلح الدولة على هذا الاحترام في المدارس الاجنبية اكثر من سواها .

٣) – **بث روح التسامح وتهيئة المواقف النفسية** التي تجنب بلادنا التعصب الديني والتحزب السياسي والمستبقات العرقية . ويجب ان نقول بكل اسف ان المدارس الخاصة (والى حد ما الرسمية) لاتزال تغذي بعض هذه المواقف المشينة .

٤) – **احترام الافكار والعواطف التي تكمن** في أساس كل اخلاق ديموقراطية قائمة على احترام الشخصية البشرية وحقوق الناس في الحياة والكرامة وحرية التعبير عن الرأي والمساواة والعدالة ..

٥) – **احترام العقل والعلم** ، والابتعاد عن الافكار السحرية العتيقة التي لاتزال تلعب دوراً هاماً جداً بين أغلبية المواطنين الساحقة . فدور الدولة هو ابراز هذه المبادىء الاساسية وتعليمها في مدارسها والسهر على تطبيقها في المدارس الخاصة .

التربية خارج المدارس :

ويمكن للدولة ان تشرف على التربية خارج المؤسسات التربوية الرسمية وتلجأ الى **وسائل اخرى لتكوين وقولبة** روحية سليمة للأمة . فتحارب الامية بالقوانين وتشجيع الافراد والمؤسسات على محوها . وتساعد الخدمة العسكرية الاجبارية مساعدة فعالة في محو الامية وتنشئة شباب واع . وقد قام الجيش السوري من هذه الناحية بدور فعال وايجابي . وتشرف على النوادي الرياضية والفنية والادبية والمسارح **والسينما والاذاعة** والمتاحف ، والمكتبات

وتشجعها وتقدم لها الاعانات المادية اللازمة لاستمرارها وتقدمها . كما تقيم أعياداً سنوية وطنية شاملة يشترك فيها جميع المواطنين ولا يخفى على القارىء مالهذه الاعياد من أهمية تربوية وقومية . كما يمكن للدولة ان تشرف على بعض نواح اخلاقية فتحارب بعض الرذائل الاخلاقية **كادمان الخمر وتعاطي الحشيش والمخدرات** ومزاولة **القمار والعهر والتهتك الاخلاقي** .

كيف تتوصل الدولة الى الاشراف على التربية ؟

لتتوصل الدولة الى الاشراف والسيطرة على التربية تعين الوزير والامين العام والموظفين الاداريين الهامين والمفتشين وبعض المدرسين والمعلمين من اتباعها الامناء والمخلصين . فعندما كانت تسيطر الطبقة العليا، من ارستوقراطيين واقطاعيين ، على جهاز الحكم في بلادنا ، كانت تعين الوزير والامين العام والمفتشين واغلب مدراء المعارف ومدراء المدارس من افرادها او من الفئات التي تخلص وتخضع لها . والآن وقد استلمت الطبقة الوسطى دفة الحكم وحلت محل الطبقة العليا أخذت تسيطر على جهاز الحكم وجهاز المعارف بتعيين موظفين من افرادها المخلصين لها من الفئات الاخرى . وقد اعطينا بعض أمثلة عن هذه السيطرة في روسيا والمانيا ونعطي الآن مثالا آخر مستمداً من ايطاليا في العهد الفاشيستي ، اذ كان موسوليني يصرح «الفاشيسنية تريد الدولة . ولا تعتقد بامكانية تحقيق اي نظام اجتماعي لايتم داخل اطار الدولة .. والدولة وحدها قادرة على التعالي فوق المصالح المتصادمة للافراد والرهوط (او المجموعات) بقصد توجيههم نحو مثل اعلى .. وتتمثل هذه الدولة كديموقراطية مركزية ومنظمة وتامة .. فالفاشيستية هي عبارة عن تعبئة كبرى للقوى المادية والمعنوية[١٣] وهكذا فالحرية الاخلاقية لايمكن ان تتم الا داخل اطار الدولة . والامر كذلك بالنسبة للثقافة والاخلاق .

---

(١٣) نقلا عن : F. J. Brown : Educational sociology. p.566

وسائل وطرق الاشراف والسيطرة على التربية :

وكانت الدولة الفاشيستية تلجأ الى الاستيلاء على موظفي التربية مبتدئة بالوزير ومنتهية بالمعلمين الصغار. اذ كانت تسيطر على الوزير ودائرته المركزية والمفتشين ومديري التربية والتعليم . وكان المدرسون والمعلمون يهيئون ويدربون في دور معلمين يسيطر على التفكير فيها الفلسفة الفاشيستية . وكان المعلمون يدربون لمدة ثلاث سنوات والمدرسون لمدة سبع سنوات. وكان الجميع ينتقون على اساس اخلاصهم للفلسفة الفاشيستية والحزب الفاشستي ، وكان النظام التربوي يشتمل على المدارس الرسمية ومنظمات الاطفال والشباب ، وكان هذا النظام يلح على الثقافة الوطنية والتهيئة لخدمات الدولة :يلح فيه على الابطال الوطنيين والاعياد القومية . وتراقب الدولة فيه جميع الكتب . وكانت الالعاب تظهر مباشرة قيمة وعظمة ومجد الجندي.

ويمكن ان نأخذ من أي كتاب مقرر للتدريس ، وعلى الصدفة ، فنرى التأكيد على سلطة الدولة والنظام القائم. فمثلا في احد الكتب التي كانت مقررة لأحد الصفوف في مادة الاقتصاد نجد مايلي : « كما انه لايوجد سوى ديانة رسمية - هي الكاثوليكية - ، وكما ان على جميع الكاثوليكيين ان يعتقدوا بهذا بشكل اعمى ويخضعوا للكنيسة بشكل أعمى ، فهكذا على الفاشيستي الكامل أن يعتقد بمباديء الفاشيستية ويخضع دون تحفظ للرؤساء الذين يدين لهم بالطاعة . لاتناقش العقائد الدينية لانها حقائق منزلة من قبل الله . وهكذا لاتناقش المبادىء الفاشيستية لأنها تصدر عن عقل العبقري بنتو موسوليني . »[١٤] . أما منظمات الشباب التي كانت لاتقل عن المدارس أهمية في تكوين الشبيبة الفاشيستية فهي منظمة الباليلا الوطنية (Nationalo Ballila) التي اسست في عام ١٩٢٦ . وكان الانخراط في هذه المنظمات اختيارياً لااجبارياً ، ومقصوراً على فئات

---

(١٤) نقلا عن : Ibid, : p. 568

معينة لاشاملا . وكانت الباليلا الوطنية مقسمة الى خمس وحدات أو منظمات:

١) **الاطفال الفاشيستيون** وتضم الاطفال بين ٤ — ٧ من العمر ،

٢) **الباليلا** : وتضم الاطفال بين ٨ - ١٣ من العمر ،

٣) **الطليعة** : وتضم الشباب بين ١٤ — ١٨ من العمر ،

٤) الميليشيا الوطنية وتضم الشباب بعد الثامنة عشرة من عمرهم وهدفها أمن البلاد أو الامن الوطني .

٥) الحزب : وبعد أن ينهي الشباب خدمتهم في الميليشيا كانوا يقبلون في صفوف الحزب الفاشيستي كأعضاء عاملين ومخلصين . وكانت تضم مئات الألوف من الشباب والشابات . وفي ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) من كل عام كانت هذه المنظمات المختلفة تقيم عيداً قومياً ومظاهرات حماسية في كل مقاطعات ايطاليا وتمثل الزحف الفاشيستي نحو روما . ويهتف المتظاهرون بحماس : الله وموسوليني ! وكان الهدف من هذين النظامين : الرسمي الشامل ومنظمات الفتوة الخاصة والمقصودة على بعض الفئات ، تكوين وحدة في الهدف ووحدة في الروح والمشاعر وصبغ الجميع بصبغة واحدة [١٥] .

منابع السيطرة والاشراف :

الذي يشرف بصورة مباشرة على التربية والتعليم هم مدراء المدارس ومعاونوهم والمدرسون والمعلمون . والذي يشرف عليها بصورة غير مباشرة هم مدراء المعارف والمفتشون والدائرة المركزية . ولهؤلاء أثر كبير في توجيهها وجهة تقدمية أو محافظة حسب الطبقات الاجتماعية التي ينتمي اليها هؤلاء المشرفون . فاذا كانت الطبقة العليا والطبقة الوسطى تشرفان على التربية فان التربية ستتخذ وجهة محافظة . واذا أشرفت الطبقة العليا فقط عليها اتخذت منحى محافظاً ورجعياً .

---

(١٥) من اجل تفاصيل اوسع راجع : Ibid, : pp. 566 - 570

ففي بلادنا يسيطر على التربية والتعليم الرسميين الطبقتان العليا والوسطى ، لهذا كانا مصطبغين بصبغة محافظة . وعندما كانت الطبقة العليا هي التي تسيطر عليهما كانا يصطبغان بصبغة رجعية ..

أما التعليم الخاص فتسيطر عليه فئات مختلفة منها الديني ومنها التجاري ومنها السياسي الحزبي ، وكلها في الغالب فئات تنتسب الى الطبقتين العليا والوسطى ولهذا كان تعليما محافظاً وليس للطبقة الكادحة والشعبية فيه أثر يذكر .

وعندما تسيطر على التعليم في أي بلد من البلدان الطبقة الشعبية والكادحة كما في روسيا السوفيتية والديمقراطيات الشعبية ، فانه يتخذ منحى تقدمياً يستفيد منه أبناء العمال والفلاحين الذين يشكلون الغالبية الساحقة في اي بلد من البلدان .

وسائل السيطرة والاشراف

أنجع وسائل للاشراف والسيطرة في المدرسة تحصر في : ١) انتقاء المعلمين والمدرسين ، ٢) عزل غير المرغوب فيهم منهم ، ٣) وسائل الضغط غير الرسمية .

١) انتقاء المدرسين والمعلمين :

في حال المدارس الرسمية قد تلجأ الحكومة الى انتقاء المعلمين والمدرسين الذين ترغب فيهم من حيث المباديء والاتجاهات الفكرية والسياسية . فقد تخاف الطبقة الحاكمة من حزب سياسي معين فترفض التوظيف لكل عضو بارز (أو معروف) فيه . أما في حال المدارس الخاصة فينتقي المسؤولون عنها أعضاء التدريس الذين لا يشكلون خطراً على الوضع القائم في كل من هذه المدارس . وهكذا يضمنون الاستقرار وسلامة الاوضاع ..

٢) عزل غير المرغوب فيهم من اعضاء الهيئة التدريسية :

وعندما تخشى الفئة الحاكمة ، أو المسؤولون عن المدارس الخاصة ، بعض

المعلمين أو المدرسين من فئات معينة لأنهم يعتبرونهم خطرين على أوضاعهم ، فانهم يلجأون الى عزلهم وطردهم واستبدالهم بسواهم من المخلصين . كالذي حدث في بلادنا منذ ثلاثة أعوام تقريباً مع المدرسين والمعلمين من الحزب القومي السوري وكما حدث هذا العام لأعضاء الحزب الشيوعي حيث نقل بعضهم الى مراكز نائية وسرح بعضهم الآخر ، وحرم المدرسون المعروفون منهم من التدريس في المدارس الخاصة .

٣) الضغط بوسائل مختلفة :

كالتكلم عن سلوك ونقد أفكار غير المرغوب فيهم من اعضاء الهيئة التدريسية ومعاكستهم من قبل التلاميذ الذين يتمتع أهلهم بنفوذ قوي ، ونكرزتهم من قبل بعض التلاميذ تعينهم الادارة أو بعض الفئات الحاكمة خصيصاً لتحقير بعض المدرسين واضعاف نفوذهم (كما كان يحصل في بلادنا أيام العهد الوطني الاول) ومراقبتهم من قبل «جواسيس» الادارة وتهديدهم بالطرد والتشهير بهم وبسلوكهم وأخلاقهم . أما في حال بعض المدارس الخاصة التي تقوم على مساعدات الحكومة أو بعض المؤسسات الخيرية أو الصناعية فتهدد بقطع المساعدات أو تقطع عنها المساعدات فعلا اذا سارت في اتجاه غير مرغوب فيه من قبل الفئة المساعدة . وقد تغلق الحكومة بعض المدارس التي ترى فيها خطراً على وحدتها وثقافتها .

المواقف الداخلية للمدرسين :

يلعب الضغط الخارجي دوره في عملية السيطرة ولكن المواقف الداخلية المتعلقة بالمدرسين أنفسهم تلعب دوراً هاماً أيضاً في هذه العملية . اذ هناك بعض المعلمين أو المدرسين الذين يشعرون بنير السيطرة والاشراف ، ولكن البعض

الآخر يتقمصون رغبات ومعتقدات الفئة المسيطرة ويتبنون اتجاهم وهذا يحصل بواسطة عمليات رئيسية ثلاث :

١) **انتقاء اولئك** المدرسين الذين يملكون القيم والمعتقدات والعواطف والمثل التي يملكها المسيطرون على المدرسة أو التربية .

٢) **التفاعل والتقمص** مع الافراد الذين يملكون في المدرسة مثل هذه العواطف والقيم والمعتقدات . اذ أن المدرس أو المعلم الجديد يجبر بعد حين على التعامل مع زملائه . فاذا كانوا يشكلون الاغلبية الساحقة في الجهاز التدريسي فانه غالباً ماينضم اليهم ويتقمص أفكارهم ومواقفهم . أما المعلم الذي يبقى ثائراً على هذه الزمرة فانه يبقى زمناً طويلا في مدرستهم . فاذا كان في مدرسة رسمية عملت الادارة على نقله والتخلص منه ، واذا كان في مدرسة خاصة استغني عن خدماته ...

٣) **الرغبة في الاطمئنان والمركز وكسب عطف الذين يمارسون السيطرة** : هناك بعض مدرسين أو معلمين يأتون من الطبقة الكادحة والشعبية فعندما يصلون الى التعليم او التدريس ينزعون الى الاطمئنان والمركز الممتاز رؤسائهم . ولهذا يتقمصون بسهولة مواقف الفئات المسيطرة وافكارهم وعواطفهم وينخلعون من مواقف الطبقة الفقيرة التي جاؤوا منها . وبهذا يوفرون لانفسهم لاطمئنان والمركز الرفيع والحظوه بسهولة مواقف الفئات المسيطرة لدى الفئات العليا . وهذا امر معروف لدى اكثر مثقفينا الذين يخرجون من الطبقة الكادحة ويتقمصون مبادئها وافكارها واتجاهاتها التي تعاكس اماني الطبقة الشعبية التي أخرجتهم ، كل ذلك في سبيل تأمين المركز والشهرة والاستقرار في مكان يرغبون فيه ...[١٦]

---

(١٦) من اجل هذه الامور في الولايات المتحدة راجع :
W.B. Brookover : A Sociology ef education. pp. 60-71

والخلاصة :

يمكن القول ان بين الدولة والتربية علاقة وثيقة . ولكل نوع من أنظمة الحكم نظام تربوي يتفق واتجاهاته ومبادئه ومثله العليا ، وتشرف الدولة وتسيطر على التربية إما لتحقيق ماترغب فيه من أمور ، واما للمحافظة على الوضع القائم . وتختلف شدة الاشراف بين دولة واخرى . ويتراوح الاشراف بين اشراف مطلق وعدم اشراف مطلق تقريبا ، ويحق للدولة الاشراف على التربية ، لان من وظائف الدولة الحديثة القيام بمهام التربيه والتعليم وتأمينها لكافة المواطنين . وتتوصل الدولة للاشراف على التربية بواسطة اصدقائها والمخلصين لها وبوسائل أخرى منها الضغط والتخويف والعزل وقطع المساعدات عن المدارس الخاصة التي لاتسير في اتجاهها وفي النهاية اغلاقها . ولايزال الاشراف على التعليم في أيدي الفئات المحافظة التي لاتريد التبدل والتغير في نواح كثيرة تهمها وتخصها وتساعد على استمرارها في اوضاع فيها الحظوة والغنى والسلطان والجاه .

بعض مراجع هامة

1 — F. J. Brown : Educational Sociology. Chap. 21

2 — B. Brookover : A Sociology of Education. Chap. 4

3 — R. Lynd : Knowledge for what ? Princeton. Princeton University Pross. 1939

4 — R. Lynd M. Helen : Middltown in transition. N. Y. Harcourt Braco. 1937

5 — Moad : the School in american culture. Cambridge mass; Harward University Presse. 1951

6 — Moore and W. B. Cole : Sociology in educational practice. Boston. 1952. chap. 17

الفصل السابع

التربية والطبقات الاجتماعية

أصبح مفهوم الطبقات الاجتماعية في أوروبا وامريكا **واضحا تقريبا** كل الوضوح . وقد عالجه المؤلفون والفلاسفة والسوسيولوجيون بالحاح كبير منذ ماركس الى أيامنا هذه . أما في بلادنا فلا يزال مفهوم الطبقات الاجتماعية غير معروف تقريباً . وما كتب عنه حتى الآن يعتبر ضحلا جداً ومليء بالاغاليط وسوء الفهم والتحامل على الطبقات الكادحة [1]

والواقع ان الطبقات الاجتماعية لم تتبلور بعد في بلادنا تبلورها في أوروبا وأمريكا . والسبب راجع الى عدم تقدم بلادنا من الناحية الصناعية . وهذا ماجعل الفئات الكادحة من عمال وفلاحين بعيدين نوعا ما من الوعي الطبقي اللازم لتكوين طبقة ما . وهذا عائد الى الجهل وعدم تمركز العمال على نطاق واسع في المدن الكبرى، وعدم وجود قواد كافين واكفاء من الطبقة الكادحة لقيادتها وتنظيمها ، ومحاولة الفئات الحاكمة افسادها بشراء ضمائر رؤساء نقاباتها وتسييرهم حسب ارادتها . ومهما يكن من أمر فقد بدأت الطبقة الكادحة بتحسس أوضاعها السيئة ، والفضل في هذا راجع الى بذور النهضة الصناعية في بلادنا ، وانتشار العلم بين ابناء هذه الطبقة ، وعمل الحزب الشيوعي الفعال بين العمال والفلاحين معا ، وعمل الحزب العربي الاشتراكي الموعي (ولكن

---

(١) راجع كتاب محمد ثابت الفندى : الطبقات الاجتماعية ، (مصر) ، تجد فيه العجائب !!

غير المنظم) بين الفلاحين (وخاصة في محافظة حماه).

أما الطبقة العليا من ملاكين كبار واصحاب معامل و« مصانع »وعائلات ارستوقراطية خلفها العهد العثماني والتقاليد العربية (الدينية خاصة) وتقوم على الانتساب الى أسرة عريقة سياسيا أو دينيا (من سلالة الرسول مثلا) وموظفين كبار ينتسبون الى الفئات السابقة او يخضعون لها ، ... هذه الطبقة وعت واقعها واستولت على الحكم في سورية مدة طويلة (ولاتزال تلعب دوراً لابأس به بواسطة ممثليها في الحكم والنقابات ...) ولهذا نظمت **احزاباً زبائنية** (الحزب الوطني - حزب الشعب - الحزب الجمهوري ...) سيطرت على قيادتها سيطرة تامة واستولت على زمام البلاد بواسطة الحكومة وموظفيها وبواسطة هذه الاحزاب ...

وظهرت في بلادنا ، بفضل العلم **والثقافة طبقة وسطى** تشكلت من **ابناء رجال الدين والملاكين** المتوسطين والتجار المتوسطين والموظفين المتوسطين . وهكذا ظهرت فئة من الشباب المثقف وذوي المهن الحرة : أطباء ، مهندسون محامون ، صيادلة ، مدرسون في الثانوي وأساتذة في الجامعات وموظفون متوسطون وخاصة ضباط متوسطون. وعت هذه الطبقة واقعها وشعرت بأهميتها فانتظمت في احزاب اتخذت لها طابعاً شعبياً وشعارات تقدمية كالحزب الشيوعي وحزب البعث العربي ، والحزب العربي الاشتراكي (اندمجا معاً) والحزب القومي السوري (أقلها تقدمية) . وأخذت تتنافس مع الطبقة العليا على قيادة البلاد وتوصلت أخيراً الى استلام زمام الحكم بفضل **استيلائها على الجيش والظلاب وأغلبية الفئات المثقفة** ... وهي الآن تدير دفة الحكم في البلاد، بفضل حكومة يسيطر عليها **الضباط** أولا **والمحامون والاطباء والمهندسون والاساتذة** وأبناء التجار ثانياً . وهؤلاء تابعون لاولئك ويدعمونهم لان مصالحهم معهم وتابعة لمصالحهم ... ويساعدهم في السيطرة الموظفون التابعون لهم في جهاز الدولة والاتباع المخلصون لهم المندسون في المجتمع من حولهم ...

أما الطبقة الشعبية الكادحة فلا تزال بعيدة عن أن تلعب دورها الحقيقي وتؤثر على جهاز الحكم ، لانها لاتزال طبقة غير واعية وغير مثقفة وغير منظمة ، ولان قيادها لايزال ، بأغلبيته ، في أيدي الطبقة الوسطى أو ابناء الطبقة العليا من المثقفين . .

وهكذا فعندما سنتحدث عن الطبقة العليا والطبقة الوسطى في فصلنا هذا فانما نعني الفئات التي عددناها آنفاً .

أما بالنسبة للطبقة الكادحة فنعني تلك الطبقة التي تضم العمال والفلاحين غير المالكين والفلاحين الذين يملكون أرضاً بسيطة جداً ، وصغار المستخدمين والموظفين من آذنين وكتبة صغار وأفراد شرطة وجنود وصغار الباعة وصغار الحرفيين بين الحلاقين والحذائين والخياطين والسائقين . . .

لقد استعملنا هذا التقسيم لدراستنا . ولكننا سنستعمل أيضاً بعض مصطلحات ومفاهيم أميريكية لذلك يجب أن نوضحها لكم قبل البدء ببحثنا هذا .

هنالك اختلاف بسيط بين المؤلفين والسوسيولوجيين الامريكيين حول عدد الطبقات . فهناك تصنيف للطبقات وضعه لويد وارنر (LLoyd Warner) ومساعدوه استناداً الى دراسة مدينة اميريكية صغيرة هي يانكي سيتي (Yankee City) صنف وارنر طبقات هذه المدينة الى ست طبقات :

١ ـ العليا ـ العليا Upper Upper ، ٢ ـ العليا ـ الدنيا Lower upper

٣ ـ الوسطى ـ العليا Upper middle ، ٤ ـ الوسطى ـ الدنيا Lower middle

٥ ـ الدنيا ـ العليا Upper lower ، ٦ ـ الدنيا ـ الدنيا Lower lower

---

(٢) راجع : a) W. Looyd warner and P.S.Lunt : The - status of amodern community . New Haven. Yale University press. 1942

d) W.Lloyd Warner and others : Social class in America . Chicago. Scien. Research associates . 1949

وهناك تصنيف آخر لايختلف عن هذا كثيرا ، ولكنه يجعل الطبقات خمسا بدلا من ست كما يلي :

١ ـ الطبقة العليا ، ـ ٢ ـ الطبقة الوسطى العليا ، ٣ ـ الطبقة الوسطى الدنيا ٤ ـ الطبقة الدنيا ، ٥ ـ الطبقة الدنيا ـ الدنيا .[٣]

وهناك تصنيف ثالث يدعي واضعه في «قاموس السوسيولوجيا» بأنه التحديد الحديث للطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة الاميركية . ونجد فيه مايلي : « العليا ، الوسطى ، العليا ـ الوسطى ـ الدنيا ، الدنيا ـ العليا والدنيا ـ الدنيا » [٤] .

وهناك تصنيفات اخرى عديدة لايمكن ذكرها الآن لان المجال لايسمح بذلك ولان موضوع بحثنا ليس « الطبقات الاجتماعية » .

المهم اننا سنستعمل في بحثنا هذا التصنيف الاول لان المؤلف الذي سنأخذ عنه بعض الاحصاءات والمعلومات المتعلقة بالولايات المتحدة يأخذ به . وبالنسبة للمؤلف ولواضعي التصنيف الاصلي تعني هذه الطبقات الفئات الآتية :

١ ـ **العليا ـ العليا** : وتتألف من العائلات الامريكية العريقة وهي بروتستانتية بكاملها تقريبا .

٢ ـ **العليا ـ الدنيا** : وتتألف من كبار الرأسماليين والصناعيين ومن كبار الموظفين في الاعمال الصناعية ...

٣ ـ **الوسطى ـ العليا** : وتتألف من اصحاب المهن الحرة : (من أطباء ومهندسين ...) وموظفي الصناعيات المحلية وأفضل رجال الاعمال وبعض كبار المزارعين أو الملاكين .

٤ ـ **الوسطى ـ الدنيا** : وتتألف من صغار رجال الاعمال ، ورجال الدين ،

---

(٣) راجع : Arnold W. Green : Sociology. Mc Grow Hill . N. Y. pp. 280 - 283

(٤) H·P. Fairchild : Dictionary of sociology. N.Y, 1944 ·p.278

وأصحاب الحرف الحرة الدنيا ، ورؤساء الورش ، والتجار الماهرين ، وصغار مالكي المزارع .

٥ – **الدنيا ـ العليا** : أغلبية هذه الطبقة من العمال اليدويين .

٦ – **الدنيا ـ الدنيا** : وجل افرادها من العمال غير المهرة ومن المتشردين الذين لايحبون العمل .

واكثر من نصف الامهات في هذه الطبقة يعملن خارج المنزل .

وقد صنفت هذه الطبقات على أساس : **الوظيفة والدخل والنسب** والقوة أو السلطان **والسمعة أو الشهرة** الاجتماعية واسلوب الحياة[٥].

علاقة التربية بالطبقات الاجتماعية بصورة عامة :

بين التربية والتعليم من جهة والطبقات الاجتماعية من جهة ثانية علاقات تختلف حسب كل من هذه الطبقات . فالطبقة العليا وخاصة في عهود الاستعباد والاقطاع تتمسك بالتربية والثقافة والعلم وتحاول ما أمكن ان تجعلها مقصورة عليها وعلى أبنائها والفئات التابعة لها . ففي دور الاستعباد المصري الفرعوني كان زمام التربية في أيدي الكهنة . وكانت التربية الراقية مقصورة على الاشراف والنبلاء وكما يقول مصطفى امين : « أما التربية العالية فقد كانت ميزة الاشراف ، مقصورة على ابنائهم ، وكانت معاهدها غالبا في معابد المدن الكبيرة من المملكة »[٦].

فاذا علمنا ان الكهنة ورجال الدين يأتون بعد الفراعنة بالاهمية وكانوا اكبر عون لهم ، علمنا لماذا كانت التربية الراقية مقصورة على ابناء الفراعنة والاشراف . فهم بهذا يحصرون الثقافة فيهم ، وبالتالي يحصرون **القادة والزعماء** والاداريين والمختصين فيهم ايضا . وهكذا يتوصلون الى استمرار السيطرة على

---

(٥) راجع : a) W.Green : Sociology . pp . 280—289

b) Brockover : A Sociology of education.pp.81—84

(٦) مصطفى امين تاريخ التربية ص ١٩ .

الطبقات الشعبية التي تعد بأغلبيتها الساحقة ، جاهلة . وكانت بعض الكتب الفلسفية والعلمية محرمة على الشعب وتعتبر مقدسة لايجوز أن يطلع عليها سوى فئة قليلة من المجتمع هي الخاصة او الصفوة الممتازة وكانت هذه الصفوة ، ولا شك ، من المثقفين أي من الاشراف والنبلاء ... ولا تزال بعض الاديان الباطنية في سورية ، كالاسماعيلية والنصيرية والدرزية ، تتمسك بهذا المبدأ الذي يحرم اطلاع العامة او الجهال على الكتب الدينية الباطنية ويقصر فقط على الخاصة او العقال ..

أما في عهد الاستعباد اليوناني فقد حرم أفلاطون نفسه ايصال العلوم الفلسفية على الطبقات الشعبية لانها تبذر ، في رأيه ، التشويش في العقول والفوضى في المجتمع ... وقصر التربية العالية على من سيكونون في المستقبل فلاسفة يتولون الزعامة ويتقلدون مناصب الحكومة[٧] .

وكذلك كان يرى أرسطو « ان الموالي والصناع لما كانوا في مذهبه لايعدون من الرعية لم تكن لهم الى التربية من حاجة ولذلك قضى بحرمانهم اياها. كذلك قضى على النساء بمثل ذلك »[٨].

وكذلك كان الامر في العهد الروماني . اذ كان في روما طبقتان من السكان : هما :

١) الاشراف ويسمون الباتريسين (Les patriciens) ٢) والدهماء ويدعون البلبيين (Les plébéiens) وكان هؤلاء أذلاء محتقرين لانصيب لهم في خدمة الحكومة ولا في حضور الحفلات الدينية ولا في خدمة الجيش ولا في حقوق المواطن الحر من طبقة الاشراف[٩]. فهؤلاء كانوا جميعا عبيداً فهل كان يصح لهم ان يتعلموا ويتربوا كما يتعلم ويتربى ابناء الاشراف ؟ وكيف يتسنى لهم ذلك ماداموا في حالة بؤس مشين وفي عبودية هم وابناؤهم ونساؤهم؟[٩].

---

(٧) للتوسع : راجع مصطفى امين : المصدر السابق ص ٨٠

(٨) نفس المصدر السابق : ص ٩٥

(٩) نفس المصدر السابق ص ١١٠

وهذا ماحدث في اوروبا في القرون الوسطى اذ كان العلم مقصورا على ابناء النبلاء حيث ان الكتاب الواحد كان يباع بثقله ذهبا . فهل يتسنى لأبناء الفقراء التعلم ؟؟

وفي عهود الاقطاع في بلادنا هل كان يتمكن ابناء الطبقات الشعبية من العلم والتربية على ايدي معلمين وأساتذة وهذا كان يكلف باهظا ؟ وهل كانت الطبقات الفقيرة تستطيع ان تستغني عن ابنائها وبناتها لتترك لهم المجال للتعلم **والتثقيف وهم بالنسبة الى والديهم وسائل انتاج ويد عاملة** ؟؟ وفي عهد الاستعمار التركي كانت الطبقة العليا تحارب افتتاح المدارس خوفا من تعليم ابناء الشعب ولهذا كانت الامية سارية بين ٨٥٪ من السكان على الاقل وفي بعض المناطق (كمحافظات اللاذقية وحوران وجبل العرب ...) كانت تبلغ الامية ٩٨ ٪ على الاقل !!

اما في عهد الاستعمار الفرنسي فكانت الطبقة العليا تحارب افتتاح المدارس في القرى وبعض الاحياء خوفا من الشعب . وكانت القرى خاصة تهمل عن قصد ، لان الفلاحين كانوا يؤلفون الغالبية الساحقة في البلاد . وكان يسيطر على الارض الطبقة العليا من الزعماء وملاك الاراضي الكبار اي « الاقطاعيون » اذا جاز لنا استعمال هذا التعبير . ولهذا كانوا يخافون من تربية وتعليم أبناء الفلاحين لان هذا يعجل في تحريرهم وتوصلهم الى ازاحة النير عن اعناقهم .

والى القارىء ماقاله احد الكتاب الفرنسيين في هذا الصدد «حاول الانتداب اذن ، وهو الامين على مبدأ الانتشار الثقافي الذي ميز فعل فرنسا في اراضيها خارج فرنسا ، ان يقيم تعليما ريفيا حقيقيا . ولكن الموانع كانت كثيرة : عداء (وكراهية) الملاكين الكبار الناظرين بعين شريرة الى محاولة الانعتاق الاخلاقي هذه من قبل فلاحيهم »[١٠] .

---

(٨) J. Weulresse : Paysans de Syrie et du Proche—Orient . pp 197—198

ونقدم رأيا آخر لكاتب فرنسي آخر : « في هذا النظام الاجتماعي مانجده اولا هو الجهل ، الذي يجد فيه الآغا ربحه ويفعل كل شيء ليحافظ عليه . وفي الواقع ، اذا عرف اتباعه (زلمه) حقوقهم وعرفوا القراءة والكتابة تمكنوا على الاقل من الاستغناء عن خدمات زعمائهم الباهظة هذا اذا لم يثوروا عليهم »[١١].

وقد افتتح الفرنسيون مدرسة في قرية احد الزعماء « الاقطاعيين » في محافظة اللاذقية فذهب احد ابنائه (الذي كان وزيرا لمدة لا بأس بها في الحكومات الوطنية المتعاقبة) وكان يحمل شهادة الحقوق من جامعة باريس الى مدير معارف اللاذقية وامره باغلاق المدرسة قائلا : اذا تعلم ابناء الفلاحين وابناء الشعب ثاروا علينا وخسرنا املاكنا وحياتنا ». وكان الامر ان اغلقت المدرسة فعلا .

وما حاولوا ان يفعلوه ايام الاستعمارين التركي والفرنسي حاولوا أن يطبقوه في العهد الوطني . اذ نادى حزب الشعب خاصة (ودعمه الحزب الوطني) بتحديد التعليم الثانوي ، وعدم قبول جميع الطلاب في المدارس الثانوية الا الذين يحوزون على علامات متفوقة . وكانت حجتهم في ذلك الوقت هي ان اقبال الجميع على التعليم سيخلق ان عاجلا او آجلا ازمة مثقفين عاطلين وبالتالي فوضى وثورات .

والواقع انهم كانوا يريدون ان يضعوا العراقيل في وجه ابناء الطبقات الشعبية لان اغلبية هؤلاء ، لفقرهم وعدم تمكنهم من متابعة دراستهم وسوء شروطهم الصحية والغذائية والاجتماعية ، لايحوزون على علامات متفوقة ! هذا ماسيظهر لنا جليا في الحال ..

لماذا تحارب الطبقات العليا ، عامة ، تعليم وتربية الطبقات الكادحة الشعبية والتي يدعوها البعض الطبقة الدنيا ؟ ذلك لأن الثقافة والعلم يعتبران من اقوى العوامل في تسبيب الحركة الاجتماعية والتبدل الاجتماعي والمساواة الاجتماعية (سنرى ذلك في هذا الفصل) .

---

(١١) Louis Jalabert : Syrie et Liban : réussite française.p.96

الطبقات الاجتماعية ومتابعة الدراسة

بين الطبقات الاجتماعية ومتابعة الدراسة علاقة وثيقة . وفي الدول التي يسيطر فيها النظامان **الاقطاعي والرأسمالي** نجد علاقة وثيقة بين مستويات التعليم المختلفة . فالمستويات العليا تكاد **تكون مقصورة** على الطبقتين العليا والوسطى وهكذا فوضع الطبقات يحدد مثابرة ابنائها على المدرسة ومتابعتهم لمستوياتها المختلفة . وهذا يعني ، بصورة عامة ، ان ابناء الطبقات الميسورة يساعدهم يسارهم على متابعة التعليم في جميع مستوياته عندما يريدون ذلك . ولكن هذا لا يعني باطراد ان المستوى الاقتصادي العالي يرتبط بصورة آلية وحتمية بالمستوى الثقافي العالي . ذلك لان بعض أبناء الطبقة العليا قد يلهيهم اليسار ولذاته عن متابعة الدراسة ، وقد تتجه فئة أخرى من ابناء هذه الطبقة الى الاعمال التجارية والزراعية وتستغني عن الدراسة العالية (كما كان يحصل لكثيرين **من** ابناء الارستوقراطيين والملاكين الكبار في بلادنا . وبهذا استطاع ابناء **الطبقة** الوسطى المثقفون من التغلب عليهم شيئاً فشيئاً) .

وقد تتوجه فئة أخرى من هذه الطبقة الى الحكم والوظائف دون ان تهتم كثيراً بالمستوى الثقافي (وهذا ما يحصل ايضاً في بلادنا مع ابناء الارستوقراطيين والملاكين الكبار) .

ونجد ان الطبقة الوسطى تتجه نحو العلم واتمام الدراسة ما أمكن . وتتجه الفئة الكبرى من هذه الطبقة نحو المدارس الرسمية ، والخاصة غير مرتفعة الرسوم .

وهنا لا يدخل الدخل وحده كعامل اساسي ، بل يدخل معه ايضاً الطموح الى المراكز العالية وتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي والمهنة والعمل ومنطقة السكن وتقدير الذات وتبني بعض شعارات معينة تجعل الطبقة تعتبر نفسها أنها

ذات رسالة . وهكذا عندما تنزع طبقة الى تحسين وضعها تتجه نحو العلم والثقافة. وتؤثر المهنة في الاتجاه نحو العلم ومتابعة الدراسة ، اذ تنزع فئات الموظفين والمدرسين وسائر أصحاب المهن الحرة ، من مهندسين ومحامين وأطباء ورجال دين ... في جميع البلاد المتمدنة الى تعليم أبنائها وتثقيفهم .

وتؤثر منطقة السكن في الاتجاه نحو التعليم ، فالفئات التي تسكن أحياء راقية يسري بينها عامة تقليد وتسابق ومنافسة في تعليم الابناء . وعندما تتجه بعض فئات في الاحياء الشعبية الى تعليم أبنائها يحصل بين مختلف العائلات المتجاورة تنافس وتحاسد يدفعانها الى تعليم ابنائها وتحسين أوضاعهم . ويصرح الكثيرون من هؤلاء : لقد تألمنا كثيراً وشقينا كثيراً لذلك نريد ان نجنب أبناءنا هذه التجربة المرة وذلك بتزويدهم بالعلم والثقافة . وعندما تشعر طبقة معينة بقيمتها وتتبنى رسالة تاريخية تنزع الى الاضطلاع بها ، تدفع ، عندئذ ، بابنائها الى العلم والنور . هذا ما حصل للطبقة الوسطى في بلادنا ، وهذا ماحصل للطبقات الدنيا في الدول الاشتراكية . وهذا مايحصل ، في أيامنا هذه ، للطبقة الدنيا في بلادنا. اذ ان هذه الطبقة أخذت تنفض عنها غبار الماضي وتنزع الى احتلال مركزها السياسي والاجتماعي في المجتمع ، كما فعلت من قبلها الطبقات الدنيا في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا ... ولنبحث الآن بشيء من التفصيل في متابعة كل من الطبقات للدراسة في المستويات التعليمية المختلفة .

١) — الطبقات والتعليم الابتدائي :

يوجد في **الأمم الراقية والغنية** فروق بسيطة بين الطبقات من حيث نسبة الاطفال الذين يتابعون المدارس الابتدائية . وقد أجريت في أمريكا وفي كثير من الدول الاوروبية دراسات واسعة النطاق دلت على أن الفروق بين الطبقات ضعيفة جداً من حيث نسبة الاطفال الذين يثابرون على التحصيل والتعلم في المدارس الاولية والابتدائية . ولا نجد أية فروق في هذا المستوى في الدول الاشتراكية

حيث أنها تجبر جميع ابناء افرادها على العلم وتؤمنه لهم بصورة اجبارية . وهذا مايحصل أيضاً في انكلترا البلد الرأسمالي . حيث تقدم الدولة المساعدات ، وفي جميع المستويات ، الى كافة أبناء الطبقة الفقيرة والمحتاجة والى أبناء الطبقة الوسطى الذين لا يكفي دخل أسرهم لمتابعة جميع ابنائهم تعليمهم .

الوضع في بلادنا :

لايزال الوضع في بلادنا متأخراً جداً بالنسبة لهذه الأمم الراقية . ولا يشك أحد بأن الحكومات الوطنية قامت بجهود لابأس بها لافتتاح المدارس الابتدائية والثانوية . ولنضرب لكم مثلا من محافظة اللاذقية لتدركوا الفارق الكبير بين عدد المدارس في زمن الانتداب الفرنسي وفي العهد الوطني . ففي عام ١٩٤٢ كان في هذه المحافظة ١٢٥ مدرسة ابتدائية يتعلم فيها ٩٢٣٨ تلميذاً وتلميذة ، و ٣٤ مدرسة خاصة تضم ٢٥٨١ تلميذاً وتلميذة ، وثانويتان رسميتان في اللاذقية الاولى للبنات والثانية للبنين ، و ٨ ثانويات ٤ منها في اللاذقية و ٢ في بانياس و ٢ في طرطوس ، ومدرسة متوسطة في صافيتا [١] .

واذا انتقلنا الى العام الدراسي ١٩٥٤ — ١٩٥٥ وجدنا ، على الرغم من فصل قضائي مصياف وتلكلخ الكبيرين عن هذه المحافظة وضمهما الى محافظتي حماه وحمص ، ان عدد المدارس يبلغ ما يلي :

الابتدائية والاولية : ٤١٦ : ٣٧٨ منها للذكور و ٣٨ منها للاناث .
الثانوية الرسمية : ١٠ : ٧ منها للذكور و ٣ للاناث .
الثانوية الخاصة : ٣٨ : منها ١٤ مدرسة علوية .
المدارس الابتدائية الخاصة : ٣٦ : منها ٢ علويتان .

ويبلغ عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية الرسمية ٣٤٨٣٧ وعدد البنات فيها

---

(١) راجع منير الشريف : العلويون من هم وأين هم ؟ (دمشق ١٩٤٦) ص ١٤٦ .

٧٣٢٢. وعدد الطلاب في المدارس الثانوية يبلغ ٣٣٨٥ ، وعدد الطالبات ١٢٧١[٢]

ومن المقارنة البسيطة نلاحظ الفارق الكبير بين عدد المدارس والتلاميذ بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٥٤ – ١٩٥٥ . ولكن مالاحظناه عندما درسنا هذه المحافظة هو ان المدارس تتركز اكثر ما تتركز في المدن والقرى الكبرى . وتحرم كثير من القرى العلوية ، وخاصة المملوكة منها ، من المدارس . وهذا راجع الى محاربة افتتاح المدارس في القرى المملوكة من قبل الملاكين الكبار .

فاذا علمنا ان عدد المدارس في القرى العلوية لم يكن يبلغ عام ١٩٤٢ اكثر من ٣٠ ، واذا علمنا ان عدد القرى العلوية كان يبلغ آنذاك اكثر من ١٢٠ قرية ، وجدنا انه كانت تخصص مدرسة واحدة لكل ٤٠ قرية !!

وعلى الرغم من جهود الحكومات الوطنية المتتالية في هذا المجال ، فان عدد المدارس لايزال غير كاف اطلاقاً ، لأننا وجدنا في عام ١٩٥٥ ان مدرسة واحدة تصيب كل خمس من قرى العلويين[٣] .

الوضع في القرى :

قلنا ان سبب هذا النقص يقع على عاتق الملاكين الكبار الذين يحاربون العلم والثقافة في قراهم المملوكة والتي تضم مرابعين علويين . ندعم رأينا هذا بما يلي :

١) جميع قرى المسيحيين تحتوي تقريباً على مدارس . لأن جميع هذه القرى غير مملوكة من قبل ملاكين كبار .

٢) ٩٩ ٪ من قرى المسلمين السنيين غير مملوكة من قبل ملاكين كبار وجميع هذه تضم مدارس .

---

(٢) راجع : Munir Mushabik MOUSSA : Etude sociologique des Alaouites. 1958. Tome 2. p. 931

حصلنا على هذه الاحصاءات من مديرية معارف اللاذقية .

(٣) راجع : Ibid : p. 932

٣) جميع قرى المسلمين ، وخاصة التركمان ، المملوكة من قبل الملاكين الكبار لا تحتوي على مدارس .

٤) جميع قرى العلويين غير « المملوكة » تضم تقريباً مدارس .

٥) الغالبية العظمى من قرى العلويين « المملوكة » لا تعرف المدارس .

ونعطيكم أمثلة لقرى قمنا بدراستها عام ١٩٥٥ بشكل تفصيلي من جميع النواحي السكانية والاقتصادية والثقافية والمعاشية ...

آ – **عين بشريتي** : قرية علوية « مملوكة » . عدد سكانها ٣٠٠ نسمة : ١٤٠ ذكرا و ١٦٠ أنثى . ليس **في القرية مدرسة** . ٦٠٪ من ذكورها اتموا تعليمهم البدائي على يد الشيخ في الكتاب . ولا يوجد فيها امرأة متعلمة ! فيها فقط خمسة تلاميذ يتابعون دراستهم في مدرسة احدى القرى المجاورة . فيها تلميذان حاصلان على الشهادة الابتدائية !!

ب – **سنبة قرية « مملوكة »** ، تقع على مسافة اقل من كيلو متر الى الشمال الغربي من القرية السابقة . عدد سكانها ٦٠٠ نسمة : ٣٥٠ ذكرا و ٢٥٠ أنثى . ليس فيها مدرسة ... (٧٠ ٪) من الذكور تعلموا في الكتاتيب : ليس فيها انثى واحدة متعلمة . فيها ٥٠ تلميذاً يتعلمون في مدارس القرى المجاورة . فيها ٨ من الحاصلين على الشهادة الابتدائية . وفيها **موظف واحد في الدولة !!!**

ج – **بستقين** : قرية علوية غير مملوكة . تقع على مسافة ٣ كم الى الغرب من القرية السابقة . عدد سكانها ٢٤٠ نسمة : ١١٠ ذكور و ١٣٠ أنثى . فيها مدرسة ابتدائية رسمية ، تضم ثلاثين تلميذا بينهم تلميذة واحدة فقط ! ٦٥ ٪ من رجالها يقرأون ويكتبون . كل نسائها أميات ! فيها تلميذان حاصلان على الشهادة الاكمالية ، وخمسة آخرون حاصلون على الشهادة الابتدائية . فيها عشرون موظفا في الجيش ، وواحد في التعليم الابتدائي :

د – **جنين : قرية غير مملوكة** : تقع على مسافة أقل من كيلو متر الى الجنوب من قرية عين بشريتي . عدد سكانها ٤٧٢ نسمة . وهم خليط من العلويين

والمسيحيين . عدد العلويين ٣٠٠ نسمة . اكثر من ٧٥ ٪ من ذكورهم متعلمون ١٥ ٪ من النساء متعلمات . بينهم ١٧ تلميذا وتلميذة واحدة حاصلين على الشهادة الابتدائية ، وثلاثة تلاميذ حاصلين على الشهادة الاكمالية . يوجد منهم ٤ موظفين في الجيش (٩٥ ٪ من المسيحيين متعلمون ٦٠ ٪ من نسائهم متعلمات) .

هـ - **بصيرة** : قرية علوية غير مملوكة : تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات الى الشرق من جنين . عدد سكانها ٥٠٠ نسمة : ٥٥ ٪ ذكور ، منهم ٨٥ ٪ متعلمون تعليما بسيطا طبعا . بينهم ١٥ يحملون الشهادة الابتدائية . ومنهم موظفان في الدرك و ٤٥ ٪ اناث ، بينهن واحدة متعلمة تحمل الشهادة الابتدائية . في القرية مدرسة ابتدائية رسمية(٤).

من دراسة هذه القرى المتجاورة تماما نلاحظ تأخر القرى « المملوكة » عن القرى غير المملوكة من الناحية التعليمية . ونلاحظ ان القريتين المملوكتين على الرغم من عدد سكانهما المرتفع لاتحتويان على مدرسة رسمية اطلاقا ... بينما هناك قرى صغيرة غير مملوكة لايزيد عدد سكانها على ١٠٠ نسمة أو اقل أحيانا لم تحرم من نعمة المدارس !

فمن المسؤول عن حرمان القرى ؟ أهم الفلاحون العلويون وجهلهم وعدم ميلهم الى العلم كما يدعي بعض المستغلين والجهال ؟ كلا ! لان الفلاح العلوي المرابع هو كالفلاح المسلم المرابع أو المسيحي المرابع ! وهم جميعا يستوون من حيث هذا الحرمان من المدارس !

ولماذا تفتح مدارس للقرى غير المملوكة ؟ هل جاء هذا عن محض الصدفة ؟ كلا بل من اتجاه خبيث تتبعه الطبقة العليا من الملاكين الكبار لتبقى على جهل هؤلاء الفلاحين المرابعين المساكين فتتمكن بذلك من استغلالهم الى ماشاء الله !

لنلاحظ شيئا آخر هو اهمال تعليم المرأة من قبل العلويين وهذا راجع الى عوامل دينية (احتقار المرأة دينيا كما رأينا سابقا) والى عوامل اقتصادية

---

(٤) من أجل دراسة موسعة راجع : Ibid : pp. 792 — 805

واجتماعية وثقافية (تتخذ المراة كوسيلة للانتاج فهي اذن كالحيوان ...) واهمال تعليم المرأة مسؤولة عنه الحكومة أيضا. اذ رأينا سابقا ان عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية الرسمية يبلغ ٢٤٨٣٧ بنما يبلغ عدد التلميذات في هـذه المدارس يبلغ ٧٣٢٢ فقط! ويجب أن نشير الى ان عدد البنات لايقل عن عدد البنين بل يزيد عليه! كما يجب ان نشير ايضا الى ان الاغلبية الساحقة من تلميذات هذه المدارس ينتسبن الى أسر اسلامية ومسيحية ..!

ويجب ان نلاحظ أيضا مستوى التعليم الابتدائي. وهو مستوى ضعيف لايختلف كثيراً عن مستوى التعليم في الكتاب. ودليلنا على ذلك ندرة التلاميذ الحاصلين على الشهادة الابتدائية سواء في القرى المملوكة أم غير المملوكة.

من كل هذه الدراسة ندرك ان الفرق كبير جداً أحيانا في القرى بين نسبة أطفال الطبقة الكادحة الفقيرة واطفال الطبقتين (أو الطبقات) الاخريين (او الاخرى)!.

وما لاحظناه في محافظة اللاذقية ينطبق الى حد بعيد على محافظات حمص وحماه وحلب ودير الزور وجبل العرب وحوران ..!

ومن هنا ندرك الفارق الكبير بيننا وبين الدول الراقية ، كما ندرك تآمر الفئات الرجعية والمالكة على الطبقة الكادحة في الريف !

الوضع في المدن :

هل يختلف الوضع في المدن عنه في القرى والريف ؟ لانظن أن الاختلاف كبير بين الوضعين. لأن في جميع المدن السورية (والعربية عامة) احياءلانزال نطلق عليها اسم الاحياء **القديمة** أو **الفقيرة** أو **المتأخرة** ... تضم عادة الطبقة الكادحة من العمال وصغار المنتجين والموظفين والمستخدمين ... فهل يتسنى لابناء هذه الطبقة ان يتابعوا الدراسة الابتدائية كأبناء الطبقتين الوسطى والعليا في نفس احيائهم او في الاحياء الراقية والمتمدنة والغنية والمرفهة ؟؟؟!! هذا مانشك

فيه تماما! ونقدم للقارىء أمثلة مأخوذة من مدارس دمشق الحضانية والابتدائية. نستند بذلك على دراسة يقوم بها تلميذنا السيد اديب النابلسي تحت اشرافنا.

آ – مدارس الحضانة : أو رياض الاطفال:

لقد درس الطالب المذكور صفا واحدا (صف العنادل) في « روضة اليقظة » وهي مختلطة . في الصف ٢١ تلميذا وتلميذة : ١٢ ذكور و ٩ اناث . فكان الاطفال يأتون من الفئات التالية :

١ تلميذ : أبوه اقطاعي يقدر دخله الشهري بـ ٢٥٠٠ ل.س.

٩ تلاميذ : آباؤهم موظفون فيهم الموظف الكبير والمتوسط . ويتراوح دخل الآباء الشهري بين ٣٥٠ – و ٧٠٠ ليرة سورية .

٩ تلاميذ : آباؤهم من ذوي المهن الحرة ومن ذوي المهن عامة : فيهم تاجر كبير وتاجر صغير ، وصاحب معمل منسوجات ، وصاحب مطعم ، وصاحب متجر زجاج ، ومهندس ومحام ... ويتراوح دخلهم الشهري بين ٣٠٠ – ٢٥٠٠ ل.س .

٢ (تلميذان) : الاول وابوه سائق سيارة لدى أحد الاثرياء (دخله الشهري ١٥٠ ل.س) والثاني وابوه عامل لدى حداد (دخله الشهري ١٨٠ ل.س).

وهكذا ترون ان ٢ من أصل ٢١ تلميذا هما فقط من ابناء الطبقة الكادحة أو الفقيرة . أي ان نسبتهم أقل من ١٠ ٪ والباقي يعتبر تلاميذه من الطبقتين العليا والوسطى .

ب – المدارس الابتدائية :

١ – مدرسة شجر الدر الابتدائية للاناث: الصف السادس: ٣٣ تلميذة.

ونعطي نتائج هذا الصف مع العلم ان لدينا ٣٨ اجابة فقط .

١٥ تلميذة آباؤهن موظفون : فيهم الاداري الكبير والمحاسب والعقيد

والطبيب والشرطي وسائق السيارة ومدير المدرسة والموظف المتقاعد . يتراوح دخلهم الشهري بين ١٥٠ — ٦٠٠ .

٩ تلميذات آباؤهن تجار : فيهم ٣ تجار جلود ، و ١ تاجر أسرة ، و ٣ تجار مواد بناء ، و ١ تاجر حديد ، ٢ تاجر أقمشة ، ١ نوفوتيه ..

١ ، تلميذة ، أبوها عامل في مطحنة (دخله ١٥٠ ل.س) .

١ ، تلميذة ، أبوها عامل في معمل اسمنت (دخله ٢٠٠ ل.س) .

١ ، تلميذة ، أبوها مزارع ملاك (دخله ٣٠٠ ل.س) .

١ ، تلميذة ، أبوها فلاح مرابع (دخله ٢٠٠ ل.س) .

نلاحظ هنا أن في هذا الصف يوجد ٥ ، من اصل ٢٨ ، من بنات العمال والفلاحين والسائقين والشرطيين ... أي أن نسبتهن تبلغ تقريباً ١٨ ٪ والباقيات من بنات الطبقتين العليا والوسطى .

٢ — مدرسة المتنبي الابتدائية للذكور (واقعة في حي فقير) : صف فيه ٢٩ تلميذاً ، وكانت نتائجهم كما يلي :

١٤ - تلميذاً آباؤهم من أصحاب المهن والتجار ، فيهم : محاسب (١) ، عقاد (١) ، نجار (١) ، بقال (٢) ، خضرجي (٣) ، حلاق (٢) ، متعهد بناء (١) ، شعار (١) ، صاحب فرن (١) . الدخل الشهري يتراوح بين ١٥٠ — ٢٥٠ ل.س (نتائج الدخل غير صحيحة) .

١٠ ، تلاميذ آباؤهم موظفون صغار ومتوسطون : أمانة العاصمة (١) ، شرطي (٣) ، رقيب في الجيش (١) ، كاتب (١) ، موزع (١) ، مستخدم (١) ، مؤسسة كهرباء دمشق (١) ، رحبة الجيش (١) ، (يتراوح الدخل بين ١٥٠ - ٣٠٠ ل.س) .

٢ أبواهما عاملان : الاول في سوق الهال والثاني في معمل نسيج (الدخل ١٦٠ ل.س) .

١ أبوه مستخدم عند تاجر قماش (دخله ١٥٠ ل.س) .

٢ أبواهما صانعان : الاول طيان والثاني مصلح تخوت (دخلهما ٢٠٠ ل.س) .

نلاحظ هنا أن نسبة أبناء الطبقة الفقيرة تبلغ ٨٠٪ مع العلم أن أغلبيتهم من ابناء الموظفين والتجار .

فإذا جمعنا النسب المئوية للمدارس الثلاث وجدنا أن متوسط نسبة أبناء الطبقة الكادحة أو الدنيا يبلغ : $\frac{١٠ + ١٨ + ٨٠٪}{٣} = ٣٦٪$

وإذا أهملنا نسبة مدرسة الحضانة فتكون النسبة المئوية الوسطية $\frac{١٨ + ٨٠}{٢} = ٩٠٪$ والواقع أن نسبة التلاميذ من أبناء وبنات العمال والفلاحين والكادحين الآخرين لا تبلغ في سورية أكثر من ٥٠٪ !

ج — المدارس الثانوية والاعدادية ودور المعلمين والمعلمات :

إذا كانت نسبة أبناء الطبقات الدنيا تبلغ ٥٠٪ في المدارس الابتدائية ، فهل تبلغ مثل هذه النسبة في المدارس الثانوية والاعدادية ودور المعلمات والمعلمين ؟

في جميع البلاد الرأسمالية نلاحظ أحياناً فروقاً قد تكون مهمة وقد تكون أقل أهمية بين نسبة التلاميذ الذين يتابعون تحصيلهم في التعليمين الاعدادي والثانوي . أما في بلد كإنكلترا وفي البلاد الاشتراكية الراقية كروسيا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية والمجر .. فلا نجد إلا فروقاً ضئيلة جداً .

وتتأتى هذه الفروق ليس عن تقصير من قبل الدولة بل عن ضرورات حياة العمال والفلاحين الذين قد يميلون أحياناً وفي مرحلة التعليم الثانوي إلى أن يعلموا أبناءهم مهنهم ويستعينوا بهم ، ويجري هذا خاصة في بلد رأسمالي كإنكلترا أو سويسرا والدانمارك .

أما في بلادنا فالفروق قوية كما سنرى من الاحصاءات في المدن . وهي قوية جداً كما رأينا في القرى التي قدمناها آنفاً . أننا لم نجد فيها في عام ١٩٥٥ بين العلويين سوى ٥ تلاميذ حاصلين على الشهادة الاكمالية . ولم نجد فيها تلميذاً واحداً أتم تحصيله الثانوي ...

الوضع في الولايات المتحدة الامريكية :

وقبل أن نعرض على القارىء النتائج في سورية (أو الاقليم السوري) ، نقدم إليه نتائج مأخوذة من الولايات المتحدة الامريكية التى تعتبر في أيامنا هذه ، أغنى الدول الرأسمالية ..

لقد حاول أحد المؤلفين ان يدرس التلاميذ ومتابعة دراستهم حسب أعمارهم ، معتبراً ذلك من وجهة نظر دخل الاسرة . وقد أعطى في الجدول الآتي النسبة المئوية لمتابعة الدراسة في المدارس :

العمر	دخل الاسرة ١٠٠٠ دولار		دخل الاسرة ٣٠٠٠ دولار أو أكثر	
	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث
١٦ — ١٧	٦٨,٢ ٪	٦١,٩ ٪	٩١,٧ ٪	٨٥ ٪
١٨ — ١٩	٢٧,٥	١٩,٤	٥٨,٨	٣٩,٩
٢٠ — ٢٤	٧,١	٣,٨	٢١,١	١١,٣ (٥)

فإذا اعتبرنا العمر الواقع بين ١٦ — ١٨ أو ١٩ سنة هو مرحلة التحصيل في المدارس الثانوية ، نرى أي فرق يوجد بين أبناء الطبقة الفقيرة وأبناء الطبقتين الوسطى والعليا . اذ يكون الفرق في سن ١٦ — ١٧ سنة بين الذكور :

٩١,٧ - ٦٨,٢ ٪ = ٢٣,٥ ٪ ، ويكون بين الاناث : ٨٥ — ٦١,٩ = ٢٣,١ ٪ ؛ ويكون الفرق في سنة ١٨ — ١٩ : ٥٨,٨ - ٢٧,٥ = ٣١,٣ ٪ للذكور ، و ٣٩,٩ — ١٩,٤ = ٢٠,٥ ٪ للإناث .

وهكذا نرى أن الفروق بين أبناء الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة

---

(٥) Bernard D. Karpinos : School attendance as affected by prevailing socio-economic factors; in school review, Vol. 51, 1943. pp. 43 — 41

لاتزال قوية في مرحلة التعليم الثانوي . وتزداد هذه الفروق كلما ارتفع السن .. وقد جعل المؤلف هنا الدخل كعامل رئيسي في ظهور هذه الفروق ... وقال بروكوفار ان الفروق تصبح أقوى في الولايات الجنوبيـة وفي جميـع مراحل التعليم ومستوياته . (٦)

ذلك لأن الولايات الجنوبية أقل تقدمـاً من الولايات الشمالية ويكثر فيها السود ...

وقـد اعتبر مؤلف آخر أن الدخل هو العامل الرئيسي الذي يحـدد ، في الولايات المتحدة الامريكية ، طول أو قصر مدة الدراسة . (٧)

الوضع في سورية (أو الاقليم السوري)

نعطي أمثلة مأخوذة من التعليم الثانوي والاعدادي في دمشق وبيروت .

١ – **دار المعلمات الابتدائية في دمشق** : درست فيها حالات ٢٠ تلميذة. وإلى القارىء نتائجهن :

٦ تلميذات ، آباؤهن من ذوي المهن ، دخلهم الشهري يتراوح بين ٣٠٠ – ٩٠٠ ل.س .

٥ تلميذات ، آباؤهن تجار يتراوح دخلهم الشهري بين ٤٠٠ – ١٠٠٠ ل.س

٤ تلميذات ، آباؤهن مزارعون وفلاحون : مزارع اقطـاعي (١) – مستأجر (٢) – ومرابـع (١) .

٤ تلميذات ، آباؤهن موظفون يتراوح دخلهم الشهري بين ٣٠٠ – ٨٥٠ ل.س .

١ تلميذة ، أبوها ملاك كبير ، دخله الشهري ٣٥٠٠ ل.س (تقريباً) .

---

(٦) Brookover : A sociology of education. p. 85

(٧) James Davie : Education and social stratification. Yale Univ. Lib. New Haven 1951

وهكذا يكون في هذة المدرسة تلميذة واحدة من أصل عشرين $\frac{١}{٢٠}$ من من الطبقة الفقيرة أو الكادحة . أي النسبة تكون ٥٪ فقط .

انها فضيحة الفضائح ذلك لأن هذه المدارس تفتح عادة لبنات الطبقات من ذوي الدخل المحدود أو الضعيف ، اذ المفروض ان تبرز الطالبة المتقدمة لمسابقاتها وثيقة فقر حال !

٢ **دار المعلمين الريفية فى يبرود** : درست فيها حالات ٤٠ طالباً وهذه نتائجهم :

٢٣ تلميذاً : آباؤهم وأجدادهم مزارعون ، منهم من يملكون بعض الاملاك ومنهم مستأجرون يتراوح دخلهم الشهري بين ٢٠٠ – ٦٠٠ ل.س .

٣ تلاميذ : آباؤهم مزارعون ومرابعون ، مرابع (١) (دخله ١٠٠ ل.س) مرابع (١) (دخله ٢٠٠ ل . س) مزارع (١) مستأجر أوملاك (دخله ٥٠٠ ل . س) .

٤ تلاميذ : آباؤهم : دركي متقاعد (١) ، بناء (١) ، عامل (٢) (الدخل الشهري يتراوح بين ١٥٠–٣٠٠ ل.س).

١٠ تلاميذ : ٤ منهم اباؤهم موظفون : شرطي ، مستخدم ، معلم وموظف (مجهول الدائرة) و٦ منهم اباؤهم ٤ تجار (تاجر زيت ، تاجر بضائع ، تاجر مواش) و٢ منهم أبواهما : الأول سائق والآخر بائع متجول .

في هذه المدرسة نجد أن اكثرية الطلاب من أبناء المزارعين والفلاحين : $\frac{٢٦}{٤٠}$ ولكن نسبة الفقراء منهم لاتزيد على ٤٠٪ .

وهذه أيضاً مفارقة . لأن نسبة أبناء المرابعين والفلاحين الذين يفلحون أرضهم بأنفسهم لاتزيد على ١٠٪ . والباقون من أبناء الملاكين والمستأجرين والموظفين والتجار الذين لايفلحون بأنفسهم . وهكذا نرى أن هذه المدرسة

تخرج موظفين فقط ، أي سيكون الجميع معلمين تقريباً في المدارس الريفية !

٣ **ثانوية البنات الاولى – الصف الثالث . فرع الاجتماعيات ، ٢٣ طالبة** ، وهذه نتائجهن :

٩ تلميذات : اباؤهن موظفون من مختلف الدراجات ويتراوح دخلهم الشهري بين ٢٥٠ – ٩٥٠

١٣ تلميذة : : اباؤهم موزعون كمايلي : تاجر كبير (٢) ، طبيب (٢) ، حلاق (٢) ، بقال (١) ، صاحب مطعم (١) مكتب لتسهيل المعاملات العقارية (١) مختار (١) صاحب طاحون (١) عالم ديني (١)

تلميذة ابوها مرابع .

وهكذا نرى ان في هذا الصف يوجد تلميذة واحدة من الطبقة الفقيرة وهكذا نرى ان نسبة هذه الطبقة تبلغ أقل من ٥٪ وماتبقى منهن فهن من بنات الطبقة الوسطى خاصة ، وبعدها من الطبقة العليا .

٤ – **اعدادية جول جمال** : درست فيها حالات ٢١ طالباً وهذه نتائجهم :

١٠ تلاميذ : اباؤهم موظفون وهم من الموظفين الكبار والمتوسطين ، يتراوح دخلهم بين ٢٥٠ – ٩٠٠ ل.س (مفتش مالي – موظف في القصر الجمهوري مفتش في البريد – ضابط في الجيش – معلم – موظف في مؤسسة كهرباء دمشق ...) .

٥ تلاميذ : اباؤهم اصحاب مهن ومهن حرة : صاحب معمل زجاج ، خياط سائق سيارة يملكها ، متعهد للجيش ..

(الدخل يتراوح بين ٣٥٠–٤٠٠٠ ل.س)

٣ – تلاميذ : اباؤهم مزارعون : ١ ملاك اقطاعي (دخله ٥٠٠٠ ل) ٢ مستأجران (دخل الاول ٢٥٠ والثاني ٣٠٠ ل.س)

تلميذ أبوه تاجر دخله ٤٥٠ ل.س)

تلميذان : ابواهما : الاول مستخدم في سينما (دخله ١٤٥ ل.س) والثاني مستخدم لدى تاجر (دخله ٢٠٥ ل.س)

ونلاحظ أيضاً ان في هـذه المدرسة طالبين فقط من أصل ٢١ ($\frac{٢}{٢١}$) من **الطبقة الفقيرة**. أما الباقون فيعتبرون من أبناء الطبقة الوسطى أولا ومن الطبقة العليا ثانيا . . .

اي تبلغ نسبة الفقراء فيها أقل من ١٠٪ .. مع العلم ان هذه المدرسة توجد في بيئة فقيرة .

٥ — مدرسة ابن خلدون — بناء التجهيز الاولى — الصف العاشر درست فيها حالات ٢٨ طالبا وكانت نتائجهم كما يلي :

٧ تلاميذ : اباؤهم عمال يتراوح دخلم الشهري بين ١١٠—٢٢٥ ل.س

٧ تلاميذ : اباؤهم موظفون يتراوح دخلهم الشهري بين ٢٠٠—٤٥٠ل.س وهم كما يلي : ٣٠٠و٢٥٠و٤٥٠و٢١٠و٣٠٠و٣٠٧و٢٠٠ ل.س .

٢ تلميذان : أبواهما الاول سائق (٢٠٠ل.س ،والثاني صباغ (٢٠٠ل.س)

٤ تلاميذ : اباؤهم ذوو مهن حرة : صيدلي (٣) وطبيب متقاعد (١).

٣ : اباؤهم تجار دخلهم كما يلي : ١٤٠و٤٠٠و٣٠٠٠ل.س .

٣: اباؤهم صناع ، دخلهم كما يلي : ٢١٠و١٠٥و٢٥٠ ل.س .

٢: ابواهما مزارعان ودخلها : ١٣٠ و٣٥٠ ل.س .

نجد في هذه الثانوية ١٢ طالباً من ابناء العمال والصناع وذوي المهن البسيطة واثنين من ابناء المزارعين والفلاحين ، و١٤ طالباً من ابناء الموظفين وذوي المهن الحرة والتجار .

ونلاحظ أن ابناء الطبقة الفقيرة يبلغون $\frac{١٦}{٢٨}$ ، اي أن نسبتهم تبلغ ٥٧٪ تقريبا . وما تبقى منهم فهم من أبناء الطبقة الوسطى .

٦ ـ **اعدادية بورسعيد :** (بيئة فقيرة) : درست فيها حالات ٢٧ طالباً وهذه نتائجهم :

٩ تلاميذ : آباؤهم من ذوي المهن ذات الدخل المحدود : صاحب مطبعة صغيرة (٣٥٠ل.س) ، وشريك في مطبعة (٢٥٠ل.س) وصاحب مصنع مدافيء صغير (٤٠٠ل.س) ، سائق سيارة تخصه (٢٥٠ل.س) ، وتاجر ان دخلها (٤٠٠ـ ٤٥٠ل.س) ، وصاحب مرآب (٢٥٠ل.س) ، وبائع متجول (١٥٠ل.س) ، وصاحب بقالية صغيرة (١٥٠ ل.س) .

٣ تلاميذ : آباؤهم عمال في معمل النسيج دخل اثنين منهما ١٦٠ ل . س والثالث (١٨٠ ل.س) .

٢ تلميذان : أبواهما مزارعان صغيران وملاكان دخل الاول ٥٠ ل.س والثاني ٤٥٠ ل.س .

٢ تلميذان : أبواهما عاطلان عن العمل الاول للمرض والثاني للعجز .

١ تلميذ : يتيم تعمل والدته لاعالته واعالة العائلة .

١٠ تلاميذ : آباؤهم موظفون فيهم : آذن (٢) ، ومستخدم (٣) ، وكاتب (١) ، ومتقاعد (٢) ، وموظف متوسط (٣) . أما المتقاعدان فتقاعدهما يبلغ ١٠٠ و ١٢٠ ل س . وأما دخل الباقين فيحصر بين ١٢٠ ـ ٤٥٠ ل.س .

وهكذا نلاحظ هنا ان أبناء الطبقة الفقيرة من عمال وموظفين وسواهم يبلغون $\frac{١٥}{٢٧}$ أي تبلغ نسبتهم : ٥٥,٥ ٪ تقريباً .

أما الباقون فهم من ابناء الطبقة الوسطى ..

قصدنا أخذ هاتين المدرستين من بيئة فقيرة . لنظهر ان أبناء الطبقات الفقيرة الذين يداومون على المدارس المؤسسة في أحيائهم لا يتجاوزون الـ ٥٠ ٪ من مجموع طلاب المدارس التي ينتسبون اليها ... أما التجاهيز الاخرى في دمشق والمدن السورية (وتشكل الاكثرية الساحقة) فنصيب ابناء الطبقات الفقيرة

أقل فيها من هذا بكثير كما وضح لنا من اعدادية جول جمال وثانوية البنات الاولى، اذ في الاولى يوجد اثنان فقط من ابناء الطبقة الفقيرة وفي الثانية تلميذة واحدة فقط !!

وهكذا نلاحظ ان المدارس الثانوية الرسمية في بلادنا هي مدارس يتابع الدراسة فيها خاصة ابناء التجار والموظفين وذوي المهن الحرة من أبناء الطبقة الوسطى ، ويأتي بعدهم في النسبة أبناء الطبقة العليا ، ويبقى نصيب أبناء الطبقة الكادحة قليل الاهمية .. وهم غالباً من أبناء عمال المدن .

أما ابناء الفلاحين الذين يسكنون القرى فنصيبهم من هذا المستوى التعليمي ضئيل جداً ولا أهمية تذكر له لندرة المدارس الثانوية الرسمية في الريف !!

المدارس الخاصة :

أما المدارس الخاصة فهي وقف على ابناء الطبقة العليا أولا والطبقة الوسطى ثانيا . وقد قام أحد طلابنا ، وهو السيد غالب الحوراني ، بدراسة لمعهد الفرنسيسكين في دمشق . فوجد ان طالبات هذا المعهد ينتسبن الى الفئات التالية : « كبار رجالات الدولة ، كبار الموظفين ، كبار القضاة ، كبار ضباط الجيش ، الملاكون ، التجار ، موظفو المؤسسات المستقلة والشركات ، الاطباء ، الصيادلة ، المحامون ، المهندسون ، ذوو الاعمال الحرة ... »[٨]

د - الجامعات او التعليم العالي :

تزداد الفروق بين الطبقات في متابعة التحصيل أو التعليم العالي فاذا كانت البلاد خاضعة لنظام اقطاعي أو ملكي فاسد أو رأسمالي استغلالي ظهرت هذه الفروق جلية جداً بين أبناء الطبقات العليا والوسطى من جهة والدنيا من جهة ثانية

---

(٨) غالب حوراني : دراسات تربوية حول معهد الفرنسيسكان بدمشق . (مطبوعة في دمشق عام ٩٥٨ - ٩٥٩ ص ٤٦ .

الوضع في الولايات المتحدة الامريكية :

درس وارنر ومساعدوه مدينة هومتاون (Homtown) في مقاطعة الميدوست (Midwest) فوجدوا أن ٨٨٪ من أبناء الطبقتين العليا والوسطى العليا يتابعون تحصيلهم في الكليات (Colleges) ، بينما لم يجدوا سوى ١٢ ٪ من ابناء الطبقتين الدنيا والوسطى في الكليات . (٩) .

وقد قال بروكوفر (Brookover ان الطفل الذي يولد في الطبقة العليا (الامريكية)يؤمن له ، منذ ولادته ،التعليم العالي أو متابعة الدراسة في الكلية . ويبقى قرار وحيد يجب أن يتخذ وهو : في أي كلية يجب أن يتابع دراسته ؟ أما الطفل الذي يولد في الطبقة العاملة فعليه أن ينخلع من نمط حياة أهله وزملائه اذا ماأحب متابعة دراسته العالية . وقد يجد بعض الاهل انه من المستحب ان ينهي أطفالهم دراستهم الثانوية (هاي سكول) ، وتخرج بعض الفئات العاملة أبناءها من المدرسة عندما يصلون الى السادسة عشرة من عمرهم وذلك ليستفيدوا من عملهم .

أما العائلات المهنية فتجد ان من المشين ألا يتم ابناؤها التعليم في (الهاي سكول) ، وفي كثير من الحالات اذا لم يتزودوا بتربية أو ثقافة الكلية(١٠).

وقد تصور بعض المؤلفين ان سبب عدم متابعة أبناء الطبقة الكادحة أو الدنيا أو الفقيرة الدراسة في الجامعة يعود الى عاملين : **الاول** : هو ضعف اهتمام الطبقة الدنيا بالتربية . **والثاني** هو ضعف المستوى المادي أو ضعف الدخل .(١١).

---

(٩) راجع : W. Lioyd Warner and oth. : ho Who shall educated ? N. Y. Harper. 1944. p. 66

(١٠) راجع : Brookover : A sociology of education. p. 86

(١١) راجع : Ibid; : p. 86 — 87

أما القول الأول فنري انه افتراء على الطبقة الدنيا أو الفقيرة . اذ ليست المشكلة بالنسبة اليها مشكلة ضعف اهتمام بالتربية ، وانما هي عدم التمكن من الاهتمام بالتربية . وذلك لان مستواها المادي لايسمح لها بهذا الاهتمام . وخير دليل على تهافت هذا القول هو اندفاع الطبقة الفقيرة في بلادنا نحو تعليم ابنائها عندما تسنح لها الفرص .

وقد وجد بل (Bell) ان السبب الرئيسي في ضعف متابعة الدراسة يعود الى عوامل اجتماعية ـ اقتصادية وخاصة « النقص في المال » أي الفقر (١٢).

ويصبح هذا الرأي اكثر وضوحاً اذا علمنا ان التعليم الامريكي المجاني (Free) ليس بمجاني تماماً ، ذلك لان أحد المؤلفين وجد ان السنة الواحدة، في كثير من مدارس (الهاي سكول) المجانية ، تكلف على الاقل **١٢٥** دولاراً . (١٣)

هذه القيمة يجب ان يدفعها الطالب كرسم اشتراك للنشاطات المدرسية المختلفة من ندوات ونواد وسواها.

ولهذا يجد كثير من الطلاب ان تركهم المدرسة يعتبر أقل اشانة وتحقيراً من عدم اشتراكهم ، كزملائهم الطلاب الميسورين ، في النشاطات المدرسية الهامة بالنسبة للطالب الامريكي .

ومهما يكن من أمر فالعامل الاقتصادي هو في الغالب اقوى واهم العوامل التي تحدد متابعة الدراسة في الكليات.

وقد أجرت **هلن غوتش** (Helen B. Goetsh) دراسة في احدى المدن الامريكية على طلاب احدى الكليات فرأت ان **قابلية القيام بأعباء الدروس**

---

(١٢) راجع : Howard M. Bell : Youth tell their story. Washington D. C. American Council of Education, 1938, pp. 64 ss.

(١٣) راجع : Harold Hand : General education in American High School. Chicago. S. Foresman, 1938. pp. 17 - 20

الجامعية ليست المعيار الوحيد الذي يحدد متابعة الدروس في الكلية .
ودرست ١٠٢٣ طالباً يداومون على الكلية ويبلغ حاصل الذكاء لديهم ١١٧ أو أدنى .

دخل الابوين (دولار)	النسبة المئوية في الكلية
٨٠٠٠ أو اكثر	١٠٠ ٪
٥٠٠٠ - ٧٩٩٩	٩٢ ٪
٣٠٠٠ - ٤٩٩٩	٧٢,٩ ٪
٢٠٠٠ - ٢٩٩٩	٤٤,٤ ٪
١٥٠٠ - ١٩١٩	٢٨,٩ ٪
١٠٠٠ - ١٤٩٩	٢٥,٥ ٪
٥٠٠ - ٩٩٩	٢٦,٨ ٪
أقل من ٥٠٠	٢٠,٤ ٪
حالات أخرى	٣٤,٥ [١٤]

من هذه الارقام يظهر لنا ان العامل الاقتصادي عامل هام جداً في متابعة الطلاب دراستهم في الجامعات .

الوضع في جامعة دمشق :

ليس في سورية (او الاقليم السوري) سوى جامعة واحدة . وهي مفارقة ! المهم اننا درسنا بأنفسنا كلية التربية . وما تبقى من دراسات قام بها تلميذنا اديب النابلسي .

---

(١٤) راجع : Helen B. Goetsch : Parental in come and college opportunities. Teachers college contributions to education. N° 795. N. Y. 1940 . p. 87

كلية الآداب :

تعتبر كلية الآداب ، وخاصة فرع الفلسفة فيها ، في كثير من الدول هدفاً لأبناء الطبقة الدنيا أو الكادحة ولبعض ابناء الطبقات الوسطى الدنيا.

نقدم الى القارىء النتائج التالية ليرى بنفسه الوضع في كلية الاداب بجامعة دمشق .

صف شهادة تاريخ العرب والاسلام :

درست فيه حالات ١٢ طالباً و ٨ طالبات . وقد وجدنا بينهم ١٣ طالباً مداومين وحقيقيين ، و ٧ : منهم اداري واحد ، وثلاثة معلمين ، وثلاث معلمات .

عدد الطلاب والطالبات :

٧ : آباؤهم موظفون أغلبهم من المراتب العليا في وزارات الدولة. (يتراوح دخلهم بين ٤٥٠—١٠٥٠ ل.س).

٤ : آباؤهم مزارعون ، أحدهم اقطاعي يملك آلاف الفدادين والثاني ملاك ، والباقيان فلاحان صغيران ولكنهما ملا كان في الغوطة.

٧ : آباؤهم تجار : بينهم (٥) تجار كبار ، وبقال وعطار .

١ : أبوه طبيب .

١ : أبوه عامل في رحبات الخط الحجازي .

وهكذا نرى ان بين هؤلاء يوجد فقط ٣ طلاب وطالبات من اصل ٢٠ $\frac{٣}{٢٠}$ من أبناء الطبقة الدنيا . وهم جميعاً من دمشق أو من ضواحيها القريبة ، أي تبلغ نسبتهم ١٥٪ فقط .

كلية الحقوق :

تعتبر كلية الحقوق في فرنسا مثلا ، كلية الطبقة البورجوازية والطبقة الوسطى العليا . ذلك لان ابناء هاتين الطبقتين يهيئون في هذه الكلية لاحتلال المناصب الادارية في الدولة وادارة الشركات ، والعمل السياسي .

أما الوضع في بلادنا فيشبه الى حد بعيد الوضع في فرنسا. لان كلية الحقوق في دمشق تعتبر هدفاً لابناء الطبقة العليا والوسطى . وقد خرجت اكثر الاداريين الشباب في جهاز الدولة .

وهذه نتائج ١٣ طالباً وطالبتين في الصف الرابع (صف الاختصاص) :

عدد الطلاب :

٥ : آباؤهم : مزارعون ، أحدهم اقطاعي والباقون ملاكون متوسطون .

١ : أبوه موظف كبير .

٦ : آباؤهم تجار : بينهم : ٣ تجار كبار ، وبقالان وصاحب مكتبة.

١ : أبوه عامل (دخله ٢٤٠ ل.س) وأفراد عائلته ٩

٢ : أبواهما عاجزان ومسنان . والطالبان معلمان يعيلان اسرتيهما .

ونلاحظ هنا أيضاً انه يوجد $\frac{٣}{١٥}$ من أبناء الطبقة الفقيرة . أي ان نسبتهم تقارب ٢٠ ٪ . والباقون هم من ابناء الطبقتين الوسطى أولا والعليا ثانياً .

والواقع ان عدد الطلاب الذين اجابوا على الاستخبار ضعيف ولا يعطي نتيجة مضبوطة . ونرى ان طلاب الطبقة الدنيا لايجاوزون في كلية الحقوق ١٥٪ من مجموع الطلاب [١] .

---

(١) مهما يكن من أمر صغر العينات السابقة فهي تعطي فكرة تقريبية وتؤيد نظرتنا العامة .

كلية التربية :

حلت كلية التربية محل المعهد العالي للمعلمين . وقد كان هذا المعهد لا يقبل سوى الطلاب النظاميين الذي يتمتعون بمنحة حكومية (مخصصات شهرية) أما الآن فأصبحت كلية التربية مزيجاً من الطلاب النظاميين والطلاب الاحرار وعددهم هذا العام (١٩٥٨ – ١٩٥٩) في مختلف صفوف الكلية ١٧٠ طالباً وطالبة . حققنا مع ٦٦ منهم . وهي عينة جيدة يمكن ان تعطينا فكرة مضبوطة تقريباً عن نسبة ابناء الطبقات في هذه الكلية .

شهادة علم الاجتماع : ٩ طلاب و ٤ طالبات بينهم اثنان نظاميان فقط . وهم مرتبون حسب طبقاتهم :

الطبقة العليا	الطبقة الوسطى	الطبقة الدنيا
٢	٩	٢

شهادة علم النفس التربوي : ١٢ طالباً ، و ١٢ طالبة وهم طلاب احرار . نعطي ترتيبهم حسب طبقاتهم :

الطبقة العليا	الطبقة الوسطى	الطبقة الدنيا
١٥	٩	–

وهكذا تكون نسبة الطلاب والطالبات حسب طبقاتهم :

الطبقة العليا	الطبقة الوسطى	الطبقة الدنيا
٤٥,٩ ٪	٤٨,٦ ٪	٥,٥ ٪ تقريباً

وهكذا نلاحظ ان أبناء الطبقتين العليا والوسطى يكادون يتعادلون بالنسبة ، وهي نسبة مرتفعة ، بينما لا تبلغ نسبة أبناء الطبقة الكادحة سوى ٥,٥٠ ٪ .

ولكن الى أي الفئات المهنية ينتسب آباء هؤلاء الطلاب والطالبات ؟ لقد تبين من الاستخبار أو التحري انهم يصنفون كما يلي :

موظفون	تجار	رجال دين	مزارعون	حرفيون	عمال	أطباء	صحفيون
١٢	١٠	٢	٩	١	١	١	١

وهكذا نجد ان أغلبية هؤلاء الطلاب والطالبات ينتسبون الى فئة الموظفين والتجار والمزارعين.. الواقع ان التجار والمزارعين والموظفين هم الفئات الثلاث التي تحتل العدد الاقصى من مقاعد الدراسة في جميع المدارس: الرسمية والخاصة، الابتدائية والثانوية والعالية ..

ونلاحظ انه لا يوجد سوى واحد من ابناء العمال . أما قلة ابناء الاطباء والصحفيين والحرفيين فلا تعني شيئاً هنا لأنهم يتوجهون الى كليات الحقوق والطب والهندسة والصيدلة ومعهد العلوم التجارية .

شهادة الاختصاص المسلكي : تحتوي على : طالبين وطالبتين فقط :

وهم جميعاً نظاميون .

الطالبتان من الطبقة الوسطى . والطالبان من الطبقة الدنيا .

شهادة الاختصاص العام : ١٨ طالباً و ٧ طالبات . وهم جميعاً نظاميون. وهم مرتبون حسب طبقاتهم :

العليا	الوسطى	الدنيا
٢	٥	١٨

فتكون نسبة ابناء الطبقات في الصفين كما يلي :

العليا	الوسطى	الدنيا
٦٩٠ ٪	٢٤،١٠ ٪	٦٩ ٪

وهكذا نلاحظ هنا ان نسبة ابناء الطبقة الدنيا أو الكادحة هي ٦٩ ٪ . أي انهم يشكلون الغالبية العظمى . وهذا شرف لكلية التربية وفضل . لأنها

كانت دائماً كلية ابناء الطبقة الفقيرة. ولعبت في الماضي وستلعب دوراً هاماً بالنسبة لهذه الطبقة المظلومة ولايقاظها ودفعها الى الحركة وقلب الانظمة الفاسدة. ولهذا بالذات كانت هذه الكلية هدفا لهجوم الفئات الرجعية **والطبقة العليا** .

والذي يجب ان نلاحظه هنا هو ان الحالتين للطبقة العليا تعتبران شاذتين لأن الكلية عبارة عن كلية فقراء ، ولكن الامر يهون بعض الشيء اذا علمنا ان الحالتين هما لطالبتين . ومن الطبيعي ان تكون أغلب الطالبات الجامعيات من الطبقتين العليا والوسطى .. ذلك لأن الطبقة الفقيرة لا تتمكن من تعليم الذكور تقريباً فكيف بتعليم البنات !

أما مهن الآباء فكانت كما يلي : (مع العلم ان البعض لم يذكروا مهن آبائهم على الرغم من ان الاجابات كانت مجهولة الاسم) :

تاجر	موظف	مزارع	فلاح	لا عمل له	حداد
٣	٥	٥	٤	١	١

ونلاحظ هنا أيضاً ان ابناء التجار والموظفين والمزارعين يشكلون الاكثرية !!!

كلية العلوم :

أما كلية العلوم فلم نحقق فيها . وهي على ما نعتقد من ابناء الطبقة الوسطى أولا والعليا ثانياً والدنيا أخيراً . ونسبة ابناء الطبقة الفقيرة لا تتجاوز ١٠ ٪ .

كليات الطب والصيدلة والهندسة :

وهي كليات مقصورة تقريباً على ابناء الطبقة العليا أولا والطبقة الوسطى ثانياً . أما ابناء الطبقة الدنيا فلا يستطيعون ان يدفعوا ثمن الكتب غالية الثمن ولا يتمكنون من متابعة الدراسة لمدة طويلة . ولا تبلغ فيها نسبتهم ٢ ٪ اذا لم نقل أقل !

فاذا استثنينا الطلاب النظاميين في جامعة دمشق وعددهم ليس بكثير

(لا يتجاوز ٣٠٠ طالب وطالبة) فان نسبة ابناء الطبقة الدنيا لاتتجاوز اطلاقا ٥ ٪ وقد تكون أقل من ذلك مع العلم ان ابناء هذه الطبقة ينتسبون باغلبيتهم الى اسر تسكن المدن . وبهذا يحرم ابناء الفلاحين من متابعة دراستهم العالية . ولولا كلية التربية لصعب علينا تقريباً ان نتعرف على أثر لهم في جامعة دمشق .

الفروق بين الطبقات في نموذج التربية :

لقد وجدنا خلافاً قويا بين متابعة مختلف الطبقات للتحصيل في جميع مستويات التعليم . ونبدأ الآن ببحث آخر يتعلق بالطبقات ونوع المواد في المقرر أو البرنامج . نبادر فنسأل هل من علاقة بين اختيار فرع دون آخر من فروع التدريس والطبقات الاجتماعية ؟

الوضع في الولايات المتحدة الامريكية :

قد درس المختصون بالتربية في الدول الراقية هذه الناحية دراسة عميقة . فرأوا ان ابناء الطبقات يختلفون أحيانا في اتجاهاتهم نحو فرع دون آخر . لذلك وضعوا اختصاصات مختلفة . فمثلا وضع الامريكيون في برامج **الهاي سكول** مواد متنوعة لترضي حاجات اولئك الذين لايكملون دراستهم في الكليات وفي المدارس المهنية . وبين المواد التي قررت نجد : فروعاً في التجارة وأخرى عامة ، وثالثة مهنية ورابعة في تدبير المنزل ...

وقد لاحظ السوسيولوجيون التربويون ان للاتجاه نحو فرع دون آخر علاقة وثيقة ، أحيانا ، بالطبقة الاجتماعية .

فمثلا درس وارنر ولنت (Lunt) اتجاه الطلاب في مدرسة **الهاي سكول بيانكي سيتي** . وكانت في المدرسة أربعة اختصاصات هي : اللاتينية ، والعلوم **والدراسات العامة** ، **والتجارة** . فوجدا ان دراسة اللاتينية والعلوم كانت

متبعة من قبل الطبقتين العليا ـ الدنيا والوسطى ـ العليا اكثر من سواهما ، بينما كانت دراسة المواد العامة والتجارة اكثر اتباعاً من قبل الطبقات الوسطى ـ الدنيا والدنيا ـ العليا والدنيا ـ الدنيا . والسبب الاولي لذلك هو أن كل فرع من هذه الفروع يعتبر اكثر ملائمة لطبقة او طبقتين دون أخرى من النواحي الاجتماعية والاقتصادية .

أما الطبقة العليا ـ العليا فلا ترسل ابناءها الى المدارس العامة لأنها لاتراها متناسبة مع مركزهم الاجتماعي ، ولهذا يهيئون دراسة الهاي سكول في المدارس الخاصة [١٥] . وفي هذه المدارس يعتبر اختصاصاً اللاتيني والعلوم كتهيئة مناسبة للدخول في الكلية .

ونقدم الى القارىء نتيجة أبحاث هذين المؤلفين :

الطبقة الاجتماعية

المقرر أو الاختصاص	العليا ـ الدنيا	الوسطى العليا	الوسطى الدنيا	الدنيا العليا	الدنيا الدنيا
اللاتينية	٢٥٪	٦٨٪	١٦٪	٢١٪	١٢٪
العلوم	٧٥٪	١٩٪	١١٪	٢٥٪	١٤٪
الدراسة العامة	٠	٧٪	١٨٪	٢٢٪	٢٠٪
التجارة	٠	٥٪	٥٥٪	٣٢٪	٥٤٪

النسبة المئوية لكل طبقة اجتماعية منتسبة في كل من فروع مدرسة الهاي سكول في اليانكي سيتي) . [١٦] (نلاحظ أن ابناء الطبقة العليا غير منتسبين لهذه المدرسة ، ذلك لانهم كما اشرنا سابقاً يتابعون دراستهم في المدارس الخاصة) .

(١٥) راجع : Warner and Lunt : The social life of modern community. pp. 426—427

(١٦) راجع : Ibid : p. 364

وقد درس هوللنجزهيد (Hollingshead) مدرسة هاي سكول أخرى في مدينة إلمتاون (Elmtown) . فرأى أيضاً فروقاً بين الطبقات في الانتساب الى فرع دون آخر [١٧] ، ووجد ان الفرع المخصص للتهيئة لدخول الجامعة أو الكلية محبذ من قبل ابناء الطبقات ذات المركز العالي .

وتوضح النتائج التالية ان الترابط بين فرع الاختصاص والطبقة الاجتماعية موجود في في انحاء أخرى من الولايات المتحدة :

الطبقة الاجتماعية

المقرر أو الاختصاص	١ – ٢ الطبقتان العليا والدنيا ، والوسطى والعليا)	٣ – الوسطى الدنيا	٤ – الدنيا العليا	٥ – الدنيا الدنيا
التهيئة لدخول الجامعة	٦٤٪	٢٧٪	٩ ٪	٤ ٪
الدراسات العامة	٣٦٪	٥١٪	٥٨٪	٥٨٪
التجارة	.	٢١٪	٣٣٪	٣٨٪ [١٨]

وهكذا نلاحظ ان **فرع التجارة** لا ينتسب اليه ابناء الطبقتين العليا ـ الدنيا ، والوسطى ـ العليا . وان الدراسات العامة مفضلة من قبل أبناء الطبقات الوسطى ـ الدنيا والدنيا ـ العليا والدنيا ـ الدنيا .

ووجد المؤلف ان الشعور بالحظوة والتعالي في الانتساب الى فرع دون آخر ، ظاهر ـ لدى البنات بشكل أوضح منه لدى الصبيان [١٩] .

ففي الولايات المتحدة يعتبر الانتساب الى فرع دون آخر تابعاً لأسباب وعوامل منها :

---

(١٧) راجع : A. B. Hollingshead : Elmtown's Youth. N. Y. J. Wiley 1949. pp. 168 ss

(١٨) راجع : Ibid; : p. 426

(١٩) راجع : Ibid; : p. 168

آ ـ الطبقة الاجتماعية والمركز الاجتماعي .

ب ـ مستوى الابوين العلمي .

فاذا كان أحد الابوين (أو كليهما) قد أتم تحصيل الهاي سكول ، فانه يرى من المناسب ان ينتسب ولده (أو أولاده) الى الفرع المؤهب للجامعة . اذ يعتقد مثل هؤلاء الآباء ان هذا الفرع يؤدي الى مستوى عال من الثقافة والتربية . كما ان الآباء الذين يتطلعون الى مركز عال لابنائهم يوجهونهم نحو هذا الفرع أيضاً . ويعتقدون ان فرع الدراسات العامة موضوع لأولئك الذين لا يأملون ان يتموا دراستهم العالية ، كما يعتقدون أن ابناء الطبقات الدنيا يجب ان يوجهوا اليه . ولهذا يلحون على أن يهيأ أولادهم لكل متطلبات الدراسة الجامعية .

ج ـ المدرسون انفسهم .

يتوجه بعض الطلاب أحياناً الى صفوف دون أخرى ، بتأثير آراء بعض المدرسين ووضعهم . اذ كثيراً ما يكون المدرسون والمعلمون من أولئك الذين أتموا تحصيلهم في الكليات لذلك يوجهون تلاميذهم الى التهيؤ للكليات ، أو يتوجه تلاميذهم الى ذلك بالايحاء والتقليد لاحترام شخصيات وثقافة بعض مدرسيهم .. كما ينظر ، احياناً ، مدرسو اللغة الانـكليزية والرياضيات واللغات والعلوم ، نظرة استعلاء واحتقار الى مدرسي الفروع المهنية . وهكذا فانهم قد يعتبرون (أو يعتبرون أحياناً) الطلاب الذين ينتسبون الى هذه الفروع الاخيرة على انهم أقل استعداداً وادنى مركزاً من أولئك الذين ينتسبون الى الفروع التي يدرسون هم فيها ... ولهذا يتوجه بعض الطلاب الى فروعهم دون سواهـا . ويحصل احياناً نتيجة عكسية . اذ ان المدرسين الذين يقبلون التدريس في الصفوف المهنية يعتبرون قلة ، لهذا تدفع لهم رواتب أفضل من سواهم . وهذا يؤدي

الى تحسين مركزهم الاجتماعي ووضعهم المادي ، ويسبب اقبال بعض الطلاب على صفوفهم ...

د ـ الميول والاستعدادات :

قد يحدد الاتجاه الى فرع دون آخر ميل الطالب واهتماماته واستعداداته. هذه هي أهم العوامل المؤثرة على الانتساب الى فرع دون آخر في الولايات المتحدة (٢٠) .

الوضع في الدول الاشتراكية :

أما الوضع في الدول الاشتراكية فتابع أيضاً لعوامل منها :

آ ـ قابليات الافراد :

اذ ان الدولة في الاتحاد السوفياتي مثلا هي التي تقوم بشؤون تعليم الطلاب ، لذا فانها توجه ماامكن كل فرد حسب قابلياته وامكانياته وميوله واهتماماته .

ب ـ المشاريع :

يتأثر توجه الطلاب وانتسابهم الى الفروع المختلفة بمشاريع خمس السنوات التي تضعها الدولة لتحسين الصناعة أو الزراعة ، ففي الحالة الاولى يوجه اغلب الطلاب نحو الاختصاصات المتعلقة بالصناعة ، وفي الحالة الثانية يوجه اغلب الطلاب نحو الاختصاصات المتعلقة بالزراعة .

ج ـ الطبقات الاجتماعية :

ولكن يبقى ، مع ذلك ، أثر للفروق الاجتماعية من حيث الطبقات أو

---

(٢٠) راجع : Brookover : A sociology of education . pp. 98 – 91

الفئات الاجتماعية . صحيح ان الطبقات الاجتماعية في روسيا تختلف عنها في الدول الرأسمالية والاقطاعية ، ولكننا مع ذلك نجد فئة العمال وفئة الفلاحين وفئة الموظفين والاداريين وفئة أصحاب المهن الحرة . . وهكذا نجد ان الكثيرين من ابناء الفلاحين يتوجهون نحو الزراعة ، وهكذا بالنسبة لأبناء العمال اذ يتوجه كثيرون منهم نحو الاختصاصات الصناعية . . ومهما يكن من أمر فيبقى للطبقات او الفئات الاجتماعية أثر ، وان كان هذا الاثر ضعيفاً بالنسبة للبلدان الرأسمالية والاقطاعية .

الوضع في بلادنا :

أما الوضع في بلادنا فيشبه الى حد بعيد وضع البلاد الرأسمالية والاقطاعية . فلو أخذنا التعليم الثانوي وجدنا أن فيه فرعين : **العلمي والأدبي** . فالفرع العلمي يتوجه إليه أبناء الطبقات العليا والوسطى اكثر من أبناء الطبقات الدنيا . فما هي الاسباب؟ هل لأن أبناء الطبقات الأولى أذكى وأكثر واقعية من أبناء الطبقات الدنيا ؟ كلا . بل يعود ذلك الى الاسباب التالية :

آ ـ الوضع المادي والطبقة الاجتماعية :

عندما يكون وضع الوالدين المادي حسناً فإنهما ينزعان عامة الى تعليم أبنائهما في الفروع الآتية من فروع الجامعة : الطب ، الصيدلة ، الهندسة بجميع أنواعها وفروعها . . أما أبناء الطبقات الفقيرة فكثيراً ما ينزعون الى الوظائف وخاصة في التعليم الابتدائي ، ولذلك يتوجهون لا على التعيين والأغلب يكون نحو الفرع الأدبي . . وكثير من الآباء ميسوري الحال وفي الطبقات الارستوقراطية يوجهون أبناءهم نحو الفرع الأدبي ليوجههم في المستقبل نحو كلية الحقوق لتأهيلهم للمناصب الادارية العالية أو للشؤون السياسية والاجتماعية . . وهذا ما يمكن أن نلمسه في اتجاه بعض العائلات

الكبرى الارستوقراطية سابقاً . اذ كانت توجه أبناءها عامة نحو كلية الحقوق .

ب – الميل والاستعداد :

يتوجه بعض الطلاب من جميع الطبقات الى أحد الفرعين لأن ميولهم واستعداداتهم تمكنهم من متابعة الدراسة فيه بشكل افضل .

ج – وضع الأبوين الخاص : وخاصة من الناحية المهنية والثقافية :

كثيراً ما يتوجه الطالب نحو أحد الفرعين مدفوعاً بعوامل تابعة لأسرته أو وضع والديه الاجتماعي والثقافي . فقد يكون الأب أديباً مشهوراً فيميل ابناؤه عامة الى الادب . وقد تكون الأم محدثة لبقة وسيدة صالون فتميل بناتها عامة الى الفرع الادبي وتعلم اللغات . . وقد تكون الام فنانة ، او الأب طبيباً لامعاً أو سياسياً شهيراً فيميل اولادهما الى اختصاص يشبه اختصاصهما . .

د – الوضع النفسي والعاطفي :

يميل الطلاب **المتألمون** والمنكوبون عادة الى الفرع الادبي اكثر منه الى الفرع العلمي ، لأن هذا يرضي حالتهم النفسية والعاطفية وخيالاتهم ويجدون تعويضاً عن حرمانهم وتسامياً لبعض ميولهم . كما يميل الخياليون والحالمون الى نفس الفرع .

المدارس المهنية ودور المعلمين :

والذين يتوجهون الى دور المعلمين هم عادة ابناء الطبقة الفقيرة ويليهم أبناء الطبقة الوسطى – الدنيا . وتبتعد عنها الطبقتان الوسطى – العليا والعليا عامة والسبب في ذلك هو احتقار مهنة التعليم في بلادنا ، وقلة واردها المالي .

اما المدارس المهنية من صناعية وزراعية فيتجه إليها اولاً ابناء الطبقة

الوسطى – الدنيا ، وثانياً ابناء العمال والفلاحين . والسبب في ذلك هو ترفع الطبقات العليا عن العمل اليدوي الذي لايزال مهيناً في بلادنا . ويأتي ابناء العمال والفلاحين بالدرجة الثانية بعد ابناء التجار والموظفين واصحاب المهن المتوسطة ، ذلك لأنهم قلة في التعليم الثانوي .

الجامعة وكلياتها :

وتظهر الفروق الطبقية من حيث الانتساب الى مختلف الكليات في الجامعة : فكليات الطب والصيدلة والهندسة هي عادة مقصورة على ابناء الطبقتين العليا ، والوسطى – العليا .

اما كلية الحقوق فتأتي ايضاً بالدرجة الثانية بالنسبة لأبناء هاتين الطبقتين : لأن طلاب الفئات الفقيرة كانوا ينتسبون إليها اكثر من سواها ، ذلك لأنها كانت الكلية الوحيدة التي تسمح بالجمع بين الدراسة والوظيفة . وبدأت الآن تزاحمها كليتا الآداب والتربية لأنهما سمحتا ، على غرارها ، لطلابهما بالجمع بين الدراسة والوظيفة . اما كلية العلوم فلاتختلف كثيراً عن هاتين الكليتين الاخيرتين لانها تخرج عادة مدرسين . لذلك فإن ابناء الطبقتين العليا والوسطى – العليا لاينتسبون إليها إلا نادراً .

وهكذا نلاحظ ان للطبقات الاجتماعية في بلادنا اثراً في توجيه الطلاب الى الانتساب الى هذا الفرع دون سواه في المدارس الثانوية ، والى هذه المدرسة المهنية دون الاخرى في التعليم الثانوي ، والى هذه الكلية دون سواها في التعليم العالي . .

الاستعدادات التربوية أو العقلية والمستوى الطبقي :

يعتقد البعض ان الفروق في التربية او الثقافة الموضوعة من اجل التلاميذ في

المستوى الثانوي ، هي امور ضرورية لانها قائمة ومرتكزة على فروق فطرية في الاستعدادات والكفاءات . ويقرر بعض المدرسين او المعلمين وآخرون ان ابناء الطبقة الدنيا غير قادرين على القيام بعمل سكولاستيكي (مدرسي) من مستوى راق : ولدى بعض المعلمين والمدرسين مستبقات عن هؤلاء المساكين . وقد تسمعهم يرددون : لاخير فيه . لا أمل منه . انه كما تعلم من ابناء حي (العمال) او من ابناء الفلاحين . . او لانه فلاح ولا عجب بذلك !!

وقد اعطى بروكوفر مثال تلميذ امريكي يدعى جون ، يوضح موقف المعلمين ورئيس المدرسة منه . كانت امه تعيل العائلة بعملها كصانعة او خادمة . اما أبوه فكان بعض الناس يقولون عنه انه مريض جداً وعاجز عن العمل ، ويعتبره آخرون كسولاً . كان مستوى جون الذكائي لا بأس به . ولكن علاماته في المدرسة كانت سيئة . وكان يهتم بالفن ويظهر فيه براعة ، ولكنه لم يكن يهتم بكثير من مواد الدراسة ولا بالنشاطات المدرسية ويتهرب منها ما أمكن . وكان المعلمون يعتبرونه كمغفل او ابله ولا يستحق اهتمامهم ولا جهودهم . وقد اعتقد الرئيس بأنه من تلك « العائلات السيئة » استناداً الى تغيبه المستمر نسبياً . وقد اوضح له ان غيابه ضروري . ذلك لانه يعمل خارج المدرسة ليساعد امه في إعالة الاسرة . وقد اعتقد الرئيس بأن الاسرة على علم بغيابه . ولكنه زار في احدى المناسبات الاسرة وعلم من امه أنها تجهل كل شيء عن غيابه . وقد علم الرئيس ان جون يعمل كخادم في لعبة الجولف . وعند السؤال اجاب جون الرئيس عن سبب غيابه . وانه كان يعطي امه من الاموال التي يكسبها ، وان اباه كان يعلم انه كان يكسب مالاً إضافياً ولكنه بالمقابل كان يجهل مصدر المال وبعد ان سمع منه الرئيس هذا الجواب طلب الى المدرب ان يطرده من الجماعة الرياضية ، وفصله عن المدرسة مدة ، وعندما فصل ، قال الرئيس لعدة معلمين انه يأمل ألا يعود جون بعد الان الى المدرسة [٢١]

(٢١) Brookover : opi. cit. pp. 91 - 92

لقد كان في المدرسة بعض معلمين يفكرون ان جون يجب ان يلقى عناية من الرئيس وعلاجاً آخر غير هـذا العـلاج ، ولكن المدرسة كانت موجهة ، بصورة مبدئية ، نحو تحذير الطلاب للجامعة ولهذا كان يعتبر فيها جون وأمثاله من غير المرغوب فيهم .

ومهما يكن من أمر فقد اتخذت علاماته السيئة كدليل بديهي على ضعف استعداده العقلي . ولم يكن هذا المفهوم عن الاستعدادات العقلية لأبناء الطبقة الفقيرة قليل الانتشار بين المعلمين !

أما في بلادنا فنجد في كثير من المدارس نفس المفهوم . ويوم كنت مدرساً في اللاذقية بين عامي (١٩٥٢ - ١٩٥٤) كنت اسمع من كثير من المدرسين والمعلمين بأن التلاميذ العلويين أضعف من سواهم من ناحية الاستعدادات العقلية وأنهم لا يمكن ان يبرزوا في العلوم والرياضيات خاصة . وأنهم ينجحون حتى صف الشهادة الا كمالية لأن ذاكرتهم تساعدهم على ذلك ، ولكنهم يقصرون عن زملائهم بعد هذه الشهادة . ذلك لأن الدروس تتطلب تفكيراً ومحاكمة ، لا ذاكرة وحفظاً !

وقد قمت بدراسة أظهرت فيها خطل هذا الرأي الذي تغذيه بعض اعتبارات طائفية وسياسية واقتصادية ! (٢٢) .

لقد درس **هولنجزهيد** توزيع العلامات أو الدرجات تبعاً لأبناء الطبقات المختلفة الموجودين في هاي سكول إلمتاون . وإلى القارىء نتائج دراسته :

---

(٢١) Brookover : opi cit. pp. 91-92

(٢٢) راجع : Munir Mushabik MOUSSA : Etude sociolcgique des Alaouites .
T. 11. Paris 1958

النسبة المئوية في وسطي العلامات أو الدرجات الآتية

الطبقة الاجتماعية	٨٥ – ١٠٠	٧٠ – ٨٤	٥٠ – ٦٩
١ و ٢	٥١,٤٪	٤٨,٦٪	٠٠٠
٣	٣٥,٥٪	٦٣,٢٪	١,٣
٤	١٨,٤٪	٦٩,٢٪	١٢,٤
٥	٨,٣٪	٦٦,٧٪	٢٥
كل الطبقات	٢٣,٨٪	٦٦,٣٪	٩,٩ (٢٣)

حتى ان رسوب التلاميذ في هذه المدرسة يدل على فروق طبقية . اذ وجد نفس المؤلف انه رسب في عام واحد ٢٣٪ من أبناء الطبقة الخامسة (٥) ، بينما لم يرسب سوى أقل من ٣٪ من الطبقات الثلاث : ١ و ٢ و ٣ .

وأظهر حاصل روائز الذكاء لتلاميذ نفس المدرسة بعض العلاقة بين الطبقة الاجتماعية وحاصل الذكاء (I.Q.) ولكنها مع ذلك لا تعلل ارتفاع نسبة الرسوب بين أبناء الطبقات الفقيرة . وهذه نتائج دراسة المؤلف :

النسبة المئوية للطبقة الاجتماعية للاسرة

حاصل الذكاء	١ – ٢	٣	٤	٥
١٢٠ – ١٣٩	٢٣٪	١٣٪	٥٪	٠
١١١ – ١١٩	٤٣٪	٤٧٪	٣٦٪	١٢
٩١ – ١١٠	٣٤٪	٣٩٪	٥٦٪	٧٧
٧٠ – ٩٠	٠	١	٣	١١ (٢٤)

(٢٣) A. B. Hollingshead : Elmtown's Youth. p. 172

(٢٤) Ibid: p. 175

فهنا أقل من ١٢ ٪ من أبناء الطبقة (٥) حصلوا على حاصل ذكاء أقل من السوي اذا قورنوا بـ ٢٣٪ من التلاميذ الذين رسبوا في دروسهم وبـ ٢٥٪ من أولئك الذين حصلوا على درجات ضعيفة .

وقد دلت نتائج أخذت من مدن أخرى على فروق بين مختلف الطبقات من حيث حاصل الذكاء . اذ وجد هفيجرست (Haviaghurst) وجانك (Janke) ان حاصل الذكاء ، المقاس برائز ستنفورد - بيني وسواه من الروائز ، لدى الطبقة الدنيا في سن العاشرة والسادسة عشرة ، أقل منه لدى أبناء الطبقة العليا من نفس العمر [٢٥] .

وقد وجدت نتائج مشابهة بواسطة روائز أخرى منها روائز القراءة والاستعداد الآلي ... المهم ان نتائج الروائز تدل، بصورة عامة، على ان أبناء عائلات الطبقة العليا يتفوقون بذكائهم على أبناء عائلات الطبقة الدنيا ... فما رأينا في هذه النتائج ، وهل تدل فعلاً على تفوق فطري في الذكاء بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا أم تدل على شيء آخر ؟ نقدم الاعتراضات والآراء الآتية :

آ - اعتمد المؤلفون أولاً على النتائج المدرسية :

والنتائج المدرسية قيمة لأنها تعطي فكرة ، هذا اذا كانت صحيحة ودقيقة ونزيهة وموضوعية ، عن نشاط **واجتهاد التلاميذ** أولاً وعن ذكائهم ثانياً . ولكن قد تكون النتائج راجعة الى الاجتهاد ومساعدة الأبوين والاخوة الكبار وانتباههم للتلميذ . فهي بهذا تدل على الانتاج اكثر منها على الذكاء . وهي تدل نوعاً ما على الذكاء اذا تساوت شروط التلاميذ الاقتصادية والاجتماعية والأسروية . فنتائج تلاميذ فقراء تماماً في الصف لا تعطي فكرة عن ذكائهم .

---

(٢٥) راجع : R. Haviaghurst and L. Long Jankee. Relations between ability and social status, iu a midwestern community . J . of educ. psychology. vol. 35. 1945. et xol. (1945).

اذ كيف يمكن ان ينتج هؤلاء التلاميذ انتاجاً حسناً ما داموا جائعين وحفاة وعراة ومعرضين لهزء رفاقهم . وكيف يتمكنون من الدراسة في البيت وليس في البيت سوى غرفة واحدة مخصصة للنوم والأكل والزيارات والحيوانات (أحياناً) خالية من الطاولة والكرسي (أحياناً) ومن النور الحقيقي (أحياناً أخرى) ، وهم مضطرون دائماً للتغيب عن المدرسة لمساعدة ذويهم في أعمالهم ليتمكنوا من توفير الخبز وقليل من الطعام على الاقل ! فهل يساعد هذا الجو العائلي والاقتصادي والاجتماعي على الدراسة والانتاج ؟ فالمشكلة هنا ليست مشكلة قياس ذكاء وانما مشكلة قياس معلومات ونشاط ، (أو امكانية القيام بالنشاط) .

ومن جهة ثانية تعتبر أغلبية مؤلفي الكتب المدرسية من الطبقة الوسطى (وخاصة من فئاتها العليا) ولهذا نجد فيها كثيراً من آداب سلوك وقيم ومعلومات واتجاهات وقصص ومثل الطبقة الوسطى التي ينتسب اليها هؤلاء المؤلفين . لهذا فقد يبرز فيها التلاميذ الذين ينتسبون الى هذه الطبقة اكثر من سواهم وخاصة اكثر من أبناء الطبقة الدنيا .

ب ــ اعتمد المؤلفون على نتائج الروائز :

ونسأل هل تقيس الروائز الذكاء والقابليات والاستعدادات الفطرية أم تقيس الخبرات **الاجتماعية والشخصية والمعلومات المكتسبة** ؟ الواقع ان لهذه الروائز أهمية من حيث دلالتها على مستويات الذكاء ، ولكن هذه الاهمية تصبح اكثر قيمة عندما تتساوى الشروط الاجتماعية والنفسية في اولئك الذين يختبرون بواسطتها ، فكيف نستطيع ان نعتبر بنفس الشروط طفلا او تلميذا من الطبقة الدنيا لم يسمع في اسرته شيئاً عن العلم ولم يلق شيئاً من العناية النفسية والاخلاقية والفكرية ، وطفلا آخر من الطبقة العليا أو الوسطى العليا تعلم منذ حداثته أشياء كثيرة وخبر أكثر معلومات الروائز في اسرته وبيئته الاجتماعية .

وقد اشار بعض المؤلفين الى ان الروائز وضعت من قبل أشخاص يعيش اغلبهم في الطبقة الوسطى من « مجتمعات » المدن . ولهذا فهم يستعملون فيها الالفاظ والمفاهيم وطرق التفكير المتبعة والمستعملة في محيطهم الاجتماعي، ويضعون في اسئلة الروائز اموراً لها أهمية في ثقافة طبقتهم .

وقد برهن أليسون دفيس (Allison Davis) وسواه من المؤلفين بوضوح لايقبل الشك ان كثيراً من معلومات ومواضيع الروائز تناسب ابناء الطبقة الوسطى اكثر من سواهم . ففي الروائز كان يطلب من الطفل ان يعطي معنى « سوناتا » (Sonata) . وكلمة كهذه تتردد في البيوت والأسر الراقية . ولهذا اجاب عليها اجابة صحيحة ٧٨٪ من ابناء الفئات ذات الوضع الاقتصادي الحسن، بينما لم يجب عليها بشكل صحيح سوى ٢٨٪ من ابناء الفئات الدنيا [٢٦] .

ويمكن ان تثار هنا مشكلة ابناء الريف وابناء المدن . اذ يعتقد البعض ان أبناء الريف أقل ذكاء من ابناء المدن . وقد اعتمدوا في رأيهم هذا على نتائج الروائز ، ولكن يجب أن نعلم ان الروائز موضوعة في المدن ومن قبل مؤلفين يعيشون في المدن . فهي روائز مملوءة بمعلومات يعرفها أبناء المدن ويجهلها أبناء القرى لأنها لم تمر كخبرات في حياتهم الاجتماعية ... لهذا لايمكن ان تعطي فكرة صحيحة ومقارنة عن ذكاء ابناء المدن والقرى والريف .

وهكذا نلاحظ ان الروائز تقيس الخبرات والمعلومات والذكاء معاً . والدليل على ذلك ان التوائم المتماثلين (او العينيين) اذا ماربوا في بيئات اجتماعية مختلفة ، ظهرت بينهم فروق في حاصل الذكاء .

اما القول بأن أبناء الطبقات العليا اذكى فطريا من أبناء الطبقات الدنيا، فهو قول ضعيف ومتهافت . والدليل على ضعفه ان ابناء الطبقات الدنيا عندما يلتقون مع ابناء الطبقتين العليا والوسطى في مدرسة داخلية (كدار معلمين

---

(٢٦) Alison Davis : Social class influence on learning , Haward Univ.press.1949 .pp. 38-46

مثلا) يقدم لهم جميعاً الغذاء الكافي وتوفر لهم الحياة المريحة وجميع الامور المادية الاخرى ، يتساوون معهم في النتائج المدرسية وغالباً مايتفوقون عليهم ونتائج كلية التربية ودور المعلمين خير مؤيد لما نقول . اذ ان اغلب الاوائل يعتبرون من الطبقة الفقير ... فالمشكلة تتعلق هنا بالوضع الاجتماعي والمادي اللذين يؤثران بدورهما على الوضع النفسي والفكري اكثر مما تتعلق بالذكاء .

والذكاء موزع بشكل سوي بين جميع الطبقات ولكن الخبرات التي تبرز فاعلية ونشاط هذا الذكاء ليست متساوية بين مختلف طبقات المجتمع القائم على نظام الطبقات . فعندما نريد ان نقيس ذكاء فئة من التلاميذ مثلا : يجب ان نأخذ بعين الاعتبار وضعهم الاجتماعي والعائلي والاقتصادي والنفسي . كما يجب ان نساوي بين شروط الجميع وعند ذلك نستطيع ان نميز الاكثر ذكاء من الاقل ذكاء .

فروق الطبقات في النشاطات المدرسية :

وقد عمم بعض المؤلفين تفوق الطبقات العليا من الناحية العقلية ، على جميع المجالات الاخرى في الحياة المدرسية . وادعوا ان ابناء الطبقات العليا يتفوقون في جميع الاستعدادات والفاعليات سواء منها الفني والادبي والاجتماعي . وحجتهم في ذلك ان الاشتراك في الرابطات والندوات وتحرير صحيفة المدرسة والجمعيات الرياضية خاضع لمؤثرات طبقية .

الفروق الطبقية في النشاطات الاجتماعية والفنية التي تعتبر من مواد خارجة على المقرر او البرنامج المدرسي :

يوجد في التعليمين الثانوي والجامعي (أو العالي) في جميع انحاء العالم المتمدن نشاطات مدرسية منها ماهو فني ومنها ماهو رياضي ومنها ماهو اجتماعي ومنها ماهو ثقافي . فهل من علاقة بين التفوق والانتساب الى مختلف هذه

النشاطات والطبقات الاجتماعية ؟ هناك بعض المدارس الخاصة في الولايات المتحدة يلح الآباء من الطبقة العليا ان يكون ابناؤهم فيها رؤساء وقواد للرابطات والفرق والجمعيات ... وقد وجد في المدارس القائمة في بيئات فقيرة ، ان رؤساء الفرق والمسيطرين عليها هم من ابناء الطبقة الكادحة ، وفي المدارس الموجودة في بيئات الطبقات الوسطى ، وجد ان المسيطرين على الفرق هم من ابناء الطبقة الوسطى ... ولكن اذا اخذنا مدرسة واحدة تضم ابناء جميع الطبقات فهل نجد لمنشئهم الطبقي أثراً في توجيههم الى العاب ونشاطات مختلفة ؟ لقد لوحظ ان اكثر لاعبي الباسكتبول (كرة السلة) هم من ابناء الطبقة الوسطى ، كما لوحظ ان اغلب لاعبي الفوتبول (كرة القدم) هم من ابناء الطبقة الدنيا . (٢٧) ولكن هو للجنزهيد لاحظ في **إلمتاون** ان الالعاب الرياضية تجذب تقريباً نسبة واحدة من جميع ابناء الطبقات . (٢٨) .

المهم في الامر ان نقرر ان الطبقات ذات المركز الراقي (عليا ووسطى) لاتسيطر على الالعاب الرياضية كما زعم بعض المؤلفين من امثال يومنز (Yeumans) الذي لاحظ في احدى مدارس الهاي سكول في ميشجن (Michigan) فرأى ان ابناء ذوي « الاطواق البيضاء » يشتركون في الالعاب الرياضية اكثر من ابناء العمال والفلاحين. ودلل على ان هناك ترابطاً بين الوضع الطبقي والانتساب للفرق الرياضية . (٢٩) .

ولكن لايمكن تعميم هذه النتائج ، لان الامر يختلف بين مدرسة واخرى. وقد سرت فكرة تؤكد ان المتفوقين في الالعاب الرياضية هم من بين الطلاب المتأخرين في الدراسات الفكرية . ولهذا اجريت بعض دراسات اثبتت خطأ هذه الفكرة

---

(٢٧) راجع : Brookover: Opi . cit;pp; 99-100

(٢٨) راجع : Hollingshead:Elmtown's Youth.p.194

(٢٩) راجع : E.Grant Youmans : An appraisal of the social factors in the work attitude . Michigan. 1952

ولاحظ الدارسون للطلاب المتفوقين رياضيا ان هؤلاء لايختلفون عن سواهم من حيث الانتاج الفكري .[٣٠] .

أما من حيث الانتساب الى النوادي والنـدوات الموسيقية والتمثيليـة والثقافية والاشتراك في النشرات المدرسية ، فقد لوحظت بعض الفروق بين الطبقات. اذ لوحظ ان ابناء الطبقات ذات المركز العالي تسيطر عليها في المستوى الثانوي ، ذلك لان الآباء من الطبقتين العليا والوسطى يحمسون لان ينتسب ابناؤهم اليها ، لانهم اشتركوا فيها يوم كانوا طلاباً ويعلقون عليها أهمية اكثر من الطبقة الفقيرة. وتجب الاشارة الى ان الطلاب من ابناء الطبقات الغنية يتذوقون مثل هذه الفنون لانهم اختبروا الكثير منها في بيئتهم المنزلية والاجتماعية..[٣١]

وقد قام هولنجزهيد بدراسة في مدرسة إلمتاون ليظهر العلاقة بـين الاشتراك في النشاطات المدرسية، والطبقات الاجتماعية . فوجد النتائج التالية: (نقدم هنا النسبة المئوية) .

الطبقة الاجتماعية	الاشتراك	عدم الاشتراك
٢،١	١٠٠٪	٠٠
٣	٧٥ ٪	٢٥ ٪
٤	٥٧ ٪	٤٣ ٪
٥	٢٧ ٪	٧٣ ٪
كل الطبقات	٦٦ ٪	٣٤ ٪ [٣٢]

تدركون من هذه النتائج الفروق بين الطبقات من حيث الاشتراك في النشاطات المختلفة .

---

(٣٠) راجع : D.Eaton and J.R·Shannon:In school review,vol 42, pp.356-761 and Shannon : in Ibid.vol .46(1938) pp.128-130

(٣١) راجع : Brookever: opi, cit. p. 100

(٣٢) نقلا عن : Hollingshead : opi. cit. p. 201

أما في بلادنا فالامر يشبه الى حد ما الوضع في الولايات المتحدة الامريكية اذ نجد ان لاعبي التنس هم بغالبهم من أبناء الطبقات ذات المركز الاجتماعي والاقتصادي الحسن . وكذلك نجد ان اكثر لاعبي ولاعبات كرة السلة هم من ابناء الطبقتين العليا والوسطى . ونجد الكثيرين (وخاصة في المدارس الرسمية) من ابناء الطبقة الدنيا بين لاعبي كرة القدم . اما الفرق والنـدوات والنوادي الموسيقية والفنية والتمثيلية فتكاد تكون مقصورة في الجامعة على ابناء الطبقتين العليا والوسطى . أما ابناء الطبقة الـكادحة (وخاصة ابناء الفلاحين) فهم قليلون جداً فيها ، وذلك لوضعهم المالي من جهة ، ولحرمان بيئتهم الاجتماعية من مثل هذه الفنون ، لهذا فهم لايميلون اليها أحياناً ، وهذا غير راجع الى نقص فطري في تذوق ابناء الطبقة الدنيا للفنون الجميلة بل لفقرهم الاقتصادي اولا ، ولفقر بيئتهم من الناحية الثقافية والفنية ثانيا ، وثالثاً لاتجاههم الى ماهو ضروري وأهم منها بكثير بالنسبة اليهم .

الفروق الطبقية من حيث الاشتراك في الجماعات والرهوط غير المشروعة :

لقد قام كثير من المؤلفين بدراســـة العصبات (الشلات Cliques) والصداقات في مختلف المدارس وفي جميع مستويات التعليم [٣٣]

فأظهرت هذه الابحاث ان التلاميذ عندما يسألون ان ينتقوا اصدقاءهم من بين رفاقهم في الدراسة ، فانهم ينتقونهم عامة من بين ابناء الطبقات ذات المركز العالي اكثر منهم من بين ابناء طبقتهم . وهذا يعني ان ابناء الطبقات ذات المركز العالي ينتقون كأصدقاء اكثر من ابناء الطبقة الفقيرة . وظهر ان هؤلاء لا ينتقون كأصدقاء الا نادرا من قبل الطبقتين الوسطى والعليا .

---

(٣٣) راجع مثلا :
a) Hollingshead : Opi. Cit. pp. 204-242
b) C. B. Stendler: Children in brastown. pp. 41-51
c) American journal of sociology. vol. 51 (1946) p. p. 305-313

وقد ظهر أيضاً ان هذا التمييز الطبقي في اقامة الصداقات هو أقوى في المدارس الثانوية منه في المدارس الابتدائية .

اما في العصبات (أو الشلات) فقد ظهر ان أغلبها يضم أعضاء من ابناء طبقتين متجاورتين (أو اكثر)، ونادراً مانجد فيها ابناء طبقتين موجودتين في نهايتي الدارج الاجتماعي (أى عليا ودنيا) (٣٤).

وتقل ، نوعاً ما ، في الجامعة مثل هذه التمييزات وخاصة بالنسبة للجلوس بجانب الرفاق على نفس المقعد واقامة بعض الصداقات . (سنعود الى دراسة الشلات أو العصبات في فصل قادم).

الطبقات والزعامة (Leadership) :

يزعم البعض ان بين الزعامة في الجماعات المدرسية والطبقات الاجتماعية علاقة . ولاحظوا ان العصبات المؤلفة من ابناء الطبقة الفقير وكذلك تلك التي تتألف من ابناء الطبقة الوسطى ، يحاول فيها بعض الاعضاء ان يؤثروا على سلوك الجماعة اكثر من سواهم. ويذهب آخرون الى القول ان مؤهلات الزعامة تختلف في المدرسة تبعاً لابناء الطبقة الذين يشكلون العصبة، فالزعامة في عصبات ابناء الطبقة الوسطى مرتبطة بالاعضاء الذين يملكون اكبر سهولة في النشاطات (أو الفاعليات) التي يلح عليها عادة في المدرسة ، أما في عصبات ابناء الطبقة الدنيا فيبدو ان الزعامة مرتبطة بالاعضاء الذين يملكون اكبر قسط من الاقدام المادي .

ولكن هذه الآراء لاتزال محض فرضيات ، لان الزعامة لم تدرس، بعد ، في الرهوط غير المشروعة دراسة كافية .

أما في الجماعات المشروعة ، فيظهر ان الزعامة مرتبطة بابناء الطبقات

---

(٣٤) من اجل دراسة هامة راجع: Hollingshead opi. cit. pp. 212-253

الميسورة والراقية اكثر منها بأبناء الطبقة الفقيرة ، ولكن هذا لايمنع من ظهور زعماء من أبناء الطبقة الفقيرة وخاصة عندما يظهرون تفوقاً ظاهراً في النواحي الجسدية والفكرية والفنية . وهذا ملاحظ في جميع مستويات التعليم .

والى القارىء نتائج دراسة قام بها هو للجنزهيد في هاي سكول إلمتاون على الممثلين المنتخبين لهيئات أو جمعيات الطلاب :

الطبقة الاجتماعية	النسبة المئوية لهيئات او جماعات الطلاب	النسبة المئوية للممثلين والمنتخبين
١ و ٢	٩ ٪	٦ ، ٢١ ٪
٣	٣ ، ٣٧ ٪	٢ ، ٤٦ ٪
٤	٤٧ ٪	٢ ، ٣٢ ٪
٥	٧ ، ٦ ٪	...

وهكذا يظهر هنا أن ممثلي الطلاب من أبنـاء الطبقتين العليا — الدنيا والوسطى — العليا هم أقل عدداً من أبناء الطبقتين الوسطى — الدنيا والدنيا — العليا .. أما في بلادنا فلا تزال الزعامة داخل المدرسة وخارجها (وفي الاحزاب السياسية خاصة) مرتبطة بالمستوى العائلي ، فهي حتى الآن مقصورة تقريباً على أبناء الطبقة العليا أولا وعلى أبناء الطبقة الوسطى ثانيا. ومن النادر ان يتزعم فيها ابناء الطبقة الفقيرة الحركات السياسية الهامة والجمعيات والهيئات المدرسية . . .

وقد سبقنا ابن خلدون في« مقدمته» الى القول: ان الزعامة والنبوة لتنجحا، عند العرب ، يجب ان تخرجا من عائلة شريفة ومعروفة وقوية الشكيمة والعصبية كقريش مثلاً .

التربية والحراك الاجتماعي (Social mobility)

ويعني بالحراك الاجتماعي هنا نوع التغير الاجتماعي الذي يصيب الافراد في وضعهم الاجتماعي SocialposiTion أو مركزهم الاجتماعي (Social status)

وقد يكون هذا التغير الى أعلى أو الى أسفل في طبقات الدارج الاجتماعي . أي قد يصعد بعض ابناء الطبقة الدنيا الى الطبقتين العليا والدنيا ، وقد يحدث العكس أيضاً . فهل للتربية من أثر في الحراك الاجتماعي ؟

من أهداف التربية ، كما رأينا سابقاً ، تعليم المثل العليا والمبادىء الديموقراطية الصحيحة التي تحقق **العدالة والمساواة** لجميع المواطنين ، والمساعدة على حل المشاكل الاجتماعية ليعيش المواطنون كافة حياة افضل واكثر سعادة وأمناً واطمئناناً . ولهذا يمكن ان تؤخذ التربية كوسيلة لتهديم النظام القائم على « التوارث » وبناء دارج اجتماعي يقوم على اساس الكفاءات والمؤهلات الفردية والوظائف الاجتماعية وتكون بهذا كعاملي فعال في عملية الحراك الاجتماعي . ولا تتمكن التربية من مؤازرة باقي الوسائل التي تساعد على تهديم النظام الطبقي العتيق الا اذا أصبحت تربية عامة متوفرة لجميع المواطنين على السواء ، محققة فرصاً متكافئة لهم جميعاً وذلك بمساعدة المحتاجين منهم (عن طريق المنح المدرسية) ليتمكنوا من ارضاء استعداداتهم الفطرية والتزود بالعلم والمعرفة اللذين يعتبران من اهم العوامل في ازالة الفروق الطبقية القائمة على **التحكم والاسرة والثروة** ... ونظام الطوائف (castes) لايمكن ان يقوم ويستمر في البقاء الا في البلدان التي يعتبر ٩٥ ٪ (أو اكثر) من سكانها **جهالا** او جاهلين وبتعبير آخر أميين .

ولهذا يعتبر تعميم **الثقافة** والتربية بين كافة المواطنين ، دون تمييز ، ضرورة ديموقراطية وقد اخذت جميع البلدان الاشتراكية بهذا المبدأ ، وتابعتها فيه بلدان رأسمالية كسويسرا والدنمارك وانكلترا وفرنسا وسواها .. وبما ان اكثر الجاهلين وغير المثقفين من طبقة الكادحين من عمال وفلاحين ، وبما ان العمال اصبحوا ركيزة هامة جداً في البلاد الصناعية الحديثة ، وبما ان الفلاحين اصبحوا ركيزة هامة جداً في البلاد الزراعية الحديثة التي تطبق في عملها طرق ووسائل الانتاج الحديث ؛ لهذا اتجهت انظار المصلحين والسياسيين المخلصين الى تعميم التعليم الراقي **والاختصاصي والتكني** بين ابنائهم ... وبسبب هذا التعميم

للثقافة والعلم ظهرت في المجتمع ثورة اجتماعية غيرت وجه التاريخ القديم الذي تحتقر فيه الفئات « الدنيا » من عمال وفلاحين وباقي الكادحين . .

التربية كطريق للحراك الاجتماعي :

وهكذا اصبحت التربية احد الطرق الهامة لتبديل الوضع الاجتماعي بالصعود من طبقة ادنى الى طبقة اعلى ، وقد ظهرت في أوروبا والبلاد المتمدنة حركة قوية بين العمال (خاصة) والفلاحين ، فمالوا الى التعليم والثقافة . وساعدت الفرص الديموقراطية والثقافة بين ابناء هاتين الفئتين على بروز الكثيرين منهم على مسرح السياسة والعلم والشؤون المالية والصناعة الادارية . وقد توصل بعضهم الى زعامات الاحزاب وقيادة الحكم وترأس النظام السياسي (كهتلر وموسوليني وبعض رؤساء الجمهورية في فرنسا ، وبعض قواد احزابها كموريس توريز وجاك دوكلو وسواهما في الحزب الشيوعي ، ويحصل شيء من هذا في الحزب الاشتراكي . . .) .

وهذا ينطبق على غير فرنسا من الدول الديموقراطية ذات النظام الرأسمالي . أما في البلاد الاشتراكية فيعتبر اكثر قواد السياسة والجيش وأغلب الاداريين والفنانين والمثقفين والعلماء من ابناء العمال أولاً والفلاحين ثانياً . ومن يراجع تاريخ روسيا ، بعد الثورة الكبرى ، يجد ان زعماءها في جميع النواحي هم من طبقة العمال والفلاحين الكادحين . وخير دليل على ذلك لينين وستالين وخروتشوف وسواهم . ومن المعلوم ان هذه الطبقة تسيطر في ايامنا هذه على كل النواحي تقريباً في البلاد الاشتراكية .

أما في بلادنا ، فقد ساعد العلم أبناء الطبقة الوسطى على ان يحتلوا شيئاً فشيئاً مكانهم اللائق بهم في الحكم والسياسة والادارة والصناعة . . . وقد استطاعوا اخيراً ان يتغلبوا على الطبقة الارستوقراطية العليا ويحتلوا مكانها في الحكم

وادارة دفة البلاد وتوجيهها سياسياً وادبياً وعلمياً . وسيصبحون قريباً الطبقة العليا في البلاد وسيشكلون ، مايسمونه في أوروبا ، الطبقة البورجوازية .

وبفضل العلم والتربية ظهر بعض ابناء العمال والفلاحين وبقية الفئات من أبناء الطبقة الدنيا والكادحة على مسرح السياسة والعلم والادارة والفن . . وكانت سورية طليعة البلاد العربية في ابراز هذه الحركة الشعبية الى الوجود . باتاحة بعض فرص التعليم لأبناء الطبقة الفقيرة . ولهذا نجد الآن كثيرين منهم وقد أصبحوا من عداد أبناء الطبقة الوسطى ومنهم (ولو قليلين) من ابناء الطبقة العليا . . . وقد ارتفع كثيرون من ابناء الطبقة الدنيا بعد الحرب الكبرى الاولى وخاصة الثانية الى الطبقتين الوسطى والعليا بفضل عوامل أخرى هي خاصة اقتصادية . . .

وهكذا نلاحظ ان التربية والثقافة عندما تتاحان للجميع تعتبران أحد العوامل الهامة في الحراك الاجتماعي ، وابراز المواهب والمؤهلات لدى جميع الطبقات والفئات الاجتماعية .

وأمثلتنا التي قدمناها هنا دليل قاطع على ان ابناء الطبقة الشعبية عندمانتاح لهم فرص العلم والثقافة والتربية يبرزون ويتفوقون كغيرهم من ابناء الطبقتين العليا والوسطى . وهذا دليل قاطع ايضاً على ان تأخر أبناء الشعب في الحقل العلمي ، ليس مرده الى نقص فطري في استعداداتهم ومواهبهم ، وانما الى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية .

المستوى العلمي والحراك الاجتماعي :

كلما ارتفع المستوى العلمي لدى ابناء الطبقة الدنيا ارتفع احتمال ظهور الحراك الاجتماعي بين ابنائها . فكلما تثقف الفرد وعلا في تربيته وعلمه اصبح احتمال صعوده في السلم الاجتماعي اقوى وافعل واسرع . وهذا يصح ايضاً على ابناء الطبقة الوسطى . ولهذا يجب ان يكون التعليم مجانياً ومنحياً في جميع

مستوياته لتتاح لجميع ابناء الطبقات الاجتماعية فرص متساوية في التربية والعلم والثقافة .

والنتيجة لكل هذه الدراسة هي : ان التربية يجب ان تصبح عاملاً من عوامل احلال السعادة بين جميع مواطني الوطن الواحد والامة الواحدة والدولة الواحدة .

ويجب ان تصبح عاملا من العوامل الهامة في تهديم نظام الطبقات القديم والعتيق القائم على العائلة والدم والنسب والاقطاع والمال ، لاحلال نظام دارج اجتماعي يقوم على الكفاءات والمواهب والاخلاق الفردية وحسن القيام بالمهام والوظائف الاجتماعية .

ولتأمين تفتح كفاءات ومواهب جميع المواطنين ، يجب على الدولة ان تؤمن التربية والعلم لجميع القابلين لهما ، وللذين تمكنهم استعداداتهم وذكاؤهم من الحصول عليهما . ولا يكون ذلك الا باتاحة فرص متساوية للجميع كما يحصل في ايامنا هذه في البلاد الاشتراكية وانكلترا . وبهذا نؤمن الاستقرار والامن والرفاه والسعادة لجميع ابناء المجتمع الواحد ونرضي رغباتهم الى العلم والمعرفه والتفوق الاجتماعي ...

مصادر هامة يمكن الرجوع اليها

1 -- Alisons Davis : Social class influences on learning. Cambridge, Mass : Harward Univ. Press. 1949

2 — Harvard educational review, vol. 23, numbers 3 and 4, 1953 (importants).

3 — A. B. Hollingshead : Elmtown's Youth. N. Y. Wiely. 1949

4 — Celia B. Stendler : Children of Brasstown. Urbina 111. Univ. of 111 inois Press. 1949

5 — W. Warner and Collab : Who shall be educated. N. Y. Harper. 1944

6 — W. B. Brookover and Collab : A Sociology of education. N. Y. American book company. 1955

الفصل السابع

التربية والنظام الاقتصادي

للأنظمة الاقتصادية والعوامل الاقتصادية تأثير قوي في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية ؛ اذ عندما يتغير النظام الاقتصادي ، في بلد معين ، تغيراً جذرياً ، ترافقه ، تبعاً لذلك ، تغيرات جذرية في كثير من قطاعات الحياة الاجتماعية ، وتغيرات أقل جذرية في النواحي الاخرى.[1] اذ عندما يتغير النظام الاقتصادي، فإن الفئة القائمة على هذا النظام تتخذ **مجموعة من التدابير**: تدابير **سياسية وحقوقية وأخلاقية وتربوية** وثقافية واجتماعية عامة ، القصد منها ترسيخ هذا النظام وادامته، ومحاربة كل ما يهدد وجوده واستمراره . ولن نبحث في جميع هذه التدابير وانما سنقتصر على التربوية منها لأنها موضوع بحثنا هذا. ونحب أن نبحث هنا في هذه التبدلات حسب الانظمة الاقتصادية، ولهذا فسنتابعها خلال التاريخ البشري منذ العشير حتى أيامنا هذه . وهذا يدعونا الى التعرف على مختلف هذه الأنظمة .

الأنظمة الاقتصادية التي عرفتها البشرية منذ فجر تاريخها حتى أيامنا :

لقد اختلف العلماء من سوسيولوجيين وأنتروبولوجيين واقتصاديين حول تصنيف الأنظمة التي عرفتها البشرية . ونقدم الى القارىء بعض تصنيفاتهم .

آ ـ **تصنيف شتاينمتز** Steinmetz : لقد اعطى شتاينمتز التصنيف الآتي:

---

(١) من اجل دراسة موسعة راجع : منير مشابك موسى : المطول في علم الاجتماع ـ الكتاب الأول ـ الفصل الحادي عشر والفصل الثاني عشر .

١) **نظام الجمع** (الجماعون les collecteurs) ،

٢) **نظام القنص** (القنّاص (les chasseurs) ،

٣) نظام الصيد (الصيادون (les pécheurs) ،

٤) نظام الزراعة البدوية (الزارعون البدويون أو القنّاص-الزارعون (Les agriculteurs nomades on chasseurs - agriculteurs)

٥) **نظام الزراعة الحقيقية (المستقرة الدنيا** (الزراع الحقيقيون (المستقرون) الأدنون les vrais agriculteurs(sédentaires)inferieurs)

٦) نظام الزراعة العليا (الزراع الأعلون (les agriculteurs supérieurs)

٧) نظام الرعي البدوي (الرعاة البدو Lespasteurs nomades)،

٨) **نظام الزراعة والصناعة والتجارة** : (الشعوب ذات الانتاج المعقد وتدخل فيه الزراعة والصناعة والتجارة الداخلية والخارجية) ،

٩) **نظام المانيفكتورة** Manifacture

١٠) **نظام الصناعة** (الصناعة الكبرى وتقدم تقسيم العمل الى اقصى حدوده) .

ب – **تصنيف الماركسيين** : يعطي الماركسيون التصنيف الآتي :

١) **نظام المتحد البدائي** (أو المشاعية البدائية (Communauté primitive)

٢) نظام الرق (العبودية أو الرق Le servage)

٣) نظام الاقطاع (أو الاقطاعية La féodalité)

٤) النظام الرأسمالي (أو الرأسمالية Le capitalisme)

٥) النظام الاشتراكي (أو الاشتراكية Le socialisme)[٣] .

---

(٢) للتوسع راجع : Steinmetz: Types sociaux économiques; in Année sociologique, tom. III 1898-1899. pp. 139-142

(٣) للتوسع راجع : Mauuel d'Economie politique. Editions sociales. Paris. 1956

ج — **تصنيف بعض المؤلفين الامريكيين** : يعطي كلايد مور G.Moore ووليم كول W.Cole التصنيف الآتي .

١) اقتصاد الجمّاعين (وينتهي خلال مراحل الجمع والقنص والصيد) ،

٢) الاقتصاد الرعوي (The pastoral economy) ،

٣) الاقتصاد الزراعي ،

٤) الاقتصاد الصناعي ،

٥) الاقتصادي المالي (The financial ecnomny) ،

٦) الاقتصادالحكومي (The governmental economy)،(وتظهر فيه مختلف درجات الاقتصادالموجه ، منها : رأسمالية الدولة ، واشتراكية الدولة) [٤] . ويشاركان بهذا التصنيف مؤلفين آخرين نقلا عنهم [٥] . أما نحن فلن نتقيد بأحد هذه التصنيفات ، ولكننا سنتأثر بها جميعاً في معالجة موضوعنا، وسندخل عليها بعض التعديلات التي تلائمه . وننبه القارىء الى اننا لا نعتقد بتطور وحيد ومستمر مرت به جميع الشعوب الانسانية ، وقد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا الاول [٦] .

تطور التربية تبعاً لتطور الأنظمة الاقتصادية

ا — **التربية في الحضارة البدائية** : وتشمل المرحلتين الآتيتين :

١ — **التربية في نظام الجمع او الالتقاط** : كان الناس يعيشون داخل العشير

---

(٤) راجع : C. Moore et W. Cole: Sociology in Educational practice. Houghton. Boston. 1952

(٥) راجع مثلا : H. E. Barnes: Social institutions N. Y. Prentice-Hall. 1946.

R. H, Lowie: Social desorganization. N. Y. Rinehort. 1948.

٦ — راجع منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا . الكتاب الاول ، الفصل الحادي عشر .

البدوي المتنقل ، وكانوا يقتاتون من محصولات الأرض الطبيعية : جذور ، أعشاب ، ثمار ... وكان الرجل والمرأة يقومان على السواء بهذه المهمة : أي الجمع والالتقاط . ولهذا كانت المساواة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة مطلقة تقريباً . ولم يكن التفوق داخل الأسرة الطبيعية لاحدهما ، لأن تساوي الواجبات الاقتصادية والاجتماعية كانت واحدة لكليهما . ولهذا كانت المساواة واحدة في الشروط المعنوية والاجتماعية بين الرجل والمرأة . ومن هنا جاءت وحدانية الزواج في أغلب الاحيان . . ومن هنا جاءت الرغبة في انجاب الاطفال ، والميل الى استقبالهم عند الولادة دون التمييز بين ذكر وانثى . ولهذا كانوا يدللون جميعاً . وكانوا يخضعون ذكوراً واناثاً لنفس التدابير التربوية . اذ كان أهلهم يهيئونهم للتلاؤم مع الطبيعة ومع متطلبات حياة العشير . يعلمونهم أساليب حفظ البقاء والدفاع عن النفس ضد الطبيعة والوحوش والاعداء ، ويعدونهم لتهيئة أدواتهم ووسائلهم التي تصنع من الخشب والعظام ، والخضوع للمتطلبات الاجتماعية في العشير : العمل المشترك والدفاع المشترك .

٢ ـ **التربية في نظام الجمع والقنص الأصغر او الادنى** : في هذه المرحلة أخذ الرجل بين وقت وآخر وبصورة غير منتظمة ، **يزيد على الغذاء النباتي بعضاً من الغذاء اللحمي** . وبهذا اتخذ الرجل شيئاً فشيئاً بعضاً من التفوق على المرأة . وظهرت بعض فروق تربوية ترسخت وقويت في المرحلة التالية . ومهما يكن من أمر فإن بعض الشعوب التي لا تزال تعيش على هذا النظام حتى أيامنا هذه في بقاع مختلفة من العالم من أمثال البيجمي الآندامين Pygmees والكورني Kurnai والكولين Kulin الذين يعيشون في الجنوب الشرقي من اوستراليا ، نقول تقيم هذه الشعوب حفلات تأهيل أو دخول (Cérémonies d'initiation) مشتركة للبنين والبنات الذين ادركوا سن البلوغ (أو المراهقة) ، وهي حفلات عامة غير سرية القصد منها تأهيل الجنسين لحياة الزواج ، ويلقنون فيها عادات

القبيلة وتقاليدها وديانتها ... [٦] .

ب ـ **التربية في الحضارات الأولية** (Civilisations primaires) : وتشمل المراحل الآتية :

١ ـ **التربية في نظام القنص الأكبر او الأعلى** (La grande chasse) : تحسنت وسائل وأدوات الناس ، وبرزت الأدوات الحجرية والمعدنية بعد ان كانت في المرحلة السابقة أدوات خشبية وعظمية . ولهذا اعتمد البشر الاوائل في هذه المرحلة على القنص وبهذا انقطع الغذاء النباتي عن **ان يكون اساس النظام الاقتصادي** . وبظهور الصيد الاكبر **ظهر التقسيم الطبيعي للعمل** بشكل واضح وبارز : **العمل على اساس الجنس** مثلا . وهكذا اصبح الصيد من خصائص الرجال ، ولا تشارك النساء فيه . وبهذا اصبحت اهمية الرجل الاقتصادية اقوى بكثير من اهمية المرأة الاقتصادية ومن هنا اخذ الرجل يشعر **بتفوقه** على المرأة . وظهرت في هذه المرحلة الطوطمية **الفردية** والجنسية (المرتبطة بالحياة الجنسية) . وهنا اصبح الأب يسيطر على الاسرة واصبحت الاسرة **ابريسية تقريباً** واصبح الاطفال ينتسبون الى طوطم ابيهم . وبهذا ظهر تفوق وهيمنة المبدأ الذكري على المبدأ الانثوي وتبعاً لهذا اخذت التربية تختلف بالنسبة للجنسين .

فالتربية التي تعطى للاطفال الذكور تختلف ، منذ مرحلة معينة (بعد السابعة مثلا) عن التربية التي تعطى للبنات اذ اصبح البنات يربين على طرق واساليب قطف الثمار وجمع الاعشاب وتهيئة الغذاء ، وتربية الاطفال في مراحل عمرهم الاولى ، بينما اصبح الاطفال الذكور يربون على **طرق واساليب القنص وبصورة جماعية ومشتركة** ، وكذلك على اساليب الدفاع عن النفس والعشير عند غارات الاعداء من وحوش وبشر .. واخذت التربية بين الجنسين تأخذ بالاختلاف البارز حسب تقدم الصيد وتحسن ادوات الصيد والحرب وتعقد الحضارة والثقافة

---

(٦) راجع : A. Lemonnyer, y. Tonneauct R. Troude: Précis de Sociologie. pp 422-423

البشريتين. وبرز هذا الاختلاف بظهور **طبقات السن او العمر** Les classes d'âge اذا أخذت تقام حفلات التأهيل أو الدخول للصبيان دون البنات . ولكن أقيم بين الصبيان أو الذكور دارج يرتكز على السن : قسم الرجال على أساسه الى مرتبتين : مرتبة **المؤهلين** ومرتبة غير المؤهلين ، وتقسم مرتبة المؤهلين بدورها الى درجتين : درجة الشبان غير المتزوجين ودرجة الشبان المتزوجين . وكانت درجة غير المتزوجين تخضع عند ادراكها سن البلوغ **للتأهيل أو الدخول**. وكان طقسها الأساسي الختان او الطهور الذي يهدف الى تسهيل الفعل الجنسي . ويوضع هؤلاء الشبان العازبون في امكنة مشتركة ويخضعون حتى زواجهم لتربية قاسية القصد منها تأهيلهم للصيد والحرب واعدادهم للمستقبل الذي يجب ان يكرس لحفظ البقاء وصالح العشير او العشيرة ، واعطاؤهم بعض مفاهيم عن ديانة العشيرة وطقوسها وتقاليدها وعاداتها ، وبعض معلومات عن الحياة الجنسية واسرارها وكيفية اجراء الفعل الجنسي (٧) .

٢ – التربية في نظام الزراعة الاولية او الصغرى:

في هذا النظام اخذت النساء ، اثناء غياب الرجال في الصيد ، يقمن بشيء من الزراعة الاولية باستعمال المسحاة . واصبح المحصول اكثر كفالة ، وهكذا اخذ النساء يبذرن ويزرعن بعض الحبوب والجذور ، ويؤمن غذاء اكثر ضمانا من الصيد مكن الناس من حياة اكثر استقراراً وامناً من حياة الجمع والصيد. وبهذا اخذت المرأة اهمية كبرى تبعاً لدورها الاقتصادي ، وهكذا هيمنت على الرجل . واصبح النظام الاسروي نظاماً امريسياً (Matriarcal) .

وانقسم المجتمع بعد هذا الى قسمين : الرجال من جهة ، والنساء من جهة ثانية . واخذ الرجال يثورون على سيطرة النساء ولهذا شكلوا **مجتمعات سرية** (Sociétés secrètes) مقصورة على الرجال دون النساء ، يقوم فيها الرجال

---

(٧) راجع : Ibid,: pp. 52-53 et p. 436.

بطقوس واعمال ، ويخضعون **لتعاليم سرية تماماً** ، ولتأهل تربوي صعب وقاس وخطر أحيانا ، القصد منه انشاء **روح الجماعة** والتعاون والفتوة وغرس الكراهية ضد المرأة؛ ويقومون داخل هذه المجتمعات السرية **بعبادة الأموات الذكور**. وكان هؤلاء الرجال يؤهلون لحياة الصيد والحرب والاعمال المشتركة .

اما النساء فكن يخضعن داخل الاسرة لتربية تؤهلهن لعمل امهاتهن في تحضير الطعام في البيت ، والاهتمام بالزراعة حول الخيمة **او الكوخ** الاولي . وكن يخضعن في الاسرة لحفلة تأهيل او دخول عندما يدركن سن البلوغ وتظهر **اولى بوادر الطمث عندهن** . وكانت هذه الحفلة تقام بصورة مقصورة على الفتاة التي تخضع للتأهيل وعلى بعض البالغات المؤهلات او بعض النسوة المتقدمات في السن . وكانت تخضع الفتاة هذه لنظام غذائي خاص يدوم بضعة ايام . وتبقى في الخيمة (او الكوخ) لا تفارقها خوفاً من التعرض لاشعة الشمس ، وتخضع طوال هذه المدة للغسل والدهن بالطيب والروائح العطرية . وبعد انتهاء المدة تظهر بأحلى حلة وتعتبر بعدها بالغة . وتؤهل **بهذا** للزواج والحياة الجنسية . وتربى على القوة والسيطرة والهيمنة على الرجل ... لان دورها هو دور المسيطر في الاسرة . ومهما يكن من امر ، واذا استثنينا حفلات الدخول وطقوسها القاسية ، فانه يمكن القول ان التربية كانت ، في هذه المرحلة ، لا تقوم على القسوة والعنف والسيطرة ، بل على المحبة والعطف ، وقد وجد شتانيمتز شعوبا بدائية لا تزال تعيش حتى ايامنا على حضارة هذه المرحلة . « فلاحظ ان في بعض هذه الشعوب (بعض هنود امريكا الشمالية ، وبعض السكان الاستراليين) لا يعرف الاطفال الضرب ولا التأنيب والتعنيف ، كما لاحظ ان الهنود المونتانيين Montagnais « لا يرفضون شيئاً لطفل يبكي » ، ويعتبر السيو (Sioux) ان البيض برابرة لانهم يضربون ابناءهم .[٨] فالقسوة في التربية ظهرت في مرحلة

---

(٨) راجع : R. Hubert: Histoire de la Pédogogie. Paris. P. U. F. 1949 pp. 10-11

تالية سنذكرها فيما بعد .

٣ – التربية في نظام التدجين البدوي :

توصل الانسان في هذه المرحلة ، الى تدجين بعض الحيوانات واستخدامها في غذائه ونقله وتنقله . واصبح الرجل راعياً للمواشي التي دجنها . واضحى الغذاء الحيواني الغذاء الاساسي بالنسبة لاناس هذه المرحلة . فامسى دور الرجل مهماً ، ودور المرأة اقل اهمية اذ اخذ الرجل يربي الحيوانات ويرعاها ، ويقدم للمرأة الغذاء ، وما على المرأة سوى ان تقوم بطهيه . وهكذا أخذ الرجل يسيطر على المرأة. وكانت حضارة هذه المرحلة حضارة ابريسية (patriarcale). وظهر بظهور التدجين التقسيم الاجتماعي للعمل . اذا اخذت بعض القبائل تربي قطعانا كبيرة ، وبهذا يبقى لديها فائض من اللحوم والاصواف والحليب ... واخذت بعض القبائل الزراعية ، والاخرى الراعية تتبادل **الانتاج** فيما بينها . ومع الزمن اصبحت بعض القبائل في حاجة **الى الآلات والوسائل** والادوات والالبسة ، وبهذا ظهر في المتحدات والجماعات صناع وحرفيون : حدادون وصانعو اسلحة ، وصانعو خزف ، و... وبهذا زادت **المبادلة** ونشطت .

كل هذا دعا الى ظهور التقسيم الاجتماعي للعمل . ومع الزمن ، زاد فائض الانتاج ، واهتم بعض الافراد بالمبادلة **فزادت ثرواتهم** . واستولى رؤساء القبائل على كثير من الاراضي ، وربوا قطعاناً كبيرة العدد ، وبهذا **ظهرت الملكية الخاصة** . ومع الزمن أصبح رؤساء القبائل ، والقواد الحربيون ، والكهنة ، أغنياء ، وأخذت ثرواتهم بالتضخم على حساب أفراد القبائل الباقين ، وشيئاً فشيئاً تحول هؤلاء الى فقراء مدقعين ، وساءت أحوالهم ، ووقعوا تحت نفوذ العائلات الارستقراطية الغنية ، وتحولوا مع الزمن الى عبيد . وبهذا ظهر تقسيم المجتمع الى « **طبقات** » : طبقة الاغنياء وطبقة الفقراء ، أو طبقة الاسياد وطبقة

العبيد . وبهذا ظهر أيضاً استغلال الانسان للانسان[٩] .

وتحول العمل من عمل جماعي الى عمل فردي . . .

ظهرت اذن تبدلات عميقة في بنية المجتمع الاقتصادية وتبعاً لذلك في بنيته الاجتماعية والحضارية . لذلك اختلفت التربية عن ذي قبل . فأصبحت تربية المرأة تقتصر على تهيئتها لأعمال المنزل والخدمة ، والطاعة والخضوع للرجل ؛ وأصبحت الطبقة الغنية الارستوقراطية تربي ابناءها على الفروسية والحرب والعنف والقوة والسيطرة والغزو ، والدهاء والحنكة في المبادلة والتجارة وكسب الثروات . . أما تربية العبيد والفقراء فكانت تهدف الى تربية العبد الخاضع والامين : أي العبد الصالح . وكانت ترسخ في نفوسهم صفات الخضوع والعبودية والاستسلام والقناعة والاكتفاء بالقليل ... بواسطة بعض أفكار دينية وضعها الكهنة الارستوقراطيون خصيصا للتخدير وقتل النفوس البائسة المستغلة . وانتهى بهذه المرحلة نظام المتحد البدائي أو المشاعية البدائية (Communauté primitive) على حد تعبير بعض المؤلفين .

ج – **التربية في الحضارات الكبرى** : دعت الزراعة وتربية الماشية الناس الذين يقومون بهما الى الاستقرار ، ونشأت بهذا القرى . ومع تقدم الحضارة ظهرت المدن والحكومات . وظهرت بذلك الحضارات الكبرى التاريخية الاولى ، وكانت مقدمة للحضارة الحديثة . ونحاول الان أن نعطي اللون التربوي لكل من هذه الحضارات .

١ - **التربية في نظام الزراعة الكبرى المستقرة والصناعة والتجارة** وهو ما نسميه **بنظام الرق والعبودية** : انفصلت في هذا العهد **المهن** أو الحرف عن **الزراعة** ؛ وكان هذا هو التقسيم الاجتماعي الثاني للعمل . وأصبح الاغنياء

---

(٩) من اجل تفاصيل راجع منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا : الكتاب الاول – الفصل الحادي عشر .

والتجار ينتجون **بضائع وسلعا المبادلة ؛ وظهر النقد** ، وتضخمت الثروات واستولى الاغنياء على الاراضي الواسعة والعبيد المنتجين ، سواء في الزراعة أم في الصناعة . وظهرت بهذا الطبقات الاجتماعية المتناحرة : كبار المالكين وغير المالكين . الاسياد والعبيد ، أو الاحرار والعبيد ، الاغنياء والفقراء ...

وعندما ظهر شيء من الصراع ، خاف الاغنياء على ثرواتهم واملاكهم من ثورات الفقراء والعبيد ، فلجأوا إلى تأسيس الدولة التي أصبحت في ايديهم آلة **قمع وفتح واستيلاء على العبيد** والثروات الطبيعية في المجتمعات الضعيفة[١٠]. دفعت كل هذه التبدلات الاقتصادية والاجتماعية الى تبدلات عميقة في النواحي الفكرية والعلمية والفلسفية والدينية. وتعقدت الحضارة والثقافة مع مر الزمان؛ إذ ظهر في هـذا العهد كثير من الحكماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين والرسل والانبياء لدى المصريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والفرس واليونان والرومان والعرب . . .

ولهذا مست الحاجة **الى انشاء المدارس** والتعليم الصحيح . لأن تعقد الحضارة والثقافة بما في ذلك التقاليد والعادات والتنظيم الاجتماعي والسياسي ، دعا الى التعليم المنظم ، لتخريج السياسيين والفلاسفة والمختصين بشؤون التجارة والصناعة ، ولغرس الاخلاق السائدة في المجتمع ، وحفظ الارث الثقافي والحضاري بنقله من جيل الى جيل . . .

التربية في هذه المرحلة : أصبح ، في هذه المرحلة ، الملك أو الامبراطور وأفراد اسرته وبعض الاسر الارستوقراطية ، مالكين للارض ومن يحرثها : أي العبيد والارقاء . وكان الملك والعائلات الارستوقراطية يريدون أن يحافظوا حظوتهم وتميزاتهم وثرواتهم ، لذا اقاموا **ديكتاتوريات عنيفة** ، كان القصد منها ، غالبا ، **كبت واضطهاد** العبيد : الصناع والزراع ، لهـذا

---

(١٠) من اجل تفاصيل راجع : المصدر السابق . الفصل الحادي عشر .

ادعى الملوك انهم ابناء الآلهة او انهم الآلهة بالذات ؛ كما فعل الفراعنة وبعض اباطرة الرومان واليونان .

وبهذا تحولت اوامرهم وقوانينهم الى قوانين دينية وسماوية مقدسة لا تجوز الثورة عليها ولا يسمح بالخروج عليها .

وتولى رجال الدين الذين تآمروا مع الارستوقراطيين ، الذين كانوا ، غالبا ، من طبقتهم ، اختراع بعض **افكار مسممة** القصد منها تخدير الفقراء والعبيد . فالبوذية ، التي انتشرت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، كانت تعلم الخضوع للطبقات الارستوقراطية الحاكمة ، وعدم مقاومتها ومقاومة عنفها . . (١١)

واشترك جميع الفلاسفة تقريبا ، من افلاطون الى ارسطو ... ، في تدعيم وتثبيت هذه الافكار فلسفيا .

ونقلت السلطة والعنف والديكتاتورية الى جميع نواحي الحياة الاجتماعية . انتقلت الى الاسرة حيث اصبح فيها الاب ديكتاتوراً مسيطراً يفعل ما يشاء بزوجته واطفاله ، وكانت تمتد سلطاته حتى الى قتلهم ؛ وانتقلت الى المدرسة والمهن ، وجميع المؤسسات الاجتماعية .

وكان هدف هذه التربية بالنسبة للطبقات الفقيرة والعبيد تهيئة العبد الطائع ، والشخصية الميتة لا المبدعة ، والجمهور الخاضع لروح القطيع الذي ينقاد للكهان ورجال السياسة ، والشعب المتنابذ والمتحاسد والمنقسم كي لا يتمكن يوما من الثورة والانتفاض على الظلم والطغيان وعدم المساواة ؛ لذا قامت هذه التربية على الضرب والقسوة والعنف .

وتجلت هذه النزعة العنيفة في تربية العبيد . اذ ذكر المؤرخ بلوتارك (القرن الاول والثاني بعد الميلاد) بأن كاتون Caton ، (وهو نموذج

---

(١١) راجع : Manuel d'Economie politique. Paris. Editions Sociales. 1956. p. 44

للسيد) كان يشتري عبيده وهم اطفال ، في سن يشبهون فيها الجراء (صغار الكلاب) والافلاء (او الامهار) ، ويخضعون فيها للتربية والترويض » .

ويقول ايضا انه كان يتخيل باستمرار وسائل جديدة لادامة الشقاق والانقسام بين هؤلاء العبيد ؛ لانه كان يخشى اتفاقهم ، الذي يعتبر خطراً[١٢] .

وحصر العمل اليدوي بالعبيد والفقراء ، لهذا كان يربى الاطفال على حرف ومهن آبائهم بشكل إجباري . اما العمل الفكري والاداري فكان مقصوراً تقريبا على الطبقة الارستوقراطية وطبقة الكهان ، لهذا كان يربى ابناؤهم في المدارس ليهيأوا للادارة والسياسة والمهن الشريفة الراقية كالطب والتجارة . . .

وكانت التربية المدرسية مقصورة عليهم تقريبا . لأن ابناء الفقراء والعبيد لم يكن يتسنى لهم مثل هذه التربية التي كانت تكلف غاليا ، ولا تلزمهم في حياتهم العملية لأنهم لن يتوصلوا الى الادارة او مجلس الشيوخ . . .[١٣]

ومن هنا أصبحت التربية الارستقراطية تربية نظرية يتكلم أبناؤها الفلسفة والجدل والبيان والخطابة . تربية تحتقر **العمل اليدوي** الذي اصبح لاصقاً بالعبيد . . . فمثلا في اثينا قال صولون « يجب ان يتعلم الصبيان الكبار ، قبل كل شيء ، السباحة والقراءة ، ويجب ان يتعلم الفقراء ، بعد ذلك ، الزراعة أو صناعة اخرى ، ويجب ان يتعلم الاغنياء الموسيقى والحساب ، ويكرسوا اوقاتهم لارتياد مدارس الالعاب الرياضية والصيد والفلسفة »[١٤] وبهذا مالت هـــذه التربية الارستوقراطية شيئاً فشيئاً لأن تصبح فردية وجدلية وبيانية . . .[١٥]

---

(١٢) نقلا عن : Ibid.: p. 45

(١٣) راجع الفصل الرابع. ص ٦٠

(١٤) نقلا عن : R. Hubert: opi. cit. p. 20

(١٥) راجع : Ibid,: p. 21.

وهذا ما حصل لدى الرومان . اذ كان يعلم أغلب الاطفال في المدن طبعاً وليس في القرى، القراءة والكتابة والحساب (البسيط طبعاً) ، وقانون اللوائح الاثنتي عشرة . أما اطفال الاسر العريقة أو الارستوقراطية ، فكان يعلمون علاوة على ذلك أمور الحرب في المعسكرات وشؤون السياسة بحضورهم جلسات مجلس الشيوخ ...[١٦]

وكانت تحصر اغلب المدارس في المعابد ويقوم بالتعليم فيها رجال الدين ، وظهر هذا واضحا لدى المصريين القدماء[١٧] ولدى السومريين ، اذ كانت المعابد لدى هؤلاء مراكز التعليم الوحيدة[١٨] .

ولكن تبدل الامر في بلاد اليونان والرومان حيث اسست في عهود ازدهارهما مدارس رسمية (او بلدية) ومدارس خاصة كان يقوم عليها الفلاسفة والحكماء والمربون من غير الكهنة. وهذا ما اعطى التربية اليونانية صفة خاصة فيها الابداع والابتكار احياناً ...

اما النساء فقد قضى هذا العهد ، عامة ، على قيمتهن الاجتماعية ، لأن الاقتصاد بدأ يقوم على عمل وانتاج العبيد الذكور . وهذا ما ادى بالمرأة الى حالة لا تختلف عن حالة العبد والرق . حتى ان نساء الرجال الأحرار كن محرومات ، عامة ، من الحقوق المدنية والسياسية وحق التملك ..[١٩] لهذا كانت تربية النساء تقتصر ، غالبا ، على تأهيلهن لحياة البيت واعماله والاعتناء بالأطفال . حتى أن النساء الارستوقراطيات كن ، غالباً ، اذا تكلمن توصلن

---

(١٦) راجع : Ipid, : p. 22.

(١٧) راجع مصطفى أمين . تاريخ التربية . (١٩٢٦)، ص١٨ و ٢٣

(١٨) راجع رالف لنتون : شجرة الحضارة . الجزء الثاني . (ترجمة احمد فخري) القاهرة ، الانجلو - مصرية ١٩٥٩ ص ٢٢٤

(١٩) راجع : Manuel d'economie politique, Paris. Edit. sociales. p. 36

الى مرحلة اولية من العلم تساعدهن على تربية اولادهن في الادوار الاولى من حياتهم. هذا ما كان يحصل في مصر القديمة ،[٢٠] ، وفي بلاد الهند وسومر ،[٢١]، اما في اثينا فكانت تربية البنات تغفل عن قصد ، وكل ما يتعلمنه كان الخضوع والطاعة وغزل الصوف وحياكته ؛ واذا تزوجت الفتاة لازمت بيتها لا تغادره الا في الاعياد والمواسم الدينية .[٢٢]

٢ً) التربية في النظام الاقطاعي :

بعد تهدم النظام **الاقتصادي القائم على العبودية والرق** حل محله نظام الاقطاع الذي استبدل بالقن العبد ؛ واصبح القن اكبر حرية ، واكثر احتراماً من العبد . وقد دامت الاقطاعية اكثر من ألفي سنة في الصين ؛ كما بدأت الاقطاعية في اوروبا منذ سقوط الامبراطورية الرومانية (في القرن القرن الخامس بعد الميلاد) ودامت حتى ظهور الثورتين البورجوازيتين : الانكليزية (في القرن السابع عشر) والفرنسية (في القرن الثامن عشر) . وعرفت البلاد العربية ايضاً هذا النظام البشع زمناً طويلاً ، ولا يزال بعض اجزائها يعانيه .

سيطر الاسياد الملاك ، في هذه المرحلة ، على الاقنان الفلاحين . وكان الاسياد يريدون ان يديموا سيطرتهم واستغلالهم على هؤلاء الاقنان المساكين. وكانت خير وسيلة للوصول الى هذا الهدف الديكتاتورية والعنف والجهل والتخدير بواسطة رجال الدين وافكارهم السحرية المسمومة التي كانت ابعد ماتكون عن الدين .

وكانت التربية احدى وسائل هذه السيطرة .

اذ كانت التربية الاقطاعية طبقية في نزعتها. فكانت الطبقة النبيلة الاقطاعية تربي ابناءها على الحرب والفروسية والصيد وتهيؤهم للسياسة والادارة والحكم

---

(٢٠) راجع مصطفى أمين : تاريخ التربية . ص ٢٣

(٢١) راجع رالف لنيون : شجرة الحضارة . الجزء الثاني. ص ٢٢٤

(٢٢) راجع مصطفى أمين : تاريخ التربية . ص ٥٧ و٥٨

والقضاء وحياة القصور والصالونات ، وتزودهم بالثقافة الفكرية والدينية .

اما رجال الدين فكانوا أكثر ثقافة من سواهم وكانوا يسيطرون على التربية ويشكلون الطبقة الثانية في الاهمية بعد النبلاء الاقطاعيين ؛ وكانوا لا يقلون عن كثيرين منهم باستيلائهم على أراض واسعة ، واستغلالهم لعدد كبير من الاقنان ... (٢٣) .

لهذا تحمسوا كالنبلاء ، للسيطرة على الفلاحين البؤساء . وقد ترك لهم النبلاء أمر التربية . ذلك لانهم بهذا يسيطرون ، من جهة ، على النشء المتعلم الذي يغشى الاديرة والكنائس والمساجد للتزود بالتربية ، وعلى جمهور المصلين من الشعب الفقير ، من جهة ثانية . فكانت تربية تحاول ان تزودهم بالافكار السحرية والخرافات والخزعبلات التي تعاكس تماماً روح الدين الصحيح ، والاستسلام للقدر ، والخضوع للرؤساء ، والقناعة ، والاستعاضة عن خيرات العالم الارضي ، الفانية أو العاجلة ، بخيرات العالم السماوي ، الباقية أو الآجلة ، والتعلل بالنعيم السماوي والتعويض به عن الشقاء الارضي ، والاقتناع بان وجود طبقات غنية وطبقات فقيرة مرده الى حكمة إلهية ... وكان رجال الدين يريدون ان يلفوا الفرد بالدين . لان الدين يعتبر الانسان ككل ، كما يقول هوبر ، وبهذا مالت التربية في القرون الوسطى الى الهيمنة على كل نشاطات الانسان وخاصة المهنية منها والاقتصادية والاجتماعية . (٢٤) وكان هم التعليم صب المعلومات في الذهن وحشوه بها واعطاءه على صورة شفوية تماماً ، واقامته على القراءة والاملاء . وكان الدرس يتضمن شرح كتاب . ولم تكن المعرفة تهتم بالحوادث والوقائع ، بل بآراء مؤلفين يعتبرون أسياد العلم الحقيقيين : (منهم أرسطو خاصة) . لان آراء ارسطو كانت تدعم **الاسرة والملكية الخاصة والرق** والاوضاع الاجتماعية الراهنة ... وكان الجدل يحتل المقام الاول في هذا التعليم ... وكان

---

(٢٣) راجع : Manuel d'Economie politique p. 58

(٢٤) راجع : R. Hubert: Histoire de lapédogogie. p. 27

هذا التعليم يقوم بصورة عامة ، على مبدأ السلطة [٢٥] : سلطة رجال الدين ، وسلطة رجال الفكر ، وسلطة رجال السياسة من النبلاء ... وكان القصد من ذلك قتل روح الابداع والتفكير المجدد ، ولف الطبقة الشعبية باقمطة التقاليد العتيقة الجائرة بالنسبة اليهم ... لان الفكر المجدد والمبدع مدعاة الى التغير الاجتماعي وتبدل الاوضاع القائمة ، وهذا ما كان يخشاه النبلاء ومن ورائهم رجال الدين .. وقد حاول مؤلفون وفلاسفة كثيرون ان يبذروا هذه الروح وهذه الافكار (المحافظة التي تبعد الناس عن قضاياهم الحقيقية) منهم القديس توما الاكويني والغزالي وابن رشد ، وكونفوشيوس (من قبلهم) ... وقد كان ابن خلدون مثلاً يقول بان المتعلم على سفر من الاسفار في هذه الدنيا . وان عالم الشهادة ليس بعالم له قيمته في ذاته ، وانما هو عالم انتقالي يمهد لعالم أرقى منه هو عالم الآخرة . ولهذا كان عالم الآخرة غاية الغايات . وهو الهدف الاسمى للتربية عند ابن خلدون . وأن الوسيلة الفعالة للتمهيد لعالم الآخرة هي الانسحاب من عالم الشهادة بتعلم علوم الدين ... وتقوم التربية لديه على الفضائل الدينية الكبرى : **الزهد والتوكل** والرضا . [٢٦]

وقد علق الاستاذ عبد العزيز عزت على أفكار ابن خلدون بقوله « وهي تربية فاشلة بالنسبة للطبقة التي يضعها ابن خلدون (أي الطبقة الارستوقراطية ..... وذلك ايضاً لأن الطبقة التي يعلمها ابن خلدون طبقة يصعب عليها فهم الزهد والتوكل والرضا لانها طبقة مترفة متخمة بالثروة والغنى وتقبل الماديات واللذات والحسيات في كل عهد من عهود تطور المجتمع البشري . وهي طبقة لا ترضى ابداً ولا تقنع بما هي فيه من نعيم مقيم وانما هي طبقة جشعة تريد دائماً المزيد من الثروات والشهوات ، فهي طبقة غارقة في الرذائل بطبعها ، ولا تكتفي ولا تحد رغباتها وحاجاتها ، ولهذا تفننت دائماً وابداً وفي كل عهود التاريخ كيف

---

(٢٥) راجع : Ibid : p. 36

٢٦ - راجع ابن خلدون المقدمة . القسم المختص بالتربية .

تحتال على فضائل الدين الشريفة وعلى الروح الدينية السمحة كظلم الناس وحرمانهم من حقوقهم واغتصاب هذه الحقوق في سبيل صالح انفسهم .... » (٢٧)

واعطى الاستاذ عبد العزيز عزت هذا النقد لانه يعتقد ان التربية المدرسية كانت مقصورة في العهود الاقطاعية على الطبقة الارستوقراطية ، اذ كان التعليم يكلف اموالا باهظة لا يتمكن من دفعها ابناء الفقراء ... ولهذا يرى ان ابن خلدون يضع هذه التربية لهم . ولكننا نسأل هذا الاستاذ الكريم : هل وضع ابن خلدون هذه الافكار للطبقة الارستوقراطية ؟ كلا يا اخي ، وانما وضعها لرجال الدين ليبذروها في خطبهم وتعاليمهم في المساجد بين الطبقات الشعبية الفقيرة ليزداد تخديرها وبعدها عن مشاكلها وحلولها وازوارارها عن العالم الارضي الى العالم السماوي ؛ اذ لم يكن ابن خلدون ، سواء بسواء كالقديس توما الاكويني وكونفوشيوس وامثالهم من مفكري عصور الاقطاع ، سوى مفكر يعبر عن آراء طبقة اقطاعية مستغلة تستعمل جميع الاسلحة والوسائل للمحافظة على حظواتها وامتيازاتها واملاكها وثرواتها ومراكزها الاجتماعية والسياسية ، وكانت التربية الدينية المنحرفة عن روح الدين الصحيح من اقوى هذه الوسائل وتلك الاسلحة . !!

والذي جعل هذه التربية تفعل فعلها هو الجهل المطبق على ٩٨٪ من الفلاحين الاقنان وابنائهم . وكانت تفعل فعلها مع النساء اكثر من الرجال . لان النساء كن أرقاء هذا العهد . فكانت هذه الافكار السحرية تنقلهن الى عالم خيالي وسحري ينسجنه بخيالهن فينسين بهذا عالمهن المؤلم المليء بالظلم والمشقة والحرمان والجهل والعذاب والاعمال المجهدة ....

ولا يفوتنا ان نقول بان هذه التربية كانت تحتقر العمل اليدوي ، وتجل العمل الفكري . فعمقت بهذا الهوة السحيقة التي حفرها العهد العبودي بين العملين ...

---

٢٧ - عبد العزيز عزت : في الاجتماع التربوي . الطبعة الثانية - القاهرة . دار التأليف ١٩٥٧ ص ٣٢ - ٣٣ .

هذا ما كان يحصل في القرى ، أما في المدن ،فكانت الحالة مختلفة شيئاً ما. اذ كان بعض ابناء الشعب يحصلون على شيء من الثقافة لتوفر المدارس والمساجد من حولهم ، وكان آباؤهم يعملون في الحرف المختلفة . وكانوا يشكلون مع التجار اغلب سكان هذه المدن ... وكان على العامل الذي يريد ان يتعلم مهنة ما ان ينخرط في صنف (corporation) من الاصناف . وكان يخضع لتأهيل طويل وصعب وشاق ، واحيانا مقنط . اذ كان عليه ان يمر بثلاث مراحل او مراتب : مرتبة التلميذ apprenti ، ومرتبة الصاحب compagnon ،ومرتبة الاستاذ maître .

١ — **مرتبة التلميذ** : كان التلميذ يدخل في حمى الاستاذ وهو طفل وكان على الاستاذ ان يحميه ، ويقدم له سكنه وطعامه ولباسه ، ويؤمن له الانارة وغسل الثياب .. وكان على التلميذ ، بالمقابل ، ان يخضع لاستاذه ويطيعه ، والا يتغيب عن المسكن دون اذن منه ، لان له عليه حق الاشراف والمراقبة والتأديب .

٢ — **مرتبة الصاحب او العامل** ouvriers او الاجير Valet : وبعد ان يقطع مرحلة التلميذ يمر منها الى مرحلة الصاحب أو العامل او الأجير . وكان يملك ، في هذه المرحلة ، شيئاً من الحرية ، ويتعاقد مع الاستاذ على الاجرة .. وكان يعمل سنويا او شهريا أو اسبوعياً أو يومياً . وكان في الحالة الأولى ، يسكن عند استاذه ، أما في الحالات الاخرى فكان يسكن بيته .

٣ — **مرتبة الاستاذ** : وبعد ان يظهر كفاءاته يتقدم الى فحص امام « حراس المهنة » او يقدم « شيئاً متقناً » من صنعه . وكان « حراس المهنة » يؤلفون **اللجنة المحكمة** التي تعطي رأيها فيه . ولا يمكن ان يصبح استاذاً إلا اذا سمحت له امكانياته المادية بتأسيس وادارة مشغل ouvroir .

أسست الاصناف في الاصل لصالح الطبقة العمالية الكادحة. ولكنها تحولت بعد ذلك الى مؤسسة ضد العمال ، اذ سيطر الاقطاعيون عليها وعلى اساتذتها .

وحاولوا بذلك خنق القوى المنتجة الصاعدة التي اصبحت تهدد بتغيير النظام الاقطاعي . فأخذ الاساتذة يخفون أسرار المهنة عن العمال او « الصحابة » أو يتشددون بشروط التوصل الى مرتبة الاستاذية ، أو يفرضون على المرشح لهذه المرتبة أموالاً طائلة ، وحفلات تقليدية تكلف باهظاً ؛ اذ يجبر احيانا على اقامة الحفلة لمائة شخص .. (٢٨) ... وهكذا تحولت مع الزمن الى مؤسسة طقوسية متحجرة يمر العامل فيها بنوع من حفلات الدخول او التأهيل القاسية والقاتلة .. ويقضى عليه ان يبقى عاملاً أجيراً يستغله استاذه أو معلمه ، ويقضي على مواهبه وامكانياته واستعداداته ؛ وبهذا فقدت الصلة الأبوية الودية بين الاستاذ والعامل ، وتحولت الى علاقة سالبة فيها النفور والتباغض والتناحر والصراع ... (٢٩)

وهكذا نلاحظ ان التربية كانت ، في العصر الاقطاعي ، عبارة عن تربية تحاول ، في جميع مجالاتها ، ان تقضي على المواهب ، وتحجر الناس وعقولهم وسلوكهم ، وقد استعان القائمون عليها بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الذي يهدف الى قتل الشخصية المبدعة والخلاقة والمستقلة في الانسان المنتج ، هذه الشخصية التي يمكن ان تكون خطراً على النظام الاقتصادي الاقطاعي ...

٣ ـ **التربية في النظام الصناعي والمالي** : سنعالج هنا علاقة التربية بمختلف الانظمة الاقتصادية التي ظهرت في النظام الصناعي المالي ، وسنقسمها الى قسمين رئيسيين : ١) **النظام الصناعي البورجوازي والرأسمالي**، ٢) **النظام الصناعي الاشتراكي** .

أ) **التربية في النظام الصناعي البورجوازي والرأسمالي** : ظهرت ، في قلب النظام الاقطاعي ، **البورجوازية التجارية والبورجوازية المالية** المرابية واصبح لهذه الطبقة ، مع الزمن ، أهمية تعاظمت شيئاً فشيئاً باحتلالها مراكز

---

(٢٨) راجع : A. Joussain: Petit traité de Sociologie économique. Paris. Lamarre 1933. pp. 282-289

(٢٩) راجع: Manuel d'Economie politique. Edit. Sociales p 56-57

رئيسية في الادارة والقضاء (خاصة) والجيش ، وبتقديمها المال للسادة الاقطاعيين والملوك عند حاجتهم إليه . وساعدت الثورة الصناعية الحديثة على بروز هذه الطبقة بشكل قوي . ولكن النظام الاقطاعي كان يحد من نشاطها وظهورها على المسرح وبشكل فعال تماماً . فمالت إلى استلام الحكم والتخلص من نفوذ الطبقة الارستوقراطية النبيلة والاقطاعية . وارتكزت في خطتها هذه على الفلاحين الذين كانوا يثورون بين الحين والحين على أسيادهم الاقطاعيين . ومن هنا ظهرت الثورات البورجوازية في البلاد الواطئة ، وفي انكلترا (في القرن السادس عشر) ، وفي فرنسا (في نهاية القرن الثامن عشر) . وقد ارتكزت البورجوازية في صراعها ضد الارستوقراطية (أو الاقطاعيين) على الفلاحين الثائرين على حال القنانة والبؤس والجهل والاضطهاد ؛ ولم ترتكز على العمال لأنهم لم يكونوا قد شكلوا بعد طبقة واعية ومنظمة ، لهذا حاولت البورجوازية ان تتمسك بمبادىء فكرية جديدة فيها الحرية والعدالة والمساواة والاخوة . وكان شعار الثورة البورجوازية الفرنسية يحمل الكلمات التالية : « حرية ، مساواة ، اخوة »

ولهذا تبنت ايديولوجيا جديدة وجهتها ضد النظام الاقطاعي وضد الدين ، السلاح الروحي للاقطاعية . وهكذا ظهرت في ايديولوجيا البورجوازية **نزعة تقدمية** أثرت في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية[٣٠].

أ ـ التربية في العهد البورجوازي الصناعي الأول : ظهرت هذه النزعة البورجوازية التقدمية في الثورة الفرنسية أكثر من سواها . لهذا نعطي بعضاً من اتجاهاتها وأفكارها . كان تفكير القرن الثامن عشر (عصر الثورة الفرنسية) تفكيراً ضد اللاهوت وضد رجال الدين ، إذا لم نقل ضد الدين ، وضد كل سلطة ، وخاصة سلطة الكنيسة . وقد نزع مفكروه إلى تحقيق سيطرة الفكر ، الفكر الناقد ، وإلى الوقوف بعفوية الطاقات الطبيعية في الانسان : الانسان

---

(٣٠) راجع :

a) Ibid,: pp. 63-71

b) هذه هي البورجوازية (ترجمة انعام الجندي) دار حمد للنشر . بيروت

المبدع ، وإلى الاعتقاد بفكرة **التقدم** البشري المستمر الذي لايمكن ان يتوقف عن حركته مهما طالت العوائق والعقبات في طريقه ... وإلى احترام وإجلال **العمل اليدوي** ...

ويجب أن يقوم ، تجاه هذه النظرة الجديدة للإنسان والمجتمع ، نظام تربوي يستوحي من حس الحرية الفكرية والروحية ، وثقافة عاطفة المساواة، وروح الاخوة البشرية .

المبادىء التربوية العامة للثورة : تلخص هذه المبادىء بما يلي :

١) **نفض التعليم الجامعي من أساسه القديم البالي** ، واستبداله بتعليم جامعي يتلاءم مع التطور العلمي ، ومع الحاجات **الثقافية والتكنية** في المجتمع الصناعي الجديد .

٢) تجدد التربية في روحها ووظيفتها الاجتماعية ، لتتلاءم مع مجتمع أخذ يؤسس تنظيمه الجديد على مبدأي السيادة القومية والحرية السياسية . ولهذا كان عليها ان تطبع بطابع الحس المدني **وتخرج المواطن الفاعل** لديموقراطية حرة.

٣) **توسيع مجالاتها** حتى تشمل المعارف العامة والتكنية والجغرافية والتاريخية ... والتخلص من العقائد التقليدية .

٤) القطيعة مع التربية القديمة التي كانت تقتل الشخصية الانسانية ، وتتبنى تربية تقوم على حفظ وتفتق الجوهر البشري العام الذي يمتلكه الطفل بالقوة ، والأخذ بتربية جديدة تقوم على الاعتقاد بان للطفل طبيعته الخاصة التي لايمكن ارجاعها إلى طبيعة الراشد ، وبأن هناك حل اتصال جذري بين النمو الطبيعي والنمو السياسي للكائن البشري .

وتبنت الثورة المبادىء الاصلاحية التالية :

١) التعليم شأن من شؤون الدولة قبل كل شيء .

٢) وحدة التعليم ، والتآزر بين التعليم والبحث .

٣) اجبارية التعليم الأولي .

٤) مجانية التعليم الأولي .

٥) تفوق التربية العامة على التربية الخاصة .

٦) حق الجميع في الوصول ، على أساس الانتقاء القائم على المواهب ، إلى مراحل التعليم العليا .

٧) ضرورة تقيد البرامج بمنحى مشخص وعملي وتكنيكي ومدني وانساني.

٨) تعليم قومي في أساسه وانساني في اعماقه[٣١] .

نلاحظ من هذه المبادىء كيف حاولت التربية ان تتلاءم مع المرحلة الاقتصادية والصناعية والحضارية التي توصل إليها المجتمع الفرنسي في هذه الحقبة ونلاحظ أيضاً نزعتها الحرة ونزعتها نحو المساواة التي كان يطالب بها البورجوازيون ليتساووا بالاقطاعيين والارستوقراطيين ، لهذا أصبحت تربية موضوعة للجميع وتربية قائمة على احترام الشخصية الانسانية ، وتربية عملية ومهنية متلائمة مع العهد الصناعي .

ب — **التربية في النظام الصناعي الرأسمالي والمالي** : توصلت الرأسمالية في نهاية القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين إلى ذروتها . وقد ظهرت فيها أنظمة اقتصادية متنوعة ؛ نأخذ منها كأمثلة للدراسة النظام الأمريكي لأنه يمثل في أيامنا هذه ، ذروة النظام الرأسمالي ، والنظام الرأسمالي الموجه من قبل الدولة في المانيا النازية وايطاليا الفاشيستية .

١) التربية في النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة الامريكية :

الاقتصاد في الولايات المتحدة الامريكية اقتصاد رأسمالي . ويحاول هذا النظام ، بكل ما أوتي من قوة ، أن يحافظ على مركزه وحظواته . ويستعين بكل الوسائل والمؤسسات الاجتماعية ليحافظ على ذلك المركز وتلك الامتيازات. وتعتبر التربية احدى هذه الوسائل . لقد اعطينا في فصلين سابقين شيئاً عن التربية

---

(٣١) راجع : R. Hubert: Histoire de la pédagogie. pp. 60-81

في الولايات المتحدة الامريكية[٣٢] ، ونحاول هنا ان نعالج الموضوع من وجهة نظر أخرى ، هي ارتباط التربية بالنظام الاقتصادي .

١ – انه نظام يقوم على **المشاريع الخاصة والمساهمة** ، لهذا تلح التربية على ان تخرج الفرد المنتج والمبدع والمجد ، والعامل داخل زمرة معينة ومحدودة ، وذلك بدفع التلاميذ الى الانتاج الفردي والنشاط داخل زمر ومجموعات ، والانتباه إلى شخصية كل منهم على حدة .

٢ – **انه نظام يقوم على مبدأ المشاريع الحرة والمزاحمة الحرة** ، ومبدأ « حرية العمل ، وحرية المرور » ، لهذا تلح التربية في جميع مستوياتها على الحرية في جميع نواحيها السياسية والاقتصادية والاخلاقية ... لأن في هذه الحرية كسباً لها وعلى أساس ديموقراطي . اذ تسيطر الطبقة البورجوازية الرأسمالية على جميع مرافق الحياة تقريباً ، لهذا لا تضيرها هذه الحرية ، بل تخدر الطبقة العاملة والكادحة (سنعود الى هذا البحث بالتفصيل في كتابنا المخصص للسوسيولوجيا السياسية) .

٣ – **انه نظام محافظ** : وتظهر محافظته في فقدان الأحزاب السياسية الاشتراكية ، وضعف الحزب الشيوعي ومحاربته الفعالة بجميع الوسائل ؛ إذ يوجد في الواقع حزبان سياسيان في الولايات المتحدة هما : الحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي ؛ وهما يمثلان الطبقة البورجوازية والارستوقراطية ، وإن كان الحزب الجمهوري اكثر محافظة واكثر تعلقاً بالمشروع الحر من الحزب الديموقراطي . وتظهر هذه النزعة المحافظة في التربية بالإلحاح على التراث الامريكي والحفاظ عليه ، وبتشجيع تدريس الدين في جميع المدارس ، وبترك الحرية للمؤسسات والطوائف الدينية بالسيطرة على عدد وافر جداً من المدارس في جميع مستوياتها ، وقد ذكر هانس ان الكاثوليك (أي الكنيسة الكاثوليكية تشرف (او تسيطر) على اكثر من ٢٠٠ مدرسة (Colleges) من مختلف النماذج ، وعلى خمس جامعات كاملة . كما تشرف

---

(٣٢) – راجع : الفصل الثالث . ص ٣٥–٣٦ ، والفصل الرابع . ص ٥٨

الكنائس البروتستانتية على اكثر من ٢٠٠ مدرسة ؛ وعلى جامعات صغيرة ، وعلى جامعة شيكاغو بالذات . بينها جميعاً اكثر من ٢٠٠ مدرسة ثيولوجية (لاهوتية) [٣٣] ، كما تظهر هذه النزعة بسيطرة النساء تماماً على مستويات التعليم الأولي والابتدائي والثانوي ؛ وهذه خطة يعتبر النظام الاقتصادي والسياسي أحد الأسس الهامة التي قامت عليها . ذلك لأن النساء يعتبرن هناك ، وبصورة عامة ، أكثر محافظة من الرجال ، واكثر سلمية منهم ، وهذا يساعد على تربية جيل محافظ ومسالم ، لايحاول أن يثور على الاوضاع المرسخة . وتظهر هذه النزعة المحافظة أيضاً في سيطرة رهوط الضغط (Pressure groups ou groupes de Pression) مثل « American Farm Bureau Federation » و « National Farmers Union » ورابطات غرف التجارة والصناعة ، و « Congress of industrialorganisation » ، نقول تظهر هذه النزعة في سيطرة هذه الرهوط الرأسمالية والصناعية والارستوقراطية على عدد كبير جداً من المدارس الخاصة التي تعيش على مساعداتها وهباتها ، والتي تقطع عنها كل هذه المساعدات إذا سارت في طريق تقدمي ثوري يعاكس مصالحها (أي مصالح رهوط الضغط هذه) . [٣٤] وتظهر ايضاً في سيطرة بعض المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى على كثير من هذه المدارس الخاصة ، نذكر منها مؤسسة فورد ، ومؤسسة روكفلر ، ومؤسسة كارنيجي Carnegie ومؤسسة جون سلتر J. Slater ومكتب التربية العام ، والـ Peabody Education Fund ، . [٣٥]

ويمتد تأثير ونفوذ بعض هذه المؤسسات (روكفلر ، فورد ...) الى

---

(٣٣) راجع : N. Hans: Comparative Education. London. Rouledge and kegan paul 1951. p. 285

(٣٤) من أجل هذه الرهوط راجع :
A. Mathiot: Les « pressure groups » aux Etats-Unis; in Revue Française de science politique. 1952. p. 429 ss.

(٣٥) راجع : Hans: opi. Cit. p. 289

كثير من أمم العالم ، لأنها تمد كثيراً من مدارسها بالمساعدات المالية والتكنية .

ولكن هذا لا يعني ان النزعة التربوية في الولايات المتحدة هي نزعة محض محافظة ، بل نجد في كثير من المدارس نزعة تقدمية ظاهرة تتفق والتقدم الثقافي والحضاري الذي تمر فيه هذه البلاد . وقد رأينا في الفصل الرابع (ص ٥٨) كيف تلح التربية الامريكية على تكوين شخصية مبدعة وخلاّقة ، وهـذا ما يقتضيه كل نظام صناعي راق ، وخاصةً اذا كان قائماً على المنافسة والمزاحمة .

٤ – **انه نظام يقوم على الصناعة والزراعة والمهن الحرة** ، لهذا تلح التربية الامريكية تماماً على تخريج مختلف الإختصاصيين في مدارسها التي تنفق عليهـا اموالاً باهظة جداً . وقد ذكر هانس ان حكومة الولايات المتحدة صرفت بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، ٣٢٧ مليوناً من الدولارات على التدريب التجاري والصناعي ، و ٦٣ مليوناً على التدريب الزراعي . (٣٦) . هذا ما صرفته الحكومة ، وأما ما صرفته المؤسسات والمدارس الخاصة فهو أكبر من هذا بكثير وكثير .

٥ – **انه نظام يقوم على عدم المساواة بين الطبقات والفئات الآثنية** : وتظهر عدم المساواة هذه في التربية ، على الرغم من ان التعليم في المدارس الحكومية يعتبر مجانياً ، وفي بعض الاحيان ، منحياً . وقد رأينا في الفصل السابق الفروق في مستوى التربية بين ابناء الطبقات الفقيرة والغنية . (٣٧) ، وتظهر عدم المساواة هذه بين السود والبيض . وقد اظهر احصاء ١٩٤٠ ان في الولايات المتحدة نحواً من مليونين من الاطفال بين الـ ٦ – ١٥ من أعمارهم خارج اية مدرسة . وهذا يعني ان ١٠٪ من أحداث أمريكا لم يتموا ثقافتهم في المدارس الأولية . وأظهر نفس هذا الاحصاء ان ١٠ ملايين من الامريكيين الراشدين قد تلقوا تربية أولية يمكن أن تبعد عنهم فقط صفة الأمية . وقـد ظهر ان نسبة كبرى من هؤلاء الأطفال والراشدين شبه الأميين كانت من السود ، وخاصة القاطنين في الجنوب .

---

(٣٦) راجع : Ibid. p. 284

(٣٧) راجع : الفصل السابع . ص . ١٣٨ – ١٥٨

ومعلوم إن هذا عائد فيها الى التميز العرقي . [٣٨]

ومن المعلوم ايضـاً ان أقوى أساس لهذا التمييز العرقي يقوم على اسباب اقتصادية ، هي : استغلال هؤلاء السود كأرقاء في الانتاجين الزراعي والصناعي .

٦ – انه نظام يقوم على احترام العمل اليدوي ، وازالة الفروق بين الجنسين وازالة الفروق بين المدينة والقرية . وهـذا ما تلح عليه التربية الامريكية في جميع مراحلها ، ولهذا كان التعليم مختلطاً ، وعملياً وهادفاً الى محو كل تمييز جنسي ، وكل تمييز بين النظرية والتطبيق ، وبين المدينة والقرية . ويقترب النظام التربوي ، في هذه الناحية ، من النظام التربوي الاشتراكي في روسيا . . .

٦ – انه نظام يقوم على تقديس المال والثروة : ومن هنـا جاءت النزعة الذرائعية التي امتدت الى جميع مناحي الحياة الامريكية حتى شملت الناحية التربوية منها . لذا قال عنه هوبر : انه تعليم نفعي Utilitaire [٣٩] .

وهكذا نجد ترابطاً بين التربية والنظام الاقتصادي في الولايات المتحدة الامريكية . [٤٠]

٢ – التربية في النظامين الرأسماليين الفاشستي والنازي :

لقد عرضنا في فصلين سابقين مبادىء وأسس التربية في كل من ايطاليـا

---

(٣٨) راجع : Hans: opi. cit. p. 279

(٣٩) من أجل بعض مبادىء أولية عن التربية الامريكية راجع :

a) Hubert: opi. cit. 114-119.

ومن اجل تفاصيل راجع :

Encyclopédie française. tom XV·

(٤٠) من أجل النظام الاقتصادي في الولايات المتحدة راجع :

P. George: L'économie des Etats-Unis. Paris. P.U.F. 1946.

من أجل النظام السياسي راجع :

A. et S. Tunc: Le Système constitutionnel des Etats-Unis d'Amérique. 3 vol. Paris. 1954-55

الفاشيستية وألمانيا النازية [٤١] ، ونبحث هنا علاقة بعض هذه المبادىء والأسس بالنظام الاقتصادي الذي كان سائداً في هاتين الأمتين .

١ – **انهما نظامان رأسماليان** على الرغم من ادعاء النازيين بأنهم اشتراكيون وعلى الرغم من ادعاء الفاشستيين بأنهم ضد الرأسمالية ، لانهما قاما في أصولهما على البورجوازية الكبرى أولا ، وعلى البورجوازية الصغرى (الطبقة الوسطى) ثانيا . وقد تشكلا كرد فعل ضد خطر الطبقة العاملة الكادحة التي كانت تتجه نحو الشيوعية في المانيا ، ونحو الاشتراكية والشيوعية في ايطاليا . ولهذا قاما على **الارهاب والقوة والعنف** ، ليقضيا بسرعة على ثورية الطبقة العاملة والاحرار ولهذا ايضاً مال القائمون عليهما إلى تربية النشء تربية عسكرية تبث في نفوسهم طاعة وخضوعاً وعدم مناقشة ، واندفاعاً ووحشية ضد الاعداء الداخليين (شيوعيين ، اشتراكيين ، يهود أو كاثوليك (في المانيا) ، وماسونيين في ايطاليا . . .) وقد حاولوا أن يخنقوا في الشبيبة العقلانية والعقل ، ويستثيروا فيها فكرة الدم والعرق والتقاليد وعواطف الكفاح والقوة والعنف . ولهذا كانوا يمجدون الحرب ويعتبرونها وسيلة سوية للعمل السياسي ، وهكذا كان موسوليني يردد «من الافضل أن نعيش يوماً كأسد من أن نعيش حياة بأسرها كخروف» [٤٢] . وكان الهدف من تمجيد روح الحرب دفع الشعب الالماني المسعور بالتربية النازية او الشعب الايطالي الملهب بالتربية الفاشية الى الفتح والتوسع ، وعلى هذه الصورة ألحت التربية والسياسة على فكرة المجال الحيوي . . .

٢ – **انهما نظامان رأسماليان احتكاريان وحصريان** : احتكرا وحصرا الثروات والاموال والصناعة والانتاج بأيدي فئة بورجوازية قليلة العدد ، فحاولت هذه الفئة ان تحصر كل شيء بيدها ، لتحافظ على تميزاتها وحظواتها ،

---

(٤١) راجع : الفصل الثالث . ص٥٣ – ٥٧ والفصل السادس ص١١٢ – ١١٤

(٤٢) نقلا عن : M. Duverger: Droit constitutionnel et institutions politiques. 2eme édit. Paris P.U.F. 1956. p.378

ولهذا شجعت الوحدة في السياسة (حزب واحد وقائد واحد) ، والوحدة في الاقتصاد (نقابات واصناف واحدة والوحدة في التربية (تربية واحدة ذات منحى واحد : عسكرية في جميع مستويات التعليم ، وخارج المدرسة في منظمات الفتوة . . . فكانت في جميع هذه النواحي ، تريد صب الاجيال في قالب واحد هو قالب الفلسفة النازية او الفلسفة الفاشيستية ، ومذهبة الجميع بأفكارها . وحاولت أيضاً أن تربي الناس على الايمان بجدوى **الاصناف** او النقابات . وكانت هذه الاصناف وسيلة فعالة لقتل الروح الثورية لدى العمال والطبقة الكادحة بأسرها ، والسيطرة عليهم ومنعهم من كل اضراب او اظهار اي تذمر ؛ لان المسيطرين عليها كانوا من البورجوازيين واتباعهم وجواسيسهم .

٣ ــ **انهما نظامان محافظان** : لانهما قاما كرد فعل على خطر الطبقة الكادحة ولان القائمين عليهما كانوا يعتقدون بأن النظام الديموقراطي التقليدي عاجز عن حماية البورجوازية من هذا الخطر الثوري . وهذا مايدفع هذه الطبقة إلى تشجيع وتبني « الرجل القوي » والديكتاتور المسيطر ، فهما من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية نظامان محافظان ورجعيان . واعتمدا على كل القوى الرجعية لتثبيت الاوضاع الراهنة أو القائمة . اذ اعتمد النظام الفاشيستي في إيطاليا على الكنيسة الكاثوليكية ، واعتبر الديانة الكاثوليكية كديانة للدولة . وحض موسوليني على تعليم الديانة الكاثوليكية في المدارس كما حض على ألا تقبل إلا الكتب التي توافق عليها السلطات الدينية . (٤٣) حتى ان التعليم ، وخاصة الابتدائي ، اصبح تعليماً عقائدياً دينياً . (٤٤) كما اعتمد النظام النازي في المانيا على قسم من الكنيسة البروتستانتية ، ولكنه كان يريد أن ينقي الكتاب المقدس من الافكار اليهودية فاصطدم بجزء من هذه الكنيسة كما اصطدم بالكنيسة الكاثوليكية . . . وحاول

---

(٤٣) راجع: Hans: opi. cit. pp. 225-227

(٤٤) راجع : Hubert: opi. cit. p. 157

اخيراً ان ينتظم البروتستانتيين داخل كنيسة وطنية واحدة ... ولكنه لقي مقاومة شرسة من الكاثوليكيين وجزء من رجال الدين البروتستانتي مما جعل الحزب النازي يحقد على كثير من رجال الدين[٤٥].

ومهما يكن من أمر فقد ظلت الثقافة الدينية تعطى حتى في التعليم الثانوي وإن كانت قد انقصت ساعاتها لصالح التربية البدنية والتربية السياسية[٤٦].

وقد ظهر تجديد الفاشيستية والنازية في مجال التكنيك والحياة المادية والتنهيج أو التخطيط الاقتصادي ، الذي كان في صالح البورجوازية[٤٧].

٤ – **إنهما نظامان قائمان على عدم المساواة** : لأنهما كانا يعتقدان بعدم المساواة الطبيعية بين الناس إذ هناك ، في نظرتيهما ، رجال خلقوا طبيعياً للقيادة وآخرون خلقوا للطاعة والخضوع . وهكذا احتقروا الشعب ومجدوا الزعماء والقادة . ولهذا كان يرى القائمون عليهما ان السلطة لاتخص الشعب ، وانما تخص النخبة التي خلقت لها . ومن هنا نفهم لماذا ألحت التربية في كلا النظامين على تخريج القادة والرؤساء الذين سيقودون الشعب الضال والحائر إلى مصالحه الحقيقية[٤٨]. وقد قال هوبر « لقد اهتم الحزب القومي – الاشتراكي بتجنيد وتهيئة كادره Cadre من الزعماء وكان هذا همه الاساسي[٤٩]، إذ كان الحزب يفصل فتيانه عن أسرهم وبيئتهم وديانتهم ، ويشكل جسدهم وتفكيرهم حسب الإيديولوجيا النازية الجديدة .

٥ – **انهما نظامان جماعيان وديكتاتوريان** لاقيمة فيهما للفرد ، وانما القيمة كل القيمة للجماعة . لهذا كان من الواجب ان يضحى بالفرد في سبيل الجماعة .

---

(٤٥) راجع : Claude David: L'allemagne de Hitler. Paris P.U.F. 1954. pp. 95-99.

(٤٦) راجع : Hubert: opi. cit, p. 151

(٤٧) راجع : M. Duverger: opi. cit. pp. 381-382

(٤٨) راجع : Ibid., p. 377

(٤٩) راجع : Hubert : opi. cit. p. 152

وبما أن الدولة هي التي تمثل الجماعة ، لذلك كان لها الحق بأن تتدخل في جميع نشاطات ومؤسسات ومجالات الحياة . وبهذا يمحو النظامان الفاشيستي والنازي جميع الحريات السياسية والحقوق الفردية ... (٥٠)

وقد ألحت التربية في جميع مستوياتها ومجالاتها على غرس هذا المبدأ ، وخاصة في منظمات الفتوة ...

وهكذا نلاحظ ان كل ما في هذين النظامين من ديكتاتورية ووحدة في نظام الحياة ووحدة في التربية ووحدة في التفكير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الاقتصادي.

٣) التربية في النظام الصناعي الاشتراكي السوفيتي :

يقوم النظام الاقتصادي الاشتراكي السوفيتي على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، وإلغاء استغلال الانسان للإنسان ، والتعاون والتآزر الأخويين بين عمال المجتمع الاشتراكي ، وإزالة الطبقات وتطاحنها ، وإلغاء الملكية الفردية ، وتمجيد العمل واعتباره كواجب عام ومتساو لجميع أعضاء المجتمع ، وتأمينه لهم جميعاً ، مع تأمين الاطمئنان والراحة والعلم لجميع فئات المجتمع الاشتراكي ، وازالة الفروق بين الرجل والمرأة ، وبين المدينة والقرية ، وبين العمل الفكري والعمل اليدوي ، وتأمين التعاون بين العمال والفلاحين والمثقفين او رجال الفكر (الذين خرجوا من الطبقة الكادحة) ، ولا يتم كل هذا الا عن طريق ديكتاتورية الكادحين التي ستنتقل بالنظام الاشتراكي الى النظام الشيوعي ، أي عن طريق استلام الطبقة الكادحة للحكم لكي تقضي على البورجوازية والارستوقراطية وكل مخلفاتهما ، وتقيم تنظيمها الاجتماعي والفكري على أساس الماركسية ـ اللينينية التي تعاكس كل نزعة دينية ميتافيزيكية وخيالية(٥١) .

---

(٥٠) راجع : Duverger: opi. cit. pp. 377-378.

(٥١) راجع : Rosentahl et ioudine: petit dictionnaire philosophique. Moscou. 1955. pp. 559-562 cet pp. 563-67

وقد تأثرت جميع نواحي المجتمع الاشتراكي بهذه الاسس والمبادىء ؛ واعتمد الاشتراكيون ، فيما اعتمدوا من وسائل ، على التربية لاقامة وتحقيق هذا النظام . وقد ذكرنا فيما مضى بعضاً من اتجاهات التربية الروسية الحديثة(٥٢) ونعرض الآن بعضها الآخر :

١ – **وحدة التعليم أو وحدة المدرسة** : إذ أزيل في هذا النظام التربوي كل تقسيم للمدارس إلى أولية وثانوية وتكنية وعليا . فكل هذه المدارس ، باستثناء الجامعات ، دمجت في مدرسة واحدة على درجتين تسبقهما مرحلة حديقة الاطفال .

٢ – **التعليم اجباري ومجاني ومنحي** : إذ تقوم الدولة بتأمين تعليم جميع الاطفال وخاصة الفقراء منهم على نفقتها ، وتقدم للجميع تغذيتاً صحياً منظماً .

٣ – **التعليم لايكي ولاديني بل ضد الدين وضد الميتافيزياء .**

٤ – **تؤلف كل مدرسة متحداً (أو جماعة** Communauté) مدرسة ، يديرها سوفيت يتألف من ممثلين عن المدرسين والتلاميذ والعمال .

٥ – **تأسيس جامعات شعبية** : يمكن أن يتم فيها العمال والفلاحون ثقافتهم .

٦ – **التوجيه نحو تكنولوجيا العمل** : ويختص بعض العمال في مدارس مهنية مقامة بجانب مكان عملهم ، فيصبحون بهذا عمالا فنيين . ويتمون تهيئتهم العملية والنظرية الوسطى في مدارس تكنية تقسم الى ستة فروع : بيداغوجية وطبية وصناعية وزراعية ، واقتصادية صناعية وفنية .

٧ – **تعليم الماركسية – اللينية في جميع مراحل التعليم .**

٨ – تأسيس معاهد ابحاث تكنية ، ومختبرات تجارب إلى جانب المعامل ، وتنهيج العلم في سبيل الصناعة ، يتم فيه التزاوج بين النظرية والتطبيق ، هذا المبدأ الغالي على الماركسيين .

---

(٥٢) راجع : ص ٥١ – ٥٣ من كتابنا هذا .

٩ – « **مركز اهتمام** » **التربية الروسية هو العمل** ، والعمل فاعلية ، ولهذا فالمدرسة الروسية عبارة عن مدرسة فاعلة . والعمل محرر من القسر الخارجي ، ولهذا فالمدرسة محررة أيضاً من كل ضغط خارجي . ويولد العمل نظامه الخاص ، ولهذا **فنظام المدرسة ارادي**، ينمي عاطفة المسؤولية، وعاطفة النظام ، والخضوع للمصلحة العامة .

١ – **إقامة تكنية وعلمية تعددية** (Polytechnisation) : « وغايتها تعليم مكانة كل صناعة في مجموع الحياة الاقتصادية ، وعملية مختلف الانتاجات وتعالقها ، والتكنولوجيا العامة التي تتحدر منها كل التكنيات الخاصة ... فهي في نفس الوقت علم مجموع الحياة الصناعية وتعليم تكني بصورة عامة » . ولا يتم التخصص إلا بعد هذا. ومن هنا جاءت النتائج التالية : وجوب ربط كل مدرسة بمنشأة صناعية أوزراعية من جهة، ومن جهة أخرى، وجوب التمسك بالطرق الفاعلة القائمة على الملاحظة والتجريب ، والعمل المنظم أساسياً على الزمر أو الخلايا .

١١ – **هيمنة الماركسية على جميع العلوم الأخرى**: كالتاريخ والجغرافيا والأدب والفن ، والبيولوجيا والفيزياء ... [٥٣] .

١٢ – **تربية العمال والكادحين تربية وطنية وقومية سوفيتيسة ، وتربية انسانية تدفع الى حب جميع الشعوب** ، تربية تتنكر للقومية البورجوازية والشوفينية والنزعة العالمية (cosmopolitisme) [٥٤] .

١٣ – إكمال تربية المخلصين من الماركسيين في الحزب الشيوعي السوفيتي ، وتفتيق وعيهم السياسي والعقائدي .

من عرض كل هذه المبادىء نرى مبلغ ارتباط التربية الروسية السوفيتية بالنظام الاقتصادي الروسي السوفيتي وبالنظام السياسي الذي يريد ان يهيمن ويشرف على كل شيء .

---

(٥٣) راجع : Hubert : opi. cit. pp. 140-145.

(٥٤) راجع : Rosentahl et Youdine: opi. cit. pp. 167-169

الخلاصة : من كل ما تقدم ندرك ما للتربية من علاقة وثيقة بالانظمة الاقتصادية . فعندما كان النظام الاقتصادي أولياً كانت غاية التربية الأولى والاساسية تأهيل الاطفال للتلاؤم مع البيئة الخارجية لارضاء حاجاتهم البيولوجية.

وبما أن هذا النظام كان خالياً من تقسيم العمل ومن الملكية الخاصة ومن الطبقات الاجتماعية ، فقد كان الاطفال : ذكوراً واناثا ، يستقبلون بالفرح والسرور ، ويدللون دون تفريق ، وكانت التربية معهم تتصف باللين والرأفة. وعندما حلت الملكية الفردية أو الخاصة وظهرت في المجتمع الطبقات الاجتماعية أخذت تظهر فروق في التربية بين الاغنياء والفقراء ، بين الاحرار والعبيد ، بين الارستوقراطيين ورجال الدين والكادحين ، وبين الذكور والإناث ...

وبما ان التربية محافظة قبل كل شيء ، لذلك استخدمتها الطبقات ذات الحظوة لتدعيم مركزها واستمرار حظواتها وتميزاتها ، وارتكزت أكثر ما ارتكزت على رجال الدين ، عامة ، وعلى أفكارهم السحرية والخرافية التي تتنافى وروح الدين الصحيح ، لتخدير الطبقات المستغلة وادامة استغلالها . وقد اتصفت بالقسوة والعنف والتحجر لقتل نفوس هؤلاء الكادحين . وقد ظهرت ضرورة التربية في العصور الحديثة أكثر من سواها لتدعيم الاوضاع القائمة والانظمة الراهنة ، وترسيخ الافكار الجديدة والانظمة المستجدة . وقد التصق مع مر الزمان الاحتقار بالعمل اليدوي لأنه كان ، والى زمان طويل ، من اختصاص الارقاء والاقنان . ولهذا ألحت التربية الحديثة وفي الامم الصناعية الراقية ، وخاصة في البلدان الاشتراكية ، على شرف العمل اليدوي وحتى على تمجيده وجعله القيمة البشرية الاولى . فحبذا لو التفت مربونا الى هذه الناحية وأولوها عنايتهم ، لأن مثل هذه الافكار العتيقة لاتزال سارية وقوية المفعول في بلادنا ، مما تسبب احتقار العمال والفلاحين وسواهم من أفراد الطبقة الكادحة الذين يقوم مستقبل بلادنا الزراعية التي تسير نحو التصنيع ، على سواعدهم ، ويبنى بأيديهم السوداء ، ويروى بعرق جباههم الطاهر المقدس .

بعض المصادر الهامة

1) R. Hubert: Histoire de la Pédagogie. Paris. P.U.F. 1949.

2) Encyclopédie française. Tom. XV.

3) N. Hans: Comparative Education London. Routledge et Kegan Paul. 1951.

4) C. Moore and W. Cole: Sociology in Educational Practice. Houghton... Boston. 1952.

ـ خاتمة عامة للقسم الثاني ـ

استناداً الى الفصول السابقة يمكن ان نصل الى النتائج التالية :

١ — في كل مجتمع ، مهما كان بدائياً ، تربية معينة ونظام تربوي معين يتناسبان ودرجة رقي هذا المجتمع . لان الفرد عندما يولد وينخرط في المجتمع يجب ان يتأهل اجتماعياً للتلاؤم والتكيف مع عاداته وتقاليده وقيمه وجميع سلوكاته البشرية المرسخة والمنمطة .

٢ — في المجتمعات التي ظهر فيها تقسيم العمل الطبيعي ، وتقسيم العمل الاجتماعي ، والملكية الخاصة ، والطبقات الاجتماعية ، نقول في هذه المجتمعات تعطى تربية عامة للجميع ، والى جانبها تربية خاصة بكل طبقة ، وبكل جنس وبكل فئة مهنية .

٣ — يقوم على التربية جيل الراشدين الذين نضجوا للحياة الاجتماعية ، ويطبقونه على جيل الصغار أو الناشئة . وبهذا لا يترك الفرد ليعيش على حاجاته البيولوجية كالحيوان ، ولكن يطعم سلوكه الطبيعي بالسلوك الاجتماعي .

٤ — تظهر التربية كتكيف يفرض على الفرد الناشىء ليتسنى له التلاؤم مع البيئة الاجتماعية ومع المحيط الطبيعي . ولهذا تظهر في كل تربية المنظومات الفكرية أو الفلسفية أو الدينية أو العلمية ،التي تعبر عن نظرة المجتمع الى الكون والى الفرد ، والى علاقة الافراد فيما بينهم والى طبيعة المجتمع نفسه .

٥ — **للتربية علاقة بالتقاليد والثقافة** والنظام الحقوقي والاخلاقي والنظام الاقتصادي والنظام **السياسي ، السائدة في المجتمع** : ومن غايات التربية ترسيخ وحفظ هذه الامور الاجتماعية . ولهذا كانت التربية محافظة قبل كل شيء ولهذا

اعتمدت عليها جميع الانظمة السياسية والاقتصادية والثقافية لتدعيم ركائزها وترسيخ أركانها .

٦ – ومن هنا جاء دور التربية كوسيلة بيد الطبقات الحاكمة أو المسيطرة ذات الحظوات والمراكز الفضلى . إذ استخدمتها مع وسائل اخرى للمحافظة على خطواتها وتحذير الطبقات المستغلة والكادحة .

٧ – ولكن التربية تعتبر ، من جهة ثانية ، **محرراً للفرد** من القيود والحتميات البيولوجية . وبهذا تلعب في المجتمعات الراقية دور المحرر ، وذلك بتقوية شخصية الفرد المبدعة الخلاقة ، بمساعدته على تفتق مواهبه واستعداداته وفاعلياته .

٨ – ومن هنا جاء ارتباط التربية بشروط نفسية وجسدية وبيولوجية تابعة للفرد . وبهذا يمكن القول ان التربية ، عملية اجتماعية في أساسها ، ولكنها مع ذلك تتوجه إلى جماعات فيها أفراد يجب ان ترضي حاجاتهم البيولوجية وتساعد على تفتق كل مافيهم من بشري : أي من نفسي راقٍ يعلو على العضوي ، وتمكن من سير نموهم الجسدي بشكل سليم .

٩ – ولكن لايكفي ان تتقيد التربية بالشروط والأسس والمعطيات الاجتماعية والنفسية والبيولوجية[1] ، بل يجب أن تنتبه أيضاً إلى الشروط والمعطيات الطبيعية والجغرافية أي إلى المحيط الطبيعي الذي يكون كإطار طبيعي للمجتمع (سنعالج هذا الموضوع في فصل قادم) .

من كل ماتقدم نلاحظ ان التربوية عملية معقدة ، ولها أهمية كبرى بالنسبة للفرد والجماعة أو المجتمع ، ولهذا يولي دراستها ، في عصرنا هذا ، السوسيولوجيون والسيكولوجيون والأنتروبولوجيون والمختصون بالتربية وعلماء التحليل النفسي .. أهمية وعناية فائقتين . ونرجو أن نوفق في أبحاثنا الآتية في إظهار عناصر ووسائل ووكالات وتأثير العملية التربوية .

---

(١) من اجل هذه الشروط والمعطيات راجع :

R. Hubert: Traité de pédagogie générale. Paris. P. U. F. 1949. pp. 21-176.

القسم الثالث

مؤسسات التربية ووكالاتها

تصدير

المؤسسات الاجتماعية و وكالات التربية

في كل مجتمع وصل إلى درجة معينة من الحضارة والثقافة ، مؤسسات اجتماعية ، تختلف وظائفها وأهدافها حسب الغاية التي وضعت لها ، وحسب الحاجات التي أسست لارضائها ، فهناك مؤسسات اجتماعية أسروية ، وأخرى اقتصادية ، وثالثة سياسية ، ورابعة دينية ، وخامسة تربوية ..

تعريف المؤسسة الاجتماعية :

فما هي المؤسسة الاجتماعية ؟ يختلف السوسيولوجيون حول تعريف المؤسسة ولكن تتشابه أكثر التعاريف . ونقدم إلى القارىء التعريفين التاليين : ليدرك صحة رأينا .

يقول Gillin and Gillin : « مؤسسة اجتماعية هي بنية Configuration وظيفية لأنماط ثقافية (تتضمن أعمالاً وأفكاراً ومواقف ومنظومة ثقافية) تملك ثباتاً معيناً ، وتهدف إلى ارضاء حاجات اجتماعية أساسية »(١) ويعرفها فيشتر G.H. Fichter بقوله : « المؤسسة هي بنية Structure ثابتة نسبياً لأنماط اجتماعية ؛ وأدوار ، وعلاقات يؤسسها الناس في وسائل معترف بها وموحدة ، يقصد منها ارضاء حاجات اجتماعية أساسية »(٢) .

---

(١) Gillin and Gillin: An Introduction to Sociology. N. Y. Macmillan 1947 p. 318

(٢) Y· H. Fichter: Sociology. The univ. of Chicago Press. 1957. P. 248.

وهكذا يتفق المؤلفان على أن المؤسسة الاجتماعية عبارة عن نوع من التنظيم (أو التشكيل) الاجتماعي المرسخ نسبياً القصد منها ارضاء حاجات اجتماعية أساسية . اذن لكل مؤسسة وظائف وأهداف . **فما هي هذه الوظائف ؟**

وظائف المؤسسات الاجتماعية :

تقوم المؤسسات الاجتماعية بالوظائف الآتية :

١ – تبسط السلوك الاجتماعي للفرد . فطريقة الكلام والتفكير أضحت منظمة تماماً ، وموضوعة قبل مجيء الفرد الى المجتمع . ويقوم الفرد بكثير من سلوكاته الاجتماعية بشكل آلي تقريباً ، لان المؤسسات الاجتماعية نمطت هذه السلوكات وما على الفرد بعد أن يتعلمها سوى تطبيقها بصورة آلية ...

٢ – **تقدم للفرد صوراً واضحة عن علاقاته** بالناس وعن مركزه **وأدواره** (وهذه الوظيفة مرتبطة بالأولى ..)

٣ – **تزود المجتمع بوسائل للضبط الاجتماعي** Sociol control وتتضافر جميع المؤسسات ، تقريباً ، في سبيل تأمين الضبط الاجتماعي كي لا يشذ الأفراد عن منظومة الأوضاع الاجتماعية .

٤ – **تعتبر المؤسسات كوسيلة** (أو وكالة agency) **لتنسيق وثبات** الثقافة الكلية أو العامة . وبهذا يتوصل القائمون على المجتمع الى تثبيت وتنسيق وترابط الاوضاع الراهنة والقائمة ، وذلك عن طريق تثبيت وترسيخ وتناسق سلوك الناس .

وبهذا يمكن ان نقول : يصبح لها بعض وظائف سالبة بالنسبة لشخصية الأفراد ، وللتقدم الاجتماعي .

١ – **تعرقل التطور والتبدل الاجتماعي** وهذا واضح مما قدمنا .

٢ – **تحد أحياناً من حرية الفرد وعفويته والتعبير عن شخصيته** : لأن كثيراً من الأفراد عندما يخرجون بسلوكهم عن الأوضاع والمؤسسات المألوفة

يدعون بالمجانين والشواذ . وقد وصم كثير من الأنبياء والمصلحين بمثل هذه النعوت ولم ينج منها حتى السيدين المسيح ومحمد ... وبهذا تشكل أحياناً بالنسبة للأفراد عامل خيبة أو صد frustration .

وهكذا تدفع المصلحين الاجتماعيين إلى تغييرها واستبدالها بأنماط سلوك جديدة .

٣ – تؤدي إلى تشتيت المسؤولية الاجتماعية : اذ تصبح التقاليد والعادات والاوضاع هي المسؤولة عن الأمور التي تؤذي الفرد والجماعة . وهذا ما يتستر وراءه القائمون على المجتمع ، وخاصة أصحاب الحظوات والامتيازات ، ليبقوا على الاوضاع الراهنة التي هي في صالحهم . وكثيراً مايبررون سلوكهم بالتقاليد والعادات والانظمة المؤسسية . (٣)

العلاقات المتبادلة بين المؤسسات الاجتماعية : ينسجم تأثير المؤسسات في الافراد والجماعات ؛ إذ تتضافر في علاقاتها وتتآزر في تأثيرها المتبادل. فالمؤسسات الاسروية تتأثر مثلاً بالمؤسسات الاقتصادية ، والمؤسسات السياسية ، والمؤسسات الدينية والمؤسسات التربوية ، وتعود هي بدورها فتؤثر في هذه المؤسسات. وهكذا دواليك . وقد أوضح جيلن وجيلن هذه العملية بواسطة خمس دوائر تتبادل التأثير ، كل منها تمثل نوعاً من المؤسسات الاقتصادية ، والاسروية ، والتربوية ، والدينية والسياسية . (٤)

المؤسسات والوكالات التربوية : لن نبحث هنا في المؤسسات المختلفة ، وانما سنقتصر على بحث المؤسسات والوكالات التربوية لضرورة بحثنا . (٥)

---

(٣) من اجل هذا البحث راجع :

a) Gillin and Gillin: opi. cit. pp. 325-331.

b) Ballard. (L.V): Social institutions: N. Y. Appleton-century 1936.

(٤) راجع: Gillin and Gillin: opi. cit. p. 320

(٥) نأخذ هنا وكالات agencies بمعنى مؤسسات ووسائل أو تكنيات أو نواقل في آن واحد .

قسم براون هذه الوكالات الى الاقسام التالية :

١ – **الوكالات أو المؤسسات الرسمية** : وتشتمل على ما يلي : المدرسة ، والكنيسة (أو الجماعة الدينية) ، والمتاحف ، والمكتبات ، ومراكز اللهو أو الترفيه المنظمة وغيرها.. وتختلف هذه المؤسسات في أهمية القصد التربوي المباشر منها. فالمدرسة تعتبر أهم من الكنيسة من ناحية ارتباطها المباشر بالعملية التربوية .

٢ – مؤسسات أخرى وضعت لترضي حاجات اجتماعية أخرى ، ولكن لها وظيفة تربوية حيوية مثل : الاسرة ، ورهط اللعب ، والجماعة المحلية .

٣ – مؤسسات أو منظمات تجارية تعمل من أجل الربح ، ولكن تهدف إلى إثارة (أو نداء) اهتمامات الناس مثل : السينما ، والصحافة ، والراديو ، والمسرح ، ومؤسسات تجارية أخرى (يمكن أن نعتبر الدعاية إحداها) .

٤ – **منظمات تجارية وصناعية** : تعتبر، بواسطة الاوضاع داخل المصنع أو المحل التجاري ، أو في المزرعة ، عوامل في تحديد النمط الثقافي العام أو الكلي للفرد . (٦)

وقد كتب جورج باين عن تأثير هذه المؤسسات التربوية يقول :

« يعمل كل من هذه الرهوط والوكالات التربوية باستمرار في المجتمع ، ويقوم بتأثير معين في التكيف الاجتماعي . ويساهم كل منها في نشوء الضبوط (الضبط) الاجتماعية . إنها تحدد العادات والمعارف والمواقف ، وبكلمة واحدة خبرات الناس » . (٧)

وسنحاول في فصول قادمة ان نعالج علاقة التربية بأكثر هذه المؤسسات والوكالات والتكنيات . وسنبدأ بالاسرة : المؤسسة الاولى التي تتلقى المخلوق البشري منذ أن يفتح عينيه على النور .

---

(٦) راجع : Y. F. Brown: Educational Sociology. London : Prentice-Hall. 1947 pp. 186-187

(٧) نقلا عن : Ibid,: pp. 186-188

الفصل السابع

الأسرة والتربية

الأسرة مؤسسة اجتماعية شاملة تعرفها جميع الشعوب منذ أكثرها بدائية حتى أرقاها حضارة . وقد وجدنا لها أثراً ، ولو أولياً ، بين الفقريات وخاصة بين القرود العليا كالشيمبانزي ... [1] وتعتبر الأسرة من **الرهوط الأولية** Primary groups ، هذه الرهوط التي تؤثر قبل سواها في الفرد وتلعب دوراً هاماً في قولبة مواقفه وأنماط سلوكه . [2]

ولهذا قال فرانك : « تعتبر الاسرة العلاقة الوحيدة المعترف بها اجتماعياً من أجل إنجاب الطفل ، والوكالة الاساسية لتثقيف الطفل ، والتأهيل الاجتماعي ، وإدخال الطفل إلى ثقافة المجتمع ، وبهذا تقولب السمة الاساسية لبنية ثقافتنا وتشكل شخصية الطفل . » [3] (ترجمنا بشكل حرفي لإعطاء نص المؤلف كما هو) .

ـ **الأسرة كمؤسسة اجتماعية** : تعتبر الاسرة مؤسسة اجتماعية ، كما بينا سابقاً ؛ وبما أنها مؤسسة اجتماعية ، لهذا كان لها وظائف عديدة ، منها وظائف

---

١ ـ راجع منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا ـ الكتاب الاول ـ الفصل الخامس والفصل السابع .

(٢) راجع : C. B. Moore and W. E. Cole: Sociology in Educational Practice. Boston. Houghton Mifflin, 1952. pp. 57-60

(٣) راجع : S. K. Frank: What families do for the Nation; in A. J. of sociology. Vol. 53 (1948). pp. 471-472

تربوية هامة . وخضعت ، كل المؤسسات الاجتماعية ، إلى تطور عميق في أشكالها ووظائفها . فمثلاً في الاطوار الاولى للمتحد البدائي ، كانت وظائف الاسرة تحصر في إنجاب الابناء ورعايتهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية يستطيعون معها ان يتلاءموا مع البيئة الاجتماعية والمحيط الطبيعي ، في سبيل تأمين البقاء وحفظه . وعندما حلت الحضارة الزراعية الكبرى ، منذ عهد الرق ، تعقدت وظائف الاسرة وتعددت . فإذا اخذنا الاسرة الرومانية ، او اليونانية ، او الصينية او العربية في هذا العهد وجدنا وظائفها تحصر فيما يلي :

١ - **الوظيفة الانسالية** : وتشمل إنجاب الاطفال .

٢ - **الوظيفة الصيانية** : وتعني صيانة وحماية النسل او الاطفال .

٣ - **الوظيفة الحنانية** : وتعني تقديم الحنان والعطف والإطمئنان العاطفي لأفراد الأسرة .

٤ - **الوظيفة التربوية** : وتعني تأهيل الأطفال اجتماعياً ، وتربيتهم وتثقيفهم وتزويدهم بالعادات والتقاليد السارية في مجتمعهم .

٥ - **الوظيفة الاقتصادية** : وتعني أن تؤمن الأسرة حياتها المادية بنفسها . إذ كان الأب يعمل خارج المنزل والأم داخله ، ويؤمنان اكثر حاجيات المنزل الإقتصادية : من مأكل وملبس وبعض ادوات منزلية . فكانت الاسرة تكفي نفسها بنفسها تقريباً .

٦ - **الوظيفة الدينية** : كان الأب الكاهن الأكبر لعبادة الاجداد ، وهو الذي يؤمن ويسهر على استمرار هذه العبادة ، ويلقنها لأبنائه وبناته .

٧ - **الوظيفة التنظيمية والتشريعية** : وتعني تنظيم العلاقات بين الجنسين ، والأهل فيما بينهم ، والعلاقات الأخرى داخل الأسرة . وكان الأب يقوم مقام القاضي في مراعاة قوانين وتقاليد الأسرة ، وتنفيذ العقوبات بحق من يخالفها .

٨ - **الوظيفة السياسية** : وكان الأب يلعب دور القائد الحربي عند الحاجة ، ويمثل الأسرة في مجلس العشيرة ، او القرية ، او المدينة احياناً .

٩ - **الوظيفة الترفيهية** : وتعني إيجاد جو ترفيهي ، يجد فيه اعضاء الأسرة شيئاً من الراحة لأعصابهم واجسامهم ، والترفيه عن نفوسهم وعقولهم المتعبة . وكان افراد الأسرة يجدون هذا الجو مساءً بالتفافهم حول الأب يستمعون الى القصص والأغاني والقصائد والنكات والطرائف واخبار القبيلة . (٤)

تطور هذه الوظائف : وبتطور الأسرة ، تحت عوامل اقتصادية واجتماعية وحضارية وثقافية وسياسية مختلفة ، تطورت ، تبعاً لذلك ، وظائف الأسرة . وفقدت الاسرة كثيراً من أهمية وظائفها الدينية بظهور الديانات العالمية : كاليهودية والمسيحية والاسلامية ، فأصبحت الكنيسة ، أو الجماعة الدينية ، هي التي تقوم ، بصورة رئيسية ، بتلقين المبادىء الدينية ، وقضت على عبادة الأجداد ، وقضت بهذا على سلطة الأب كالمسؤول الوحيد عن الدين في أسرته . وكذلك فقدت الاسرة وظيفتها السياسية بظهور الدولة . وفقدت كثيراً من أهمية وظيفتها الاقتصادية ، إذ ظهر التخصص في المهن ، وأصبحت الاسرة تعتمد في تأمين الكثير من حاجياتها الهامة على أصحاب المهن . كما ان الاسرة الحديثة ، أخذت ، في البلدان الصناعية الراقية تفقد وظيفتها الاقتصادية تقريباً . ذلك لأن كثيراً من الامهات يعملن خارج المنزل ، لهذا يأكل أفراد الاسرة في المطاعم ، ويغسلون ثيابهم في المصابغ ، ويخيطونها لدى الخياطين أو الخياطات ...

وكذلك فقدت الاسرة كثيراً من وظيفتها التشريعية والقضائية ، ذلك لأن الدولة اصبحت مسؤولة عن قصاص الاشخاص وسلوكهم ، وحدت من سلطة الآباء على أبنائهم ، وتدخلت في كل التدابير الابوية التي تهدد حياة هؤلاء

---

(٤) من اجل وظائف الاسرة راجع :

a) J. Bernard: American Family Behavior. N. Y. Harper 1942

b) G. E. Zimmerman: Family and civilization. N. Y. Harper 1947.

c) R. Hubert: Traité Elémentaire de Sociologie. Paris. Delalain. 1935. pp. 268-275

الابناء أو صحتهم. ولم يحتفظ الآباء من سلطتهم هذه بسوى حق التأديب المحدود.

كما ظهرت مؤسسات ترفيهية كثيرة . **كالسينما ، والمسرح والمقهى ، والنادي ،** جذبت أفراد الاسرة اليها ، وأضعفت بهذا من أهمية وظيفتها الترفيهية . وتأسيس بعض مؤسسات صيانية للأطفال والشيوخ : مثل المطافل crèches وملاجىء العجزة وبيوت الاحسان ، واصلاحيات الاحداث ، والاسر التربوية ، التي تديرها الدولة أو المؤسسات الخيرية ، أضعف في الامم الراقية من أهمية وظيفة الاسرة الصيانية .

ومهما يكن من أمر فيمكن القول ان جميع وظائف الأسرة أصابها تغير وتطور (سنعود إلى هذا البحث بالتفصيل في كتابنا المخصص لسوسيولوجيا الأسرة) . ونهتم هنا فقط بالوظيفة التربوية لأنها موضوع بحثنا[٥] .

تطور الوظيفة التربوية : أما الوظيفة التربوية فقد أصابها تغير عميق . اذ كانت الأسرة في المتحد البدائي هي التي تؤهل الأطفال للحياة الاجتماعية وتلقنهم الأفكار والطقوس الدينية ، وتعلمهم المهنة السائدة في العشيرة. الصيد والقنص ، الرعي ، التدجين ... وتعلم البنات مهن أمهاتهن .. وتنشئهم على الأخلاق والسلوكات المعروفة في العشيرة ، وتشربهم تقاليدها وعاداتها وثقافتها ... ولكن عندما تعقدت الحياة الاجتماعية ، وتعقدت المفاهيم ، وظهرت الفلسفات والأفكار الدينية والسياسية الراقية ، وعندما **تعددت** المهن والتكنيكات ، مست الحاجة إلى انشاء المدارس ، وبهذا تحملت المدرسة عبئاً هاماً جداً عن الأسرة ، وساهمت في النصيب الأكبر من الثقافة والتربية والتأهيل للمهن والاختصاصات المختلفة والعديدة ... وقد ظهرت في البلاد الراقية ، التي تعمل فيها أغلب الأمهات ، خارج المنزل ، مطافل تتلقى الأطفال منذ حداثتهم الأولى

---

(٥) من أجل تطور وظائف الأسرة راجع :

a) R. Hubert : opi. cit. p. 285

b) Moore and Cole: opi. cit. pp. 60-67.

وتسهر على تربيتهم يومياً من الصباح حتى المساء ؛ كما أسست «حدائق الأطفال» لتضم إليها الأطفال من سن الثالثة حتى نهاية السادسة . وقد أسست هذه المطافل والحدائق أحياناً بقرب المصانع والمعامل والمتاجر ، كما في روسيا ، وكذلك في المجتمعات التعاونية الزراعية كما في روسيا واسرائيل . أما في بلدان كفرنسا وانجلترا وامريكا وسواها ، فقد خصص لكل حي عدد كاف منها : منها ماهو على حساب الدولة ، ومنها ما هو خاص ... وهكذا نلاحظ ان الوظيفة التربوية للاسرة قد فقدت الكثير من أهميتها في الدول الراقية ، وأصبح العبء الأكبر يلقى على المؤسسات التربوية الصحيحة . وفي هذا كل الخير ، وخاصة اذا كانت الأم جاهلة والأسرة مهدمة ، فمن الأفضل في هذه الحال ان يربى الابناء في مثل هذه المؤسسات الراقية ، هذا اذا توفر فيها العطف والحنان والعناية التي تمنحها الأمهات عادة .

وقد وضعت هذه الوظيفة التربوية تحت اشراف الدولة العام . فالدولة تمنع ، بشكل عام ، الأهل من توجيه تربية أطفالهم وجهة تخالف العادات والآداب السائدة وتجبر الأهل (اجبارية التعليم) على اعطاء ابنائهم تربية تحدد اطارها ومحتواها ومستواها وحدودها (اجبارية التعليم الابتدائي ، أو الثانوي أحياناً) . ومهما يكن من أمر المؤسسات التربوية ، ومهما يكن من أمر أهمية تدخل الدولة في شؤون التربية ، فيبقى للأسرة أهميتها في تربية الاطفال وتنشئتهم وتأهيلهم للحياة الاجتماعية .

الأسرة الحديثة والتربية : نترك جانباً الأسر التي يربى أطفالها في المطافل لأنها لا تشكل في بلادنا اي نسبة تقريباً ، وان كانت نسبتها في بلاد الغرب مرتفعة . ونعتبر الأسرة التي لا تزال تربي اطفالها حتى سن حدائق الاطفال او سن المدرسة الابتدائية . ففي مثل هذه الحال يمكن القول : الاسرة هي الوسط (او المجتمع) الذي يقضي فيه الطفل السنوات الأولى من عمره . وتمارس بالنسبة اليه أبكر وأثبت وأعمق وأدوم تأثير . وتؤثر فيه ضرورات المجتمع

العام (أو القومي) ، والمجتمع الديني ، والطبقة الاجتماعية بواسطة الأسرة قبل سواها من المؤسسات الاجتماعية . وتحصر فيها الخبرات الاجتماعية للسنوات الأولى . ولا يقتصر تأثيرها فيه على الناحية الاجتماعية ، بل تزوده بوراثة بيولوجية) ، تنقل اليه صفات جسدية وذكائية تشبه الى حد بعيد صفات أبويه او اجداده) قبل ان يأتي الى العالم . ولا نبحث هنا في تأثير الأسرة من حيث الوراثة ، بل في تأثير الاسرة من حيث الناحية الاجتماعية والتربوية .

المكتسبات التربوية : يكتسب الطفل من الأسرة كثيراً من النواحي الاخلاقية والنفسية والثقافية .

أ – المكتسبات الأخلاقية : يتعلم الطفل من الأسرة ، قبل سواها ، النظام والتوجيه الأخلاقي . اذ يتوصل الطفل ، بفضل القسر الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة على الاندفاعات الفيزيولوجية ، وعلى الأثرة ، وعلى الميول المحرمة (كالميل الجنسي مثلاً ..) ، وبفضل عوامل أخرى كالترغيب والمحبة والمثال .. الى تلوين بعض عاداته وسلوكاته الأخلاقية . ففي الأسرة يتعلم الطفل اولا كيف يطلب ، وكيف يشكر ، وكيف يرد على الشكر ، وكيف يحيي من هو أكبر منه ، وكيف يحترم الكبار ، وكيف يعطف على الصغار ، وكيف يتعاون مع الآخرين ، وكيف يضحي من أجل الغير ، وكيف يرد الأشياء الى أمكنتها بعد استعمالها ، وكيف يصغي الى من يتحدث ، وكيف يحترم شخصية سواه ؛ ويتعلم كثيراً من العادات الأخلاقية الأخرى : كالصدق والصراحة والأمانة وعفة النفس والتسامح . . يتعلم هذه النواحي الايجابية اذا كان جو الأسر سليما والتربية فيه سوية ، ولكنه قد يتعلم عكس كل هذه الصفات اذا كان جو الأسرة غير سليم والتربية فيه فاسدة (سنرى ذلك حالا) . .

ومهما يكن من امر ، فالطفل يتعلم من الأسرة أن يكبت الميول التي لا توافق تقاليد المجتمع على ظهورها (إلا في حالات تحددها : ويعبر عن الميل

الجنسي عند الزواج مثلا . .) ، ويضبط اخرى لا تتفق والسلوك الإرادي والأخلاقي والانساني الراقي (بعض سلوكات وحشية . .)

وقد اتجهت ابحاث بعض المؤلفين ، نحو دراسة تأثير الفطام وما يفرض خلاله على الطفل من حرمان من لذة مص ثديي أمه ومداعباتها له اثناء رضاعه ، وتأثير تعلم عادات النظافة وخاصة ما تعلق منها بالبراز والتبول . . في نفسية الطفل ، وما يمكن ان يسببه من شعور بالخيبة والحرمان ، وعاطفة كراهية نحو المشرفين عليها (الفطام وتعلم عادات النظافة . .) اذا ما أساؤوا في اسلوب معاملتهم وتطبيقاتهم . . [٦]

ب ـ **المكتسبات التكنيكية** : وتربي الأسرة الطفل على استعمال مجموعة من الوسائل والتكنيكات المادية المرتبطة بحضارة المجتمع العام . ففي الأسرة يتعلم كيف يستعمل أدوات الأكل والشرب ، وكيف يرتدي ثيابه ، وكيف ينام ، وكيف يغسل وجهه وكيف يسرح شعره . . ذلك لأن استعمال الملعقة والصحن والسكين (وقد تكون الشوكة) والكرسي ، والطاولة ، والثياب التي تغطي الجسد ، والمشط والصابون ، واللعب . . يعتبر ادماجاً في المجتمع . وكل هذه المكتسبات تطرحها الأسرة وتشجعها وتشرف على تطبيقها . . وهي بهذا تهيء الطل للمستوى الحضاري الذي بلغه شعبه . وتوفق الطفل في تعلم هذه التكنيكات الحضارية في أسرته ، يعطيه امكانية للتوفيق في الحياة العملية والتكنيكية في حياته الراشدة المقبلة . .

وقد علق بعض الباحثين على أهمية تعلم سلوكات النوم والأكل واللباس في تقبل الطفل بسرعة فائقة للروتين المدرسي . لأن الطفل الذي يتعود في الأسرة

---

٦ ـ راجع مثلا :

Jessie Taf : The effect of unsatisfactory Mother - Daughter Relati onship upon the development of a personality; in Family. vol .7 (1626) .PP.10 — 17 .

على مثل هذا النمط الروتيني في الحياة ، يقبله حالاً عندما يدخل المدرسة ..[٧]

جـ ـ **اللغة** : وتقدم الأسرة للطفل اللغة التي ستكون بالنسبة للطفل أداة الاتصال والتفاهم مع الغير ، والتي تعتبر وسيلة الفكر الأولى للتعبير عن أفكار وسوانحه ، ووسيلة النفس المفضلة للتعبير عن خلجاتها وانفعالاتها .. وبهذا تقدم الأسرة للطفل ، كهدية ، الابتكارات البشرية الثلاثة التي تعلو على العضوي ، وتجعل كل مجتمع يؤكد سموه المعنوي ، هذه الابتكارات هي : **الطقس** rite ، **والأداة** ، والكلمة ..[٨]

د ـ **الثقافة** : وتنقل الأسرة الى الطفل بعضاً من الإرث الثقافي السائد في مجتمعه . وتنقل إليه ثقافة ثلاثة مجتمعات :

١ ـ **ثقافة اسرته ذاتها** : هناك عائلات كبرى تتناقل « تاريخها » جيلاً بعد جيل ؛ وفي جميع الأسر يقص الآباء ، عامة ، على أبنائهم قصصاً عن أهلهم وأجدادهم ، قد تكون في البطولة والكرم والنجدة ، لكي يترسموا خطاهم ويسيروا في الطريق المرسوم لهم . وقد يشتهر شخص معين في الأسرة لأنه سار ، طوال حياته ، على نهج قويم ، لهذا ينهج أكثر الابناء على غراره .

٢ ـ **ثقافة مجتمعه المحلي** : تعيش كل أسرة في مجتمع محلي او جماعة محلية فالاسرة الريفية تحتفظ بتقاليد تغاير قليلا او كثيراً تقاليد الاسرة المدنية . وتعيش الأسر ، في المدن ، داخل طبقات اجتماعية ، لكل منها أفكارها وشعاراتها وتقاليدها وسلوكها في الحياة والعيش ، ومنحاها في السياسة . وبهذا تنقل الى أبنائها هذا التراث الثقافي . وقد تلح عليه في تعلمه وحفظه والتعلق به اذا كانت فخورة بدورها ومركزها الاجتماعيين وحظواتها المادية والمعنوية .

---

(٧) راجع :

M.L. Faegre and J.E.Anderson : Child care and Training. Minneapolis... 1937 .

(٨) راجع :

A. Ferré : Cours de Psychologie enfantine et juvénile . Paris .S.N.D.E.L..1948 .P·P.124—125

٣ - **ثقافة المجتمع العام**: هناك عادات وتقاليد وآداب وافكار وطنية وتاريخية وسياسية يجب ان يعرفها كل مواطن واعٍ : تتعلق **بالحرية والكرامة** الشخصية **والديموقراطية** وحرية المعتقد (الديني والسياسي والفلسفي) . تنقل الاسرة كثيراً من هذه السلوكات والافكار والمبادىء الى اطفالها . ونجد ان الاسرة حرة في المجتمعات الراقية ، في تعليم دينها الى ابنائها . ويولد الاطفال على الفطرة والآباء هم الذين يؤسلمونهم او ينصرنونهم او يهودونهم ... وقد وقفت الدولة موقفاً حيادياً بالنسبة للاعتقاد الديني . فقوى هذا استقلال الاسرة ، واعطى الاب سلطة معنوية وروحية قوية ، ولهذا عملت جميع الاديان الكبرى دائماً على الحفاظ على قوة الرهط الاسروي واستقراره وثباته، ذلك لان كل تهدم او تزعزع في الروح الاسروية يؤدي بالتالي ، وبصورة آلية ، الى اضعاف العقائد التقليدية . ويعلل لنا هذا الاتجاه الاسروي للمحافظة على التقاليد والعقائد او المعتقدات لماذا لم تتحقق اية ثورة اجتماعية كبرى وجذرية الا بعد ان غيرت جذرياً من الحقوق الاسروية. وقد استوجب هذا دائماً العمل على تهديم الشكل العتيق للخلية الاسروية لاقامة مؤسسات جديدة على أسس راسخة . وهكذا هدمت الثورة الفرنسية الاسرة الارستوقراطية القديمة بالغائها حق الاخ الكبير (او البكرية droit d'ainèsse) . وهدمت الثورة الاشتراكية الروسية نموذج الاسرة البورجوازية والاقطاعية واقامت مكانها نموذج الاسرة الاشتراكية القائمة على اساس من المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات . وتتم هذه التربية الروحية الاخلاقية والثقافية في الاسرة بفضل المرأة بصورة رئيسية . لهذا امكن القول ، كما يقول هوبر R,Hubert ، بان الحضارة كانت تحفظ نفسها بواسطه المرأة ». [٩]

ذلك لان المرأة لاتزال عامة ، وخاصة في بلاد كبلادنا ، تعيش اكثر من الزوج في المنزل فتسهر على سنوات الطفل الاولى ، وتسهر على تربيته بعطفها

---

٩ راجع: R. Hubert : Traité Elémen taire de Sociologie P.286

وحنانها وانانها وتضحيتها . ويحصر دور الاب غالباً في الضبط والاشراف والتوجيه العام .

هـ ـ **تكون الشخصية** : تتكون في الاسرة كثير من محتويات الشخصية وصفاتها الرئيسية وتماسكاتها واتجاهاتها . ففي الاسرة يتعلم الطفل ، قبل كل مكان ، ان يثبت ويؤكد ذاته ، ويفرض نفسه ويلعب دوره . ويهيأ الطفل الذكر لدوره المقبل ، كما تهيأ الطفلة لدورها المقبل . (سنعود حالا الى هذا البحث بالتفصيل) [١٠] .

و ـ **نمط التفكير والملاحظة** : اذ يكتسب الطفل كثيرا من أنماط تفكيره ومناقشاته ودقة او عدم دقة ملاحظاته وادراكاته من الاسرة . وهذا يساعده أو يعيقه في حياته الدراسية المقبلة ... [١١]

ز ـ **المواقف والتعصبات والمستبقات** : ليست المواقف والتعصبات والمستبقات وراثية . وانما يتعلم الطفل في حياته الاولى من اسرته كثيراً من المواقف تجاه **الدين والعرق والمهن والسياسة** . وكم يتعلم الطفل في اسرته من مستبقات وتعصب ضد فئات اجتماعية تعيش معه في الوطن الواحد ، وتشترك معه في المصير الواحد ، وتحمل معه نفس الاماني والآمال ، او شعوب غريبة عن شعبه وبعيدة عنه احيانا . كل ذلك يتعلمه الطفل دون خبرة شخصية ودون تجربة عميقة ، بل على اساس افكار قبلية تنقل اليه عن طريق اهله [١٢] .

ح ـ **التعاون مع الناس والسعادة الزوجية** : ويتعلم الطفل في الاسرة كيف يتعاون مع الآخرين في سبيل غاية واحدة ، وان يخفف من اسلوبه العدائي والتنافسي غير الشريف ليصل بالرهط الذي يعمل ضمنه الى تحقيق اهدافه ونوازعه السامية .

---

١٠ راجع : Roucek and al -' : opi .Cit :PP.113—116

١١ راجع : Ibid, : P. 111.

١٢ - راجع: D.Krech and R·Crutchfield: Theory and Probems: of Social Psychology. N.Y.Mcgraw - Hill ...1948.PP.149—273

وقد دلت ابحاث بعض السوسيولوجيين والسيكولوجيين على ان السعادة (او التعاسة) الاسروية للافراد المتزوجين تتوقف بجزء كبير منها على كون هؤلاء الناس خبروا ، وهم اطفال ، حياة عائلية سعيدة (او تعيسة) في حياة ابويهم .[١٣]

ط ـ **التهيئة من اجل المستقبل والحياة الاجتماعية المقبلة** : اذ يرتبط قسم كبير من سلوك وموقف الانسان تجاه المجتمع بتجربته الاسروية . وقد عبر فلوجل Flugel عن هذا بقوله :

« يبدو ان الطفل يحدد ايضا والى حد كبير ، في الزمن الذي يتبنى فيه موقفاً نحو حلقة الاسرة ، بعض المظاهر الاساسية لعلاقاته مع المخلوقات البشرية بصورة عامة ؛ (كما يبدو) ان وجهة نظر فرد ما واسلوبه في مواجهة المشاكل الاكثر اهمية في الوجود البشري يمكن ان يعبرا عن نفسيهما بنفس الفاظ الاوضاع التي اتخذها تجاه المشاكل والصعوبات المتولدة داخل عالم الاسرة الذي يعتبر ضيقاً نسبياً »[١٤]

شروط التعلم في الاسرة : يساعد الاسرة على تربية الطفل مايملكه من استعداد للتقليد والتعاطف وقابلية ايحاء ومايتهيأ في الاسرة من قسر وترهيب وترغيب وتكرار ، وقدوة ومثال ، واقناع ، ونقمص ومنافسة وتعاون ...[١٥]

محتوى التربية الاسروية : ترتبط الاسرة برهوط ومجموعات مختلفة :

---

١٣ ـ راجع : E.W.Burgessand L.S.Cottrel, jr :Prediting Success: of Failure in Marriage . N.Y.Prentice - Hall . 1939 .

b) L.M. Terman et al ., : Psychological factors in Marital Happiness.N.Y. Mcgraw - Hill . 1938

١٤ راجع : J. C.Flugel : The Psycho - analytique study of the: family . the Hogarth press. London ...7e edit .1948·P.32

١٥ ـ راجع : الفصل الثالث من كتابنا هذا .

ترتبط بجماعة دينية ، وبجماعة مهنية ، وبطبقة اجتماعية ، وبحي معين .. وليست هذه الرهوط والمجموعات واحدة في ثقافتها ولغتها واتجاهاتها ومواقفها . لهذا كانت تربية كل اسرة مختلفة نوعاً ماعن غيرها من الاسر التي لاتشاركها في هذه الرهوط والمجموعات . فتربية الاسرة في الطبقة الكادحة تختلف عن تربية الاسرة في الطبقتين الوسطى والعليا ، وقل ذلك في كل من هاتين الاخيرتين . ولهذا قيل : يتلقى الطفل في اسرته « تربية طبقة » معينة . وتؤثر هذه التربية تأثيراً عميقاً عندما تكون الطبقة الاجتماعية متشكلة بشكل صحيح : أي عندما تكون قد كونت افكارها ورموزها ووعيها واتجاه نضالها . وقد اشار مالينوفسكي Malinowski الى ان تشكل عقدة اوديب تابع لنموذج الاسرة ؛ وان هذه العقدة لاتوجد في بعض المجتمعات البدائية التي تملك نموذجاً اسرويا امريسياً مختلفاً عن النموذج الاسروي الابوي في اوروبا وسواها . كما اشار الى ان « الكمون الجنسي » او نكوص الجنسية » الذي يحصل بين السنة السادسة وسن المراهقة يرتبط بالاسرة ارتباطاً قوياً ؛ وان هذا الكمون يكون على اضعفه بين الفلاحين والعمال اولا ، والطبقات العليا الغنية ثانياً ، ويكون على اقواه بين الطبقات الوسطى التي تتمسك كثيراً بالاخلاق .[١٦]

ويتأثر اتجاه الاطفال نحو مهنة معينة بمهنة والديهم . فاذا اعتبرنا الطوائف Castes الاجتماعية وجدنا ان الابناء يتوجهون بشكل آلي الى مهن آبائهم . ويحصل شيء من هذا بين الأسر في الطبقات الاجتماعية . إذ يميل كثير من الأبناء وخاصة بين العمال والفلاحين والفئات ذات الحظوات ، الى مزاولة مهن آبائهم ... وقد قام ر . سنترز R. Centers بدراسة في انكلترا حول هذه النقطة فوجد ان « ٨١ ٪ من ابناء أولئك الذين كانوا يعملون في التجارة

---

١٦ – راجع: Malinowski : La sexualté et sa répression dans les sociétés primitives . Paris . Payot . 1932 P.P.2—74

والصناعة والمهن الحرة وغير ذلك من الاعمال المكتبية (التي يقوم بها ذوو الياقات البيضاء) ، كانوا يزاولون هذه الاعمال بعينها ، بينما ان ٧٠ ٪ من ابناء من كانوا يعملون في الأعمال اليدوية كانوا ايضاً يزاولونها »[١٧] .

وهناك أسر لا تربي اطفالها على أي دين . وهناك أسر أخرى تربي أبناءها على العقائد السياسية : الاعتقاد الصوفي (او الديني) بحزب سياسي . . وهناك أسر تعطي أبناءها تربية دينية شكلية محضة ، تقتصر على القيام ببعض طقوس خارجية : كالصلاة ، والذهاب الى الكنيسة ، او الجامع ، وحرق الشموع والبخور . . .

أما العائلات التي تلقن أبناءها مذهباً دينياً حقيقياً ، وتعطيهم قاعدة حياة مخلصة وعميقة وأصيلة ، فتعتبر نادرة بين الأديان جميعاً .

وتختلف كذلك اللغة التي يكتسبها الطفل من أسرة الى اخرى . فهناك أسر راقية تكون لغتها غنية جداً وراقية ، بينما تكون اللغة في الأسر الفقيرة وخاصة في الريف الفقير ، ضعيفة ومحدودة الألفاظ والتعابير . وقد أشار براون الى ان بعض الأسر الأمريكية تستعمل تقريباً ألف لفظة ، بينما يمكن أن تستعمل أسرة أخرى عشرة آلاف ؛ (إذ) لكل أسرة ألفاظها المحددة المتعلقة بالمظاهر الاجتماعية والترهات والخرافات والمصالح والاهتمامات[١٨] .

وتبعاً لهذا يمكن القول : ان العادات والأخلاق والسلوكات الاجتماعية المختلفة ، وتكون الشخصية ، تختلف بين نمط أسرة ونمط آخر ، وبين أسر من نفس النموذج ولكن ترتبط في الواقع بوهوط دينيـــة وسياسية واثنية واجتماعية مختلفة . . .

وبهذا يمكن أن نقرر بأن محتوى التربية الأسروية نسبي ، تابع لوضع

---

١٧ – نقلاً عن تب . بوتومور . الطبقات في المجتمع الحديث . (ترجمة وهيب مسيحة) القاهرة . مكتبة الانجلومصرية ص ٧٥ .

١٨ – راجع : F.J. Brown :Educational Sociology .P.192 .

الأسرة ، ومركزها الاجتماعي ، وعلاقاتها الاجتماعية المتبادلة مع سواها من الوحدات الاجتماعية الأخرى .

مورفولوجيا الأسرة : إذا أردنا أن نعرف قيمة تأثير الأسرة الاجتماعي والتربوي في الطفل ، وجب أن نتعرض لدراسة المورفولوجيا الأسروية ، وشكل وتركيب الأسرة ، وسعتها وكثافتها . فاذا كانت نفسية الطفل الوحيد ليست كنفسية الطفل الذي يعيش في أسرة كثيرة الأطفال ، فهذا راجع قبل كل شيء الى كون سوسيولوجيا كل منهما تختلف عن سوسيولوجيا الآخر . فمجرد وجود طفل ، أو طفلين أو ثلاثة ، أو عدد كثير من الاطفال في الأسرة ، يغير معاً أسلوب الحياة الاجتماعية ، وتصورات كل طفل عن الوسط وعن ذاته . وللجنسين والترتيب le rang ، وفارق السن ، وعمر الأبوين ، أثر قوي في تربية الأطفال وحياتهم النفسية والاجتماعية وحالاتهم المرضية . ونبحث الآن في كل من هذه المواضيع على حدة .

الاطفال الكثيرون في اسرة واحدة : إذا كان عدد الأطفال كبيراً في الأسرة أثر ذلك في تربيتهم ونفسياتهم . لأن الأم لا تستطيع أن توزع اهتمامها وحنانها عليهم جميعاً إلا بصعوبة ، وقد يؤدي هذا الى تعبها وارهاقها إذا كان « مجالها النفسي » ضيقاً لا يتسع لإناس عديدين .

وكذلك تحدث بينهم منافسات ومنازعات وخصومات وغيرة ، وهذا ما يسبب مشاكل للوالدين ويدفعهم أحياناً إلى زيادة في القسوة والعنف أو الترغيب ليفضوا هذه المشاكل . ويحدث بينهم تعاون وتآزر وتقديم مساعدات وتضحيات ، ويعتبر كل هذا مناسبة لتكوين شخصياتهم على نسق معين ، وتعليمهم كثيراً من العلاقات الاجتماعية سواء أكانت موجبة أم سالبة ... (سنعود بالتفصيل الى هذا البحث) .

الطفل الوحيد : ووجود طفل وحيد في الأسرة يجعل تربيته مغايرة لتربية أطفال كثيرين فيها . وتعتقد الدكتورة ف . دولتو مارت - F. Dolto)

(Marette انه يمكن ان تعتبر مشاكل الطفل الوحيد من وجهة النظر السوسيولوجية . والذين يعرفونها (المشاكل) متفقون على أن يروا فيها مشاكل بكرٍ دائم (ainéperpétuel) [١٩] .

فهو ، بصورة عامة ، طفل **مدلل ومحتضن** اي مغمور بعطف وحنان ورعاية زائدة وفائقة . انه غال جداً ، ذلك لأن فقده يهدم حالاً التركيب الأسروي بكامله ، ولهذا ينظر اليه كشيء فريد يجب أن يرعى ويحافظ عليه . ويكون الأب ، عادة ، رخواً ومنقاداً لزوجته . وتكون الأم في حالة قلق دائم بالنسبة اليه ، ولهذا فانها غالباً ما تخضع لسلوك مفرط في الرعاية. فهي ترعى بشكل زائد طعامه وشرابه ولباسه وصداقاته ، مما يسبب له هزء رفاقه . وتتطلب منه أمه النظافة الفائقة منذ سن مبكرة ، والأدب الفائق ، ومعاشرة الأطفال المهذبين تهذيباً راقياً ، والنتائج الباهرة في المدرسة . فإذا تخاصم مع أحد رفاقه فان أبويه يقيمان الدنيا ويقعدانها . وإذا كانت علاماته أقل مما يرجوان فالويل عندئذ للمعلم لأنه هو المسؤول عن ذلك . ويبعدانه عن الأطفال ذوي اللسان « الفالت » ، وعن كل شيء مضر ومؤذ كالميكروبات والكلام البذيء ... ويقدم له أبواه الأشياء قبل أن يطلبها ، فيحرماه بهذا من ذوق اشتهاء أي شيء . ويقال في الريف : « يجب أن يبكي الطفل ليستحق البز » . لهذا لا يتمكن من الاستفادة من أي تجربة شخصية ، هذه التجربة التي تعتبر وحدها نافعة . ويظهر هذا النقص بشكل واضح في المبادهة وفي سن متأخرة ...

وهو ، تبعاً لواحديته ، **طفل منعزل** . فهو يعيش ، حتى سن المدرسة ، في بيئة راشدين ، يعتبرون بالنسبة اليه **صوراً تامة** . فهو يعيش مع والديه مثلا

١٩- F. Dolto - Marette : L,enfant unique ; in Les conférences de l,école des parents N.7.avril 1950 (paris) .p. 13

فيقلدهما ويتقمص شخصيتهما . ولكنه كـكائن نام وناشىء ، يرى نفسه غريباً بين كائنين تامي النمو ، ومستقري النشوء . ويلتصق بأمه التصاقاً قوياً لأنها بالنسبة إليه الـكائن الذي يدلله أكثر من سواه . وبتعلقه بأمه ، مع العلم أنه ينقصه المجتمع ، يعتقد بأن المجتمع مكون على هذه الشاكلة . ويحرم بهذا من تبادل العلاقات مع الآخرين ؛ ويحرم بالتالي من أن تتكون لديه الروح الاجتماعية ، وحس الواقع الاجتماعي الذي يتولد داخل الخصومة الاخوية .

آثار تلك التربية وهذه النشأة : تؤثر تلك التربية الملأى بالحنان والتدليل ... وهذه النشأة المنعزلة ، في نفسية الطفل الوحيد وشخصيته . نعرض لبعض منها :

أ – من حيث الشخصية : يكوّن فيه التدليل والعزلة النرجسية Narcissisme ، والأنانية . وتقوده النرجسية الى تهدم ذاته ، والى صعوبة الاقدام « نحو » Vers (كذا) ، والعمل « من أجل » pour (كذا) فالطفل الوحيد لا يستطيع أن يتعرف على ذاته في الراشد ، لهذا يعاني شعوراً « بالعزلة » أو « الوحدة » .

وينعكس عليه عقم والديه الارادي او غير الارادي ، فيدفعه الى عقم سيكولوجي ، اذ يظهر ، بالنسبة اليه ، « الاخذ » خيراً من « العطاء » ، ذلك لانه يلاحظ ان والديه « يملكان » طفلاً ، ولم « يعطيا » الحياة الى آخرين .

ولهذا يكوّن عن والديه والراشدين « صورة ذاتية » imago عقيمة . فهو ، في حال الابوين العقيمين عن ارادة وتصميم ، يحفظ ، كما تقول الدكتورة دولتو ، « صورة ذاتية » لراشد عقيم ، يخاف من أن يكون له أطفال ، اذن يملك خوفاً من الحياة ، وخوفاً من كل شيء ، و (الراشد) أناني خاصة »[٢٠] . فهو يتعلم أن يأخذ ولا يتعلم أن يعطي . ويقدم له والداه عن الراشد صورة

---

٢٠ – F. Dolto-Marette .op . cit .p. 16

متحجرة بدلاً من أن يعطياه عنه صورة حية، وينتهي الى الشعور بأنه «شيء» ثمين، في عين الراشدين، وينظر بالتالي الى نفسه على أنه كذلك. ويحس بعدئذ بعد احترام القيمة البشرية التي يعبر عنها، بشكل ظاهر، بامتلاك **ابويه وجديه** الذين يتنافسون عليه.

ويعاني الطفل الوحيد، عامة، موقف الطفيلي والعبد. فهو يحتاج دائماً الى من يستشيره ويدعمه ويشجعه، ويكون «طيب القلب» يستغله الآخرون بسهولة. وقد يصبح ثائراً، او مريضاً، او شاعراً بفقدان كل حرية اختيار، وهذا نوع من موقف الطفيلي... ولنقص حرية الاختيار لديه، فانه غالباً ما يخفق أمام مسؤولياته المهنية أو الزواجية...

ب - **من حيث العضلية**: ويُظهر الطفل الوحيد عادة، نوعاً من عدم الكفاءة في الناحية الحركية والعضلية. ذلك لأن أهله يقدمون له كل شيء، ويراقبون حركاته وسكناته ويمنعونه من اللعب بأي شيء من «أغراض» المنزل.

ج - **من حيث الغذاء**: يعتبر الطفل الوحيد مشكلة من الناحية الغذائية. فهو غالباً ما يرفض الأكل. وتتكبد أمه في سبيل ذلك كثيراً من المشاق. اذ يرفض الطعام دوماً قائلاً: «لا». وقد تنتقل هذه الـ «لا» الى اعماله الاخرى فيرفض الذهاب الى المدرسة مثلاً، او يرفض ان يعمل كما يعمل الآخرون..

ومن هنا نستطيع أن نفهم الكثير عن **عناد** الطفل الوحيد...

د - **من حيث الانفعالية**: يتميز الطفل الوحيد بالحسد والغيرة. وتظهر غيرته هذه في حياته العامة وفي حياته الزوجية خاصة.

أما من حيث الناحية الجنسية فيتعلق الطفل الوحيد، حسب جنسه، بأحد والديه، ولا يتوصل الى ان ينفلت منه. فهو كثير التعلق بوالديه، وكلما أخفى ذلك، أمكن القول أنه متعلق بهما حقيقة.

وعندما يتزوج، فإننا نلاحظه غالباً، أمام شقاق بين والدته وزوجته،

يحاول أن يحل مشكلة عقدة أوديب لديه ، او ان يقوم «بعودة نحو امه» ... ويخفق كثيراً في علاقاته الغرامية ، لأنه يعرف الاخذ ولا يعرف العطاء ... ويعجز عن وصل ما انقطع من حبل الحب بينه وبين من يحب . إذ يشعر دائماً بأنه المسؤول الوحيد عن ذلك . ولا عجب في هذا ، لأنه ربي على الشعور بأنه أساس كل شيء في الأسرة . إذ كم من مرة سمع مثل هذه الاقوال . « لقد فعلت هذا من أجلك أو بسببك » ،و « هذا يزعجني بسبب الصغير » ، و « لا أعيش الا من أجلك » و « لم نسع الا من أجلك » ... وهذا ما يكون في الطفل شعوراً لا يطاق بالإثم .

وتبعاً لهذا يكون الطفل الوحيد كثير الدقة: يقوم بشؤونه بدقة وقوة. ولكن يقوم بذلك بمفرده دون أن يشعر بروح العمل داخل **زمرة** équipe: فهو اما أن يشعر فقط بوجوده هو والوسطاء الذين يرتبط بهم ، ولا يشعر بوجود أحد آخر من حوله ، وإما أن يشعر بوجوده فقط ، عندما يرى أنه متفوق على جميع من حوله ... فالأطفال الوحيدون يعانون في صغرهم الغيرة التي يعانيها الآخرون في أسرة عديدة الاطفال ، لهذا يتوصلون بصعوبة الى روح العمل في زمرة فيما بعد . ويتحملون تجارب المنافسة بشكل سيء . فهم لا يتعلمون نوعاً من الرياضة الا اذا أيقنوا أنهم سيبرزون فيها ، ذلك لأن الاخفاق يؤلمهم . إنهم يريدون ان يبرزوا دائماً ، ولهذا يتألمون كل الألم عندما يخفقون ، ويصبحون نكرة او منسيين ...

وقد لاحظ موكو Mauco ورامبو Rambaud ان الطفل الوحيد يشعر بعاطفة التحرر عندما يدخل في جمهرة ، اذ يشعر بأنه أقل مراقبة ؛ لهذا يندفع ويأخذ كل حريته ويعبر عن كل شخصيته وأصالته ، فكأنه بهذا يتحرر من رقابة الاسرة التي تخنقه وتكبله وتحرمه من حرية التعبير عن ذاته .[٢١]

---

٢١ - راجع : Mauco et Rambaud : Le rang de l,enfant dans la famille; in Rev.fr. de Psychanalyse.N.15 (1951).PP.253--290

هـ - **من حيث الفكر واللغة:** يعوض عن ضعف حركته ومهارته العضلية بتفوق في تفكيره ولغته . لان الانتباه الذي يحاط به يجعله يحقق ، بصورة مبكرة ، كل امكانياته الفكرية . فيدفعه هـذا غالباً الى التفوق في الحساب والمواد الفكرية . لأنه عندما يخفق في الناحية الحركية ، التي يعتبر فيها طفلا حتى في رشده ، يتوجه نحو تقوية الناحية الفكرية لديه . وقد يندفع الى عالم من الخيالات والاحلام والوساوس المتسلطة ، يهرب اليه من عالم الواقع المرير الذي أخفق فيه ..

أما من حيث اللغة فترى الدكتورة دولتو أن الطفل الوحيد يصبح ، بصورة مبكرة ، راشداً من الناحية اللغوية . ذلك لانه يشعر أنه راشد ، ولكنه يشعر بالمقابل أنه راشد غير مسؤول ، وغير مدرك للفاعلية الجنسية ، ولهذا يصبح لغوياً يتكلم وكأنه كائن آخر ، مختلف عما هو عليه ..[٢٢]

وهكذا يعتبر الاطفال الوحيدين ، في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، عامة ، نخبة من الناحية المدرسية ، ولكن يعتبرون ، بالمقابل ، أشخاصاً ضعفاء من حيث تبادل العلاقات البشرية .

و - **من حيث التكيف الاجتماعي** : وتعتبر كل المظاهر الشاذة التي رأيناها لدى الطفل الوحيد عوائق في سبيل تكيفه الاجتماعي . اذ قد تؤثر على سلامته العقلية والنفسية . حيث يتوقف على سلامته العقلية التغلب ، في زمن الرشد ، على نرجسيته وأثرته وعزلته التي تعيق بشكل قوي تكيفه الاجتماعي ، وتدفعه الى شذوذات عديدة ...

من كل ما تقدم ، نرى كم لتربية الأسرة وسوسيولوجياها من تأثير في تكوين شخصية الطفل الوحيد التي تختلف في كثير من نواحيها عن شخصية الطفل الذي ربي في أسرة متعددة الأطفال . وقد ألح آدلر وأتباعه على نفسية

---

٢٢ - من أجل تفاصيل راجع : F.Dolto - Marette: op .cit.PP·14—15·

الطفل الوحيد والوحدة القاتلة التي يعيش فيها .

إن ما أثبتناه هنا عن الطفل الوحيد يعتبر صحيحاً في مجتمع منظم على شاكلة مجتمعنا ، ولكنه حتى في مجتمعنا لا ينطبق على جميع حالات الأطفال الوحيدين ، ذلك لان الطفل الوحيد قد يربى في اسرة مثقفة وواعية فيتخذ له والداه أخاً أو اختاً بالتبني ويدفعانه الى الحياة الاجتماعية دفعاً ، وقد ينشأ في اسرة فقيرة يجب ان يشارك فيها والديه منذ نعومة اظفاره مسؤولية تأمين العيش ، وقد يتوفى والده (أو امه) وهو لايزال في سن مبكرة فيشب على الاعتماد على نفسه ويتعود القوة والرجولة وحب البذل والتضحية ؛ اما اذا ارتبطت حالة الطفل الوحيد بمجتمع منظم على شكل مختلف عن شكل مجتمعنا ، كأن ينعدم فيه التدليل ، او يربي الاطفال فيه بعيداً عن الاهل ، او يساهم الاطفال فيه بصورة مبكرة بمسؤوليات الكبار . فعندئذ لايكون لحالة الطفل الوحيد من أثر كبير عليه من النواحي النفسية والجسدية والاجتماعية .

الترتيب في الاسرة : ليس عدد الاولاد كل شيء في الاسرة ، ذلك لان العلاقات بين الاخوة والاخوات ترتبط بالترتيب الذي يحتله كل منهم ، وبجنسه وعمره . وندرس هنا اهمية الترتيب le rang في التربية وتكون الشخصية والتفاعل بين اعضاء الاسرة . واول من لفت نظر المربين والسيكولوجيين الى أهمية الترتيب هو آدلر .

يرى آدلر ان الطفل البكر (الأول) يبقى لمدة معينة وحيداً . لهذا يكثر تدليله خلال هذه المدة ، حيث يبقى محط رعاية والديه وعنايتهما . وعندما يولد أخ بعده ، يفقد بعضاً ، أو كثيراً ، من عطف الراشدين في الأسرة (وبينهم أمه خاصة) . لهذا تأكل الغيرة قلبه ، وتسبب له كثيراً من الحزن والألم والهم . واذا خاب في استعادة عناية أهله ، يلجأ الى العزلة والقنوط . لهذا يرى آدلر ان الاطفال البكر يميلون عامة ، الى الماضي والتغني به ، وهم تبعاً لهذا ، **محافظون** ، واكثر تشاؤماً من سائر أخوتهم . وهم مولعون بالتسلط والسيطرة على الناس ،

وداعون الى احترام القوة والقانون ، ودائمو الظن بالغير، وكثيراً ما يخيل اليهم ان الدسائس تحاك حولهم لخلعهم من منصبهم .

أما الطفل الثاني (المولود الثاني) فيرى آدلر أنه يتميز بكونه أحسن حالاً إذا لم يسرف أخوه الأكبر في الاستبداد به، وبكونه يعاني رغبة ملحة في اللحاق بغيره والتفوق عليهم ؛ وقد يتصف إما بالثورة ، وإما بالخضوع (في حال سحقه من قبل أخيه البكر) . ويظهر الفرق بين الطفل البكر والطفل الثاني حتى في احلامهما . فالبكر كثيراً ما يحلم بالسقوط من عل ، بينما يحلم الثاني بانه في حلبة السباق ، أو أنه يعدو وراء القطار ، أو يتبع الترام . . أما الطفل الثالث (او الأصغر) فيبقى في الغالب على عرشه يتمتع فيه بنصيب وافر من الرعاية والتدليل . ولهذا فقد ينشأ ، بعيداً عن منافسة أخويه الأول والثاني ، كسولا ولاهياً ، ولكنه يتميز غالباً بالأصالة ، وكثيراً ما يتوصل الى بز أخوته ، اذ يتنافس معهم وهذا يعينه على النضج والجد . ويعطي آدلر كمثل موضح قصة يوسف المذكورة في التوراة . . وينتهي آدلر إلى القول : « انني حيثما قمت بدراسة البالغين وجدت أن الطفولة الأولى خلفت فيهم آثاراً عميقة لازمتهم طوال الحياة . ذلك لأن مركز (أو ترتيب) الفرد في الأسرة يترك طابعاً بارزاً على أسلوب الحياة . كما تنشأ كل المصاعب التي تعوق النمو من شدة المنافسة وقلة التعاون في ذلك المحيط . » (٢٣) .

ومهما يكن من أمر مغالاة آدلر ، فلا شك ان ترتيب الطفل يلعب دوراً لا بأس به في تكوين شخصيته وتربيته كما سيظهر بوضوح من دراستنا هذه (٢٤) .

وقد رأى بعض المؤلفين أنه من الأفضل ان نتكلم عن أطفال أبكار ،

---

٢٣ – Adler : What life should mean to you. p. 154

نقلا عن : اسحق رمزى علم النفس الفردي الطبعة الثانية. دار المعارف . القاهرة . ١٩٥٢. ص ١٦٩ .

٢٤ – من اجل افكار آدلر راجع : المصدرين السابقين :

وأطفال متوسطين Intermédiaires ، وأطفال مدللين (الأخيرين في ولادتهم) .

الطفل الأكبر أو الكبير L'aîné : توكل إلى الطفل الأكبر ، عادة ، مسؤوليات نفسية لم يكن قد تهيأ لها بعد . وهذا يساعده على تكوين شخصيته ، إذا لم تكن هذه المسؤليات ضخمة ينوء بها كاهله . اذ كثيراً ما يطلب إليه ، لكونه الأكبر ، أن يعطي المثل الصالح لأخوته وأخواته ، ويقوم بالتضحيات من أجلهم . وقد يظلمه والداه باسم انه البكر .

ويساعد هذا الدور المسؤول الطفل البكر على النضج العقلي والتفوق الفكري . إذ أظهر موكو ورامبو ان ٦١ ٪ من الأطفال الأبكار يجاوزون المستوى العقلي الوسط . واذا أخذنا حاصل ذكائهم وجدنا تقريباً أن ٣٩ ٪ منهم يبلغون الوسط أو يهبطون عنه (١١٠ وما تحت) ، و ٣٢ ٪ يدركون مستوى راقياً (١١٠ — ١٢٠) ، و ٢٩ ٪ يدركون مستوى عالياً جداً (١٢٠ ومافوق)[٢٥] . ويعود هذا الى العناية الزائدة التي يتمتع بها في طفولته الأولى بالنسبة لسائر أخوته ، مما يؤيد ضرورة العناية العاطفية للأطفال في سنهم المبكرة . كما يعود الى كون والديه يشرحان له الأمور بدقة ووضوح بدلا من أن يقدما له مواقع ونواهي مقتضبة أو شروحاً سطحية .

أما من الناحية العاطفية فقد وجد المؤلفان السالفا الذكر ان ٢٤ ٪ من الحالات كانت فيها الأم تفضل بشكل ظاهر الطفل البكر على سواه . وفي ٤٩ ٪ من الحالات كان الولد البكر يستجيب لهذا التفضيل الزائد بتثبيت ظاهر بشخصية أمه ، أما البنات **الأبكار** فكان ٤٦ ٪ منهن يظهرن الغيرة نحو أمهن . وتظهر الغيرة نحو الأخوة والأخوات على أعلاها (٦٥ ٪) لدى الأطفال

---

٢٥ — نقلا عن :
M. Forot :L'enfant et les relations familiales. Paris. p.U.F. 1954 . p. 185

الأبكار ، بينما هي ٥٠ ٪ لدى من يليهم من الأطفال [٢٦]. ويظهر الطفل البكر نوعاً من السيطرة ، وأحياناً نوعاً من الاستبداد ، على إخوته . وكثيراً ما يخلق (أو يغذي) هـذا السلوك المستبد لدى الأخوة الشعور بالنقص (وهو غير عقدة النقص) .

الطفل الثاني Le puiné ou le cadet : يرى الطفل الثاني أخاه البكر ينجح في بعض مجالات ، لا يتسنى له فيها مثل نجاح أخيه ، لأنه لم يبلغ بعد السن التي تمكنه من ذلك . ولهذا يقرر ، الطفل ، أنه غير صالح لشيء . ويعاني شعوراً بالنقص . ويدفعه هذا الشعور الى ردود فعل او ارتكاسات عديدة ومنوعة . إذ يرى جولي H. Joly ان الطفل الثاني يقوم بارتكاس التقليد الأعمى لأخيه البكر بسبب من حظوته [٢٧] .

وقد يظهر **إرتكاس المعارضة** ، الذي يمكن أن يتعاقب مع الإرتكاس الأول ، ويعبر عن نفسه بروح معارضة منظمة او منهجية : شرود (او حلم يقظة) إستيائي ، وقد يصل الى حالة متناهية تظهر فيها الثورة والعصيان او البرانويا paranoïa (الهُذاء) . وتظهر هذه المعارضة تجاه الأخ البكر وتجاه الوالدين ايضاً : وبهذا يمكن القول : تقابل عدوانية الطفل الثاني ، غيرة الطفل الأكبر [٢٨] .

ويملك الطفل الثاني ايضاً شكلين من ردود الفعل : **الاستقالة او الانسحاب والتعويض** . فالطفل الثاني الذي يستقيل او ينسحب يرضى بكل شيء ، ويغفل واجباته ، ويتراجع .. ولا يعمل في الصف ، ولا يأبه للقصاصات ، بل يظهر نكوصاً اكثر فأكثر ظهوراً . ويعود الى التبول في الفراش ، ويظهر شيئاً من

---

(٢٦) راجع : Mauco et Rambau : opi . cit

(٢٧) راجع . H.Joly : L'imagination . Paris . Hachette. 1877

(٢٨) راجع : Heuyer et Dublineau : Réactions d,imitation et d,opposition chez l.enfant . in j . de psycholologie . 1949 .

الابتذال في سلوكه ، ويتكلم بشكل سيء ، ويبدو وكأنه يتسلى بالقذارة الجسدية ؛ **يأكل بقذارة وشهية** ، وتعلو ثيابه البقع ، ولا يغتسل إلا قليلاً . وكلما أُنب وعُوقب زاد من سلوكه النكوصي ، الذي يقوم به ، مع سلوكات اخرى ، كتبرير لا شعوري للعدائية الأخوية والأبوية ، التي لا يفهمها ، والتي يعتبر هدفاً لها .

اما سلوك التعويض ، الذي يعتبر اندر من الأول ، فيوفق فيه . فهو يفتش عن الطريق الذي يوصله الى التفوق ويحرز هذا التفوق اذا ما شجعه والداه .

الطفل المتوسط : ينجو الأطفال المتوسطون ، على الرغم من كونهم ، في في آن واحد ، اكبر بالنسبة لمن يتبعونهم في الترتيب ، واصغر بالنسبة لمن يتقدمون عليهم من بعض المخاطر الانفعالية التي يتعرض لها هؤلاء واولئك .

ويكون دور الطفل المتوسط دقيقاً عندما يوجد في اسرة تحوي عدداً غير زوجي من الأطفال : اذ يقوم فيها ازواج Couples ، وتعتبر العائلة المكونة من خمسة اطفال النموذج الحي لهذا النوع من الأسر ؛ اذ يتكون فيها زوج من الأخوين الكبيرين ، وزوج من الطفلين الصغيرين او الأخيرين . ويبقى الطفل المتوسط منعزلا بعض الشيء او مهملا ، لأنه صغير جداً ، وكبير جداً في نفس الوقت . . ولكن الجنس يخفف من قيمة ما قلنا ، اذ اذا كان الولدان الأكبران من جنسين مختلفين (ذكر وانثى) ، فإن الزوج يتألف من الولدين الثاني والمتوسط اذا كانا من جنس واحد (ذكرين او انثيين) .

ويظهر ان هذا الوضع يعتبر اكثر اتزانا وبعداً عن الأمراض النفسية من سواه . اذ اظهر موكو ورامبو ان اطفال هذه المرتبة هم اقل من يزور العيادات السيكو ـ بداغوجية . ذلك لأن اهتمام الأم يتناقص كلما اتسع عدد اطفال الأسرة ، وبهذا لا يتشبث الأطفال بها ويقبلون بقسمتهم بشكل افضل .

الطفل الأخير Le benjamin : انه الاصغر ، و « عين » الجميع ، و

« روحهم » و « غنوجهم » و « غندوزهم » ، ويلقى العطف من الجميع أهلاً واخوة واخوات . ولهذا فهو لايتخاصم مع اخوته . وقد اظهر موكو ورامبو ان بعض هؤلاء الاطفال يهملون من ابيهم ويحرمون من عطفه لأنهم عبء ثقيل عليه من الناحية المادية ، وقد يحرمون حتى من عطف أمهم ، لأنها تجد نفسها أمام ضرورة رضاعة طفل صغير، بينما يكون أبناؤها الآخرون قد شبوا على الطوق .

وقد قارن موكو ورامبو بين حالات ٢٠٠ من الأطفال الوحيدين والأبكار والمتوسطين والآخرين الذين زاروا العيادات الطبية ـ البيداغوجية في منطقة باريس ، بسبب صعوبات انفعالية وطباعية ، فوجداً النتائج التالية :

الاطفال	مراجعون من اجل صعوبات : انفعاليـة ـ طباعية		
وحيدون	٪٣٣	٪٦٠	
ابكار	٪٢٧		
متوسطون	٪٢٠	٪٣٩	
أخيرون	٪١٩		(٢٩)

يبدو لنا من هذه الاحصاءات ان كثر الاطفال تعرضاً للصعوبات الانفعالية والطباعية هم الوحيدون ، ويتلوهم الابكار ، فالمتوسطون ، فالأخيرون .

ومهما يكن من امر ، فهذه افكار عامة أثبتناها هنا ، وليست تنطبق على كل الاسر ، ولا تنطبق أيضاً على كل المجتمعات ؛ اذ يختلف هذا الاثر الاسروي للدرجة او الترتيب ، حسب تكوين وتنظيم المجتمعات ، وحسب التقاليد العامة والاسروية ، وحسب معاملة الوالدين التي تختلف بين مجتمع وآخر ، كما ظهر لنا من الفصل الثالث عندما درسنا التبيؤ الاجتماعي . ففي مجتمع كالمجتمع الماركيزي

(٢٩) راجع : Mauco et Rambau : opi . Cit

مثلاً ، حيث لا ترضع الأم الطفل من ثديها ، وتوكل حراسته الى اخوته ، وحيث لا يمارس الأب على الأطفال سلطة قاسية ؛ فهل يمكن ان نقول ان مثل مثل هذه الملاحظات التى اثبتناها عن تنافس الأطفال على عطف امهم تنطبق على مجتمع كهذا ؟ (٣٠) .

وفي المجتمع الأرابيشي ، حيث تنعدم المنافسة والمزاحمة بين الأفراد ، هل يمكن أن نقول ان ملاحظاتنا عن الاطفال الذين يعيشون في مجتمع منظم على غرار مجتمعنا تنطبق على أطفال مثل هذا المجتمع ؟ (٣١) .

فالمسألة اذن نسبية تابعة لتنظيم الاسرة ، وتنظيم المجتمع العام ، وثقافته ، وتقاليده ، واوضاعه الاقتصادية والسياسية ...

العمر في الأسرة : ولفارق العمر بين الاخوة أثر لا بأس به في حياتهم ، وتكوين شخصيتهم . اذ يلعب الفارق في السن بين الاطفال الأبكار وبين الطفل الأخير دوراً رئيسياً . وكلما كان الفارق أكبر مال الأخوة الكبار لأن يتخذوا بالنسبة لأخيهم الصغير دور **الحامي** . ويظهر هذا بوضوح ابتداء من الفارق الذي يبلغ ثلاث سنوات . فعلى الأهل ان ينتبهوا عندئذ لكي يمنعوا عن الطفل الأخير استبداد اخوته الكبار .

واذا زاد الفارق على عشر سنوات مثلاً فإن الطفل يجد نفسه أمام آباء متممين عددهم يساوي عدد اخوته وأخواته الكبار ؛ وبهذا تقترب علاقاته الاخوية من الصفر ، ويؤدي ذلك الى وضعه في مركز لا يختلف كثيراً عن مركز الطفل الوحيد .. (٣٢)

وعندما تكون اعمار الاطفال متباعدة فإنهم يفتقدون الميول والخبرات

---

(٣٠) راجع ص ٣٣ .

(٣١) راجع ص ٢٥.

(٣٢) راجع : M.Porot : L'enfant et les relations familiales.p. 190—191

المشتركة بينهم ، تلك الميول والخبرات التي تزيد المحبة والعطف بينهم قوة ، ولكن قد يقلل هذا ، وبنفس الطريقة ، من عوامل الصراع بينهم .

وعندما يكون في الاسرة طفلان فقط متقاربان في السن فإن المنافسة تكون بينهما حادة لأنها تتركز في التغلب على منافس واحد للحظوة باهتمام الابوين .

ولا يمكن ان ننسى تأثير عمر الوالدين على تربية وشخصية أبنائهما .

فإذا كان الأبوان مراهقين مثلا عجزا عن تربية أبنائهما وامتاعهما بما يجب من عطف واهتمام وعناية ، لضعف خبرتهما ، وعدم اكتمال تكون شخصيتهما . واذا كانا شابين قويين أعطيا أبناءهما قوة وحيوية وفاعلية وتفاؤلاً ، وإذا كانا كبيري السن وخاصة الأب ، فإن ارادتهما تضعف ويدللان الأولاد ، ويتركان لهم الحبل على الغارب ، وقد يشددان عليهم في التزمت والمحافظة ، فيربيا فيهم التشاؤم والضيق والتبرم ..

الجنس في الأسرة : ويؤثر وجود الجنس في حياة الاسرة . لأن وجود الجنس يخفف ويعدل من حدة العلاقات الأخوية المصبوغة بصبغة التنافس والحسد والغيرة والخصومة . فالطفل يغار قليلاً من الحظوة التي يتمتع بها اخوه « لأنه الأصغر » ولكنه يتحملها بصورة أفضل إذا تمتعت بها اخته « لأنها بنت » ... فوجود الصبيان والبنات في الأسرة يعدل من الخصومات بين الاخوة .

فعلاقة الصبيان مع اخواتهم تؤثر فيما بعد على علاقاتهم الاجتماعية مع المرأة عامة . فعيش الأخوة مع اخواتهم يؤهلهم لأن يكونوا في المستقبل اكثر طلاقة مع المرأة ، واكثر احتراماً لها . ويظهر بوضوح خجل الصبيان المحرومين من الاخوات وارتباكهم وخشونتهم مع المرأة عندما يحتكون بها لأول مرة .

أما بالنسبة للبنات فإن احتكاكهن القاسي ، مع اخوتهن ، أحياناً ، يقيهن من الميل الى الميوعة ، والشرود الرومانتي ، والانفصال عن الواقع .

ومن المعروف ان الصبيان يرتاحون إذا ما احتقروا البنات ، المخلوقات الدنيا في رأيهم ، ولكنهم يحاولون بالمقابل ان يرضوهن . كما ان البنات يتلذذن باعتبار الصبيان **كوحوش قذرة** ، ولكنهن بالمقابل يعجبن سراً بقوتهم ويحسدنهم عليها .

وعندما تتخذ هذه الآراء حدة وقوة بين الاخوة والاخوات تؤدي الى أوخم العواقب . اذ يمكن لبنت بكر ان تشعر معاً بأنها متفوقة لأنها بكر ، وأدنى لانها بنت . ويمكن ان ينشأ لدى صبي شعور حقيقي بالنقص عندما يتعرض بشكل مستمر للملاحظات القاسية واللاذعة التي تصدر عن اخت خبيثة معدومة الرأفة والعطف . .

ويوجد عائلات يتقدم فيها صبي على بنات عديدات ؛ لهذا يشب مزهواً بنفسه ، وأحياناً يصبح تحمله متعذراً لكثرة ما يتعرض له من تدليل .

أما الصبي الذي يولد بعد سلسلة طويلة من البنات فيتعرض لان ينشأ رخواً ومائعاً وفاقد الرجولة ، لفقدان الخصومة بينه وبين اخوة عديدين .(٣٣)

أما البنت التي تنشأ بين اخوة عديدين ، فقد تنشأ مسترجلة وقوية ومزهوة بنفسها ، ذلك لان الاخوة يتحدثون عنها كثيراً ويقومون بحمايتها . وقد تنشأ ضعيفة الشخصية ومسحوقة الأنا . وقد تتألم كثيراً لأنها تريد ان تتنافس معهم ولكن يعاكس المجتمع رغبتها هذه باحتقاره لشأن البنت .

وقد لاحظ بعض المؤلفين « أن الولد الذي ليس له سوى أخ واحد بدون أخت ، والبنت التي ليست لها إلا أخت واحدة بدون أخ تبدو عليهما دلائل التنافس بمظاهرها العادية : كالشعور بالنقص عند أحدهما ، والشعور بادانة النفس عند الآخر . ويلاحظ ان هذا الشعور يشتد كلما تقاربت السن بين الاخوة والأخوات ، وكلما كان التفاهم بينهم على اتمه ، اي انهم دفنوا جميعاً تنافسهم في

---

(٣٣) راجع : M. Porot : opi. cit . pp 192 - 194

اللاشعور . اما إذا دفعهم التنافس الى اظهار كرههم الصريح ، فإنهم يبرهنون عن حيوية فعالة » (٣٤) .

كل هذه الافكار تعتبر غير عامة ولا شاملة ؛ لان الامر متعلق بالظروف التي ينشأ فيها الصبيان والبنات ، وبالمجتمع ومثله العليا وعاداته وتقاليده وتنظيمه الاقتصادي والسياسي . ففي مجتمع يعتمد اقتصادياً وسياسياً على الذكور والاناث على السواء ، لانجد هذه الفروق الكبيرة بين الجنسين ، ولا تلك الشعورات بالنقص التي يعانيها البنات أمام الصبيان . وفي المجتمعات الامريسية يشعر البنات بالتفوق ، ويشعر على العكس في ذلك ، الصبيان بالنقص أمامهن . وفي البلاد التي تستقبل فيها ولادة البنت كولادة الصبي وتعامل البنت كما يعامل الصبي من حيث التربية والقيمة والشأن ، لا تظهر كثير من المظاهر والظواهر التي تحاول ان تقضي على الفروق بين الرجل والمرأة من حيث المعاملة والاعداد والتأهيل الاجتماعي والمهني والاخلاقي ...

الجو الاجتماعي والعلاقات والعمليات الاجتماعية في الاسرة :

لتتم العملية التربوية في الاسرة ، يجب ان يتوفر فيها جو اجتماعي سليم ، وتقوم فيها علاقات وعمليات اجتماعية سوية . فلنبحث في كل من هذه الموضوعات .

الجو الاجتماعي : يعرف ليتري Littré الاسرة بقوله هي « مجموع أشخاص لهم نفس الدم ، ويعيشون تحت سقف واحد ، ونخص بالذكر الأب والأم والاطفال » . (٣٥)

نلاحظ أن ليتري جعل معيارين دقيقين للعلاقة الأسروية هما : **الدم الواحد والسقف المشترك** . ولكن رابطة الدم والتعايش تحت سقف واحد لا يكفيان

---

(٣٤) رونيه اللندي : الطفولة المجولة . ص ٣٥ .

(٣٥) Littré: Dictionnaire de la langue française .art.famille 4 éme définition

لتوحيد الاعضاء في الاسرة . إذ الرباط الحقيقي لكل جمعية اسروية هو الحب المتبادل بين اولئك الذين يعيشون معاً فيها ..

وفي الاسرة رهطان أو مجموعتان : الأهل (وخاصة الأبوان) والاطفال . وتقوم بين أعضاء كل من هاتين المجموعتين من جهة ، وبين أعضاء المجموعتين من جهة أخرى ، علاقات وتفاعلات وعمليات اجتماعية تلعب دوراً هاماً في بقاء وثبات سلامة الاسرة . ولا يمكن لواحدة من هاتين المجموعتين ان تؤلف بمفردها الاسرة . إذ لا يكفي الزوجان (le couple) ، اللذان يعتبران شرطاً ضرورياً ، لوجود الاسرة : بل ما يخلقها هو مجيء الطفل . لذا قال الدكتور موريس بورو M. Porot « تنتظم إذن العلاقات الاسروية السوية حول الطفل ، وتبعاً للطفل ومن اجل الطفل . »(٣٦)

واذا اعتبرنا في الاسرة الوالدين والجدين والراشدين الآخرين ، والاطفال فعلينا ألا ننسى « البيت » Foyer ou Home . ذلك لأن التجمع العرضي لرجل وامرأة وبضعة أطفال أخذوا على الصدفة لا يؤلف أسرة . إذ يعتبر « البيت » ، المؤسس قبل كل شيء على الزوجين ، كائناً معنوياً يعيش في ماض وحاضر ومستقبل تؤثر بشكل عميق في العلاقات التي تقوم بين عناصره المكونة .

ولا يقوم مجتمع سليم الا على أساس توازن دائم بين المحبة (أو الحب) والسلطة ، وبين التضامن او التآزر Soli darité والخصومة Rivalité ، وبمعنى آخر بين التعاون والتنافس أو المنافسة ... ويقوم بهذه الادوار ، في الاسرة الحالية ، الاب والام والاطفال و « البيت » . إذ يجسد الاب السلطة ، والام المحبة ، والاخوة والاخوات الخصومة أو التنافس ، و « البيت » التضامن . .

ولا يعني قولنا هذا ان هذه الادوار مطلقة : لان على الاب ان يحب أولاده ، وكذلك على الام أن تمارس السيطرة ، وخاصة في الاسرة التي تقوم على المساواة

---

(٣٦) M. Porot : opi . cit . p.3

والتفاهم بين الزوجين ، ..[٣٧]

فلنتكلم عن كل من هذه العناصر .

جو « البيت » : يجب أن يوين على « البيت » جو اجتماعي سليم يتحلى **بالطمأنينة والتضامن .**

أ — الطمأنينة La Sécurité : ليتم نمو الطفل من النواحي الجسدية والفكرية والانفعالية أو تكون شخصيته ككل على وجه سوي و مُرضٍ ، يجب أن يعيش وينشأ في جو أسروي أولاً ، وفي جو اجتماعي سليم ثانياً . واول شرط ضروري للبيئة الاسروية السليمة هو الطمأنينة . ومن اول عناصر هذه الطمأنينة دوام وجود شخص مألوف (الأم مثلاً) بقرب الطفل .

وقد دلت دراسات د . بولنجهام D . Burlingham و أ . فرويد A . Freud عن سلوك الاطفال الانكليز اثناء الحرب الاخيرة ، عندما ضرب الالمان لندن بالقنابل عام ١٩٤٠ ، على ان الاطفال كانوا يستمرون في لعبهم ونومهم ، على الرغم من الانفجارات ، عندما كانت امهاتهم يلازمنهم ويبقين بقربهم ؛ كما دلت على ان الاطفال الذين أبعدوا عن لندن الى الريف وبعيداً عن القنابل ، أظهروا قلقاً اكثر من الذين بقوا في لندن ، وعلى الرغم من حنان المشرفات عليهم ، ذلك لأنهم كانوا بعيدين عن أمهاتهم .[٣٨]

واظهر برستون Preston ان العناصر الاساسية الباقية للطمأنينة تحصر في الحب او المحبة (amour) ، والقبول (acceptation) والاستقرار (Stabilité) .

ويعتبر حب (او محبة) الاهل (وخاصة الام) ضرورياً لنمو الطفل من النواحي الجسدية والفكرية والانفعالية . وقد قيل : الطفل المحبوب طفل سعيد .

---

(٣٧) من اجل تفاصيل راجع : Ibid., : p.p. 1 — 5

(٣٨) راجع :

Burlingham et A . Freud : Enfants sans familles. Paris. p.U.F.1949

ولا يقوم الحب بدوره « المطمئن » الا اذا قرن بالقبول . اذ يجب ان يشعر الطفل بأنه مقبول في اسرته . فلنفكر ببناتنا اللواتي نستقبلهن ، عادة ، وخاصة عندما يكثرن ، بعبوس وحزن وتشاؤم ، وكم سيكون لهذا من اثر في حياتهن . فيجب ان يقبل الولد لما هو عليه ، ويجب ايضاً ان يقبل لما هو عليه وليس من أجل ما يفعل ، او مايقوم به من اعمال . وهناك والدون يعتبرون الطفل سيئاً او شريراً بطبعه اذا ما قام بفعل مشين مثلاً ، ويعاقبونه على هذا الاساس . ويطلبون منه اخلاقاً مثالية ؛ ويتشددون في سلوكهم معه . ويدل هذا أحياناً على « نزعة كمالية » Perfectionnisme عصابية نستمد اصولها من تطور انفعالي غير تام . وكما قال الدكتور رونيه اللندي : « وبصورة عامة ان الفضيلة التي يبشر بها الآباء ، ويحرصون بشدة على غرسها في نفوس ابنائهم ، هي التي فاتهم ان يتحلوا هم انفسهم بها . واحسن الامثلة في هذا الصدد ما يمكن البحث عنه في ميدان الغريزة الجنسية ؛ او كما يقول البعض في ميدان الطهارة والنقاوة ؛ ويمكن تعميم هذه الملاحظة والقول ان الرجال لا يتكلمون ولا يكتبون الا وهم يهدفون الى تقويم حقيقة تسوؤهم او اصلاحها ، تكفيراً عن اخطائهم ، وتبريراً لما كرهوه من ماضيهم وتزكية لنفوسهم . انهم يسوقون احاديثهم ، كأحلامهم نحو مثاليتهم ، متهربين من ذكرى المساوىء المكروهة التي مروا بها . ومهما كانت هذه الجهود جديرة بالاعجاب فليست لتبعدهم عن كونهم لا يبشرون الا وهم كاذبون ، وخاصة عندما يتوجهون بأحاديثهم نحو الاطفال ، فهم يكذبون على التاريخ باختيارهم الحوادث الملائمة لشعورهم ، ويكذبون على العلم في تهربهم من القضايا التي لا يجدون لها حلاً ، او من الخفايا المجهولة لديهم ، والزوايا المظلمة ، فلا يحفظون الا ما يرون فيه الصواب ويكذبون على الاخلاق بامتناعهم عن التحدث عن سلوك الرجال المألوفة ، بغية عرض مثاليتهم في السلوك كأمر مطلق . » . (٣٩)

---

(٣٩) رونيه اللندي الطفولة المجهولة . ترجمة ابراهيم جمال وصلاح ادهم . دمشق . المطبعة الجديدة ١٩٥٢ ، ص ٣ .

ويعتقد اللندي ان هذه الاتجاهات تؤذي التربية أذى بالغاً اذ يرى الولد نفسه وضيعاً ، ضعيفاً حيال مايرجى منه ، معتقداً ان غيره أقوم منه خلقاً ، فينمو وفيه شعور النقص ، وادانة النفس ، مع مايرافقه من وهن في الاعصاب ومن أمراض عصبية مختلفة ، كالجنس والشعور بالنقص ، وضيق الصدر وانقباض النفس ... أو يعتقد أنه غير قادر على شيء فيقرر العيش وفق الفكرة الذليلة التي كونها من نفسه . وهكذا فانه يسير القهقرى بصورة مستمرة وأكيدة (٤٠) وهكذا يجب ان يربى الطفل تربية اخلاقية معقولة تتناسب وسنه ومؤهلاته ودرجة نضجه ، إذا كما يقول اللندي ، « لايمكن أن يطلب من غلام لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، ان يحيا حياة حكيم من حكماء اليونان ، أو فيلسوف من الفلاسفة ، الا ان يكون هذا الطلب ظاهر الجور والبهتان . »(٤١)

ولا شيء يعوض عن الحب ، لا الكلام ولا الاشارات ولا الاشياء ، واذا نقص الحب ، فان الطفل يشعر بذلك مهما حاول الاهل اخفاءه . ولا يمكن ان يخرج ، من هؤلاء الاطفال المحبوبين بصورة سيئة ، لأنهم غير مقبولين ، نفر يبرزون في الحياة الاجتماعية أو الادبية ، كما يمكن ان يخرج منهم جانحون وخارجون على المجتمع ، يرفضون المجتمع ، لأن المجتمع الأول (الأسرة) رفضهم ولم يقبلهم .

وشرط ثالث للطمأنينة الاسروية هو **الاستقرار** (أو الثبات والرسوخ) . إذ تتعرض التثبيتات والتقمصات والعدوانيات المتتالية للاضطراب العميق في مظاهرها ، اذ وجد الطفل في أسرته « أرضاً » متحركة ولا متجانسة وفقيرة بالقيم الانفعالية ، بدلا من تلك الارض الراسخة والعطوفة التي يتمكن بفضلها من أن يتلاءم شيئاً فشيئاً مع ضرورات الحياة ... ويحتاج الطفل لأن يعرف الى أين يسير . ولهذا فهو في حاجة الى أطر ارتكاز (أو استناد) أكيدة ،

---

(٤٠) راجع المصدر السابق ص ٣٠ — ٣١ .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٣١ .

وطريق مشقوقة يسلكها دون مناقشات ممكنة ، أي انه يحتاج الى سلطة . وما يهم هو ثبات إطار الارتكاز ، أي ثبات الاسس العامة ، ولا تهم التغيرات العارضة ولا شيء يضر في نمو الطفل أكثر من عدم الطمأنينة . لذلك كان على الوالدين ان يحددا الاهداف التي يجب ان يتوصل اليها ، والمثل التي يتطلع اليها ، ويرسما مايجب ان يفعل ومالايجب أن يفعل . كما يجب ان يوفرا له ، علاوة على استقرار الحقوق والواجبات ، استقرار العلاقات المتبادلة ، ووحدة نظرة (تفكير) الاسرة الى هذه الامور .. (هذا يجب ان يكون في طفولته ، ولكن يجب ان تترك له الحرية والابداع بعد المراهقة). وتؤثر الاختلافات في وجهات النظر الدينية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية في نفسية الطفل ، وتجعله يعاني شعور عدم الاطمئنان وبالتالي **الحصار** L'angoisse . اذ سيشترك ، إن عاجلاً وإن آجلاً ، وسيميل الى احد ابويه ، وبهذا سينقم لاشعورياً على سلوك الآخر ، ويولد الشعور بالإثم ، الذي ينتج هذا ، الحصار .

وقد اشار الدكتور اللندي الى هذا بقوله : « ويجدر بالاسر .... تجنب اتاحة المجال للاولاد لمشاهدة الخلافات التي تقع عادة بين الوالدين ، وخاصة اذا كانت عنيفة ، او ترتدي طابعاً حزبياً او طبقياً ، او ما شابه ذلك .

وانه لمن المؤسف حقاً اجتذاب الاولاد الاغرار الى هذه المشاحنات التي لايستطيعون فهمها والاحاطة بها . ومع ذلك فكم من الامهات من يستعين الى تلقين الابناء افكاراً مغايرة لآراء الآباء ؛ وكم من الآباء من يسخرون امام الابناء من آراء الامهات عاملين على استمالتهم نحوهم ، معتبرين ذلك فوزاً في المباراة (المنافسة) الزوجية .

وبصورة عامة ، إن الخلافات العائلية ، حتى ولو كانت تحوم حول ابحاث علمية او فلسفية او ادبية ، فانها تثير عواطف الابناء العاجزين عن تذوق فوائدها العقلية . ويزداد اضطراب هؤلاء الابناء كلما زادت حدة هذه المناقشات ...

وذلك مما يوهن قدرته الانفعالية فيما بعد.»(٤٢)

ويمكن القول اخيراً مع برستون: ان الاستقرار، (وبالتالي الطمأنينة)، يرتبط قبل كل شيء بسلوك الاهل او الوالدين ويكون التطور الانفعالي للطفل موفقاً، اذا عرف بأنه يقدر، دون ضلال، ان يتنبأ بما سيفعل غداً استناداً الى مافعل في الامس وفي الايام السابقة. واذا مالاحظ الطفل بان الامور تتبدل حسب ظروف الوالدين، وحسب مزاجهما، وحسب مطالعاتهما... فيمنع اليوم ما كان محللا في الامس مثلاً، فانه من المحتمل ان يحتار في المستقبل امام المشاكل الهامة ولا يحسن التلاؤم معها.(٤٣)

وختاماً يمكن القول: يجب ان يُحب الطفل، ويجب ايضاً ان يعلم بأنه محبوب وبصورة مستقرة وراسخة ودائمة. فالحب والقبول والاستقرار (او الثبات) تعتبر ركائز الطمأنينة الشرط الاساسي للنمو الانفعالي لدى الطفل. وتتوقف هذه الطمأنينة على بيئته الاسروية قبل سواها. ولهذا تؤثر علاقاته الاجتماعية في تطوره الانفعالي وتجعله، الى حد كبير، سوياً او مرضياً. ولذا قال بورو: «يصبح الطفل، حسب درجة الطمأنينة التي تقدم اليه، راشداً سوياً (اولا) من الناحية السيكولوجية.»(٤٤)

ب ـ **التضامن**: لايمكن لطمأنينة الطفل ان تتم وتؤمن الا بفضل وحدة حقيقية بين الوالدين وتستهدف وحدة الوالدين الى تعليم الطفل التضامن. ويقلد الطفل والديه، ويؤمن بأن كل مايفعلانه فهو حسن؛ وكل مايقولانه فهو حق. ويساعده وضع الوالدين السليم على اتمام عملية التقمص مع والده في جنسه (الولد مع ابيه والبنت مع امها). واذا اكتشف عدم توافق بين والديه خاب

---

(٤٢) رونيه اللندي: المصدر المذكور سابقاً ص ٣٣.

(٤٣) من اجل تفاصيل هامة راجع:

Z.H. Preston: The substance of health. N. y. Farrar and Rinehart. 1943

(٤٤) Porot - opi. cit. p. 13

امله في تصوره الزوجين الابوين كمثل اعلى كامل ، وقد تقتل فيه هذه الخيبة كل اعتقاد بامكانية تحقيق المثل الاعلى ، اذا كشف هذا بصورة مبكرة ؛ وقد تؤدي به الى عدم مرونة في سلوكه في التلاؤم مع الحياة الواقعية . لهذا وجب على الوالدين ان يؤلفا وحدة متماسكة ، كي لايخامر ذهن الطفل اي شك في شرعية تدابيرهما التربوية ، وفي قيمة المثل الذي يقدمانه له ويطلبان اليه تقليده .

وقد قيل للطفل : والدان ، والطفل ثمرة الحب بين الاب والام .

لهذا اوجب الا يشعر الطفل يوماً بأنه ولد لامه فقط او لابيه فقط ، بل لكليهما . وسيظهر لنا تأثير تضامن الوالدين (او خلافهما وتصدع العلاقات بينهما) في تربية الطفل وتكوين شخصيته في البحث التالي .

ومن هنا تظهر ضرورة الإلحاح على العلاقات والعمليات الاجتماعية المتبادلة داخل الاسرة بين مختلف اعضائها . فلنبحث فيها .

العلاقات والعمليات الاجتماعية داخل الاسرة :

تتم داخل الاسرة عمليات وعلاقات وتفاعلات بين مختلف اعضائها ، يكون لها أثر قوي في حياة الاطفال (خاصة) والوالدين .

١ً — **العلاقات بين الاب والام** : تعرضت العلاقات بين الاب والام خلال التاريخ لتبدلات عميقة ، وكانت بصورة عامة عبارة عن علاقات الذكر بالانثى . وقد رأينا سابقاً كيف مرت البشرية بعهد كانت فيه مساواة بين الذكر والانثى ، وكيف تلته مرحلة سيطر فيها الذكر بعض السيطرة وتبعتها مرحلة ثالثة سيطرت فيها الانثى ، وبعد هذه المرحلة سيطر الذكر على الانثى وما تزال هذه السيطرة حتى ايامنا هذه سارية بين اغلب سكان العالم .

ومهما يكن من امر بعض البلدان الراقية ، فيمكن القول ان الهيمنة في الاسرة لاتزال بيد الاب ، ولا يزال الاب يمثل القوة والسلطان والسيطرة . وينطبق هذا على بلادنا العربية انطباقاً كلياً تقريباً .

ففي البلدان التي لا تزال تسيطر فيها التقاليد والعادات والأعراف الماضية التي تبعث عن حضارة قديمة ، وتستمر فيها بعض أفكار فلسفية وأخلاقية ودينية بعيدة عن صلب الدين الصحيح ، وفي البلدان الزراعية ، أو البدائية الراعية او الزراعية يسيطر الأب على الأم ، وشخصية الأب يجب ان تتحلى « **بالرجولة** » والقوة والنفوذ والسيطرة ، بينما يجب ان تتحلى شخصية الأم « بالانوثة » والرقة والخضوع والطاعة والذوبان في شخصية زوجها . ويجب ان تلح التربية في الأسرة على هذه الناحية ، لتتقمص البنت شخصية أمها ، والولد شخصية أبيه ..

ولكن في المجتمعات الحديثة تقوم العلاقات ، بصورة عامة ، على أساس من التفاهم والمحبة والمساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات . وعلى هذا الأساس يربى الأطفال تربية فيها منحى يلح على المساواة بين الجنسين واحترام شخصية كل منهما لأنهما جزءان متمم كل منهما للآخر (٤٥) .

ويؤثر تفاهم الزوجين وحبهما لبعضهما ونزعتهما نحو المساواة في نفسية الأطفال ، وفي توجيه تربيتهما وجهة صالحة . ويجعل أولادهما يؤمنان بقيمة الزواج وامكان تحقيق جزء من السعادة فيه .

أما الشقاق بين الزوجين ، وعدم تفاهمهما ، وخلافهما ، وخيانة أحدهما أو كليهما ، او التهديد بالطلاق ، او الطلاق الفعلي ، فتدفع بالأولاد الى الجنوح ، او الى التشاؤم ، او كراهية الذكر منهم للأنثى ، والأنثى للذكر ، او العزوف عن الزواج ، او الى عدم إمكان التفاهم مع القرين (او القرينة) الذي يؤدي غالباً الى الطلاق (٤٦) .

٢) **العلاقات بين الوالدين والأولاد** : خضعت العلاقات بين الوالدين والأولاد

---

(١) من اجل العلاقات بين الزوجين خلال التاريخ راجع : - F.J.Brown : Educational Sociology . PP. 198 - 202

(٤٦) من اجل الشقاق بين الزوجين واسبابه ومظاهره راجع : - M.Porot :opi- cit . PP. 19 - 51

لتبدلات عميقة خلال التاريخ ، وقد عرضنا لبعض هذه التبدلات في الفصل السابق ، ونعرض الآن لبعض مظاهرها الأخرى. نعلم ان الانسان كان ، قبل ظهور الطبقات الاجتماعية ، وتقسيم العمل الاجتماعي والملكية الفردية ، يستقبل أولاده ذكوراً وإناثا بنفس الفرحة ويدللهم دون تمييز . وعندما ظهر مجتمع الطبقات والملكية الخاصة اختلفت هذه المعاملة من حيث الحنان والقسوة ، بالنسبة للأطفال عامة ، وبالنسبة للجنسين خاصة . ففي المجتمعات الأبريسية يستقبل الولد بفرحة ظاهرة بينما تستقبل البنت بحزن ظاهر أحياناً ؛ حتى ان بعض الشعوب البدائية تذهب الى القول : « يربح الإنسان الجنة بولد ؛ ويضمن لنفسه الخلود بولد الولد (الحفيد) ، ويرتفع بولد هذا الحفيد الى أن يسكن الشمس . ولكن اذا انقرضت الأسرة دون ان تخلف طفلاً ذكراً ، فإن ابواب السماء تغلق دونه ، ويطرد منها الى الأبد اباؤه واجداده ، الذين كانت قد فتحت لهم »[٤٧] .

وهكذا ففي الحضارات البدائية ، قليلاً ما يخضع الأطفال للنظام ، ويتبعون أنماط سلوك من هم أكبر منهم سناً . ويدلل الأطفال الأحداث لدى البابيون ، ولكنهم يكتسبون نوعاً من **الانضباط — الذاتي** أفضل من الإنضباط الذاتي لدى المتحضرين . ولا تستطيع الأم أن تعاقب إبنها ، وفي الواقع يتمكن الطفل من ضرب أمه ، وينظر إليه كولد شجاع . ويترك البوشمان أطفالهم يدبرون شؤونهم بوسائلهم الخاصة ، وبهذا يدركون نسبياً اكتفاء ذاتياً منذ سن مبكرة[٤٨] .

وبالمقابل تذهب بعض الشعوب البدائية إلى قتل الأطفال الذكور ، وبعضها الآخر إلى وأد الأطفال الإناث (وعادة وأد البنات في الجاهلية يعرفها القارىء العربي تماماً) . وتذهب بعض الشعوب البدائية إلى بيع أطفالها ذكوراً وإناثا ، ولا يجهل أحد أمر النخاسة وتجارة الرقيق .

---

(٤٧) نقلا عن : F. J. Brown : Educational Sociology : P.196

(٤٨) راجع : Ibib, : P. 196

وكانت تربية الأطفال تقوم إلى عهد قريب في بلادنا وفي اوروبا في كثير منها على القسوة والعنف وكان ينظر إلى اللطف معهم على أنه تدليل مرذول. وكان الأبناء، من بنين وبنات، يزوجون دون أخذ رأيهم في زواجهم وكان الذي يعقد صفقة هذا الزواج الأهل أو من ينوب عنهم. وكانت الزوجة لاترى زوجها قبل ليلة الزفاف. ولا تزال كثير من الأسر المحافظة في بلادنا تتمشى في زواجها على هذا التقليد (٤٩).

ومهما يكن من أمر فإن الأسرة الحديثة، سواء أكانت في بلادنا أم في البلدان الراقية، تسير على مبدأ حب الأطفال والعناية بهم وغمرهم بالحنان والعطف. وعلاقات الأم بالأولاد تختلف بعض الشيء عن علاقات الوالد بهم.

أ ـ دور الأم الأولي هو الحب: دور الأم الأولي هو الحب. وهذا الحب عبارة عن عطف وحنان وتفهم. ويتوقف على هذا الحب، في مجتمع منظم على شاكلة مجتمعنا، كثير من التوازن النفسي والسلامة النفسية، وخاصة الانفعالية. ولهذا ذهب مولوني Moloney إلى القول بالغاء أي فصل بين الأم والطفل، والامتناع عن إرسال الأطفال إلى المطافل، والإلحاح على إرضاعهم من ثديي الأم فقط، وفطامهم بصورة متأخرة وتدريجية (٥٠).

التفريط في الحب الامومي:

وإذا تعرض الطفل لنقص في هذا الحب الأمومي فإن ذلك قد يعيق نموه الجسدي ونموه النفسي، لما للعطف والحنان من أثر فيهما.

---

(٤٩) من اجل معلومات اخرى راجع: Ibid; : PP . 195-198 .

(٥٠) راجع من اجل أفكاره:

Moloney and al : The New born,the family and modern hospital .-Modern . Hospital , No 67 (1946) . PP . 43 - 46

وإذا حرم الطفل من أي عطف أمومي ، او أي عطف آخر يعوضه فإنه يتعرض لأمور كثيرة منها :

١ – **الاضطراب الأساسي في العطف او الانفعالية** : أي يتعرض « للاضطراب السيكوباتي لسلوك الطفولة » .

وما يميز هذا السلوك ، قبل كل شيء ، هو الاضطراب العميق في الانفعالية وكذلك عدم قدرة الاطفال على أن يقيموا علاقات اجتماعية سوية . وقد حاول مؤلفون كثيرون ان يصفوا هذا السلوك بجمل متشابهة . إذ يصفه ليفي Lévy بـ « بفقدان الارتكاس الانفعالي لدى الطفل » ، ولاوري Lawrey « بعدم القدرة على إعطاء أو تقبل المحبة » ، وباولبي Bawlbey « بعدم القدرة على اقامة العلاقات العاطفية البشرية » (٥١) .

٢ – **الاضطرابات الفردية** : كما يتعرض هؤلاء الاطفال لاضطرابات فردية تظهر على شكل عصابات وذهانات ، وبعض الضعف في الذكاء ، والانتباه ونقص في الاخلاق ... وقد اجريت دراسات مختلفة حول هذه الناحية فأظهرت أثر الحرمان في العطف والمحبة في توليد مثل هذه الاضطرابات .(٥٢)

٣ – **الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية** : يظهر أثر فقدان العطف الامومي اثناء الطفولة في جنوح الاحداث . وقد اكد باولبي ان هناك اسباباً كثيرة تدفعنا الى القول : ان العامل الاساسي في الجنوح يعود الى انفصال الطفل عن أمه اثناء السنوات الخمس من عمره .(٥٣)

ويرى هوير Heuyer ان ٨٠٪ من الجانحين الاحداث ينتسبون الى اسر

---

(٥١) راجع : M . Porot . opi eit : p .84

(٥٢) راجع : Ibid ; : p. p. 85 - 88

(٥٣) راجع :
J. Bowlby. : Soins maternels et santé mentale. Génève. 1951

مهدمة (٢٠٪ منهم أهلهم مطلقون و ٢٢٪ منهم منفصلون).[٥٤]

ويذهب وروبك Werwaeck الى القول بأن ٦٥٪ من هؤلاء الجانحين ينتسبون الى بيوت مهدمة ومحرومة من العطف .

ومنهم من يعطي نسبة ٥٠٪ ، وآخرون نسبة ٤٥٪ ، وفئة ثالثة ٤٢٪ ، وفئة رابعة ٢٥٪ ، وفئة خامسة ٢٣٪[٥٥] .

ومهما يكن من امر هذه النسب المئوية وصحتها ودقتها ، فهي تدل على على ان للحرمان من العطف الأمومي أثراً لا بأس به في احداث بعض حالات جنوح الاحداث .

وقد ذهب بعض المؤلفين الى رد سلوك بعض المومسات الى فقدان العطف في الاسرة او الى تهدمها .[٥٦]

وقد ردت بعض حالات السرقة التي تدعى « بالتعويض الانفعالي » الى فقدان العطف لدى الاطفال الذين يقترفونها. (يسرق هؤلاء الأطفال الحلوى او المال الذي يمكن ان يؤمنها لهم ، ويوزعونها على زملائهم) .

كما ردت بعض حالات التشرد الى فقدان هذا العطف .وردت ايضاً بعض حالات مرض السل الى مثل هذا الفقدان .[٥٧]

ولكن يجب ان نذكر ان الطفل الذي يفصل عن امه بصورة مبكرة

---

(٥٤) راجع :

G . Heuyer : Introduction à la psychiatrie infantile . Paris fi p . 4 . F . 1952. p . 302

(٥٥) لقد اعطى بورو لائحة هامة يمكن الرجوع اليها :

Porot : opi . cit . p.p. 88 - 89

(٥٦) راجع :

Kemp : antécé dents de prostituées ; Génève 1938 .

(٥٧) راجع :

F. Pasche : 150 biographies de tuberculeux pulmonaires ; in Evol . psychiat. fasc IV 1951. p. p. 545 - 556

جداً (خلال الأشهر الاولى من عمره) فإن كل انثى تربيه على عطفها ومحبتها يمكن ان تحل محل أمه ، وتعوض عنها ، وتجنبه حرمان الحب الامومي الذي يعرضه لبعض اضطرابات جسدية ونفسية واخلاقية واجتماعية .

الافراط في الحب : ويعطي الافراط في الحب الامومي نتائج سيئة كالتفريط فيه . والحب المفرط هو ، في جوهره ، حب راشٍ ومفسد ، حب يخدم الأم (او الأب) لأن الأم تستخدم الولد أحياناً بصورة خفية ولا شعورية لمآربها ، على الرغم من ظهورها بمظهر المتجرد والمنزه . انها تريد ، وتأمل (وتلزم احياناً) ، ان يكون سلوك ولدها وعواطفه مطابقة لما تأمله منه ، اي تريد منه ، سلوكا يعوض عن حرماناتها العاطفية العميقة ، ويحقق لها مثلا أعلى فقدته (وقد يكون غير ممكن التحقيق) ، او يتبنى افكارها المهيأة ومستبقاتها الاجتماعية .

انها تريد الكمال في كل شيء . لهذا تريد من ولدها أن يكون منزها عن الاخطاء . انها تريد من ولدها نجاحات تحقق لها السعادة والفرح . وهي تريد منه الخضوع الكامل كي لا تشعر انه أفلت منها او خيب آمالها في ارضاء اهدافها ومآربها الخاصة . وتعتبر كل اظهار لشخصيته واستقلاله ضربة لحبها الامومي . فهي تريد الطاعة التامة واظهار الحب من قبل ولدها لتعوض عما فقدته من حب في حياتها .

فهي متطلبة وملحة في طلبها ، ولكنها غير واعية للطابع غير السوي لحبها : إنه حب ديكتاتوري ، مريض وتحكمي .

ارتكاسات الطفل تجاه هذا الحب المغالي : يرد الطفل على هذا الحب المغالي أول ما يرد بشعور او عاطفة الإثم sentiment de culpabilité . فإذا حدث ما يعكر العلاقات بينه وبين امه ، اعتبر نفسه المسؤول عن ذلك ، لان امه عبارة عن شخص كامل . ويعاني هذه العاطفة اكثر فأكثر كلما قيل له مثلاً « لو كنت لطيفاً حقاً . . لكنت أحببتني اكثر من هذا . » ، « إنك ناكر

للجميل » ، « لم تعد بعد ولدي . . » . . وأمام معاناة مثل هـذا الضيق يرد الطفل باستجابتين :

١) **الانسحاق او ذوبان الشخصية** ، ٢) والمعاكسة او الثورة ، أو الانتقام من الأم .

ففي الحالة الاولى نحصل على « الطفل العاقل » الذي لا يزعج امـه قط . ويقول كودي O.Codet عن امثال هـذا الطفل : « إن هؤلاء الأطفال عبارة عن تلاميذ ممتازين في المدرسة : لا يصغون الى نصائح الآخرين السيئة ولا يقرأون الكتب الرديئة . ويقوم بينهم وبين امهم تفاهم عميق ، لا يحتاج لأن يعبر عن نفسه بالاقوال : (إذ) يفهم الطفل أخف تقطيبة من حواجب الأم ، واقل نأمة من شفتها . انه يرضي حاجة طفولته بالخضوع الأعمى ، وتحافظ الأم على حظوتها الإلهية . ويدوم هـــذا دون تعكير حتى سن التطور الجنسي السوي . »[٥٨]

ولكن الطفل يدفع عندئذ ، كما سنرى ، ثمن منفعليته الانفعالية الزائدة.

ويبدو على الطفل « التأخر الانفعالي » (كاحد مظاهر الثورة والتحايل على امه) الذي يعبر عن نفسه بالتبول énurésie (وخاصة ليلا على ثيابه وفراشه) التبرز على ثيابه (وخاصة ليلاً) ، والتكلم كطفل صغير جداً ، ومص السبابة ورفض الطعام »..[٥٩]

فالبنت تبقى ابنة صغيرة ولا تستطيع ان تقطع علاقتها العاطفية بأمهـا . لأن هذه تجنبها كل المصاعب والمتاعب وتحل لها كل مشاكلها . ولهذا تنشأ اتكالية ، وتوجه اتكاليتها الى امها ، وتخاف من مواجهة المشاكل التي تواجهها كل يوم .

---

(٥٨) O. Codet : Sénéiologie des arriérations affectives.

نقلاً عن : Porot : opi cit . P. 109 .

(٥٩) من اجل معلومات هامة راجع :

O . Codet : opi . cit. in Evol . Psychiat . Fasc I . 1937. p.p.3-16

وكم من ام من هـذا النوع كانت سبباً لشقاء ابنتها وعدم توفيقها في زواجها ، والى طلاقها وعيشها بصورة متشائمة .

أما الولد فيبقى فاقد الرجولة : لأن امه قتلت فيـه كل عناصر الرجولة الحقة والفتوة الصحيحة بتعويدها إياه على الاتكال والتواكل . ولا يختلف هؤلاء الاطفال عن الاطفال الوحيدين بكثير ، ويكونون عرضة للعصابات والذهانات الخطيرة . (٦٠)

وقد ألح آدلر واتباعه على التأثير السيء لمثل هذا الحب المسرف . إذ رأوا فيه « ما يؤدي الى انتاج الطفل المدلل الذي قـد يصل طغيانه من العنف حداً يتضاءل امامه طغيان المعوج الثائر . فالمدلل الصغير يفرض ارادته على أبويه فرضاً ، ويلجأ ، في نشر سلطانه ، الى كافة الوسائل الـتي تنفعه في تحقيق ذلك من الصراخ والعويل الدائم وشدة الغضب والاضراب عن الطعام ، الى التحطيم والعصيان ، والخيبة في المدرسة . وهو يصطنع ذلك كله للحصول على ما يريد ولاستثارة العطف والرعاية من والديه كي يشعر بقدرته عليهما. ولا ينتج التدليل إلا قوماً لا يعولون على انفسهم في شيء يتميزون بالأنانيـة والسطوة ، وهم يصطنعون الاستكانة والضعف سلاحاً لإلزام الآخرين بالقيام بخدمتهم ، ولا ينظرون الى الجـد وإتقان العمل والقيام بالواجب إلا كما ينظر الثعلب إلى الكرم العالي ، ... هم متشائمون متواكلون تواجههم العقبات . وتكثر أمامهم الصعاب اذا انفصلوا عن اسرهم ، فكثيراً ما يخيب الرجل منهم في عمله ، وكثيراً ما تخيب المرأة في حياتها الزوجية ، لأن كلاً منهما يود التخفي من تبعاته ، ولا يستطيع ان يؤدي ما يطلب منه في حياته الجديدة ، لأن دنياه كانت من قبل عالماً يخدمه فيه الجميع ، بينما هو الآن مسؤول عن أداء جانب من النشاط فيه انتاج وايجاب وبذل وجهد لم يأخذه احد به من قبل . » (٦١)

---

(٦٠) من اجل دراسة هامة راجع : M . Porot : opi . cit : p.p. 97-115.

(٦١) نقلا عن اسحق رمزي : علم النفس الفردي ص ١٦٤ – ١٦٥

ب . **دور الأب الأولي هو السلطة** L'autorité : يأمل الطفل من أمه الحب ، كما يأمل من والده السلطة قبل كل شيء . ولكون اسرتنا مكونة على شكلها الحالي، فإن الحب الامومي والسلطة الابوية يعتبران ركيزتين ضروريتين للتوازن الصحيح في العلاقات الاسروية . ولكن هذا لا يعني ان تكون الام فاقدة لكل سلطة ، والاب فاقداً لكل حب . بل يعني ان يقوم كل بدوره الموكل إليه في أسرتنا الحالية ، المؤسسة الاجتماعية التي يعطي الدارج الاجتماعي فيها **الأب دور السلطة** والسيطرة والتوجيه ، والام دور الحب والمحبة والعطف والحنان والرعاية .

ولكن لا تعني السلطة التسلط والإستبداد . ويجب ان تقرن السلطة لدى الأب **بالعدل والمساواة** . وإلا اصبحت عاملاً لخلق التنافس السيء بين الاطفال ودفعهم الى الكذب والرياء . . وتدفع سلطة الاب الموفقة الطفل الى تقمص شخصيته ، والتغلب على التصارع الموقت الكراهية ـ الاعجاب الذي يشعر به تجاه والده ، ويدفعه الى قبول الرجولة التي يجسدها امامه أبوه .

ولكن السلطة الابوية المسرفة (او المفرطة) مضرة اكثر من الحب الامومي المسرف او المفرط . لان الافراط في السلطة تجاه الام واحتقارها ، يؤدي الى تشويه صورة الام في الذهن . ويؤدي ايضاً الى قتل شخصية الطفل ، وتشويه أخلاقه . فمنهم من يستعمل الضرب والتعذيب ، ومنهم من يلجأ الى الاحتقار والسباب ، ومنهم من يتوصل إلى أحط درجات الوحشية . وقد هاجم آدلر واتباعه مبدأ السطوة والتسلط في التربية . ويرون ان الآباء درجوا منذ زمن بعيد على الاستمتاع بشعور القوة على حساب اطفالهم . لذلك ينشأ الاطفال على الطاعة والخضوع خوفاً من العقاب ، وتطلعاً الى الثواب . واذا كانت الطاعة ملائمة في الحيوان فهي ليست مستحبة في الانسان . « لأنها تزيد شعور الصغير بنشوزه عن غيره وتضعف أمله في إقرار كرامته في وجه السيطرة والطغيان » ؛ وإذا آمن الطفل بعدالة أصولها فسرعان ما يطبقها حالما يولد له أخوة يسيطر هو

عليهم بدوره ، فإذا بدا منهم عصيان أبلغ الأمر للكبار حتى يشبع نفسه بالعقاب الذي سوف ينزل بهم . ويتابعه الموقف في المدرسة حيث يتميز سلوكه بالدقة في تنفيذ الاوامر والمسارعة الى تقبل التعاليم التي تلقى عليه حتى ينال من رضا المشرفين ما يصل به الى مركز العريف يسيطر فيه على غيره من الصغار ويتمتع بما يخلعه ذلك المنصب على صاحبه من قوة منح الثواب او التبليغ عن المذنبين وانزال العقاب . . وهؤلاء لا يعملون حباً بالعمل أو رغبة فيه ، بل ليحصلوا على رضا الأهل او المعلمين او الرؤساء في العمل . . تعوز كل منهم القدرة على الابداع ، وينقصه الباعث على التحديد والابتكار ؛ فإذا شب لم يكن سوى أداة او آلة لا يعمل ويطيع سوى زلفى للكبير وتحقير للصغير .

ومع هذا فالتربية التي تقوم على التسلط والخضوع ، هي في رأي آدلر وأتباعه ، فاشلة احياناً . إذ كثيراً ما يلجأ الصغار ، بعكس الكبار ، الى الثورة والعصيان ، وأحياناً الى الكذب والخيانة ، باعتبار كل هذا من وسائل الاحتجاج والعصيان . (٦٢)

وقد ذهب رونيه اللندي الى القول : « وكم سببت هذه المعاملات الشاذة من امراض عصبية ، آلت في النهاية بأصحابها الى ولوج سبل الاجرام ، لأن الولد اذا ما فقد الأمل بتقدير مزاياه وخلاله ، لم يبق امامه إلا الاستهانة بالقيم الاخلاقية ، وولوج ابواب المساوىء والعيوب ، . . » (٦٣)

والتفريط في السلطة ، او ضعفها ، يؤدي الى نتائج سيئة كالافراط فيه ، إذ قد يؤدي الى الفوضى ، وعدم التلاؤم الاجتماعي ، وعدم الخضوع لأي سلطة ، والى الجنوح ، والى عدم تقمص الولد لشخصية ابيه . .

ولا شيء يضر بشخصية الطفل من تعاقب التدليل المفرط والقسوة المفرطة ، وتتالي العناق واللطمات . فيتشوش الطفل ويحتار امام عدم التوافق هذا بين

---

(٦٢) راجع المصدر السابق . ص ١٦١-١٦٣

(٦٣) رونيه اللندي : الطفولة المجرمة ص ٢٧

القسوة والتدليل ، ويؤدي هذا الى خلق اضطراب في داخله ، والى عدم توازن في نفسه . ويؤذي الاذى نفسه التضاد في التربية بين والديه مثلاً : فإذا كانت الام عطوفة حنونة ، والاب قاسياً جباراً ، ادى ذلك احياناً الى تكوين شخص فوضوي ومضطرب وكاذب وسارق ، ومخادع واحياناً أخرى ثائر ..

التعارض بين الوالدين والأولاد : هناك عاملان رئيسيان يؤديان الى نشوء التعارض Opposition) بين الطفل والوالدين هما : **الاختلاف في تجربتهم الثقافية** وإسقاط مطامح الابوين . يرتبط اتساع نطاق المعارضة وخطورتها :

١ — بدرجة قبول سلوكات الوالدين واعتبارها سلوكات خاصة به ؛

٢ — بدرجة الصداقة (او الالفة) التي يكونها الطفل في علاقاته مع الرهوط الخارجية بالنسبة لاسرته .

٣ — وبامتداد تنوع انماط السلوك .

فاذا كان الشعور « بالرهط ـ الداخلي » أقوى منه في الأسرة عما هو عليه خارج الأسرة ، كان التعارض ضعيفاً . واذا كان الشعور بالرهط الداخلي المتعلق بالأسرة ضعيفاً ، كان التفاعل بين الوالدين والطفل مدعاة الى تعارض متكرر . وتزداد صحة هذا الرأي كلما كانت السلوكات الجديدة للرهوط خارج الأسرة مختلفة نوعاً ما عن السلوكات داخل الأسرة . والاسباب الرئيسية للتعارض هي :

العلاقات بين أفراد الجنسين المختلفين (وهو يحدث بين البنات والوالدين أكثر مما يحدث بين الصبيان والوالدين) . **والتأخر ليلا في العودة الى البيت والمصاريف والدراس .**

ففي البيت يوجد جيلان : جيل الراشدين او الكهول ، وجيل الشباب والاحداث . لكل من هذين الجيلين عقليته ومنازعه وتربيته ومشاكله خارج الاسرة . وهذا مايزيد في حدة التعارض . اذ يريد جيل الراشدين فرض سلوكاته

على جيل الاحداث او الشباب ، وقد تكون هذه السلوكات متأتية عن مرحلة حضارية لاتستلزمها المرحلة الحضارية التي يعيشها الاهل والاولاد . وقد يصر الاهل على فرض هذه السلوكات غير الملائمة لهذه المرحلة الحضارية ، وهذا يزيد في حدة التعارض . ومما يزيد التعارض عدم تفهم الاهل لنفسية المراهقين واعتبار الولد خاضعاً لتوجيههم واشرافهم الى ان يتزوج . ونحن نعلم ان المراهق يجب ان يتمتع بحريته ويعبر عن شخصيته لشعوره الواضح بأنه اصبح انساناً **«ناجحاً» وبالغاً** ...

والسبب الثاني في تعقيد المشكلة هو **«اسقاط الطموح الوالدي»** على الاولاد. إذ يريد الوالدان ان يحقق اولادهما ما اخفقا في تحقيقه أثناء حياتهما . ولهذا يدفعانهم أحياناً الى اختصاصات قد لاتوافق استعداداتهم . وهذا يورث الاولاد آلاماً واحزاناً ويدفع بهم احياناً الى الفشل والصراعات النفسية . فقد يدفع بعض الآباء أبناءهم الى تعلم الموسيقى ، لانهم ارادوا ان يكونوا يوماً من الايام موسيقيين ولم تتح لهم ظروفهم تحقيق هذا الحلم الغالي عليهم. وأعرف معلماً كان يريد ان يصبح طبيباً ، ولكنه لم يتوصل سوى الى مركز معلم مدرسة . فدفع بالقوة والقسر ابنه الذي يميل كل الميل الى الادب والشعر الى تعلم الطب . وكانت مصيبة بالنسبة للأبن المسكين ، اذ كان يبقى سنتين في الصف الواحد ، مع العلم انه كان طوال السنة يطلق لحيته ويعيش وكأنه في دير يستظهر الدروس التي لايميل اليها . وهذا ماربى في نفسه أحزاناً وتشاؤماً وعقد نقص .

وينطبق هذا على النواحي الاخلاقية والاجتماعية . فكم من والد كان يريد ان يكون انساناً فاضلا ومشهوراً وذا مركز اجتماعي جيد ، فأخفق ، فمال الى تحقيق مثله الاعلى في ابنائه .

وقد قال رونيه اللندي في هذا الصدد : « كثيراً مايحدث بدافع آلية عاطفية ساذجة ، أن الآباء ، سعياً وراء تحقيق مثاليتهم في ابنائهم الذين يحبونهم يرجون ان يعوضوا في هؤلاء ، مالم يستطيعوا التمتع بتحقيقه هم أنفسهم . فاذا

كانوا جبناء دفعوا ابناءهم للتحلي بالشجاعة الى حد البطولة ، واذا كانوا قد تألموا من جهلهم ، او من نقص ثقافتهم ، فانهم يرغبون في ان يكون ابناؤهم علماء متفوقين ، واذا كانوا قد اقترفوا سرقة ما ، فانهم يبالغون في التمسك بمبادىء الشرف ، ساعين لغرس بذورها في نفوس ابنائهم . وكم تكون هذه الأماني الجميلة تستحق الثناء ، وكم يكون لندمهم هذا فضل وقيمة ، لو لم يدفعهم الى مبالغات طائشة غير محمودة العواقب ، والتي فضلا عن كونها تذهب الى مايعاكس هدفها ، فانها تتناسى ميول الاولاد الطبيعية أو اخطاءهم العادية ، كما تثير عندهم شعوراً مرضياً بادانة النفس ، بدلاً من احترامها حدود الاحساسات الصادقة والذوق السليم . »[٦٤]

وأمام تزمت بعض الآباء ، وخاصة في النواحي الجنسية ، ودفعهم ابناءهم الى مالا يوافقهم ، يرى الولد نفسه وضيعاً وضعيفاً حيال مايرجى منه ، معتقداً ان غيره أقوم منه خلقاً ، فينمو فيه شعور النقص ؛ وادانة النفس ، مع مايرافقه من وهن فيه الاعصاب ومن امراض عصبية مختلفة : كالجبن والشعور بالنقص ، وضيق الصدر ، وانقباض النفس ، وغير ذلك . أو يعتقد انه غير قادر على شيء فيقرر العيش وفق الفكرة الذليلة التي كونها عن نفسه . وهكذا فانه يسير القهقرى بصورة مستمرة .[٦٥]

٣) العلاقات بين الجدين والاحفاد : لايزال القسم الاكبر من الأسر في بلادنا يعيش على اساس التنظيم الاسروي القديم ، الذي يلازم فيه الولد المتزوج والديه .

ووجود الوالدين يساعد الزوجين على تربية الاطفال ، ورفع كثير من الاعباء المادية الملقاة عليهما ، وخاصة تأسيس بيت جديد . وقد دلت دراسات قام بها بعض السوسيولوجيين عن باريس عام ١٩٥٢ ان ١/٣ الاسر الشابة

---

(٦٤) نفس المصدر السابق . ص ٢٩

(٦٥) راجع نفس المصدر السابق : ص ٢٩ — ٣٠

لايزال يعيش مع الوالدين في بيت واحد .

ويقدم الجدان دعمة من حيث السلطة . كما يسليان الاطفال بما يقصان عليهم من قصص الماضي ، ويسعدانهم باللعب معهم وسماع أحاديثهم واظهار الرضا عنها. وقد يتقمص الاطفال أحياناً شخصية الجدين ، كل حسب جنسه ، لما للشيوخ من إجلال واحترام وخبرة .

ولكن لوجود الجدين مساوىء يجب الاشارة اليها . اذ قد يعاكسان بتربيتهما تربية الوالدين ، ويعارضان سلوكهما ، وينتقدان تصرفهما .. لهذا يرددان دائماً : « هذا مالم يكن يصنع في ايامنا » : و « ان ابناء هذا الجيل شياطين . » ، و « ان بنات هذا الجيل مائعات .. » !

وقد يحدث ، بسبب وجودهما ، صراع مكشوف وكراهية عميقة بين الحماة والكنة ، أو بين الحماة والصهر ... ويتدخل الاطفال في هذا الصراع ، ويشتركون منذ حداثتهم في مشاحنات وكراهيات لم يهيأوا لها بعد ...

ويذهبان الى تدليل الاولاد . وتدليل الجدين معروف ؛ وقد يكون في سبيل ارضاء حاجات مكبوتة أو اشباع رغبات خبيثة . ويكون لهذا التدليل أسوأ الاثر في سلوك الاطفال أحياناً .

فهنا نرى التعارض على أقواه . اذ نجد في هذه الأسرة ثلاثة أجيال : جيل الجدين ، وجيل الابوين ، وجيل الاولاد ؛ ولكل من هذه الاجيال الثلاثة منازعه ، وتربيته ، وعقليته ، و « ثقافته » ، وحياته الاجتماعية الخاصة ...

وقد عبر مؤلفون عديدون عن حسنات ومساوىء وجود الجدين في الاسرة. ومن هؤلاء السيدة دولتو ـ ماريت ، وجونز ، وسوللى Sully وفلوغل Flugel وفرويد .(٦٦)

وقد عبر رونيه اللندي عن هذا الوضع بقوله : « أما الاجداد فغالباً ما يكون

---

(٦٦) راجع بعض الافكار المكثفة لدى :

Porot : opi . cit . p.p. 156-171

لهم تأثير نفسي كبير على الاولاد ، وتزداد قوته كلما ازداد اهتمامهم بهم ، اذ أنهم قد بلغوا من العمر ما يجعل اتحاد شخصية طفولتهم مع شخصية الطفل أسهل منالاً منهـا في الزمن الذي كانوا فيه أقل شيخوخة . وفي الوقت نفسه ، فإن وجود هؤلاء الاطفال يعيد إليهم جو حياتهم الزوجية القديمة مع جميع مايحيط بها من ذكريات الشباب اللذيذة العذبة . فهؤلاء الاجداد الذين رأوا بحسرة بالغة ابناءهم او بناتهم يغادرون منزلهم بسبب الزواج ، وحملوا في نفوسهم للسبب نفسه ضغينة حمقاء نحو الكنائن او الاصهار ، يجهدون ليغرسوا في نفوس احفادهم جميع الصفات التي يعتقدون انها من تراثهم ، عاملين في الوقت نفسه على استئصال كل ما يرونه مأخوذاً عن تلك الاسرة (اسرة الكنة او الصهر) ، التي يعتبرونها بمثابة الخصم او العدو . وان الحلويات التي يقدمونها بسخاء للأطفال إن هي إلا احابيل منصوبة لحرب طويلة الامد . وفي الحقيقة فإنهم يبذلون وسعهم بصورة قريبة من اللاشعور لتحريض الطفل على مناهضة احـد والديه . وهكذا فإن بعض الصغار يصبحون ميدان صراع بـين الجدود ، سواء من جهة الآباء او الامهات » (٦٧).

ومن هنا نرى انه يجب على الوالدين والجدين ان يشعروا بمسؤوليتهم تجاه تربية الاطفال وتكوين شخصيتهم ، وتجاه مستقبلهم .

٤) **العلاقات والعمليات الاجتماعية بين الاولاد فيما بينهم** : يعيش الاولاد إخوة واخوات في الاسرة . ويحصل بينهم تفاعل وعلاقات وعمليات اجتماعية . وكثير من هذه العمليات والعلاقات التي تقوم بينهم ، سيقومون بها عندما يصبحون راشدين يعيشون في المجتمع العام . ويتوصل الاولاد الى الشعور « بالذات » والتفرد عن العالم الخارجي بفضل الغير ، ويتم هذا في الاسرة بفضل العلاقات مع الاخوة بصورة دائمة .

---

(٦٧) روبيه اللندي : الكتاب المذكور آنفاً ، ص ٣٧-٣٨ .

وتسهل العلاقات والتفاعل بين الأولاد التوصل الى الشعور بالذات (moi) كما تسهل التوصل الى الشعور « بالنحن » (Nous) .

ويتعلم الطفل كيف يتصرف ، بالاحتكاك بأخوته ، على التضحيات الضرورية ، والظلامات الصغيرة ، والجحودات الزهيدة ، والتنكيدات الخفيفة. ويعدل مفعول هذا التعلم بصورة قوية بتأثير الوالدين وخاصة بتأثير الصداقة التي تتولد بين الأولاد ، وبالمحبة ، والتآزر الأساسي الذي يوجد بين الاخوة والأخوات .

فالوظيفة الاساسية للإخوة والأخوات هي اذن في ان تسمح بنشوء أفضل تأهيل اجتماعي ممكن. ويتوصل الى هذا التلاؤم الاجتماعي بالانتقال من التنافس والخصومة الى الصداقة والتعاون. ويعتبر الموقفان الاخيران الحد العادي الذي تنتهي اليه العلاقات بين الاخوة والأخوات الذين خضعوا لنمو سوي .

التنافس والخصومة : تبدأ العلاقات بين الاخوة والاخوات بالخصومة والتنافس. وقد قيل : الحياة صراع . ويتعلم الطفل الصراع مع اخوته واخواته لأنهم اقرب الناس اليه سناً وقدرة ، ولا يتعلمونه مع اهلهم او مع المجتمع لأنهم سيكونون الخاسرين في هذه التجربة . وبهذا تعتبر الخصومة بين الاولاد سوية وضرورية. ولذا قالت جولييت بوتونيي J. Boutonier « عندما يتخاصم طفلان فإن الخصام يقيم بينهما علاقة يمكن ان تعتبر كاجتماعية . »(٦٨)

ولا تقتصر هذه الخصومة على العنف والعدوانية ؛ ويجب ألا تخلط مع العداوة والكراهية . بل هي عبارة عن نوع من المنافسة الرياضية . وقد دلت أبحاث بورلنجهام وآنا فرويد على ان قتل هذه الخصومة ضرورية للتفتق النفسي والجسدي . اذ جمعتا اطفالاً صغاراً في ميتم على شكل اسر صغيرة تضم ٤ او ٥ تحت حراسة ممرضة واحدة . فلاحظتا بين الأطفال المجمعين مشاحنات وغيرات لم تلاحظاها لدى الاطفال غير المجمعين . فكان السلم بين اولئك أضعف

(٦٨) راجع : J. Boutonier . L, angoisse . Paris. P.U.F. 1945

منـه بين هؤلاء ، ولكن كانت صحة اولئك أفضل من صحة هؤلاء ، وكانوا أكثر اجتماعية منهم واكثر يقظة [٦٩].

وتظل هذه الخصومة ، في الاسرة الموفقة ، سليمة ولا خطر فيها . وتخف حدتها كلما وزعت على عدد اكبر من الاولاد . ويعدل الوالدان ايضاً من حدتها بعدلهما ومساواتهما بين الجميع في الحب والمعاملة والحزم في فض ما هو خطر من هذه الخصومات .

ومن المعلوم ان اكثر المنافسات تدور قبل كل شيء حول الوالدين وكسب حبهما وعطفهما ؛ وخاصة محبة الام وحنانها . وتدور بعد ذلك على الطعام واللباس واللعب والمركز والحظوة . ولهذا فلا شيء أضر من إظهار الوالدين للتفضيل والجور والظلم بين الاولاد .

وكم من والدين يثيران المنافسة بين الاطفال بمقارنة أحدهم منهم بالآخر . إذ يريدان من الاخ الاصغر ان يعمل كالاخ الاكبر ، او بالعكس ... وكم من اسرة فرضت على الاولاد ايحاءات خاطئة وجائرة . كأن يريد الوالدان تخفيف التنافس بين شقيقتين مثلاً ، فيرددا على مسامعهما إن احداهما جميلة ولكن غير ذكية ، والاخرى دميمة ولكن ذكية . ويصل الامر اخيراً الى تحطيم الاثنتين بدلاً من تحقيق شبه مساواة بينهما .

ومن هنا نفهم ان الذي يثير الخصومة والغيرة والتحاسد بين الإخوة والاخوات هو التفاوت في القابليات والفاعليات النفسية والجسدية . ويزيد من حدتها جميعاً جهل الوالدين بأصول التربية ، واثارة الغيرة والحقد والكراهية بأساليبهما العتيقة . اذ يلجأ الوالدان الى التفضيل بين ولد وآخر على اساس الجمال أو الذكاء ، او القوة ، أو الطاعة ... ولكن اعتبار كل طفل مختلفاً عن الآخر

---

(٦٩) راجع :

D . Burlingham et A . Freud ; Enfants sans famille . Paris . P.U.F. 1949

لايضر مادمنا لانسمح بأن تتحول هذه الاختلافات الى محاباة ، او نسمح لانفسنا ان نستغل أياً من أطفالنا لتحقيق رغباتنا فقط .

وتقول هيلين وبونر (H.Puner) : «وعلى كل حال ان توزيع الحب والعطف على أطفالنا بالتساوي ليس أفضل من أن نعطف عليهم ونحبهم بطرق متنوعة ، كل حسب صفاته وميزاته »[٧٠] .

وتعين هذه الاختلافات والفروق ، اذا ما أحسنت أساليب تربية الوالدين والمربين ، الاخوة والاخوات على ان يتعلموا التسامح ، ويفهم بعضهم بعضاً . وتدفع هذه الفروق الاطفال ، عدا التنافس والخصومة ، الى التعويض بنواح أخرى والبروز في مزايا نامية (أو تنمي) لدى الطفل .

ويثير الخصومة والتعارض بين الأولاد ، في بعض الأحيان ، محافظة الأم ، (أو الأب) ، على آثار خصومة كانت بينها وبين أخت لها ، (او بينه وبين أخ له) تريد أن تدوم وتستمر بين ابنتين لها (او ابنين له) . وهذا سلوك مرضي يجب ان يحذره الوالدان كل الحذر .

كما يثير هذه الخصومة والغيرة ولادة اخ اصغر بعد ولادة الأخ الأكبر . ويمكن ملاحظة ظهوراتهما وارتكاساتها بشكل ظاهر إذا ماحدثت ولادة الأخ في « **مرحلة الأزمة** » اي بين عامي ٣ و ٧ ، اذ يمكن ان تؤدي تلك الخصومة وهذه الغيرة الى نشوء ما يسميه بودوين Baudouin « **بعقدة قابين** »[٧١] .

وغالباً ما يرد الطفل على شعوره بهذه الغيرة ، وبصورة رمزية ، بظواهر نكوص انفعالي منها : مص السبابة ، والبكاء ، والتبول على الفراش ، والتبرز على الثياب او الفراش ، والمتاعب الغذائية . . فهو يخفي بهذا غيرته ، لأن

---

٧٠ – هـ . و . بونر : كيف نعاون الاخوة والأخوات على التعاون . ترجمة سعد دياب (سلسلة دراسات سيكولوجية) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ . ص ٤٦

٧١ – راجع :

C. Baudouin : l' âme enfantine et la Psychanalyse. Paris, Delachaux et Niestlé , 1931 .

والديه يؤنبانه عليها بقولهما : « من الحقارة ان يكون الانسان غيوراً » . ولا تعتبر هذه الغيرة نقصاً ، بل ألماً . ولهذا يجب ان ننظر اليها بعين حكيمة ، لا بقلب قاس » .

وقد اشار براون G.F. Brown الى ان سعة وخطورة التعارض او الخصومة تتوقفان على :

١) درجة قبول الطفول لانماط سلوك عائلته ، واعتبارها على انها سلوكاته .

٢) درجة الالفة (او الصداقة) التي يكونها الطفل في علاقاته مع الرهوط خارج أسرته .

٣) سعة تنوع أنماط السلوك » [٧٢] .

كما اشار الى ان العامل الأساسي في تعارض الاخوة والاخوات هو الخصومة على **المركز الاجتماعي** . اذ يريد كل من الاخوة ان يكون مركز الاسرة ومحط عطف وحب الوالدين [٧٣] .

وقد اشار الى عامل آخر في التعارض داخل الأسره مرده الى مؤثرات البيئة الاجتماعية خارج الأسرة ، وخاصة اذا كانت ثقافة هذه تخالف وتعارض ثقافة تلك [٧٤] .

التعاون بين الأخوة والاخوات : ويعتبر التعاون ضرورياً وهاماً لنشوء وتكون الشخصية . وتقدم الأسرة الأساس المثالي للتأهيل من اجل التعاون . اذ كلما كبر الأطفال شعروا بمسؤولياتهم للتعاون فيما بينهم وبين والديهم (او أهلهم) في سبيل بقائهم ومصلحتهم وخيرهم . والأسرة تنمي هذه العملية الاجتماعية بتنميتها « لشعور – النحن » (We feeling) بين افرادها ، حيث تدفعهم الى فعاليات مشتركة ومصالح مشتركة . وتعتبر الأسرة اقوى مؤسسة اجتماعية في

---

٧٢ – Brown : Educational Sociology . p. 208

٧٣ – راجع : Ibid, : p. 210

٧٤ – من أجل دراسة لا بأس بها راجع : Ibid, : p. p. 207 — 214

تنمية التعاون وتكران الذات بين افرادها . وهكذا يتعلم الأطفال في اسرتهم قبل غيرها من المؤسسات ، علاقة الأخذ والعطاء ، وارادة التكيف في سبيل الصالح العام او المشترك ، والعمل معاً في سبيل هدف مشترك .

ويتوقف هذا في الأسرة على الفهم والتفاهم والمحبة والحزم والتفاعل السليم ، كما يتوقف على ثقافة وحضاره ونظام المجتمع العام . اذ برهنت مارغرت ميد على ان هناك شعوباً بدائية ومتحضرة تربي افرادها على التعاون كالهنود الزوين Zuni والكواكيوتل ، (شعبين بدائيين في الولايات المتحدة الامريكية) والروس الشيوعيين ، والنازيين الألمان والفاشيستيين الايطاليين (سابقاً) . بينما يربي الامريكيون مثلاً ، اطفالهم على التنافس [٧٥] .

وقد رأينا في الفصل الثالث من كتابنا هذا ، بعضاً من الشعوب التي تربي على المنافسة وأخرى تربي على التعاون [٧٦] .

ويتوقف على التعاون بين الأطفال في الأسرة كثير من تعاونهم في المستقبل مع الراشدين الآخرين داخل المؤسسات الاجتماعية الأخرى .

التكيف Adjustement : كما يتعلم الأطفال في الأسرة كيف يتكيفون مع الأطر والقيم والعلاقات والمؤسسات الاجتماعية ، وكيف يقيسون علاقاتهم الأفراد والرهوط وعناصر الثقافة على أساس من تبادل الموقف .

ويتم هذا التكيف على اساس من التقليد والايحاء والتقمص والتشريب والقسر والترغيب [٧٧] ، وهكذا يتعلم الأطفال في الأسرة العمليات الاجتماعية الأساسية : التكيف والتعارض (او الخصومة) والتعاون ، والعلاقات الاجتماعية سواء منها الموجبة : المحبة والتفاهم والتسامح والتضحية ... ام السالبة : الكراهية

---

٧٥ – راجع :

M. Mead : Cooperation and Competition among primitive Peoples. N. Y. Mcgraw – Hill... 1937

٧٦ – راجع : ص ٣٣ – ٣٦

٧٧ – راجع : I. F. Brown : opi. Cit. p. p. 146 – 152

والغيرة والحقد والتنافس والتعصب.. ودرجة نشوء هذه الفئة او تلك العلاقات يتوقف على حسن تربية الأسرة ووعي الابوين فيها، وسلامة الجو الاسروي[٧٨].

مساهمة الأطفال في تكوين « البيت » Home : قلنا سابقاً ان مجيء الأطفال هو الذي يكون الأسرة حقيقة ، ويؤلف « البيت » . وقد أشار بعض المؤلفين الى اهمية الأطفال بالنسبة لتماسك الأسرة ودوامها . ومن هؤلاء بوسّارد Bossard الذي اظهر ان مساهمة الاطفال في البيت تختلف بشكل ظاهر حسب جنس الطفل ، وموقف الوالدين تجاه الطفولة والاطفال ، وطبيعة الثقافة والحضارة اللتين ينتمي اليهما الابوان .

اذ لوحظ ان عدد العلاقات الشخصية يزداد تبعاً لظهور الطفل او الاطفال . ويجر حضور الطفل معه اتساعاً في اهتمامات ومصالح الاسرة ، ويعطي الوالدين اهتماماً انفعالياً ملائماً ، ويقدم لكثير من الوالدين فرصة مناسبة ليعيدوا حياتهم من خلال اطفالهم ، ومن خلال إسقاطات (او اضفاءات) الطفولة . اذ يعتبر الوالدان اطفالهما **كامتداد** جسدي ونفسي واخلاقي واجتماعي لهما. ولهذا يسعدان في ان يريا فيهم ما عجزا عن **إتمامه في حياتهما** ، ويفرحان لانهما يقهران بهم فكرة الموت والفناء . وبهذا يوحد الاطفال بين الوالدين ؛ يوحدون في اتجاهاتهما وميولهما وآمالهما ، واهتماماتهما ، وموضوع رعايتهما ومثلهما الاعلى ، ويجعلونهما يتشبثان بالحياة . وهكذا لاحظ السوسيولوجيون ان الطلاق في الاسر ذات الاولاد اقل منه في الاسر فاقدة الابناء ، وان التعاون والتفاهم اقل في الاسر التي تحتوي الاولاد منها في الاسر المحرومة منهم ، وان الانتحار اندر في الاسر الاولى ، بينما هو اعلى نسبة في الاسر الثانية .

وقد لاحظ بوسّارد ان ملاحظة نمو الاطفال يهب الوالدين حدساً وفهماً

---

٧٨ – من اجل العمليات الاجتماعية راجع :

a) Ibid; : p. p. 144 — 164

B) Gilin and Gillin : Introduction to Sociology N. Y. Macmillan. 1947 chap, 24, 25, 26, et 27 .

قويين عن عمليات الحياة ، ويعطيهما سيطرة على الافراد الآخرين . ويدفع كل هذا الى النضوج في افعال الابوين واهدافهما ؛ ويستفيد من هذا كله الوالدان والابناء (٧٩) .

الواجبات المترتبة على أعضاء الأسرة : ليتم جو اجتماعي سليم وهادىء وملائم لتربية الاطفال وتكون شخصياتهم على خير ما يرام ، يجب ان تتوفر في « البيت » بعض واجبات ضرورية . ذلك لان الاسرة تقوم على التقاليد والعادات كما تقوم على الشعور بالمسؤوليات ، وعلى تبادل الخدمات والواجبات . إذن نبحث في واجبات اعضاء الاسرة .

أ — واجبات الوالدين تجاه بعضهما: تختلف الواجبات بين الزوجين باختلاف التركيب العائلي . فإذا كانت الأسرة منظمة على أساس نظام اقطاعي وارستوقراطي ، كما في بلادنا ، أمكن القول مثلا : على الرجل ان يحب زوجته ويساعدها ويحميها و « يرعى خاطرها » ، وعلى المرأة ان تخضع لزوجها وتتبعه أينما حل ، وتؤمن له بيتاً مريحاً وترضي حاجاته ورغباته ..

فنحن نرى هنا ان على الرجل المحبة والرعاية تجاه الزوجة ، لأنه قوّام عليها ، وعلى المرأة الخضوع والطاعة وتنفيذ ارادة الرجل وارضاء حاجاته ورغباته . ويدل هذا على خضوع المرأة للرجل ، وعدم المساواة بينهما .

بينما نرى في المجتمعات الراقية ، وخاصة في المجتمعات الاشتراكية ، حيث يقوم مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، ان الواجبات بين الزوجين واحدة ومتبادلة . ومن هذه الواجبات نعدد ما يلي :

١ — **المحبة** : يمكن ان يبدأ الزواج بالحب ، كما يمكن ان يبقى الحب اساس العلاقات الزوجية طوال حياة الزوجين . ولكن افضل من الحب

---

٧٩ — من أجل دراسة عميقة وقيمة راجع :

James H. S. Bossard : The Sociology of Child Development. N. Y. Harper. 1948 .

الاعجاب العميق والعطف او الرفق الحقيقي : اي الاستعداد الثابت لإرادة الخير للقرين ، ونعني **المحبة** . وتظهر المحبة والعطف في الزواج باهتمام كل من الزوجين بنسيان ذاته من اجل رفيق حياته ، والتضحية في سبيله . وتتطلب الحياة الزوجية ايضاً محبة عاقلة ومتسامحة . فيجب على كل من الزوجين ان يتحمل رفيقه ويقبله كما هو بحسناته وسيئاته . ولكل من الزوجين بعض اخطاء وعيوب ، تكون احياناً غير ضارة ولا خطرة ، ومستعصية على الشفاء ، فعلى كل منهما ان يلقي عليها حجاباً ويسترها عن الناس ويحول نظره عنها .

٢ ـ **التعاون** : يجب ان يتعاون الزوجان في القيام بواجباتهما الفردية والاسروية والاجتماعية والمهنية . فعليهما ان يتعاونا **من الناحية المعنوية** في سبيل مثل اعلى واحد ، وفي سبيل حياة انسانية افضل واسمى ، مليئة بالكمال والسمو والنزوع الدائم الى النور . وعليهما ان يتعاونا من الناحية المادية على تأمين حياة البيت المادية : فعلى كل منهما ، بقدر الامكان ، ان يعمل بمهنة تدر على الاسرة دخلا كافياً يؤمن لها مستوى حياة مادية لائق .

٣ ـ **الأمانة والوفاء** : يجب ان يكون كل من الزوجين وفياً للآخر ، ويبتعد عن خيانته . لان لاشيء يهدم البيت والاسرة ويسيء الى تربية الاولاد اكثر من الخيانة الزوجية . وتتسامح بعض المجتمعات ، كمجتمعنا مثلاً ، تجاه خيانة الزوج ، وتقسو كل القسوة تجاه خيانة الزوجة . ولكن يفرض علينا الحق والمساواة التشديد في الحالين . .

ب ـ **واجبات الوالدين نحو الاولاد** : تختلف هذه الواجبات بين مجتمع وآخر . ولكن يمكن ان تحصر في المجتمع الراقي ، هذه الواجبات بما يلي :

١ ـ **الحب والعطف والحنان والرعاية** : ولا حاجة بنا الى تعداد آثارها التربوية لاننا الححنا سابقاً على ذلك .

٢ ـ **الكفالة المادية** : يجب ان يكفل الوالدان القيام بأود اولادهما من جميع النواحي المادية ، وتميل الدول الاشتراكية الى تحمل هذا العبء عن

الوالدين . كما تميل بعض الدول الرأسمالية ، كفرانسا والدانمارك وانكلترا الى تقديم مساعدات مالية ومادية في جميع النواحي ، الى الوالدين ليستطيعا كفالة اولادهما في عصر اصبح فيه الولد يكلف غالياً .

٣ – **تأمين التربية** : يجب على الوالدين ان يؤمنا لاولادهما تربية صالحة ويزوداهم بثقافة ملائمة تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ، ويعملا على تلقينهم العلم الذي اصبح اقوى وسيلة في عصر الذرة ، والصواريخ عابرة القارات ، والاقمار الصناعية . وقد كفلت الدول الاشتراكية تأمين تربية الاولاد خارج الاسرة في جميع مستويات التعليم ما دام الاولاد قابلين لها .

٤ – **تأمين مهنة** : ويجب ان يزوداهم بمهنة معينة يستطيعون ان يكسبوا بها عيشهم .

ح – **واجبات الاولاد نحو والديهم** : على الاولاد نحو والديهم واجبات تختلف بين مجتمع وآخر . ومن أهم هذه الواجبات في مجتمع راق :

١ – **الحب** : الحب اول واجب الاولاد نحو والديهم ويجب ان يتألف هذا الحب من الحنو والاعتراف بالجميل لما يسديه لهم الوالدان من افضال ولانهما كان سبب الحياة بالنسبة اليهم .

٢ – **الاحترام** : ومن واجبات الاولاد احترام الوالدين لشخصيتهما والدور الذي يقومان به في الحياة ، هذا الدور **القائم على التضحية ونكران الذات**.

٣ – **الطاعة في الصغر والمراعاة في الكبر** : وعلى الابناء ان يطيعوا والديهم ماداموا صغاراً وان يراعوا خواطرهم ويمتثلوا لنصائحهم منذ وبعد مرحلة المراهقة . لان الولد يصبح ، في هذه السن ، ذا ارادة وافكار وشخصية ولهذا يجب ان يعبر عنها بحرية وبدون خضوع اعمى لأحد .

٤ – **المساعدة في الكبر** : اذا كان النظام السياسي والاقتصادي على غرار النظام السائد في بلادنا ، فان على الاولاد ان يساعدوا ويكفلوا والديهم عندما يبلغان من الكبر عتيا ، ويعجزان عن العمل . اما في الدول الاشتراكية ،

وبعض الدول الرأسمالية الراقية ، فأصبحت كفالة الشيوخ تابعة للدولة التي تقدم لهم المساعدات وتبني لهم الملاجىء والبيوت المريحة التي يقضون فيها مع امثالهم حياة مطمئنة ومريحة .

د – **واجبات الاولاد فيمابينهم** : وعلى الاولاد واجبات يجب ان يراعوها فيما بينهم هي :

١ – **الوحدة** : يجب ان يسود بين الاخوة والاخوات التآزر والتعاضد الوثيقين ، والمساعدة .

٢ – **روح الزمرة** : اي يجب ان تسود بينهم روح الالفة والتعاون والاشتراك في الحياة والعمل والعواطف والاتجاه نحو مثل اعلى موحد .

٣ – **الروح الاسروية** : وتقوم على التفاهم والمحبة واحترام شخصية الاخوة والاخوات .

٤ – **محبة ورعاية الكبير للصغير ، ومحبة الصغير للكبير وعدم الغيرة الخبيثة منه**[٨٠] .

العلاقة بين الاسرة والمدرسة : تعرضت الامم الراقية لقضية التعاون بين الاسرة والمدرسة ، واعارتها اهتماماً زائداً . ولم تندفع هذه الامم الى هذه الناحية وبكل هذا الاهتمام الا بعد ان رأت ان هذا التعاون ضرورة اجتماعية وقومية . اذ اذا لم يكن تفاهم بين الاسرة والمدرسة على ما يخص تربية الاطفال فقد تعاكس كل منهما الاخرى ، ويحصل بهذا بينهما خلاف ونزاع ، وتقل الفائدة المرجوة في التربية من جميع نواحيها العلمية والثقافية والاخلاقية والاجتماعية والجسدية .

---

٨٠ – من أجل بعض هذه الواجبات راجع :

a) P. Foulquié : Traité élémentaire de philosophie. tom. II. Paris. les éditions de l. école. 1946. p. p. 629 = 640 .

b) I. Contardarin : Notions de Sociologie Paris. Delagrave. 1937. p. p. 146 – 173 .

ويعترض هـذا التعاون صعوبات مرد بعضهـا الى المدرسة ، ومرد بعض الآخر الى الاسرة . وتزداد الصعوبات العائدة الى المدرسة كلما كان المعلمون والمدرسون اناني وغير اجتماعيين ولا يحملون في تدريسهم رسالة اجتماعية لأمتهم ورسالة اخلاقية لانسانيتهم .

وتزداد الصعوبات العائدة الى الاسرة كلما كانت البلاد متأخرة وغارقة في الجهل ، وكلما كان الاهل أميين ومنهمكين كل الانهماك في قضية اعالة اسرهم دون سواها . وفي هذه الحالة الاخيرة تزداد الحاجة الى مساعدة المدرسة للاسرة . والذي يهمنا هنا هو ان نعالج ماذا يمكن ان تقدم كل منهما للاخرى وخاصة مانقدمه المدرسة للاسرة .

فإذا كانت الأسرة مؤسسة اجتماعية لابد منها في النظام الاجتماعي الذي تجتازه الأمم ، سواء الراقي منها ، أم « البـدائي » ، فلا بد إذن من أن نهتم بالتربية فيها وبتوجيه الأهل نحو خير السبل للقيام بخير تربية ، فما هي الوسائل والطرق التي يمكن أن نتبناها لنتوصل إلى خير تعاون بين الاسرة والمدرسة؟

سبيل وطرق التعاون بين الاسرة والمدرسة : نعرض بعض الطرق والوسائل والمؤسسات التي اتبعت في سبيل تأمين هذا التعاون :

أ ـ المحاضرات والاحاديث للاسر : يمكن ان يلقي المعـلم على الأهـل محاضرات وأحاديث في بدء العام الدراسي . ويجب ان يفهم المعـلم فيها الآباء غرضه وهدفه ومسؤوليته طالبـاً إليهم العون والمسـاعدة في مهمته الجليلة . وسوف لايتأخر الآباء عن تقديم مثل هذه المساعدة لأنهم يعلمون ان نتائجهـا تعود على ابنائهم . والمهم في الأمر هو ان يفهم المعلم الآباء واجبهم ، لان معرفة الواجبات تعتبر أحياناً أصعب من تطبيقها . فقد لايعرف الأهل ضرورة وقيمة التعاون ، فليطبع المعلم ضرورته في أذهانهم وسيلقى بعدها كل مساعدة ويجب ألا تكون هذه الاحاديث جافة ، بل على المعلم ان يجعلها جذابة وذلك بتمضية بعض الوقت بسماع اناشيد ، أو بعض الأغاني المسرة من الفونوغراف أو الراديو

أو بمشاهدة تمثيلية قصيرة يقدمها التلاميذ أنفسهم .

وقد أسست في باريس مثلا مدرسة تدعى : « مدرسة الآباء والمربين » تلقى فيها محاضرات أسبوعية من قبل أكبر المربين والاختصاصيين بالتربية وعلم النفس وعلم نفس الطفل وعلم الاجتماع على مسامع الأهل والآباء . وتنشر هذه المحاضرات بعد ذلك في مجلة شهرية تدعى « محاضرات مدرسة الآباء » . كما أسست مثل هذه المدارس والجماعات بصورة واسعة في الولايات المتحدة الامريكية .. تلقى في هذه المحاضرات مواضيع عن نفسية الطفل ، وعن نمو الطفل ومراحله وخير الطرق الملائمة لكل مرحلة ، وعن معايب ومساوىء الأطفال ، وفساد التربية ، وخير الطرق لتأمين خير تربية ... كما أسست جماعة البحث والمناقشة ، وتتألف من المعلمين والآباء ... وواضح ان الاهل الذين يفهمون قيمة التربية يساعدون أطفالهم على اكتساب مواقف ايجابية تجاه قيمة التربية . وعندما يعرف الآباء قيمة التربية والواجب الملقى على عاتقهم في الرسالة الانسانية والقومية ، يحاولون ان يصلحوا أنفسهم ويحسنوا طرقهم وخططهم في الاسرة والحياة . ولذا قال احد المربين : « يجب ان نبدأ قبل كل شيء باصلاح الآباء . وبتعبير آخر : لنقم اولاً بتربية المربين » .

ب - **مؤتمرات الاباء والمعلمين او المدرسين** : وطريقة اخرى هي مؤتمرات تعقد بين الآباء والمربين (او المعلمين والمدرسين) وتؤدي الى التفاهم السليم او الى تبادل الخبرات والمعلومات ، والتعرف على الغير ، مع الشعور بالحرية في الرأي ، وفي ابداء المقترحات والاستماع الى مقترحات الغير . وتكون هذه المؤتمرات الخاصة مهمة اذا فهم الآباء والمعلمون درجة تقدم الطفل ، ونموه ، ونوع ميوله ، وعرفوا ما اذا كان يعمل بقدر ماتسمح له قدراته ، وما اذا كنا قد اشبعنا حاجاته النفسية .

ويجب ان يكون في صلب برنامج المدرسة اقامة مؤتمر او اكثر في كل عام يدعى اليه جميع الآباء . وتقام في امريكا مثل هذه المؤتمرات في الريف

والمدن . ويطرح المعلمون والآباء اسئلة حول المشاكل التي تصادفهم في العملية التربوية ، وتدور حول نمو الطفل ، وتحصيله ، وسلوكه ، وطرق معاملته ، ويتفق المعلمون والاهل في هذه الاجتماعات على الخطة التي سيسيرون عليها مع كل تلميذ في المدرسة والمنزل .

وتدعو بعض المدارس الآباء يوم افتتاح المدرسة على ان يبقى الابناء في المنازل ويتحدث الناظر والمعلمون عن خطتهم وبرنامجهم في العام الجديد. وبهذه الوسيلة تجد المدرسة مساعدة فعالة من الآباء طوال العام الدراسي ، والسر في هذا عائد الى كون الآباء يشعرون انهم قد اشتركوا في رسم خطة الدراسة ووضع برامجها قبل بدئها (للدراسة) . (٨١) .

جـ - جمعيات او اتحادات الآباء والمعلمين: Parent-Teacher Associations او P. T. A. . نظمت في الولايات المتحده الامريكية جمعيات او اتحادات (كما يعربها بعض مؤلفي الاقليم المصري) كان لها اكبر الاثر فيما يقوم بين المدرسة والبيت من علاقات حسنة وايجابية . وتنضوي اتحادات المعلمين والآباء تحت هيئة المؤتمر الوطني للآباء والمعلمين .

وتقوم هذه الجمعيات او الاتحادات في جميع انحاء الولايات بتكريس جهودها للنهوض بالمنزل والمدرسة والمجتمع . وتضع برامجها وفقاً لحاجاتها والمشكلات التي تواجهها في مناطقها. وتكون اهم واجبات الاتحاد في بلد ما مساعدة مدرسته ، وتقديم الخدمات للأطفال والشبان والراشدين. وتكون جماعة الآباء والمعلمين يقظة دائماً لاكتشاف اي انحراف يقع داخل المدرسة او خارجها. ويعمل الاتحاد بمساعدة المدرسة لتلافي اسباب ذلك .

وتقوي هذه الاتحادات الالفة بين الآباء والمدرسين باقامة حفلات سمر ،

---

٨١ - راجع : إيفا جرانت : تعاون الآباء والمدرسين . ترجمة محمد نعيم رأفت . القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ - ص ٥١ - ٥٥ .

ومناسبات افراح ، وتنظيم رحلات ، في بدء العام الدراسي، يقوم بها المعلمون والآباء بسيارات فخمة حول المدينة ويزورون معالمها ، وتنظيم كرنفال سنوي ، واقامة حفلات افطار في منازل الآباء والمدرسين يحضر كل عضو معه افطاره المحبب الى نفسه ، واقامة المعارض والندوات الفنية .. (٨٢).

(سنعود في فصل قادم الى اهمية هذه الاتحادات في وضع البرامج المدرسية وتوجيهها) ..

د – زيارات الاسر : ومن أجدى طرق التعاون بين المدرسة والاسرة الزيارات التي يقوم بها المعلمون للاسر ، للاطلاع على اوضاعها ،وكيفية معاملتها لابنائها ، ويتمكن المعلمون بهذا من ان يستفهموا بأنفسهم عن حالة التلميذ وعن تقدمه او تأخره ، وعن سلوكه .. ويتمكنون عند ذلك من ارشاد الاسرة الى خير الطرق لمساعدة المدرسة في توجيه التلميذ في الطريق القويم . وليكن المعلم لبقاً في احاديثه . اذ عليه ان يطري مزايا الابناء التلاميذ ، ولينتقل بعد ذلك الى ذكر معايبهم ونقائصهم ، طالباً منهم مساعدته على ازالتها . وبهذا يكون له اكبر الاثر في نفوس الآباء لانهم يفخرون بأبنائهم ويحبون امتداح المعلم لهم ولحسن تربيتهم ، ولقيمة امكانياتهم . وعندها يقبل الآباء منه كل توجيه ويقبلون عليه ويقدمون له كل مساعدة بلذة ورغبة .. ويتمكن المعلم بهذه الزيارات من فهم جو الاسرة الاجتماعي ولون ثقافتها ، وتركيبها ، واتجاهاتها ، فيتوصل بهذا الى خير الطرق للتعاون معها في سبيل منفعة الطفل ..

هـ – الجزازات الشخصية: Les fiches individuelles : وعلى المعلم ان يخصص لكل تلميذ جزازة شخصية تبدأ بدخول التلميذ الى المدرسة . يسجل المعلم عليها مايأخذه من الوالدين عن سلوك التلميذ الجديد وحسناته وعيوبه ونقائصه

---

٨٢ – راجع المصدر السابق ص ٦٣ – ٨٨ .

راجع أيضاً :

Moore and Cole : Sociology in Educational Practice, p.p. 69-72

وامراضه واتجاهاته . ويكمل المعلم هذه الجزازة بملاحظاته لسلوك التلميذ اثناء سير الدراسة . وعلى المعلم ان يطلع الوالدين على ملاحظاته هذه وعلى سير ولدهما، وعلى خطه البياني : في تقدمه وتأخره . .

و ـ **النشرات والمجلات** : وتصدر بعض المدارس مجلات حافلة باخبار نواحي العمل والنشاط المدرسي ، وتعد بعض المدارس مجلة توزعها على الآباء الذين لديهم ابناء لم يدخلوا المدرسة بعد ، وتعطيهم الارشادات والنصائح والطرق التربوية الصالحة .

وقد لجأت بعض المدارس ، لكسب تعاون الآباء ، الى جمع النشرات والكتب الخاصة بتوجيه الاطفال وارشادهم ووضع الاسس السليمة للتعامل معهم ، ثم السماح للآباء باستعارتها والاطلاع عليها بالتناوب .

ز ـ **عرض نشاط التلاميذ في الصف وفي الالعاب** أمام آبائهم بالفانوس السحري أو بأفلام قصيرة تعرض في اجتماعات إتحاد الآباء والمعلمين ، أو في مؤتمرهم السنوي ، أو في اجتماعات جماعة أو حلقة الدرس والمناقشة التي تتكون من الآباء والمعلمين . . .

ح ـ **اهتمام البرامج المدرسية** ، وخاصة في الثانوي ، بمايلي :

١ ـ اكساب التلميذ موقفاً إيجابياً تجاه الأسرة ، واعطاؤه لمحة تاريخية عامة عن أهمية الأسرة كمؤسسة اجتماعية .

٢ ـ اكسابه بعض المعلومات التي يتمكن على أساسها من الحكم على حسنات الحياة الأسروية ومساوئها .

٣ ـ اعطاؤه بعض المعارف عن مساهمة الأسرة في تكوين الأفراد، ودعم الكيان القومي والاجتماعي والانساني .

٤ ـ تكوينه كفرد يستطيع أن يعيش في أسرة ويقيم فيها الروابط الايجابية مع الزوجة والاطفال .

٥ ـ تحديد وغرس تكنيكات ملائمة تساعد الفرد على أن يعيش حياة راضة ومرضية في الحياة الأسروية[٨٣] .

كيف يمكن أن تتوصل المدرسة الى هذه الغاية ؟ ويكون ذلك بما يلي :

١ ـ اقامة صفوف مختلطة للتلاميذ والتلميذات ، تدرس فيها شؤون وأوضاع وأسس الأسرة السعيدة والبيت الصالح .

٢ ـ انشاء صفوف مسائية للمتزوجين الاحداث أو للخاطبين . .

٣ ـ تأسيس استشارة للتلميذ يكون من أهدافها دراسة مشكلة تكيف الطفل ـ الأسرة .

٤ ـ تسهيل احتكاك موجه بين الصبيان والبنات .

٥ ـ اعطاء انتباه خاص للصحة والنظافة الشخصية ، ومختلف مظاهر نمو الشخصية .

٦ ـ تكوين رهوط نشاطات مختلفة موجهة تساعد على التكيف بين الفرد ورهطه . ويلح على مايدعى برهوط العلاج group therapy .

٧ ـ اقامة معارض واسعة تخص تأثيث البيت ، والتربية المهنية ، والتوجيه المهني القصد منها تكوين مساهمة ايجابية في حياة الأسرة الناجحة[٨٤] .

ط ـ **تأسيس بعض المدارس الخاصة** : لجيء في الولايات المتحدة الامريكية الى تأسيس بعض المدارس وتدعى Toms River school .

تقدم برامج هذه المدارس للفتيان والفتيات الذين هم بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة من عمرهم ، معلومات عن الزواج والقرابة ، وحياة الاسرة او تربية الأطفال . ويضم الصف الواحد من ١٨ الى ٢٥ طالباً وطالبة . وتلقى هذه المعلومات على طلاب وطالبات الـ Junior والـ Senior ، ويمكن ان تلقى على طلاب وطالبات Sophomore . وتدرس في هذه الصفوف المشاكل الجنسية ،

---

٨٣ ـ راجع : Moore and Cole : opi. cit. p. p. 73 — 74

٨٤ ـ راجع : Ibid; : 74

وكيفية التربية الجنسية ، واختيار القرين ، والتلاؤم في الزواج ، وسلوك الاطفال . .

وتعطى هذه الدروس في قاعات ذات مقاعد مريحة ، وطنافس وسجاجيد ، وخزائن للكتب . ويعتني التلاميذ كل الاعتناء بهذه القاعات . ويستعان ببعض الوزراء والقضاة والآباء وسواهم من رجال المجتمع المحلي في القراءات عن الاستفتاءات المكررة Panels ، وفي ادارة التحريات أو الاستقصاءات للحصول على معلومات دقيقة عن برامج التربية العائلية [٨٥] (هناك وسائل أخرى للتعاون بين والاسرة ، تستفيد منها المدرسة خاصة ، سنعود اليها في المدرسة فصل قادم) .

واذا ما حصل التعاون على هذا الشكل استفادت الاسرة والمجتمع خير فائدة ، وقطفا خير الثمرات وايناعها [٨٦] .

❀ ❀

---

٨٥ – راجع : Ibid; : p. 75

٨٦ – من أجل دراسة عامة عن التعاون بين الاسرة والمدرسة راجع :
منير مشابك موس : التعاون بين الاسرة والمدرسة . مجلة المعلم العربي . دمشق . العدد الخامس آذار ١٩٥١ . ص ٥٥٢ – ٥٥٩ .

الخلاصة

الأسرة مؤسسة اجتماعية رئيسية الهدف منها ، قبل كل شيء، انجاب الأطفال وتنشئتهم وتربيتهم . ولكن الأسرة تعقدت خلال التاريخ ، فارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والعلاقات الاجتماعية ، فأصبح لها بهذا وظائف متعددة منها : الاقتصادية ، والدينية ، والسياسية ، والترفيهية ، والتربوية والصيانية . وقد أصبح من أهدافها الأساسية ترسيخ وادامة النظام الاقتصادي والنظام السياسي الذي يرتبط به . وقد عرفت الأسرة خلال التاريخ تطوراً عميقاً في أشكالها ووظائفها . وكانت ، خلال تطورها ، تفقد بعضاً من وظائفها ، وتخسر من قيمة بعضها الآخر . وقد توصلت الأسرة في الدول الصناعية الراقية وخاصة في الدول الاشتراكية ، الى درجة قصوى من التقدم ، حيث انحلت فيها الروابط العتيقة بين الزوجين ، القائمة على عدم المساواة بينهما ، وحلت محلها روابط جديدة قائمة على المساواة واحترام شخصية كل منهما . وقد خرجت المرأة من المنزل لتشارك الرجل أعماله ومهنه . وتهدمت بذلك الأسطورة القائلة : الرجل لخارج المنزل ، والمرأة للمنزل . وأصبحت الأسرة تقوم بقسط من التربية ولكن على أساس سليم من الفهم والعلم ، وألقي عبء ثقيل من هذه التربية على المنشآت التي أسستها الدولة : من مطافل ورياض أطفال ومدارس مختلفة ، الى جانب المعامل والمصانع ، وفي التعاونيات الزراعية . وأصبحت التربية تربية حقة تراعي ميول الأطفال وتساعد على تفتق شخصياتهم ، لأنها تقوم على أحدث نظريات السيكولوجيا وسيكولوجيا الطفل والسوسيولوجيا والبيداغوجيا .

أما الأسرة في بلادنا فلا تزال أسرة عتيقة تقوم على عدم المساواة بين الرجل

والمرأة ، ولا تزال فيها المرأة ، عامة ، جاهلة أو نصف جاهلة ، وترين فيها الأساطير والخرافات ، وتقوم فيها التربية على العنف والتسلط والاحتقار لشخصيات الأطفال وخاصة للبنات منهم ؛ انها أسرة عتيقة من مخلفات عهدي العبودية والاقطاع ، وكل ما فيها يساعد على إدامة وترسيخ مخلفات هذين العهدين . إنها أسرة يقصد منها ترسيخ الملكية الفردية ، وخاصة الواسعة ، وترسيخ النظام السياسي الارستوقراطي الاقطاعي لأنها تقتل كل شخصية ، وكل ابتكار ، وكل محاولة ثورة وتجديد . لهذا كان علينا ان نهدم هذا النمط العتيق من الاسرة ؛ لأنه أصبح لا يلائم عصر الذرة والأقمار الصناعية ، وتبديله بنمط آخر جديد يستطيع ان يعبر فعلاً عن الاشتراكية الصحيحة والديموقراطية الصحيحة ويدفع بمجتمعنا ، بمساعدة المؤسسات الاجتماعية التقدمية الأخرى ، نحو التقدم والرقي ؛ نمط جديد يساوي فيه بين الرجل والمرأة ، ويطلب فيه منهما معاً العمل والانتاج ليتحرر كل منهما من نير عبودية الآخر ، نمط جديد لا يقوم على الملكية الفردية أو الخاصة ، ولا على التسلط السياسي والعبودية ، نمط جديد تقوم العلاقات الاجتماعية فيه على التفاهم والمحبة والتآزر والتعاضد ، وتتم العمليات الاجتماعية فيه على أساس من التكييف السوي ، والتعاون المحب ، والمنافسة الشريفة القائمة على أساس التعبير عن خير الامكانيات والاستعدادات .

❀ ❀

مصادر للمراجعة

١ – الدكتور رونيه اللندي : الطفولة المجهولة . تعريف ابراهيم جمال وصلاح أدهم . دمشق . المطبعة الجديدة ١٩٥٢ .

٢ – هيلبس و . بونر : كيف تعاون الاخوة والاخوات على التفاهم . ترجمة الدكتور سعد دياب . (سلسلة دراسات سيكولوجية) القاهرة . مطبعة النهضة المصرية ١٩٥٩

٣ إيفا جرانت : تعاون الآباء والمدرسين . ترجمة الدكتور محمد نسيم رأفت . (سلسلة دراسات سيكولوجية) القاهرة . النهضة المصرية ١٩٥٥ .

٤ – عبد العزيز عزة : في الاجتماع التربوي الطبعة الثانية – القاهرة . مطبعة دار التأليف ١٩٥٧ .

5 — R. Hubert : Traité élémentaire de Sociologie Paris. Delalain. 1935.

6 — L. Contardarin : Notions de Sociologie. Paris Delagrave. 1937.

7 — Maurice Porot : L. Enfant et les relations familiales. Paris. P. u. F. 1951.

8 — A. Berge : Le métier de Parent. Paris. Montaigne. 1952.

9 — I. Bowlby : Soins maternels et Santé mentale. Généve. 1951.

10 — J. F. Brown : Educational Sociology. N. Y. Printice-Hall. 1947.

11 — C. B. Moore and W. E. Cole : Sociology in Educational Practice. Boston. Houghton Eifflin Compagny. 1952.

12 – J. H. S. Bossard : The Sociology of Child Development. N. Y. Harper.. 1948.

13 — R. F. Winch : The Modern Family. N. J. Henry Holt... 1952.

14 — Gillin and Gillin : Introduction to Sociology. N. Y. Mamillan ... 1947.

15 — Charier et Ozouf : Pédagogie Vévue. Paris. F. Nathan. 1948. chap. XII

16 — Fournel : Notions de pédogogie générale. Paris. F. Nathan 1933. Chap. XV.

الفصل العاشر

رهوط النشاط

لدى الأطفال والمراهقين والشباب والتربية

ويأتي ، بعد تأثير الاسرة ، تأثير رهوط النشاط Activity groups ، لدى الاطفال والمراهقين والشباب ، في تكوين الشخصية . وتعمل العمليات الاجتماعية عملها داخل هذه الرهوط دون تدخل الاسرة ، كما تعمل عملها داخل الرهوط العفوية منها دون اشراف اي راشد . ويشعر اعضاؤها « بشعور — النحن » بدرجة قوية لايفوقها سوى « شعور — النحن » في الاسرة . ولاهمية هذه الرهوط في تحديد نمط سلوك الاطفال والشباب ، وتشكيل مواقفهم ، فانها اصبحت مجالاً هاماً من مجالات سوسيولوجيا التربية . واذا لم تكن هذه الرهوط عفوية في تشكلها ، فيمكن ان يعرف واحدها بانه « اتحاد (او جمعية Assoiation) ارادي لاطفال وراشدين . ترفيهي في طبيعته ، ومتشكل من أجل تحقيق هدف مشترك ، يستلزم تحقيقه مسؤولية مشتركة (او متقاسمة) ويولد درجة من « شعور — النحن »[1].

ودفعت أهمية اللعب ، الذي يسيطر على أغلب هذه الرهوط ، الفلاسفة والمربين لان يتساءلوا عن طبيعته والدوافع اليه .

---

١ — F.J. Brown : Educational Sociology. N. Y. Prentice-Hall — 1947. P. 219.

فرأى سبنسر ان اللعب عبارة عن نتيجة لفائض الطاقة العصبية ، ويتحدد شكله بتقليد نشاطات الراشدين. فالطفل يلعب ليصرف هذا الفائض من الطاقة.

ورأى فيه موريتز لازاروس M. Lazarus ترويحاً Relaxation عن النفس والجسد بعد التعب .

ورأى فيه كارل جروس K. Groos نوعاً من « الدافع العام الى النشاط»، يقوم به الطفل ليتهيأ لحياة الراشد ومهامه ؛ اي انه بالنسبة اليه غريزة شاملة بالنسبة للفقريات والانسان هدفها تهيئة الفرد غير الراشد لحياة الراشد .

اما ستانلي هول S. Hall فقد وضع النظرية التلخيصية الثقافية ، اذ يقول فكما ان الجسد البشري يلخص التطور البيولوجي للانواع ، كذلك يلخص الفرد ، في حياته الاجتماعية ، التطور الثقافي للعرق . فالالعاب التي يقوم بها الطفل تبعاً لنشوئه وتطوره ، تلخص مابقي من عادات العرق ، التي كانت وظائف اولية مماثلة لاعضاء اولية . فاذا مالعب الطفل بتسلق الاشجار ، فهذا يعني أنه يعيد عادات ونشاطات دور القطف والجمع ، واذا ما لعب بحفر الارض وبناء الطواحين المائية ، فهذا يعني انه يعيد عادات ونشاطات دور الزراعة ...

ويرى ميتشل ومزون Mitchell and Mason ان اللعب عبارة عن تعبير عن الذات Self expression . اذ يعتقدان ان الفاعلية او النشاط عبارة عن الحاجة الاولى للانسان ، وان جسده يتلاءم خاصة مع انماط معينة من النشاطات (أو الفاعليات) ، ويعتبر اللعب من الناحية السيكولوجية انجع وسيلة لارضاء هذه الحاجة او الضرورة . ففي اللعب يرضي الانسان تماماً رغباته في الانجاز ، والابداع ، ونوال التحبيذ ، والتعبير عن شخصيته[1].

---

١ – راجع :

Mitchell and Mason : The theory of Play. N. Y, Barnes and Comp. 1937 P. 63 ss.

ومهما يكن من امر هذه النظريات ، ومهما يكن من امر صحتها أو ضعفها ، ومهما قيل فيها من مآخذ ونقد ، فيمكن القول : ان اللعب تعبيرا عن الذات وبعض الحاجات والرغبات ، وتهيئة للمستقبل ، وترويحاً ، وتكويناً للشخصية . وقد الح كل من اصحاب هذه النظريات على مظهر او خاصة من مظاهر (او خواص) اللعب هذه واهمل الباقي .

وقد اتجه السوسيولوجيون المحدثون الى دراسة قيمة اللعب كوسيلة للتفاعل الاجتماعي . لان اللعب ، وخاصة الجماعي ، يهيء للطفل فرصة يحقق فيها مايعجز عن تحقيقه بفرده ، او يرضي حاجته الى الاشتراك في رهط معين ، ويسمح له بتحقيق ـ ذاتي عميق ومتسع ، ويرتبط اللعب ارتباطاً قوياً بثقافة المجتمع وحضارته وتقاليده وعاداته (كما يرتبط بعوامل سيكولوجية وبيولوجية تابعة للفرد كانسان)[٣] .

ولهذا يهتم السوسيولوجيون باللعب كتهيئة لحياة الراشد ، ويرون فيه ، وخاصة في مظاهره الرهطية (او الزمرية) ، تأهيلا اجتماعياً للطفل ، حيث يحس في الرهط « بشعور النحن » ، ويجد فيه دوره ، ويتعلم فيه معنى التكيف والتعارض والتعاون .

أنواع رهط النشاط : نحاول هنا ان نصنف رهوط النشاط . لقد صنف براون رهوط النشاط تحت ثلاثة اصناف ـ معتمداً في ذلك على درجة تنظيمها :

١ ـ **رهوط اللعب الموقتة** (وتوجد لدى الاطفال خاصة) .

٢ ـ **الرهوط المنظمة** او **العصابات** gangs . ويأخذ العصابة بمعنى عام ، يضم تحته العصابات الحقيقية ، والشلات أو العصابات cliques والنوادي الرياضية ويعرف العصابة بقوله : « تدل العصابة على كل نموذج رهط منظم بصورة

---

٣ ـ من أجل بعض معلومات مكثفة عن اللعب راجع :

a) F. J. Brown : Educational Sociology. p. p. 235 — 237.

b) J. S. Roucek and Associates. Sociological Foundations of Education. N. Y. Thomas Y. Crowell Comp. p. p. 261-262

عفوية ، ويعتبر رهطاً اولياً ، ذلك الذي يجمع وجهاً لوجه ، ويملك نماذج سلوك مشتركة ، ووعي تفاعل رهط ـ داخلي ورهط ـ خارجي » .[٤]

٣ ـ **رهوط جمعيات او اتحادات الشباب**: Jouth membership groups

التي تخضع للاشراف العام لمنظمات خدمة الشباب. وتضم مثلاً، الجمعية الامريكية للتربية الانسانية ، وكونجرس الشباب الامريكي ، والصليب الاحمر للشباب الامريكي ، والصليب الاحمر للشباب الامريكي ، وكشاف شباب أمريكا ... (سنعود اليها بالتفصيل ..)[٥]

وقد صنف روسك ومعاونوه رهوط النشاط على اساس العمر ؛ لذا درسوا :

١ ـ رهوط النشاط لدى الأطفال قبل سن المدرسة ،

٢ ـ رهوط النشاط لدى الاطفال قبل سن المراهقة ،

٣ ـ رهوط النشاط لدى المراهقين ،

٤ ـ رهوط النشاط لدى الشباب أو البالغين[٦].

كما صنفها ريني فو R.Fau على أساس العفوية والارادية والاصطناعية ، لذا ذكر النماذج الآتية .

١ ـ **الرهوط الاصطناعية** : وتتولد على اساس قسر خارجي ، ويفرض زعيمها من خارج أعضاء الرهط ، ويكون راشداً دائماً . وأعطى مثالا على ذلك الصف (في المدرسة) والجيش ، ويمكن ان نزيد عليها منظمات الفتوة في بلادنا .

٢ ـ **الرهوط العفوية** : وتتشكل دون قسر خارجي ظاهر ، بل تنشأ لتستجيب لرغبات أو حاجات داخلية ، وقد تكون بدون زعيم (رهوط

---

٤ ـ Brown : opi. Cit. p. p. 222 - 223

٥ ـ من أجل هذا التصنيف راجع : Brown : opi cit : p. p.

٦ ـ راجع : Roucek and Associates : opi. cit. p. p. 124 - 136

النشاط في سن ما قبل الدراسة) وقد يقودها زعيم ، كما في رهوط نشاط سن المدرسة والمراهقة والشباب .

٣ — **الرهوط المتوسطة** : وتملك دائماً زعيما (وهذا ما يقربها من الرهوط الاصطناعية) ، وتستجيب دائماً لضرورات داخلية (وهذا ما يقربها من الرهوط العفوية) . وجعل تحت هذه الرهوط صنفين أساسيين :

أ — **رهوط باعثية** groupes motivés ، ويقودها زعيم مفروض من الخارج أو معين من الداخل ولها وظيفة وهدف : إذ ينتسب اليها الطفل أو المراهق او الشاب ارادياً ليستجيب لحاجة أو اهتمام : كالتخلص من البيئة الاسروية ، أو الحاجة الى العيش مع أطفال من سنه ، أو البحث عن شعور بالطمأنينة ، أو الاهتمام الرياضي ، وتضم هذه الرهوط المنظمات ذات الصبغة العسكرية ، ومنظمات الشباب ، ومنظمات الكشفية . .

ب — **رهوط ارادية** : وتستجيب الى حاجات داخلية فقط ، ولايكون فيها زعيم راشد اطلاقاً . ويدفع اليها عواطف الاهتمام ، والطمأنينة والمعارضة أو المعاكسة . وتجمع اطفالا من نفس السن أو من أعمار متقاربة يهدفون الى تحقيق غرض مشترك : كرهوط اللعب المشترك ، ورهوط الاعتداء على بعض الفئات أو معاكستها ، والرهوط الرياضية على مختلف أنواعها ، ورهوط الرحلات وتسلق الجبال ، واكتشاف الغابات والكهوف ، وانشاء الطواحين المائية الصغيرة أو الخيام ... ويقسم هذا الصنف الى : رهوط ارادية متجانسة وغايتها الاساسية المعارضة) ، ورهوط ارادية ذات اهتمام خاص (رهوط الموسيقى والرياضة) ، ورهوط ارادية ذات نشاطات متعددة (وتضم مثلاً النوادي ، وبيوت الشباب) .[٧]

---

٧ — راجع :

René Fau : Les groupes d'enfants et d, adolescents. Paris. P. U. F. 1952. p. p. 5 — 10 .

أما نحن فسنتقيد بتصنيف روسك ومساعدوه . وهكذا فسنرتكز اولاً على المشتركين في هذه الرهوط ، ولكننا سنهتم ايضاً بنوع تنظيمها ، والهدف من هذا التنظيم :

أولاً — رهوط النشاط لدى الاطفال قبل دخول المدرسة : نعتبر هنا أطفال البلاد التي تملك مدارس . ويمكن ان نعتبر الاطفال في جميع بلدان العالم ، اذا لم نستند على دخول المدرسة كتحديد لهذه الرهوط ، بل على العمر . وفي الحالة الاخيرة يمكن ان نتساءل : هل لدى الاطفال بين الثانية والسادسة (٢ — ٦) رهوط نشاط بالمعنى الصحيح ؟ من الصعب ان نلاحظ رهوط اللعب بين الاطفال الذين لم يبلغوا سن الثالثة بعد . فالأطفال يبدأون عادة باللعب مع امثالهم في سن الثالثة . واذا كان في الاسرة اطفال آخرون ، فإن الطفل يصل الى مرحلة اللعب هذه بصورة اسرع مما يصل إليها اذا كان طفلاً وحيداً مثلاً . ويتوصل الطفل الى مرحلة اللعب الجماعي والرهطي أو الزمري بصورة تدريجية وتبعاً لنضجه الفيزيولوجي والنفسي والاجتماعي ؛ لأن قيام الطفل بدور معين في اللعبة الجماعية ، وانتظاره لدوره ، وتقيده بقوانين اللعب ، وتعاونه وتآزره مع زملائه .. كل هذه امور معقدة بعض التعقيد لا يقوى الطفل على تعلمها دفعة واحدة وقبل سن معينة . وهو يتعلمها بالمحاولة والخطأ والحكم والتقليد والتوجيه الحكيم من قبل الكبار ، وبالعقوبات والنواهي التي يفرضها عليه زملاؤه الصغار كلما أخل بقوانين اللعب الزمري والتعاوني .

وقد رأى البعض ان ما يحول بين الاطفال في سن ما قبل الدراسة ، وبين اللعب داخل الرهوط هو النزعة الإغوسنترية égocentrisme (التركز على الذات) التي تعبر عن نفسها على المستوى الانفعالي بالعدوانية agressivité ، وعلى المستوى الذهني بالواقعية Réalisme . وقد الحت انّا فرويد على عدوانية هذه المرحلة ، واظهرت انها صفة مسيطرة في الطفولة الأولى . وبما ان اللعب الجماعي يقتضي اجتماع اطفال مشحونين بالعدوانية ، لذلك كان من الصعب ان

يلعبوا داخل رهط . كما ان الواقعية تشكل عائقاً آخر ، يمنع تشكيل رهوط اللعب لدى الأطفال في هذه السن ، لأن طفل هذه المرحلة لا يعرف سوى ذاته ، ويبدو عاجزاً عن تمييز «ذاته» عن « ذات » الآخرين ، وعن العالم الآخر . وقد اظهر بيشون Pichon ان محادثة تجري بين عدة اطفال صغار هي في الواقع سلسلة من المناجيات الذاتية **المتقارنة** Monologues juxtaposés [٨] .

ولكن الملاحظة الواقعية تعارض هذه الاقوال وتظهر أن رهوط اللعب ، لدى اطفال هذه المرحلة ، عبارة عن ضرورة مسيطرة ، وترتبط بحاجة أساسية . وليس من المستبعد أن نرى ، حتى بين سن الثانية والثالثة ، تشكل رهوط لعبية صغيرة جداً مؤلفة من فردين أو ثلاثة ، لا تدوم أكثر من دقائق معدودات ، إذ تظهر العدوانية بينهم بسرعة . إذ قد يشتهي جميع أطفال الرهط نفس اللعبة فيتخاصموا عليها ، أو قد يسحق أحدهم لعبة الآخر برجله وعن قصد . وفي الحالات الملائمة يلعب كل طفل منهم بمفرده غير آبه بالآخرين لزمن ما ، تبدأ المنازعات بعده . ويرتبط ، في الواقع ، وجود الرهط اللعبي في هذه السن بتدخل الراشد المستمر وخاصة الأم أو من يحل محلها . إذ على الراشد أن يفض المنازعات ويهدىء الخواطر ، ويعطي كلاً ماله . فالرهط يتكون بفضل الراشد . ولهذا يمكن القول : لا يوجد في هذه السن رهط بالمعنى الصحيح لأن الطفل الصغير تابع للراشد ومتثبت به .

ولكن يتغير الامر منذ السنة الثالثة ؛ ومنذ الرابعة نرى تكون رهوط لعب مؤلفة من ٤ او ٦ ، وفي بعض الأحيان ، ١٠ أطفال ، ويظهر هذا في « رياض الأطفال » وفي أماكن « رعاية الأطفال » . ويبقى تدخل الراشد أحياناً ضرورياً لتكوين هذه الرهوط ... ففي رهوط الاطفال هذه تظهر الأوامر : « إفعل هذا » و « أعطني هذا » ... وبعد الرابعة يظهر لدى الاطفال الامتعاض أو عدم التحبيذ الذي يدل على ظهور درجة معينة من التأهيل الاجتماعي ،

---

٨ – راجع : Ibid; : p. p. 11 — 12

لأن الطفل يهتم بما يقوم به جاره . وفي السنة الخامسة او السادسة يأخذ الطفال الرهط بتبادل النصائح . ومن هنا نلاحظ ان الطفل انتقل شيئاً فشيئاً من نزعة فردية individualisme عدوانية محضة ، إلى شيء من التأهيل أو التبيؤ الاجتماعي يحقق معه وجود أفراد متميزين عنه ، ويسمح لهؤلاء الافراد أن يوجدوا معه . فهل يجوز لنا هذا التبيؤ الاجتماعي الأولي ان نتكلم عن رهط بالمعنى الصحيح ؟

لقد قامت ميري ل . نورشوي M. L. Northway بتجارب هامة . إذ جمعت ١٤ طفلاً في عمر الرابعة في صف « مدرسة أمومة » ليلعبوا بألعاب إنشاء . وطلبت إلى كل منهم ان ينتقي رفاق لعبه . فلاحظت ان احد الاطفال انتقي ٩ مرات ، وثلاثة منهم لم ينتخبهم أحد إطلاقاً . فاللعب هنا لا يقوم على الصدفة بل على الانتقاء والانتخاب . وقد لاحظت المؤلفة ان هذا التفضيل في الانتقاء ثابت مع الزمن . إذ شكلت المؤلفة ثلاث ألعاب مختلفة وطلبت الى كل طفل أن ينتقي رفيقين لكل من هذه الالعاب . وقد رددت التجربة ٤ مرات وعلى أيام متباعدة . فلاحظت نتائج ثابتة بشكل ظاهر . وينطبق هذا الثبات على الاطفال الذين اختيروا أكثر من سواهم ، وعلى اولئك الذين انتقوا أقل من الباقين . فالطفل الذي انتقي ١٠ مرات في التجربة الاولى ، ينتقى بنفس النسبة تقريباً في التجارب التالية . اما الطفل الذي لم ينتخب سوى مرة أو مرتين فإنه لن ينتخب بنسب أقوى في التجارب التالية . ولا يمكن ان نلاحظ طفلاً انتخب مرة واحدة في التجربة الاولى و ١٠ مرات في التجربة الرابعة . واكثر تغير يلاحظ لدى الاطفال الوسط : فالطفل الذي انتخب ٤ مرات في التجربة الاولى لا ينتخب في التجربة الثانية ، وينتقى ٣ مرات في التجربة الثالثة ، ومرتين في التجربة الرابعة . وقد استنتجت الباحثة الكندية نتيجتين : أ) ان رهوط اللعب حقيقة واقعة لدى الأطفال في سن ما قبل المدرسة ؛ وهي رهوط لا تقوم على الصدفة بل على **الاختيار والانتقاء** ، وهي ايضاً رهوط عفوية . ٢ً) يرتبط تشكيل هذه الرهوط الأولية بصفات فردية يملكها الأطفال الذين يشكلونها .

لأن شخصية الطفل في سن الرابعة أو الخامسة أو السادسة تملك عناصر ديناميكية تتدخل بشكل فاعل في هذا التشكيل. إذ يظهر فيها اطفال جذابون ، وآخرون منفرون ، وآخرون متوسطون بين هاتين الحالتين . فمنذ هذه السن تظهر شخصية القائد او الزعيم Le chef ، وشخصية التابعين وشخصية المنبوذين outsiders .

فمن هم الاطفال الذين ينتقون كزعماء بالقوة ؟ لاحظت المؤلفة الكندية أن الاطفال الذين ينتقون اكثر من سواهم هم غالباً اكبر الاطفال وأكثرهم ديناميكية ايضاً ، هم اولئك الذين يتكلمون اكثر من الباقين ، ويظهرون فاعلية اقوى ومبادهة اكثر . فدرجة القبول الاجتماعي تكون اكبر كلما أظهر الطفل طاقة اكثر . (٩)

الدافع إلى هذه الرهوط : هناك دوافع وعوامل تدفع الى تشكيل هذه الرهوط اللعبية . انها تظهر بشكل صحيح منذ الرابعة فقط . وقد ألح البسيكاناليزيون على ازمة السنة الرابعة . إذ يصبح الطفل في هذه السن مستقلاً جسدياً عن أمه ، ولا يبقى تابعاً لها في إرضاء او إشباع حاجاته الاولية ، ومنذ هذه السن تقوى تجمعيته Sociabilité لأنه حرر أو أطلق شيئاً من الامكانية الانفعالية . ولكن هذا الانفصال الجسدي عن الأم ، هذا البدء في التحرر ، تجعل طفل السنة الرابعة غير مطمئن و « أعزل من السلاح » . فيعاني حاجة الى الملجأ **والسند** Refuge et appui ، يجدهما في الرهط . ويجب ألا ننسى ان هذه الازمة التي تظهر في الرابعة ترتبط بدفعة من العدوانية والمعارضة للوسط الأسروي . فيدعم الرهط هذه المعارضة ، ويتحمل شيئاً من الشعور بالإثم الذي يضغط على الطفل خلال هذه الأزمة . فتشكيل الرهط اللعبي (اوالرهط عامة) في مرحلة ما قبل المدرسة عبارة عن حادثة عفوية تستجيب لحاجة سوية

---

٩ – راجع :

M. L. Northway : Social relations among children of pre - school age. in Sociometry. No 4. Novembre 1943 .
— Outsiders. in Sociom. Vol. VII No 1 . 1944 .

هي حاجة السند في الصراع الغامض الذي يقوم به الطفل ليتحرر من العلاقات الأمومية ، ويمثل مرحلة اساسية في التأهيل الاجتماعي للعدوانية الأولية . وكلما كان التطور العاطفي للطفل اكثر سوية كان تكيفه مع الرهط اعظم واقوى . فالرهط اللعبي في هذه المرحلة يستجيب الى حاجة مزدوجة انفعالية وعاطفية . [١٠]

وتستجيب هذه الرهوط لحاجة الطفل الى اللعب وتأكيد ذاتـه ، وفرض شخصيته ، والتعبير عن فاعلياته الجسدية والنفسية ، وحاجته الى الطمأنينـة ، والخبرة الجديدة ، والتعرف على ما حوله من اشخاص واشياء . ويرى براون ان « الفاعلية (او النشاط) ذاتها هي الاساس لتنظيم رهط اللعب . » [١١]

وتتشكل هذه الرهوط عندما تكون الحواجز في سبيل تشكيلها ضعيفة ، وعندما تسيطر الاهتمامات المشتركة . فالجوار يعتبر عاملاً هاماً في تشكيلها : إذ يخرج الطفـل من منزله ويجد امامه اولاد الجيران وهكذا يشترك معهم في اللعب . وقد درست الآنسة ويسليتزكي Wislitzky . بعض اطفال « رياض الاطفال » في فيينا فبرهنت على ان هذه الرهوط تتشكل على أسس ثلاثة رئيسية : الاهتمام بنشاط او فاعلية ، الاهتمام بشيء او هدف معين ، والتعاطف المتبادل : تشكل ٤٦٪ منها على اساس الاهتمام بفاعلية (او نشاط) اثارها احد اعضائها ؛ وقام ٤٣٪ منها على اساس هدف او شيء معين ارادوا ان يحققوه او يلعبوا به . وقام ١١٪ منها على اساس الرفقة او التعاطف المتبادل . [١٢]

مميزات هذه الرهوط : تتميز رهوط هذه المرحلة بالمميزات الآتية :

---

١٠ – راجع :

Dublineau : L,enfant de 3 ans et la crise de Personnalité in Evolution Psychiatrique. Sept-oct. 1947 .

١١ – F. J. Brown : Educational Sociology. p. 220

١٢ – من أجل أفكارها راجع :

P. Pigors : Leadership or Domination : Boston. Houghton Mifflin Comp. 1935 — p. 175 .

١ انها رهوط عفوية ؛ ٢ - صغيرة الحجم ؛ ٣ – ينقصها التنظيم ؛ ٤ - لها صفة خيالية ظاهرة : اذ يكفي اقل ايحاء ليقلب دور احد اعضائها من طبيب الى لص ، او الى بائع ؛ ويمكن ان تصبح الدجاجة نمراً مفترساً ...

٥ – المشاركة الحرة دون تمييز قائم على اساس الجنس (ذكور واناث) ، او على اساس المستبقات الطبقية (اغنياء وفقراء) او العرقية (بيض وسود) .. دون تمييز ولا احتقار ولا ازورار .. [١٣]

٦ - تتشكل على اساس تجانس العمر : يلعب الاطفال من عمر واحد مع بعضهم ...

٧ – لاتدوم فيها الزعامة في شخص واحد بل تنتقل إلى آخر ، وهذا عائد إلى عدم الوعي والاعتراف بالتنظيم الثابت [١٤].

٨ – تظهر فيها المعارضة والخصومة ولكنها لاتدومان طويلاً . إذ يظهر فيها النزاع بشكل سريع مخلفاً وراءه التعاون والتآزر والتفاهم .

٩ - الاهتمام قصير الامد ، وهكذا فاستمرار النشاط تابع للرهط ، ويتبدل بتبدله [١٥] .

ثانياً : رهوط النشاط في مرحلة ماقبل المراهقة (٧ – ١٢ أو ١٣) :

ان لهذه المرحلة من العمر أهمية كبرى في حياة الطفل . لأن الطفل يدخل هنا في مرحلة التبيؤ الاجتماعي بشكل واضح . فان كان يعيش في بيئة «بدائية»

---

١٣ – راجع :

Charlotte Buhler : The Social Behavior of Child; in C. Murchison : Handbook of Child Psychology. 1931 p. p 392 - 431

١٤ – راجع :

a) Ch. Buhler : opi. cit. p. p, 401 ss .

b) Pigors : opi. cit, p. p. 177 — 178 .

١٥ – راجع :

a) F. J. Brown : op. cit. p. 220

b) Roucek : op. cit. p. p. 124 — 127

أولية فإنه يأخذ منذ هذه المرحلة ، بالانخراط في مجتمعات الكبار ، ويتحمل بعض مسؤولياتهم (كأن يساعد والديه في جمع الاعشاب أو الزراعة الأولية ، أو رعي الماشية ...) . وإن كان يعيش في بيئة متحضرة فإنه يدخل المدرسة . ودخوله المدرسة يعني بالنسبة إليه أصدقاء جدداً ، وأفكاراً جديدة ، ومواقف جديدة ، وراشدين جدداً (المعلمين) ، وأساليب تعامل جديدة تختلف عن تلك التي ألفها في البيت ، وخبرات جديدة (علمية وأخلاقية واجتماعية ونشاطية) .

وتنمو لغة الطفل وتصبح دقيقة بعد تعلمه القراءة والكتابة . ويساعد هذا على أن يكون أكثر استعداداً وجدارة للقيام بدوره الخاص في حياة الرهط وبهذا يصبح « تلميذاً جيداً » ، أو « رفيقاً صالحاً » ، أو « محارباً حاذقاً » ، أو « رئيس ناد عظيماً » ...[١٦] ويجد الطفل نفسه في جو اجتماعي جديد (جو المدرسة) فيه المنافسة والمعارضة والكراهية والحسد والغيرة والزمالة والرفقة والصداقة ، والجد والقسر (سنعود إلى هذا بالتفصيل في فصل قادم) . وهكذا يجد نفسه أمام تكيفات وتلاؤمات جديدة ... ويجب أن نلاحظ إن هذا المرحلة تتميز بالكمون الانفعالي سواء من الناحيتين الفردية أم الاجتماعية ..

ولهذا لاحظ بعض الباحثين أن الرهط يتأثر بهذا الكمون . ويتخذ الرهط ثباتاً معيناً ولكن يكون غالباً بين طفلين يستمر بينهما من عام إلى آخر . ويعود هذا إلى عامل التكميل Complémentarité (يشعر كل منهما إنه يكمل الآخر أو أن الآخر يكمله) ..

وإذا أصبح الرهط أكبر من هذا فلأنه يتشكل من أجل نشاط لعبي . وهنا تظهر لدينا أفرقة Équipes اللعب . وتصبح هنا الرهوط منظمة تنظيماً لابأس به وتخضع نوعاً ما إلى زعيم ؛ ويقيد الاعضاء فيها بقواعد معينة ، وتنظيمات

---

١٦ – من أجل أثر اللغة على هذه الناحية راجع :

Kimball Yong : Personality and Problems of adjinstement. N. Y. 1940 chop. VIII. ixond X.

محددة ، وكل من يشذ عنها يؤنب أو يطرد . وهنا يمكن ان نرى رهوط اللعب المعروفة : كلعبة الأسير ، ولعبة الدجاجة وفراخها والشوحا ، ولعبة تحتك بيضة قيق قيق ، ولعبة الطابة ، ولعبة القواميع ، ولعبة الخراف والذئب والراعي ، ولعبة الفوليبول (في نهاية هذه المرحلة) .. وهنا يخضع الأطفال للقواعد ويتعاونون لان العدوانية تدخل أيضاً في مرحلة كمون ، وإن ظهرت بشكل واضح فبين طفلين خاصة .. وقد ينقسم الأطفال إلى رهطين متعاديين ولكن هذين الرهطين لايدومان زمناً طويلاً كما في مرحلة المراهقة ، حيث تظهر العصابة gang (لدى الصبيان خاصة) والشلة أو العصبة Cliques (لدى البنات خاصة) .

وتظهر في هذه الرهوط ، وخاصة منذ العاشرة حتى الثالثة عشرة ، التمييزات بين الذكور والإناث وتظهر فيها المواقف التعصبية المشحونة بالمستبقات القائمة على أساس العرق ، والقومية ، والوضع الاقتصادي ، والدين (في بعض الأحيان) . وهكذا تضم هذه الرهوط ، في نهاية هذه المرحلة ، الصبيان فقط ، وأبناء الأغنياء فقط ، أو أبناء الفقراء فقط ، والبيض فقط أو السود فقط . . . فالمستبقات الاجتماعية تبدأ بالتعبير عن نفسها بعد السنة العاشرة وتظهر بشكل واضح لدى الأطفال في رهوط لعبهم وفي جلوسهم على المقاعد بقرب بعضهم البعض (سنعود إلى هذا البحث في فصل قادم) .

وهنا يصبح الرهط احياناً مستقلاً في تنظيمه عن النشاط . ويتمكن من من تحديد وانتقاء النشاطات المختلفة التي يجب أن يقوم بها او يشترك فيها [١٧] . ولاتتشكل هذه الرهوط في اساسها بشكل عفوي . بل يشرف عليها الراشد في البدء ليعلم افرادها اصول اللعبة التي ينتظم الرهط من اجلها . ولكن بعد ان يتعلموها يصبح قائدها او زعيمها من داخلها . وتتخذ طابعاً ارادياً وعفوياً ، وقد تتخذ طابع الرهوط المتوسطة ، كما في منظمات الكشفية للجراميذ مثلاً . .

---

١٧ – راجع : Brown : op. cit. p. p. 220 — 221

الصفات الغالبة لهذه الرهوط : مما تقدم يمكن ان نقول بان رهوط هذه المرحلة تتصف بالمميزات التالية :

١ – انها اكثر ثباتاً من رهوط المرحلة السابقة ؛ ٢ – يظهر فيها الاصطناع والارادة أكثر من ذي قبل ؛ ٣ – يظهر فيها الزعيم بشكل واضح ؛ ٤ – يظهر فيها الاستقلال : أي ان الرهط لا يخضع للنشاط ، بل هو الذي يحدد نوع النشاط ؛ ٥ – تصبح أعقد تنظيما وأكثر تقيداً بالقواعد والأنظمة ؛ ٦ – يظهر فيها التمييز على أساس العرق والطبقة والقومية والدين (في بعض الأحيان) والجنس ...

فوائد رهوط اللعب : لرهوط اللعب هذه في المرحلتين السابقتين فوائد جمة ، نذكر منها ما يلي :

١ – انها جزء من عملية التعلم : لأن الطفل يكتشف فيها كثيراً من نواحي الحياة ، ويكتسب فيها خبرات جديدة عن نفسه ، وعن غيره ، وعن العالم الذي يعيش فيه .

٢ – تساعد على اكتشاف ميول الطفل واستعداداته : لأن الطفل عندما يشترك في ألعاب جماعية يزداد فهمه لطبائعه وميوله ، ونوع العلاقات التي تسره ، ويدرك مدى قوته وقوة شخصيته ، وكذلك يدرك المشرفون عليه من الراشدين استعداداته وقيمته وفاعليته ..

٣ – منافذ للتنفيس عن التوتر : إذ يجد الطفل فيها وسيلة للتعبير عما يخالج نفسه . ففي هذه الألعاب « تتاح ، كما تقول فرجينيا م أكسلين في كتابها « اللعب كوسيلة للعلاج » ، للطفل الفرصة كي يطلق العنان لشعوره المتراكم بالتوتر والصد وانعدام الأمن (او الطمأنينة) والعدوان والخوف والحيرة والاضطراب »[١٨] .

---

١٨ – نقلا عن : جان شك جروسمان وايداليشان : كيف يلعب الأطفال .. للمتعة والتعلم . ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ٢١–٢٢

فهؤلاء جماعة من الأطفال في مدرسة الحضانة ينظمون ويمثلون طائرة او دمية محطمة : انهم يستمتعون بمحاكاتهم للكبار ، ولكنهم في الوقت نفسه ، يحاولون ان يقفوا على الأسرار الغامضة التي تكتنف الحياة والموت . والأطفال الذين جربوا الخوف الحقيقي من أن يحرموا من الحب او يتركوا لوحدهم ، او من ان تبتلعهم حيوانات مفترسة ، او يختطفهم رجل شرير ، يزدادون قدرة على السيطرة على مخاوفهم حين تتاح لهم الفرص للتعبير عنها في اللعب .

فالطفلة بث « Beth » التي تخاف من الظلام وتريد ان يترك النور في حجرتها اثناء الليل ، تمثل رواية « الأسرة » مع بعض الأطفال وتقوم بدور الأم فتهمس لطفلتها وهي ترقدها مؤكدة أنه « ليس هناك ما تخافين منه ، فهي حجرتك والنور مطفأ ، وبابا وماما في الحجرة المجاورة » . وعند ذلك تشعر « بث » نفسها بالطمأنينة .

وقد يعاني الأطفال مخاوف أخرى تتعلق بالولادة والموت والرعد ... ويمكن ان يساعدهم اللعب التمثيلي الجماعي على التغلب عليها ويمكن ان يقتبع اللعب الجماعي منافذ يرضى المجتمع عنها لمشاعر الغضب والغيرة والعدوان ..

واذا لاقى الطفل عنتاً من انفعالاته فإن اللعب التمثيلي يتيح له الفرصة ليعبر فيه عن بعض هذه المشاعر البغيضة دون ان يثقله النوم او الشعور بالاثم او الذنب ، ويجد في هذا اللعب تعبيراً يوضح مشاعره المختلطة والمهوشة [٩١] .

ويعتبر فرويد أول من انتبه الى قيمة اللعب في التعبير عن كوامن الشعور . اذ يعتقد ان الأطفال يعبرون في لعبهم عما يعجزون أحياناً في التعبير عنه بالفاظهم : وخاصة فيما يتعلق بالمخاوف والقلق وعدم الاطمئنان والعقد النفسية ..

٤ – **وسيلة للعلاج** : ومن الفقرة السابقة ندرك ان رهوط اللعب يمكن ان تفيدنا في علاج بعض الحالات والأمراض النفسية واكتساب كثير من الخبرات الجديدة . ومن هنا جاء استعمال « رهوط العلاج » groups therapy

---

١٩ – راجع المصدر السابق ص ٢٢–٢٤

في مداوة كثير من الشذوذات والاضطرابات النفسية . ويعالج فيها الأطفال الذين يحملون عدوانية قوية وتهديمية نشطة ، ويهملون المجتمع بانسحابهم منه . وعلاوة على هذا تأكل أنفسهم مخاوف فائقة ، يعوضون عنها بسلوك **لا اجتماعي** او **ضد اجتماعي** ، وعند ذلك يتعرض هؤلاء الأطفال لضغط وأحكام مختلف الوكالات او المؤسسات الاجتماعية . وما يتطلبه هؤلاء الأطفال هو ملجأ ، او مأوى أمين ، يأوون اليه ليضمهم بين جنباته ، ويغدق عليهم العطف والرعاية ، ويهيء لهم جواً صالحاً يستطيعون فيه ان ينفسوا عن ميولهم الشاذة والمنحرفة . وكانت رهوط النشاط خير وسيلة لمداواة مثل هذه الحالات الشاذة .

ومن هـذه الوسائل التي استعملت البسيكودراما Le psychodrame التي وضعها موريتو Moreno . وتستلزم من الاشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية او الخلقية اوالعصابات وحتى الذهانات أن يمثلوا على مسرح مفتوح اموراً من حياتهم الشخصية ؛ وعندما يمثلون هذه الامور ويحيونها فإنهم يبرأون منها.

فإذا مثل الطفل القاسي او المخرب او العدواني ، ادواراً من حياته هذه ، فإنه يشعر بعد مدة ، وتحت اشراف المختص بالعلاج ، بتحسن ظاهر في حـالته غير السوية (٢٠) .

كما أسس لوبوفيتشي lebovici والسيدة دريفوس Dreyfus تحت اشراف الاستاذ هوير Heuyeur المسرح — العلاجي Théatro - thérapie ، حيث يجد الطفل على المسرح بيئة أوسروية مثالية ، يمثل فيها الأطفال الآخرون الأخوة والأخوات ، كما يمثل الطبيب المعالج والسيدة دريفوس بالنسبة للطفل الأبوين ، لهذا ينقل اليهما حقده على والديه ويخف بهذا ما يعـانيه من عدوانية وحقد . ولكنه من جهة ثانية يجد فيهما تعويضاً لما يجب ان يكون عليه الوالدان.

---

(٢٠) راجع :

Guy Palmade: La Psychothérapie. P.U.F. Paris 1951. p.p. 102-104

اذ يجد فيهما والدين مثاليين يحبانه حباً غير مشروط : يحبانه لذاته وليس لما يقوم به من اعمال او افعال . وبهذا تخف المزاحمة والمنافسة على حب الوالدين، ويتخذ الطفل الحرية في التعبير عن نفسيته داخل الرهط . فالمبدأ بالنسبة للأطباء المعالجين هو ان يعيشوا مع اطفال رهطهم كما يجب ان يعيش ابوان مثاليان خاليان من الاضطرابات العصابية وصالحان وواعيان . وبهذا يتوصل الطفل ، الذي يشعر بأنه مقبول تماماً ، الى التكيف مع وضعه العائلي ، وبالتالي الى التخلص مما يعانيه من اضطراب وتشويش باقامة علاقات اجتماعية سوية مع أطفال رهط اللعب الذي يهيؤه المعالجون له [٢١] .

وقد اسست رهوط تجديد التربية Groupes rééducatifs وهي رهوط علاجية ايضاً ترتكز على ثلاث ظواهر اساسية : القبول والعدوانية والتبيؤ الاجتماعي . فالطفل الشاذ يريد ان يكون مقبولاً من الآخرين . ولهذا يرضي هذا الميل بدخوله رهط العلاج . كما ان عدوانية الطفل تخف حيث تجد منصرفاً سوياً لها . ويتم داخل هذا الرهط التبيؤ الاجتماعي للطفل ، لأنه عندما يشعر بانه مقبول ، وعندما يتخلص شيئاً فشيئاً من عدوانيته غير السوية ، يتقبل قوانين وقواعد واوامر الرهط الذي يعيش فيه ويتكيف مع حياته . ولهذا أُسست رهوط مدرسية لتجديد التربية . لأن الطفل عندما يضم الى صف سليم من النواحي النفسية والأخلاقية ، فإنه يتخلص شيئاً فشيئاً ، داخل هذا الجو الاجتماعي السليم وتحت اشراف المعلم المختص ، من شذوذاته السلوكية . كما استخدمت الرهوط الكشفية ، وحركات الشباب لمعالجة العدوانية والتخفيف من حدتها .[٢٢]

٥ – **وسيلة للتربية والتعليم** : وقد استخدمت رهوط اللعب كوسيلة

---

٢١ – من أجل معلومات موجزة راجع :

a) Ibid; : P.P. 104-106

b) R. Fau: op. Cit : P.P. 120-123

٢٢ – راجع : R. Fau : op. Cit : P.P. 105 106 et 116 — 120

للتربية والتعليم واكتساب الخبرات الجديدة . وخير مثال على ذلك « رياض الاطفال » التي يتعلم فيها الاطفال عن طريق اللعب المنتظم الذي تشرف عليه مربيات مختصات بشؤون الاطفال والتربية . وكذلك يستخدم بعض الوالدين والمربين هذه الطريقة حتى مع اطفال مرحلة التعليم الاولي . وقد لاقت نجاحاً قوياً لما أعطت من نتائج طيبة في النمو الجسدي والنفسي للاطفال .

٦ – **وسيلة لنمو الشخصية والتكيف والتبيوء الاجتماعي** : إذ يتعلم الطفل داخل رهوط اللعب التعاون ، والمنافسة الشريفة ، والتقيد بالقواعد والاوامر التي تفرضها الجماعة ، كما يتعلم فيها لغة الجماعة ، ويدرك خلالها الفرق بين الرهط الأسروي ورهط الطفل . ويختبر بهذا التعارض القائم بين – الرهوط . كما يتعلم الطفل داخلها كيف يقوم بأدواره سواء أكانت أدوار قيادية أم تابعية ، ويكتسب قيم الرهط ، ويتعرف على قيمة الضبط الاجتماعي والمنافسة على المركز والحظوة ...[٢٣]

وهكذا تؤلف رهوط النشاط ، عامة ، وبالنسبة للطفل والمراهق « وسائل إدخال » الى حياة الرهط الواسعة ، أو المجتمع الكلي . وتفعل هذه الرهوط فعلها أيضاً كقوى تساعد على امتداد وانتشار واتساع شخصية الفرد ، وما يكتسبه الطفل فيها خلال طفولته من زمالات ورفاقات وصداقات يعتبر هاماً جداً في تكوين الشخصية .[٢٤]

ثالثاً – رهوط النشاط في المراهقة (١٤ – ١٨) : الرهوط المنظمة :

تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة هامة جداً في تطوررهوط النشاط واللعب . اذ تعمق تجربة الفرد نوعاً ما ، وتتكون شخصيته بعض التكون ، ويتخذ تفكيره وأحكامه خطوة نحو النضج ولو الاولي . ولهذا تنتظم رهوط النشاط

---

٢٣ – راجع : F. J. Brown : of. Cit. P. 221

٢٤ – راجع :
Roucek and al..: Sociological Foundations of Education. P.137

لدى المراهق ، انتظاماً قوياً فيه ثبات حقيقي وواضح .

وتعتبر دينامية الرهـط لدى المراهق مشحونة بالمعـارضة أو التعارض والعدوانية . وتسيطر هذه الرغبة في المعارضة والعدوانية على المراهـق . فاذا خضع لها اندفع بكامله نحو رهوط النشاط ، واذا قاومها فانه يلجأ الى عزلة متعالية وبائسة : وهو في كلا الحالين خاضع لهذه الرغبة .

وهناك عوامل كثيرة تدفع المراهق الى تشكيل رهوط النشاط سنمر على اكثرها في هذا الفصل . ولكن العامل الرئيسي هو محاولة المراهق التحرر من الحلقة الاسروية (أو البيئة الاسروية) ، ولكنه لا يجـد بيئة أخرى يعيش فيها . ذلك لان المجتمع الحديث او الراقي قسم الناس الى اطفال وراشدين ونسي المراهقين . ولهذا تبقى الاسرة كافلة للفرد حتى الثامنة عشرة أو العشرين في بعض الاحيان . وهكذا يجد المراهق نفسه تابعاً وخاضعاً للاسرة في مرحلة يشعر فيها بضرورة التحرر والانعتاق وتكوين شخصية مستقلة وآراء مستقلة .

ملاحظة :

ينطبق هذا القول على المجتمعات الحديثة ، ولا ينطبق على المجتمعات الاولية التي يعمل فيها المراهقوق ويستقلون بعملهم عن اسرتهم ، ويتزوجون ويصبحون كافلين لاسرة منذ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة . وقد اولتهم هذه المجتمعات قيمه كبرى ؛ ويظهر هـذا في حفلة الدخول او التأهيـل Cérémonies - d'initiation التي تدخل المراهق الى حياة الجماعة واسرارها وشؤونها ، وتجعله يشعر برجولته واستقلاله ونضجه .. (انتهت الملاحظة) .

ويجد الاسرة امامه محافظة ونكوصية ، لهذا يحاول ان ينعتق منها ومن اوامرها وقسرها . ولكنه لا يتمكن من ذلك لان الاسرة تملك ضده سلاحاً رهيباً هو « الشعور بالإثم » . وبهذا يشكل الرهط بالنسبة اليه المنطلق الوحيد . فهو بعدم اهتمامه جزئياً بالاسرة ، وعجزه عن ان يجد بيئة تقبله ، يريد الرهط ويخلقه . انه عاجز عن تأكيد ذاته ، لهذا يحتاج الى مادة يقولها ، والى منصة

او منبر يعبر عن ذاته من عليها ؛ ويهيء له الرهط تلك المادة وهذه المنصة . انه في حرب مع ماضيه ، ويجد حليفاً له في الرهط . إنه ايضاً مسحوق بشعور اثم ، وعبد ، وثائر ولكنه وجل ، لهذا فهو في حاجة الى مثال ليشجعه ، والى سند سحري ليطمئنه : ويجد كل هذا في الرهط. لهذا يطرح المراهق فيه كل ديناميته العاطفية والذهنية . ويذهب بعض المؤلفين ان القول : ان دينامية الرهط تنشأ لدى المراهق مع الخلافات الاسروية ، وتموت بموتها .(٢٥)

الصفات العامة للرهط في المراهقة : تتميز رهوط المراهقة بالمميزات الآتية :

١ – **إنها رهوط مشحونة بالعدوانية** : ذلك لان الطفل يريد ان يحقق استقلاله ؛ لذلك يحتمي تحت عدوانية الرهط فيتوصل الى تحقيق استقلاله في جميع النواحي :

أ – **يحقق استقلاله الفكري**: لانه يجب ان يتحرر تماماً من واقعية طفولته ، ويتعلم ان يحكم على الاشياء والناس **بمعايير موضوعية** ؛

ب – **يحقق استقلاله الاخلاقي** : لانه يجب ان يحكم ، الآن ، على الخير والشر أمام « محكمته الداخلية » دون ان يرهب عقاباً ، ولا يرجو ثواباً ،

ج – **ويحقق استقلاله الانفعالي او العاطفي** : انه يجب ان يتحرر الآن من القيود الاسروية ، لان نموه الجنسي يدفعه نحو شخص آخر هو : « الحبيبة » أو « فتاة الاحلام » . فالمراهق يبحث عن تحقيق استقلاله ويجد ذلك في الرهط. ولكن التكيف مع الرهط يعتبر امراً انتقالياً وعابراً. ذلك لانه عندما يحقق استقلاله يترك الرهط ويهجره . ويدفعه امر آخر الى ترك الرهط هو النضج الجنسي . لان جنسيته الفردية ولا مثلية الجنس hétérosexuelle تدفعه الآن الى الجنس الآخر ، وتعارض بعنف الرهط الذي يعتبر في اساسه جماعياً ومثلي الجنس homosexuel .

٢ – **انها رهوط مشحونة دائماً بالمعارضة** .

---

٢٥ – راجع : R. Fau : op. Cit. P.P. 25-28

٣ – **انها رهوط تحمل دائماً بذور الخلاف او التصارع** : انها في خلاف مع الاسرة ، ووجودها يعبر عن الصراع مع الاسرة؛ ووجود بعضها الآخر ، (كالعصابة) يعبر عن الصراع مع المجتمع والخروج عليه ...

٤ – **انها بعكس الرهوط المدرسية وما قبل المدرسية ، رهوط غير شاملة وغير ضرورية** ، وعابرة . ذلك لان الطفل يكتسب أقوى عناصر شخصيته قبل المراهقة وفي حياته المدرسية او الاكتسابية في المؤسسات الاخرى . لذلك قد يتمكن من الاستغناء عن هذه الرهوط ، وخاصة في المجتمعات الاولية ، التي يتزوج فيها الانسان مبكراً (في الرابعة عشرة أو قبلها احياناً) ، ويتحمل اعباء الاسرة ، والعمل في سبيل كفالتها ...[٢٦]

٥ – انها رهوط منظمة تنظيماً قوياً .

٦ – انها رهوط تستلزم زعيما او قائداً .

٧ – انها رهوط يختلط فيها الطابع العفوي بالطابع الاصطناعي ، والطابع الارادي والطابع المتوسط ... (سنرى هذا حالاً) .

انواع الرهوط في المراهقة : يمكن ان نصنفها تحت صنفين رئيسيين :

١ً) الرهط لدى المراهق المتكيف سابقاً ٢ً) الرهط لدى المراهق غير المتكيف ..

١ً) **الرهط لدى المراهق المتكيف سابقاً** antérieuremenf adapté : نجد لدى المراهق ، الذي تكيف سابقاً مع الرهط المدرسي ورهوط النشاط في مرحلة الدراسة أي مرحلة ماقبل المراهقة ، **طريقين** لحل ازمة المراهقة والتوصل الى الاستقلال الداخلي (بأي وسيلة كانت) : الاولى طريق الطفولة المطالة ، والثانية طريق المراهقة الحقة في صيرورتها الى التفرد . individualisation . فلنبحث في كل من هذين النوعين من الرهوط .

أ – **الرهط الطفولي المطال او الممدد** prolongé : يستمر المراهق في

---

٢٦ – راجع : Ibid , : P.P. 43 - 47

الانتساب الى رهوط ما قبل مرحلة المراهقة ؛ فهو يظل في المدرسة الاعدادية والثانوية ما كانه في المدرسة الابتدائية . إنه يستمر في الانتساب هذا اذا كان في شعب يعرف المدرسة ، أما اذا كان في شعب « أولي » فإنه يستمر في حياته وكأنه لا يزال طفلاً . . أما في الحالة الاولى فإن المراهق يعقد ، بعض الاحيان ، علاقات مع رهوط ـ صغرى مدرسية لها طابع طفولي : رهوط ـ صغرى لعبية او ضوضائية موقتة وبدون دينامية .

ويظل موقفه بالنسبة للمدرس ، او رئيس الرهط التربوي الذي هو الصف ، كموقف الطفل : انه موقف مكون من الخضوع ، والاحترام ذي الطابع السحري ، وفقدان كل جهد حكم او مناقشة شخصية . .

ويتبنى ، بعض الاحيان ، تجاه المدرس موقفاً ظاهراً من الثورة أوالوقاحة ؛ ولكنه يبقى حتى في هذه الحالة ، طفولياً في جوهره : انه يضج او يشوش على المدرس الذي اعتاد التلاميذ ان يضجوا ويشوشوا عليه ، وثورته الكلامية لاتظهر الا اثناء الفرص . انه يقلد رفاقه الاكبر منه ، ويحاول ان يغش ويخدع ولكنه يبقى في اعماقه الداخليه خشياً وخاضعاً . ولا يظهر لديه اي اخلاص بالنسبة للرهط ، ويبقى غالباً واشياً او وشاءاً .

ونجد بين هؤلاء المراهقين الاطفال صنفين من الناس :

العصابين القلقين Les névropathes anxieux الذين يملكون ذاتاً عليا طفولية .

مفرطي الحيوية والطاقة Les sthéniques : الذين يبدون اكثر تلاؤماً او تكيفاً واكثر نمواً . إنهم يظهرون دينامية مدرسية فائقة ، ويعيشون في عالم مغلق هو عالم التجهيز او الثانوية .

والظاهرة الاساسية عند هؤلاء المراهقين جميعاً هو ان العدوانية الفردية لا تطرح في رهط مقاومة او معارضة . وفي الحالات الملائمة تماماً لصرف

العدوانية ، لدى مفرط الطاقة ، في رغبة النجاح المدرسي ، وتصبح عامل حظوة وتقدم ، وتتحول ، فيما بعده الى **ارادة قوة وسيطرة** . ولكنها تحافظ دائماً على طابع طفولي يتجلى في الظلم والحسد والخبث .

ويظهر لدى هؤلاء نقص في عملية التأهيل او التبيؤ الاجتماعي . وتعود اسباب **هذا التكيف ـ الزائد المطال** ذي الطابع الطفولي الى عوامل منها : **الفيزيولوجية** (عدم كفاية حركية وتنفسية ..) **والاسروية** (كل التثبيتات الاسروية تدفع الطفل الى تثبيتات مدرسية . يتشبث الطفل بمدرسته كما يتشبث بأسرته : يحل المدرس محل الوالد ، ـ والنفسية (بعض امراض عصابية ..)

ب ـ **الرهوط لدى المراهق المتكيف سوياً** : نجد هنا رهوطاً كثيرة ومتنوعة نذكر منها الرهوط الآتية : (على ان نعود الى ماتبقى منها في دراسة رهوط الشباب) .

١ ـ **الرهط التربوي او المهني** : ويتجلى في التجاهيز والمدارس المهنية . حيث يتكون ، تحت اشراف المدرس ، وغايته الدراسة والبحث . وهو نوع من الرهوط الاصطناعية : لانه تضييقي وليس بشامل ، ولأنه يميل نحو التخصص وأخيراً لأنه قسري وفي صراع مع التطور الضروري نحو الاستقلال .

ويميل اعضاء هذا الرهط الى الخضوع الكامل والمتحمس والمطلق للمدرس وتبني آرائه دون مناقشة ... وقد يثور هؤلاء المراهقون على مدرسهم هذا اذا هدم لهم الصورة المثالية التي رسموها عنه في رؤوسهم ...

ولكن المراهق لا يجد في هذا النوع من الرهوط الاصطناعية ما كان يجده في الرهط المدرسي (الصف) ونعني **الطمأنينة** التي توجد ايضاً في الاسرة (عادة) ، ولهذا يفتش عنها في الرهوط .

٢ ـ **الرهوط العفوية** : تتولد الرهوط العفوية لدى المراهق عن الحاجة الى الطمأنينة . وتهب هذه الرهوط الطمأنينة لانها **تمتص العدوانية** الفردية ،

وتحولها الى دينامية رهطية . فالمعارضة والثورة اللتان يعبر عنهما في الرهط تفقدان شحنتهما من الشعور بالاثم ، وتسمحان للاستقلال الفردي لان ينمو ويتطور دون هزات .

ويعتبر الرهط بفضل هذه الميكانية ، عنصراً للتأهيل الاجتماعي من الدرجة الاولى . ذلك لان الرهط يمتص العدوانية الفردية ، ويفرغ من المراهق شعوره بالاثم ، ويميل لأن يعوض عن شعوره بالنقص ، فالمراهق ينمي اذن استقلاله بفضل هذا التأثير الثلاثي للرهط . ولهذا قيل : يهيء الرهط العفوي للتأهيل الاجتماعي الصحيح للفرد .

انه رهط انتقالي، وذو طابع ضد ـ اجتماعي anti-social ببنيته وديناميته. ولهذا يتركه المراهق عندما يتم نضجه .

ويرى سلافسن Slavson ان هذه الرهوط العفويه تضم ستة انواع[٢٧].

ولكن يمكن ان نصف هذه الرهوط تحت صنفين رئيسيين هما الرهوط المتجانسة ، والرهوط غير المتجانسة . انها بضمان رهوطاً لها مميزات مشتركة هي أنها رهوط معارضة ذات طابع تضييقي ، ولا تقبل اطلاقاً تدخل راشد في شؤونها وقيادتها ، وتنصب زعيما مراهقاً منها وفيها ، ولكن تختلفان فيما بينهما بالعناصر الدينامية التي تكمن تحت كل منهما .

ا) **الرهط المتجانس** . يعرف الرهط المتجانس بعينية identité ، قد تقوى وقد تكون اقل ظهوراً ، بين الاعضاء الذين يشكلونه . ويمكن ان تتأتى هذه العينية عن موقف مشترك او واحد : ان هذا يشكل القاعدة .

فمثلاً إذا كان في صف خمسة أو ستة من المراهقين يشعرون بكراهية مشتركة نحو مدرسهم ، او يقررون بأن برامج التدريس سخيفة ، او ان المجتمع

---

٢٧ – راجع :
Slavson : Creative Group Education. N.Y. 1937 .

سيء التكوين ، فانهم يميلون عندئذ الى تشكيل رهط متجانس ، فالعينية تعتبر هنا ، عميقة ، وتتأتى عن نمط معين ومشترك من رد الفعل . ولكن يمكن ان تتأتى العينية عن الهدف المشترك الذي يسعى اليه الرهط ، او عن الاهتمام (او المصلحة) المشترك الذي يجمع الافراد داخل الرهط . وقد سمى سلافسن هذا الرهط بالرهط ذي الاهتمام الوحيد او المصلحة الوحيدة . فمثلاً الميل (او الهوى) المشترك لدى افراد معينين الى الجبل وتسلق الجبال ، يدفع هؤلاء الافراد (المتجاورين طبعاً) الى تشكيل رهط متجانس ... يعتبر هذا الرهط ، عامة ، اقل الرهوط العفوية المراهقية تأثيراً في عملية التأهيل الاجتماعي : لان عينية (او وحدة) المعارضة ، وفقدان التنوع في الاهتمامات (او المصالح) هما عناصر صد او ابعاد exclusion وليست عناصر تأهيل اجتماعي . وفي الواقع يظهر الانتساب الى الرهط المتجانس ، لدى المراهق ، فقدان تطور ونمو الاستقلال واستمرار الطفولية المدرسية (الابتدائية) . وهكذا يتشكل هذا الرهط حول زعيم ، اي حول ذلك الذي يعبر اقوى من سواه عن المعارضة والاهتمام (او المصلحة) المشترك .

ويجب ان نميز في هذا الصنف من الرهوط نموذجين :

أ — **الرهط المتجانس الحقيقي** ، الذي تتولد فيه العينية ، خاصة ، عن موقف مشترك . هذا الرهط غير متوجه نحو اي اهتمام خاص . انه يستمد ديناميته من المعارضة فقط ، انه ، كما يقول سلافسن ، رهط قيم لانه جدير بأن يحقق عمل فريق équipe جيداً ، اذا دفعه القلب الى ذلك . ولكنه رهط خطر ، لانه يقوم على اساس المعارضة ، وليس على اساس الاهتمام . انه رهط سلبي ، وقد يهيء للعصابة ، ولكنه ، من الناحية العملية ، ينزل عن كاهل اعضائه العبء الفردي للشعور بالاثم .

ب — **الرهط المتجانس ذو الاهتمام الوحيد** ، الذي يبرز دينامية معارضة بصورة أقل اهمية من السابق ، لانه مستغرق ، جزئياً ، في اهتمام خارجي . فإذا

اجتمع خمسة مراهقين ، هم دائماً عينهم ، كل يوم احد ليتسلقوا الجبال ، فهذا دليل واضح على شكل من اشكال المعارضة .

ولكن هذه الدينامية المعارضة تمحي ، في جزء كبير منها ، في حب الجبال ، وتذوق الجهد . ومن هنا يصبح هذا الرهط ايجابياً ، وبالتالي مؤهلاً اجتماعياً . انه مؤهل اجتماعياً لانه يسقط ديناميته نحو اهتمام خارجي . ولكن درجة التأهيل الاجتماعي تبقى ، مع ذلك ، ضعيفة لان الاهتمام وحيد ومحدود .

٢) **الرهط غير المتجانس** : انه يعرّف قبل كل شيء بفقدان العينية بين الاعضاء الذين يؤلفونه ، والذين لم يتبنوا أبداً موقفاً مشتركاً تجاه العالم الخارجي . وهو يحتوي ، ككل رهط مراهقة ، دينامية معارضة ، ولكنها تعبر عن نفسها في كل عضو مشترك او منتسب بصورة مختلفة عنها في الآخرين . لان الآراء والمواقف الفردية تبقى داخل الرهط مختلفة واحياناً متناقضة . وكذلك يختلف ويتنوع فيه الاهتمام . لان الرهط غير المتجانس لا يهتم بالموسيقى فقط ، او الرياضة فقط ؛ بل ينوع نشاطاته . ونموذج هذا الرهط هي « حلقة الدراسات » التي تنشأ داخل احد الصفوف الثانوية او العالية ؛ او « رهط الدراسات » الذي يجمع مساء حرفيين ، او مستخدمين او عمالاً تكنيين . ان ديناميته الداخلية اضعف من دينامية الرهط المتجانس ، ذلك لان المعارضة لا تتركز حول « شيء » خارجي معين ، ولا تعبر عن نفسها بشكل مشخص . وهو يعطي المراهق طمأنينة اقل من الرهط المتجانس . لان الاختلاف والتنوع بين اعضائه ، اللذين يعبران عن نفسيهما بحرية ، يعتبران مضرين بالنسبة للطمأنينة التي تغتذي من العينية والتقليد والتكرار .

ولكن ، ولهذا السبب ، يعتبر هذا الرهط مؤهلاً اجتماعياً . ذلك لانه يقوي الشخصية ، حيث يتطلب دائماً نفعاً فردياً . ويتلو غالباً الرهط غير المتجانس الرهط المتجانس في الزمان ، ولهذا يمثل درجة ارقى منه في سلم التطور .

٣ ــ **الرهط المختلط** Le groupe mixte : تعتبر الرهوط المتجانسة والرهوط

غير المتجانسة نماذج الرهط العفوي السوي . ولكن مُذ يتدخل الراشد ليثير او يوجه ، فإننا نصبح امام النموذج المختلط .

يعتبر الرهط المختلط متجانساً وغير متجانس معاً ، ولكن يعتبر العنصر غير المتجانس مسيطراً فيه . والعناصر التي تؤلفه ، هي بصورة مبدئية ، متنوعة جداً في ردود افعالها . وكذلك يعتبر الرهط المختلط اصطناعياً وعفوياً معاً ، ولكنه بصورة مبدئية ، يعتبر عفوياً ، لان المراهقين الذين ينضمون اليه مسوقين برغبة القيام « بأمور » مشتركة . ويتمثل تجانس هذا الرهط بالحاجة الى الطمأنينة ، وهذا يؤدي بنا الى القول : ان الرابطة المشتركة الوحيدة بين اعضائه هو الميل الى المعارضة . ولكن تعتبر هذه لاشعورية وغير معبر عنها : لان المراهق يقبل على الرهط مسوقاً بقوة معارضة داخلية ، ولكنه جاء لا ليعبر عنها . ذلك لان الرهط المختلط ليس برهط ثورة — ويعرف بأن اعضاءه لا يعرفون ما يريدون ، ويتجمعون ليرتبطوا Pour se grouper .

ومن هنا كان وجود هذا الرهط ضعيفاً ، ولا تستمر ديناميته الا اذا استخدم ميله الى المعارضة الكامنة . وحسب ما يتبنى الرهط من حلول ، فان نماذج متنوعة من الرهوط المختلطة تنشأ . نعدد منها :

أ — الرهط الكشاف أو الكشفية Le groupe scout : يقدم هذا النوع من الرهط لاعضائه **هدفاً ، وقاعدة وأطراً** : انه ينزع لان يفرض شكلاً وتجانساً . والهدف المقترح هو عبارة عن مثل اعلى اخلاقي **مشخص في قانون ، ومصوغ في عهد** . وتستلزم الواسطة نشاطاً رهطياً منسقاً متمركزاً حول اللعب المنظم ، والحياة في الهواء الطلق ، والتأسيس الموقت لمدينة مستقلة من الشباب او المراهقين : **ونعني المخيم** . فينزع الرهط الكشاف (**أو الكشفي**) ، بتنظيمه مجتمعاً مستقلاً من الفتيان وبتوجيههم نحو العاب واعمال فاعلة ، الى ان يشبع معاً ، ميل المراهق الى المعارضة ، وحاجته الى النشاط والفاعلية ، ورغبته في العيش داخل مجتمع : ويحاول بهذا ان يجمع القطبين اللذين يصعب

التوفيق بينها : المعارضة والتأهيل الاجتماعي . وتخلص القاعدة الأخلاقية ، التي تتوج المجموع ، المراهق من شعوره بالاثم .

ولكن لا تتوصل الكشفية الى هذه النتيجة الا بتدخل عنصر خارجي ، ونعني الراشد . مع العلم انها تدافع عن نفسها ضد تدخل الراشدين وتحرم ذلك. ولكنها تستخدمهم دائماً ، ذلك لان الكشفية ، وان كانت في اصلها وضعت للمراهقين ، والشباب ، تقبل احياناً جراميذ سنهم بين السابعة والعاشرة (٧-١٠) وتولي عليهم مراهقين يدربونهم ويقودونهم ، فهم بالنسبة اليهم زعماء صغار لرهط اصطناعي . وتستخدم الراشدين خاصة حسب القاعدة والقوانين والمثل الاعلى التي تقترحها على اعضائها ، مع العلم انها تنبجس بشكل ظاهر عن وجهة نظر حياة ، هي وجهة نظر حياة الراشدين .

وتفيد الحركة الكشفية في اصلاح بعض العصابيين من **القلقين والمعارضين** ، الذين يعتبر تكيفهم صعباً . لذا فهم يقبلون على الرهوط المختلطة : كالكشاف وحركات الشبيبة . اذ ترضي الكشفية لديهم الحاجة الى الطمأنينة خاصة ؛ لانها تقدم لهؤلاء المراهقين مجتمعاً يستطيعون ان يعيشوا فيه ، وتوجههم في اتجاه بناء ؛ كما يدعوهم قانونها الاخلاقي الى اظهار جهدٍ نامٍ من اجل التكيف . ويحررهم الرهط الكشفي من التثبيتات الاسروية .

ب — **حركات الشباب** : يزعم القائمون عليها انها تتخلص من سيطرة الراشد وترفض هذه الحركات ان تستمد قوانينها من الراشد . قد تبقى هذه الحركات ، اذن ، رهوط مراهقين غير متجانسة بسيطة ، اذا ما اقتصرت على ايجاد تجانسها في اهتمامات دراسات او مناقشات .

ولكن المعارضة الكامنة في هذه الحركات هي ، في الواقع ، قوية جداً ولا تشبعها نشاطات كهذه . وتنزع حركة الشبيبة ، بتخلصها من كل تدخل خارجي ، لان تعبر عن معارضتها بتأسيسها مجتمعاً مثالياً يعتبر انعكاساً لها :

وتصبح بسرعة مجتمعاً مستقلاً ، يبني نفسه في الفراغ ، بادعائه التخلص من الضرورات الاجتماعية .

وبما ان الحركة تصبح مجتمعاً تاماً فإنها تنزع الى كفاية واشباع الشباب ، فيهمل هؤلاء شيئاً فشيئاً نشاطاتهم المدرسية ، والاسروية والمهنية ليكرسوا انفسهم لها .

ولكن هل تبقى هذه الحركة مستقلة عن الراشدين وتدخلهم ؟ كلا ! لان حركة الشبيبة لا تستمر الا اذا تبدلت ، وقبلت ان يقدم اليها الراشدون مركز اهتمام ، وقاعدة ، وهدفاً . فتصبح رهطاً ذا نزعات سياسية او دينية ؛ وبهذا تفقد صفتها الخاصة التي هي رهط مراهين ، كما تفقد ايضاً قيمتها كرهط مساعد على التبيؤ او التأهيل الاجتماعي . لان الرهط لا يعتبر مؤهلاً اجتماعياً بالنسبة لاعضائه الا اذا كان حراً .

ويمكن لرهط ان يقترح هدفاً مساعداً على التأهيل الاجتماعي . وأن يقوم بدور اجتماعي ، ولكن الاعضاء الذين يكونونه لا يتقدمون من ناحية التأهيل الاجتماعي ، أي من ناحية النضج ، اذا كان الهدف محدداً والوسائل موضوعة سلفاً . وفي الواقع لا يوجد أي فرق بين رهط مراهقين مستخدم لاغراض راشدين ، وعصابة ، الا بكون الهدف اجتماعياً في الحالة الاولى ، وبكونه غير اجتماعي او مضاد للاجتماعي في الحالة الثانية .

ويمكن لهذه الحركات ان تؤثر بعض التأثير في المراهقين العصابيين بتوجيهها ميلهم العدواني نحو عالم خيالي ، فتنقذهم هذا من الانحراف نحو رهوط الجنوح والجريمة .. (سنعود الى هذه الحركات حالاً) ...[٢٨]

٢) الرهوط لدى المراهق غير المتكيف : العصابة . هناك مراهقون

---

٢٨ – من أجل هذه الرهوط راجع :

a) R. Fau: op. Cit. P.P. 48-64

b) Slavson : Creative Group Eduction.

صعبو التكيف مع المجتمع والجماعات السوية ، يدفعهم الى هـذا عوامل نفسية (أمراض عصابية وذهانية) وعوامل اجتماعية (سنذكرها حالاً) . لهذا يميل بعضهم الى العزلة ، كما يميل بعضهم الآخر **الى العصابة** . وتظهر العصابات gangs أكثر ماتظهر في سن المراهقة . وقد أكد فورفي Furfey ان السن الممتـدة بين ١٠ — ١٤ سنة تؤلف حقاً « عمر العصابة »[٢٩] .

ولكن دراسات ثراشر Thrasher المشهورة لعصابات شيكاغو ، والتي بلغ عددها ١٣١٣ ، أظهرت ما يلي : ١,٤٨ ٪ من أعضائها كانوا تحت الثانية عشرة ، ٣٧,٥٪ منهم كانوا بين الـ ١١–١٧ ، و٢٥ ٪ منهم كانوا بين الـ ١٦ — ٢٥[٣٠] .

تعريف العصابة : اختلف على تعريف العصابة . فبعض المؤلفين عرفهـا بقوله هي : « رهط صبيان يعيشون في تجاور وثيق ، وعلى رأسهم صبي قـائد محدد ، ويقومون كوحدة بنشاطات مشتركة متعددة جداً »[٣١] .

ويقول المؤلف اننا اذا اعتبرنا العصابة بهذا المعنى فيجب ان نعترف بان العصابات موجودة بين صبيان تحت سن العاشرة .

وتتجه هذه النشاطات نحو الذهاب معاً الى السينما ، واللعب معاً ، و« المحاربة » معاً ، والسباحة معاً ، والتسكع معـاً ، ومعاكسة الفتيات والناس معـاً ، والمقامرة معاً ، والسكر معاً ... هذه بعض أهم نشاطات مثل هذه العصابات . وقد تبقى نشاطات العصابة على هذا الشكل ولا تتجه نحو الاجرام الحقيقي او الجنوح الخطر . ويمكن ان يوجه العصابة الى مثل هذا الجنوح البيئة الـكلية التي تحف بالمراهقين ، وعاداتها وتقاليدها وتصارعاتها أو خلافاتها[٣٢] .

---

٢٩ – راجع :
Paul H. Furfey : Tne Gang Age. N. Y. Macmillan. 1926. p. 132.

٣٠ – راجع :
F. M. Thrasher : Tne Gang. Ehicago. Univ. of Chicago Prress. Rev. ed. 1936. p, 74.

٣١ – Roucek and Associates : op. cit. p. 129.

٣٢ – راجع : Ibid ; . p. 130.

أما ثراشر فقد عرفها بقوله : « العصابة رهط متخلل (أو انتقالي) interstitial ، وقد تشكل في الأصل بصورة عفوية ، وأصبح وحدة متكاملة بواسطة التصارع أو الخلاف conflict . وتتميز العصابة بنماذج السلوك الآتية : الجمع وجهاً لوجه ، meeting face to fae ، وسوء الخلق ، والحركات في المكان كوحدة ، والتصارع او الخلاف ، والتخطيط .

ونتيجة لهذا السلوك الجماعي ينشأ فيها تقليد ، وبنية داخلية مغلقة على التأثير الخارجي unreflective ، وروح جماعية ، وتضامن ، وأخلاق ، ووعي رهطي (او تمييز رهطي) ، وتعلق ببقعة أرضية محلية » [٣٣] .

ويعرفها تعريفاً آخر أوفى وأوسع من السابق يجده القارىء في قاموس السوسيولوجيا [٣٤] .

وتعني العصابة ، إذا اتجهت نحو الجنوح والاجرام ، مجموعة من المراهقين او الشباب خرجوا على قوانين وتقاليد ومواضعات المجتمع ؛ واصبح سلوكهم ونشاطاتهم ضد ـ اجتماعية anti - Social ، أما في لغة السوسيولوجيين التربويين فتعرف كما عرفها فرانسيس براون ، وقد أعطينا تعريفه في مستهل هذا الفصل ، ولا حاجة الى تكراره [٣٥] .

أنواع العصابات : وقد أشار ثراشر الى خمسة نماذج من العصابات :

(١) ـ **المتخلخلة** : diffuse (مثل Pearlett Club خاص بالبنات) ، ولا تملك مثل هذه العصابة تنظيما داخلياً محدداً ، ولا احساساً عميقاً « بشعور النحن » . فمثلاً في حالة النادي المذكور سابقاً يجتمع البنات في الشارع او في باحة المدرسة ويثرثرن ويضحكن ويتحرشن بالصبيان ..

(٢) ـ **المرسخة** : Solidified (مثل الـ Appolo Club) ولها زعامة

---

٣٣ ـ Thrasher : op. cit. p. 57.

٣٤ ـ H. P. Fairchild : Dictionary of Sociology (1944). p. 127 .

٣٥ ـ راجع : ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

محددة ، وعضوية منتقاة ، وشعور بالتضامن كاف لإنشاء موقف تصارع أو خلاف مع الرهوط – الخارجية out-groups .

(٣) – **التقليدية** conventionalized (مثل النوادي الرياضية ، او رهوط الرقص ، او نوادي البلياردو ومثل Cellur Club في نيويورك الذي كانت نشاطاته الرئيسية لعب الورق ، والرقص ، والغزل ...

(٤) – **الاجرامية** Criminal : وتتأتى غالباً عن عجز المجتمع عن تقديم وسيلة لادماج هذا النوع من الرهط في شكل تقليدي مقبول . ويكون أعضاؤها عادة شباناً اتخذوا البلطجية والزعرنة مهنة لهم .

(٥) – **الجماعة السرية او المجتمع السري** Secret Society : هي عصابة اتخذت لها سرية وطقوسية ، وكلمات سر Pass - word ، ودرجات دخول او تأهيل ، وتجارب قاسية يتعرض لها «التلميذ» او «الطالب» او «المنتسب»[٣٦].

وسنحاول هنا ان نلح على دراسة النموذج الرابع : العصابة الاجرامية .

العصابة والجنسان : تكاد تكون العصابات مقصورة على الذكور . وقد وجد ثراشر في دراسته لعصابات شيكاغو ٥ او ٦ عصابات فتيات فقط . ولاحظ ايضاً ان قليلاً جداً من عصابات الذكور تقبل في عضويتها اناثا . فكأن العصابات وحيدة الجنس في تركيبها . وقد علل هذا بعاملين : « تعتبر الأنماط الاجتماعية لسلوك البنات ، التي تعد متأخرة جداً بسبب عبء التقاليد والعادات الثقيل ، معاكسة للعصابة ونشاطاتها ؛ ويعتبر البنات اكثر (تعرضاً) للإشراف والرقابة الوثيقين »[٣٧] .

ومهما يكن من امر عصابات المراهقات وندرتها ، فهي عصابات تتصف عامة ، بكونها أقل ثباتاً واستمراراً ، واكثر انتقالية في طبيعتها من عصابات

---

٣٦ – راجع :
a) Thrasher : op. cit.
b) Brown : op. cit. p. p. 226 - 228.

٣٧ – نقلاً عن :
Brown : op. cit. p. p. 223 - 224.

المراهقين [٣٨] .

ولهذا تميل البنات او الفتيات الى العصبات او الشلات «cbquesor «sets اكثر من ميلهن الى العصابات (سنعود الى دراسة الشلات أو العصبات في فصل قادم) .

عوامل نشأة العصابة : تنشأ العصابات عن عوامل مختلفة ومتنوعة ، منها :

١ – **العمر** : تبدأ العصابات ظهورها في عمر المراهقة ، وهذا راجع الى مشاكل المراهقة ، وما تجره معهـا من تحرر واستقلال وثورة على التقاليد والاوضاع الاجتماعية ..

٢ – **العمر العقلي** : كثير من الذين ينتسبون الى عصابات الجنوح يعتبرون من منحطي العقل الذين لم يقووا على التكيف مع الجماعات الأخرى المشروعة ، ومن الفصاميين Schizophrènes الذين هم في طريق عدم التكيف .

٣ – **صعوبة التلاؤم** : التي تعود الى مرض نفسي كالعصابات والذهانات ؛ او الى سلوك عصابي شاذ كشدة المعارضة ، والقلق .

٤ – **الرغبة في القبول** : يقبل على العصابات اولئك الذين رفضهم المجتمع الأسروى ، والجماعات المنظمة بشكل مشروع ، والذين رفضهم المجتمع عامة : فالذين لا تستطيع المنظمات المدرسية والكشفية وحركات الشبيبة ، ان تدمجهم يلجأون الى العصابات ..

٥ – الرغبة في التعرف على خبرات جديدة وهامة وطريفة .

٦ – **البيئة المشتركة** : يساعد وجود مراهقين في شارع واحد ، او في ضاحية واحدة ، او في حي موبوء ، على تكتل بعضهم في عصابات ، وقد ذكر بعض المؤلفين ان العصابات تظهر اكثر ما تظهر في الأحياء الفقيرة ، وفي أحياء الأعمال والأشغال .

---

٣٨ – راجع :

F. D. Brooks : Child Prychology. Boston. Houghton. 1937. p. 376.

٧ – **الاشتراك في العرق** : تظهر في المدن الكبرى عصابات تضم فقط جانحين من قومية واحدة ، او عرق واحد ، ويظهر هذا خاصة بين الاقليات الفقيرة او المضطهدة او المهاجرة التي لم تندمج بعد اندماجاً كلياً في السكان الأصليين . وقد ذكر احد المؤلفين ان بعض عصابات الأحياء الفقيرة في بعض مدن الولايات المتحدة الامريكية كانت تضم بين جنباتها جانحين من اليهود واليونانيين والايطاليين والسوريين والارمن والايرلنديين الذين يتفاعلون داخل نفس العصابة [٣٩] .

٨ – **المصالح والاهتمامات الواحدة** : تساعد هذه ، عندما توجد لدى الجانحين ، على انتسابهم الى عصابة واحدة .

٩ – **المعايير الاخلاقية الواحدة** : تقرب المعايير الاخلاقية الواحدة بين الشاذين والجانحين ، وتساعد على انتظامهم داخل عصابة [٤٠] .

١٠ – **الفقر والجهل** ويعتبران من اقوى العوامل . ولهذا تنشأ اكثر العصابات في الاحياء الفقيرة والجاهلة .

١١ – **تصادم القوميات والعروق في مدينة واحدة** : مما يجعل كلا الطرفين المتخاصمين ، وخاصة المضطهد منهما ، يؤلف بعض العصابات .

١٢ – **كثافة السكان الزائدة** : وهذه ظاهرة خاصة في المدن الكبرى .

١٣ – ضعف اشراف الأسرة .

١٤ – تهدم الأسرة .

١٥ – الخلاف والتصادم في الأسرة وسوء التكيف فيها .

١٦ – القسوة المفرطة في الأسرة .

١٧ – فشل البرامج المدرسية وقسوة المعلمين والمدرسين .

١٨ – **العزلة الاجتماعية** المتأتية عن الفقر ، أو اللغة (عدم تمكن فئة عن

---

٣٩ – راجع : Roucek and Associates : op. cit. p. 139.

٤٠ – راجع : Furfey : op. cit. p. p. 137 - 139.

التكلم بلغة البلد التي هاجرت إليه) ، او عدم التمكن من الاندماج السهل بالسكان الاصليين من قبل المهاجرين الجدد ..

١٩ – **فقدان** (**او ندرة**) أماكن اللعب والمؤسسات الترفيهية .

٢٠ – **ما خلقته المجتمعات الصناعية من منظومات قيمية واخلاقية واسعة ،** وما جرته من انحلال في التقاليد والتحرر من العادات والخضوع الاعمى للمجتمع ومؤسساته وقيمه . . وقد لاحظ أحد المؤلفين ان العصابات تظهر خاصة في الأحياء الفقيرة في المدن الكبرى. وان اهمية العصابات في المدن الصغرى والريف أقل منها في المدن الكبرى[٤١] .

٢١ – **الكراهية والعدوانية**. كما تعتبر الكراهية للأسرة والمجتمع والناس وعدوانية المراهقة عاملين هامين يدفعان الى العصابة والجنوح أحياناً[٤٢].

بنية العصابة كرهط جانح : يميل المراهق الجانح ، الذي لم يتحول بعد الى مجرم حقيقي ، الى الحياة داخل رهط ، ويصعب عليه ان يبقى منعزلا . إنه يريد ان يكون مقبولا . ولكن كيف يتوصل الى العصابة ، وكيف ترضيه هذه العصابة ، وبأي الوسائل ، وما هي الدينامية التي تؤمن للعصابة تماسكها واستمرارها ؟

١ – **كيف يتصول الجانح الى العصابة ؟** يصعب على المراهق الجانح ان يتكيف مع الفئة او الطبقة الاجتماعية التي ولد فيها . لذلك ينضم الى العصابة ليرضي ميله الى القبول ، وليشبع عدوانيته التي تعبر عن نفسها في هـذا الرهط غير الاجتماعي . ويساعده الجوار على الانخراط في العصابة : أمثاله من غـير المتكيفين مع الاسرة والمدرسة ، والمهنة ، يلتقون به في حيه ويميلون مثله الى

---

٤١ – راجع : Roucek ... : op. cit. p. 131.

٤٢ – راجع : a) Brown : op. cit. p. 229.

d) Moore and Cole : Sociology in Educational Practice, Boston. 1952. p. p. 82 - 83.

تشكيل العصابة ، انهم غالباً ما يكونون جانحين بالقوة ، ولكنهم يسيرون الى الجنوح بالفعل عندما ينخرطون داخل العصابة .

٢ ــ **كيف تساعد العصابة على الجنوح** ؟ لماذا يحقق الجانح جنوحه ضمن العصابة ، وبواسطة العصابة؟ لانها تخلص الفرد من مسؤوليته المعنوية ، وتخفف عنه عبء الشعور بالاثم، وترفع من امامه المحرمات والنواهي . وتتوصل الى هذا بواسطة ثلاثة مكانيزمات تكمل بعضها البعض هي :

الاغراء السحري ، وتنظيم الوسائل ، وقانون الرهط او العصابة .

أ ــ **الاغراء السحري** : اذا كان فرد يميل الى الجنوح، فأن العصابة ترضي له هذا الميل . دون جهد : لأن « الداخل » او « المنتسب » يرى تحقيق الاثم ، او الخطيئة ، الذي يرغب في تحقيقه ، على يدي سواه . انه يرضي نفسه دون ان يقترف اثماً . هـذا هو قانون الحصول على اللذة دون اقتراف اثم ، والمعروف بصورة اقوى تحت اسم : قيمة المثل السيء .

وترضي العصابـة « الداخل » اليهـــا من ناحية ثانية بفعل التأهيل l.acte initiateur الذي يعتبر نوعاً من الاغراء السحري. ذلك لأن النواهي والمحرمات الاخلاقية والاجتماعية أو التربوية ، التي تمنع المراهق من ارتكاب إثمـه ، ترتفع امامه ، لان الزعيم « يقوم بالفعل قبله » ومنا هنا يـأتي التبرير disculpation اللاشعوري .

ولهذا المـكانيزم صفة سحرية تتجلى في رهوط اخرى ، غير العصابة ، وهي بعيدة عن الاجرام والجنوح : كالجمهرة ، والحشد ، وسكان مهجع واحد . ان هذه تقوم ، كالعصابة ، بدور تبريري سحري disculpation magique .

ب ــ **تنظيم الوسائل** : يعتبر هذا المـكانيزم ، اكثر ارتباطاً بالعصابة من سواها . إنه يفترض وجود الزعيم . لأن الزعيم يساعد الاعضاء على تحقيق مخزون جنوحهم ، بتهيئته الطرق والوسائل لهم . وبهذا يقضي على التردد ،

القلق، ويزيل بالعمل المذاكرة المعنوية أو الاخلاقية. **ويعتبر هذا تحضير الفعل** لأن الجانح المنعزل ضعيف جداً، وقلق جداً، ومتردد جداً في تحقيق جنوحه اذا كان هو الذي سيهيء وسائله. ولكن اذا كان كل شيء مدروساً ومهيئاً، فالادوار موزعة، والاشارات معطاة، فان الجانح يجري عمله دون تردد: يقضي الرهط (او العصابة) على التردد والمذاكرة.

ج - **قانون الرهط اوالعصابة**: قديكون هذا الميكانيزم أهم من السابقين. كثير من هؤلاء المراهقين لم يفقدوا ضميرهم الاخلاقي ولكنهم لا يقوون على الاستمرار في نزاع وتضاد مع ضميرهم هذا. فمن الضروري ان يجدوا **تسوية بينه وبين ميولهم**، وينطبق هذا خاصة على المعاكسين العصابيين منهم. وتقدم العصابة لهم أخلاقاً. ان ما يرضي ضروراتهم الاخلاقية هو قانون العصابة، والاستقامة تجاهها. فالمراهق الذي يجد نفسه نبيلاً تجاه ذاته، لانه مستقيم تجاه عصابته، يتمكن من ان يستسلم لميوله الجانحة دون قسر. وهذا يعلل صرامة قانون العصابة، ووحشية الانظمة الداخلية التي تقتضي تطبيقه، والتعلق الاعمى من قبل الجانح به.

لسنا هنا في الواقع امام قسر خارجي، بل امام ضرورة أخلاقية او معنوية داخلية لها جميع صفات الضرورات الطفولية وعنفها وصلابتها وقسوتها. وهنا نجد ايضاً (الطابع) الطفولي للعصابة المتجلي في سحرها، وعماها، واستبدادها المطلق، ووحشيتها المفرطة. وتكمن هذه الضرورة الاخلاقيه أو المعنوية الداخلية في اساس العصابة ذاتها. وتشعر العصابة تماماً بقيمة هذه الضرورة ولهذا ترعاها وتحافظ عليها **بوسائل عديدة**.

٣ - بأي الوسائل تحافظ العصابة على نفسها ؟

ينتج مما قدمنا أن العصابة الجانحة عبارة عن عصابة مغلقة ومحدودة في أساسها. اذ تحرم عليها **قوانينها كل توزع**. مع العلم ان كلاً من اعضائها يحيا

حياته الخاصة ، ويتمكن من اقامة علاقات اسروية واجتماعية ؛ لذلك يمكن للجانح ان ينجذب برهط اجتماعي سوي ويهجر العصابة نهائياً . لهذا اتخذت العصابة بعض الوسائل الواقية ، وهي ايضاً من طبيعة طفولية . نذكر منها ما يلي .

أ – الفصل او التمييز ségrégation **والكراهية** : يمثل الفصل او التمييز والكراهية أعنف وسائل الوقاية واكثرها بدائية . إنهما يشبهان وسائل دفاع العشير Horde ، والعشيرة البدائية الملتفة حول الساحر : انهما تحريم اقامة علاقات خارج الرهط ، وكراهية كل ماليس بهـذا الرهط ، وتتجلى ضرورة الكراهية ، كوسيلة للفصل ، في بعض العصابات التي تفرض على اعضائها اتخاذ موقف عنيف ضد اسرهم بالذات .

وتتجلى هذه الكراهية المرضية أيضاً في بعض الاحزاب السياسية ذات النزعة الفاشيستية (كالكراهية العرقية في الحزب النازي) ، وفي بعض الحركات الدينية ذات النزعة الطائفية (كراهية فكرية ودينية) ، وفي الاحزاب السياسية غير الواعية عامة ، حيث تربي في أعضائها الكراهية ضـد جميع الاحزاب السياسية الباقية ...

ب – الرمز La symbolisation : ويعتبر الرمز من أقوى وسائل الوقاية . إذ تصبح الكراهية **رمزية** . انها لاتفعل فعلها ضد أشخاص حقيقيين ، بل ضد أشخاص رمزيين قمينين ، في بعض الظروف ، أن يصبحوا خطرين بالنسبة للرهط أو العصابة . ولهذا يصبح جميع الأشخاص الذين يضمهم الرمز خطرين ، وقذرين وتجب محاربتهم والقضاء عليهم .

ج – المحرم Le tabou : يعتبر المحرم أقوى وسيلة وقائية . يضفيه الاعضاء على قانون العصابة . فقانون العصابة لايمكن خرقه ، وهو مقدس ، ومحرم tabou بالمعنى الأكثر طفولية وبدائية وسحرية . ويعتبر كل خرق لقانون العصابة مقروناً بشعور إثم بدائي ، وكل محاولة خارجية لمسه أو لخرقه تثير آلياً

ارتكاساً دفاعياً وحصارياً مؤلماً.. ونجد هذا لدى بعض المراهقين الجانحين الذين يبقون على بعض الروابط الاسروية ، والذين يثورون في وجه أمهاتهم المحبوبات عندما يهاجمن العصابة أو زعيمها . (٤٣)

وكل من يخرج على أنظمة وقواعد العصابة يتعرض لمحاكمة قاسية ، قد تنتهي بعقابه . ويمكن ان تكون العقوبة جسدية ، (ضرب) ، أو معنوية (توبيخ وهزء) ، أو قانونية (فصل العضو لمدة من الزمان ، أو طرده نهائياً) .

د – **الخضوع الأعمى للزعيم** : وتعتمد العصابة في حفظ بقائها على تعويد أعضائها الخضوع للزعيم بشكل أعمى ، لأن الزعيم يمثل قانون العصابة وقدسيتها وحرمتها . وتقابل كل مخالفة للزعيم بالاستهجان واللوم والقصاص ، والطرد أحياناً .

هـ – **الضبط الاجتماعي** : ويسود ، تبعاً لكل ماتقدم ، العصابة ضبط اجتماعي Social control قوي ، يعتمد على القسر ، والترغيب ، والاندماج الكلي في العصابة ، والاهتمام والتمسك بقوانينها واخلاقها وتوجيهاتها . ويعتبر العضو فيها مضبوطاً ومسوقاً **بقوة رأي الرهط** . فيشعر العضو بضغط « الرأي العام » عليه في مجتمعه الصغير هذا ، الذي يحبه ويريد أن يحافظ على مركزه فيه . وهكذا يصبح العضو تحت إمرة وضبط العصابة . ويزيد في تأثير ضبط العصابة عليه بقاؤه مدة طويلة فيها ومقاسمته للإرث الإجتماعي فيها . (٤٤)

و – **شعور ـ النحن** : وتنمي العصابة بين أعضائها « شعور ـ النحن » ، فيشعر العضو وكأنه جزء من كل ، لاحياة ولا بقاء له بدونه . ويجر هذا الشعور الى شعور آخر هو الشعور برهط داخلي ورهط خارجي ، ويقوي هذا كله الفصل والتمييز والكراهية للرهوط الاخرى والمجتمع العام .

نلاحظ من كل ماتقدم ، أن العصابة تظهر ، بتنظيمها ووسائل عملها ودفاعها ، مطبوعة في أساسها بطابع الطفولية : إذ يعتبر التبرير السحري والتمييز أو الفصل ،

---

٤٣ – من أجل تفاصيل راجع : R. Fau : op. cit : p. p. 70 - 79.

٤٤ – راجع : Thrasher : op. cit. p. 291.

والكراهية ، والرمز ، والمحرم ، والخضوع الأعمى للزعيم ... ، العناصر الأساسية لديناميتها وتوترها الداخلي... وأكبر ضد للجنوح العصابي هما النضج في الشخصية والتفكير ، والاستقلال الفردي .[٤٤]

٤ ـ **العمليات الاجتماعية داخل العصابة :** تتم داخل العصابة بعض العمليات الاجتماعية الهامة منها : التكيف ، والتعاون ، والتمثيل ، والتنافس ، والخلاف أو التعارض ، والتعدي أو الاعتداء ، ...

أ ـ **التكيف :** يعتبر التكيف من أهم العمليات الاجتماعية التي تتم داخل العصابة . لأن المراهقين غير المتكيفين مع الأسرة والمؤسسات والوكالات الاجتماعية الاخرى ، ومع المجتمع العام أحياناً ، ينضمون الى العصابة ليتكيفوا . ويجدون في العصابة من يقبلهم كما هم ويحتلون مركزاً اجتماعياً حرموه في مجتمعهم أو بيئتهم . ولهذا يتكيف هؤلاء المراهقون مع العصابة ويخضعون لقوانينها وأنظمتها عن رغبة ولذة ، ويتلاءمون مع أهدافها ونشاطاتها .

ب ـ **التعاون :** ويقوم دور العضو ومركزه في العصابة على التعاون مع سائر أعضائها ، والشعور بأنه جزء من كل لاينفصم ، لاتستمر الحياة فيه إلا على أساس التعاون والتآزر . وقد وصف ثراثر التعاون والتكيف داخل العصابة بقوله : « يكتسب كل صبي في العصابة شخصية (بالمعنى السوسيولوجي) ، وإسماً ـ إنه شخص ؛ ذلك لأنه يقوم بدور (قسم) ، ويحصل على مكان استناداً إلى بقية أعضاء الرهط . وفي العصابة النامية ، يتناسب مع مكانه اللائق به ، ككتلة في صندوق متاهة . انه متشكل من النظام الذي تفرضه عليه العصابة . ولايمكن أن يدرس بصورة معقولة أو يفهم ، بمعزل عن هذا الدور الاجتماعي .

كل عصابة ككل ، وكذلك باقي نماذج الرهوط الاجتماعية ، يمكن أن تدرك كمالكة لنموذج عمل . ويقوم كل فرد في هذا الرهط بوظيفته المميزة

---

٤٤ ـ من أجل بعض التفاصيل راجع :

R. Fau : op. cit. p. p. 70 - 79.

بالاستناد الى الآخرين ، أو يقدمها بطريقة أخرى ، ويملأ المكان الملائم الذي عينته له التجربة السابقة في العصابة . وخارج الرهط ، لاتوجد هذه الشخصية كما نفهمها هنا . ويميل نمط عمل الرهط لأن يصبح مثبتاً وآلياً في عادات أعضائه . ويمكن ان يستمر طويلاً بعد أن تتبدل النظمة الشكلية للرهط . »[٤٥]

ج — **التمثيل** : كما يتعلم المراهق ، داخل العصابة ، كيف يتمثل قوانينها وعاداتها ، « وإرثها » الاجتماعي والثقافي ؛ وفي التكيف مع محيط اجتماعي ، كثير من التمثيل أو التمثل لعاداته وثقافته ومعاييره وقيمه ومثله الأعلى ...

د — **التنافس** : يتنافس أعضاء العصابة فيما بينهم على الحظوة داخل العصابة ، والمركز المرموق في دارجها الاجتماعي . ويتأتى المركز الاجتماعي هنا عن الشجاعة الفائقة في اقتحام المخاطر ، أو المهارة الفائقة في النشل والسرقة والاحتيال ...

ويجب أن يحافظ العضو على هذا المركز الذي لايعتبر ستاتيكياً . اذ يمكن لمن يتفوق عليه في « مهنته » أن يسلبه إياه ...

تعتبر هذه العمليات الاجتماعية الأربع التي مرت معنا ، هامة جداً في تكوين الشخصية والتأهيل للحياة الاجتماعية إذا تمت داخل « عصابات » سوية ، أي داخل رهوط مراهقية منظمة ، وبمعنى آخر داخل « العصابة » بالمعنى الذي يفهمها بحسبه السوسيولوجي التربوي (راجع تعريف السوسيولوجي التربوي للعصابة في مستهل فصلنا هذا .) فإذا حصل التنافس الشريف داخل رهط رياضي منظم ، والتمثيل الفكري والأخلاقي الصحيح في رهط ثقافي ، او في إحدى منظمات الشبيبة ، والتكيف السوي فيها ، أو في سواهما من الرهوط ، والتعاون الاخلاقي الراقي والواعي ، اكتسب أعضاء الرهط صفات نفسية وأخلاقية واجتماعية سامية وضرورية في كل حياة اجتماعية سوية وموفقة وسعيدة .

هـ — **المعارضة أو التعارض** : وتتجلى المعارضة أو التعارض أولاً بين الرهط أو العصابة ، والرهوط الاخرى في سبيل السيطرة أو بدافع الاثارة . ويحصل

---

٤٦ — Thrasher : op. cit : p. 329.

من جراء هذه المعارضة ،أو التعارض ، تآزر داخلي قوي بين أعضاء العصابة أو الرهط . ويحصل هذا في التعارض الشريف بين الرهوط المنظمة الرياضية والثقافية ... كما تتجلى ثانياً بين العصابة ، أو الرهط ، والمجتمع العام ، أو المجتمع المحلي وبعض مؤسساته كالأسرة والمدرسة والجماعة الدينية ، أو بعض وكالاته كالشرطة ، وخاصة مع مثله الأعلى وعاداته وتقاليده وأعرافه ... ويتجسد هذا التعارض في الشعور برهط ـ داخلي ورهط ـ خارجي ، وحب كل ما في الرهط الأول ، وكراهية كل ما في الرهط الثاني ... (٤٦)

و ـ **التعدي أو الاعتداء** : وعندما يشتد التعارض بين عصابة وأخرى ، وبين العصابة والمجتمع ووكالاته ، فإن الأمر يؤول إلى التعدي أو الاعتداء ، حيث يلجأ أعضاء العصابة إلى القوة والعنف والخطف والسطو ...

ويعتقد بعض المؤلفين أن التفاعل غير المشرف عليه أو المضبوط داخل رهط اللعب والعصابة يقدم وضعاً مثالياً لنشوء الفضائل التالية :

المساعدة والنجدة ، والكرم ، والنبل ، والانصاف ، وقد قيل قديماً : « بين اللصوص شرف » ، ويصح هذا القول غالباً على علاقات اللصوص فيما بينهم (٤٧).

وكم من لص شريف يسرق ليساعد الفقراء ، ويضحي بنفسه ليدافع عن المظلومين ...

المدرسة والعصابة : ومهما يكن من أمر قول هؤلاء المؤلفين فعلى المدرسة أن تشجع « العصابات » ، أو الرهوط ، التربوية والثقافية والرياضية ، وتتآزر مع الوكالات والمؤسسات المختلفة ، وخاصة الدولة في محاربة العصابات غير السوية والجانحه . فماذا يمكن أن تقدم المدرسة من مساعدة في هذا المضمار؟ هناك تدابير وخطط وتنظيمات ، وضبط ووقاية يمكن أن تقدمها المدرسة في سبيل تجنب الجنوح ، والانخراط في عصابة . نعدد منها مايلي :

---

٤٦ ـ من أجل بعض هذه العمليات راجع :

Brown : op. cit ; p. p. 238 - 246.

٤٧ ـ راجع : Iibd ; ; p. 240.

١ – اكتشاف الحالات المشكلة . .

٢ – اعطاء تشخيص أولي ، وتعين كل حالة وطريقة معالجتها .

٣ – اغناء البرنامج أو المنهاج ، وتفريد الثقافة لمنع كل سوء تكيف نمطي .

٤ – تنظيم نشاطات تسلية وترفيه للجماعة المحلية ، أو المجتمع المحلي ، طوال السنة .

٥ – تثقيف في الصحة النفسية أو العقلية .

٦ – صفوف لتربية الراشدين في الصحة النفسية ، ولتدريب المتزوجين الجدد والأهل على تربية الأطفال .

٧ – الحوادث المكتشفة في المجتمع المحلي كخدمة مستمرة للادارة والزعامة .

٨ – نشر الوقائع أو الحوادث ، بواسطة نشرات « جمعيات الأهل والمعلمين » P.T.A ، والاجتماعات والرسائل إلى الأهل والأحاديث أو المحاضرات التي يلقيها المشرفون والمعلمون قبل النوادي المدنية ، والمعارض ...

٩ – زعامة محلية لتحسين وترقية الشروط التي تؤثر في الشباب أو المراهقين[٤٨]

وإذا ماحارب المجتمع والدولة الجريمة بجميع مؤسساتهما ووكالاتهما وبعدلهما ومساواتهما بين جميع المواطنين ، وبالقضاء على الفقر ، والتعصب والمستبقات العرقية والدينيه والاجتماعية ، وبمعالجتها للشذوذات النفسية ، والانحرافات والامراض الجسدية ، استطاعا أن يقضيا تقريباً على العصابات غير السوية ، والجماعات الخطرة والجنوح والجريمة الجماعية ...

رابعاً – بعض منظمات الشبيبة : ننتقل الآن إلى دراسة المنظمات التي تؤسس من أجل الشبيبة ، وقد تضم بين جنباتها مراهقين . اتخذت منظمات الشبيبة دوراً هاماً جداً في الدول والأمم الراقية لملء أوقات فراغ المراهقين والشباب بنشاطات وأعمال شريفة ونبيلة وتربوية ، بدلا من صرفها في العبث ،

---

٤٨ – راجع :

L. J. Carr ; Delinquency control. N. Y. Harper. 1941. p. 393.

واللهو غير البريء ، والفساد والانحلال والضياع . وأول من اهتم بمنظمات الشبيبة الألمان . إذ ظهر في ألمانيا منذ ١٨٩٠ الجوالون Roamers وشبيبة ألمانيا الحرة بعد الحرب العالمية الأولى ، وشبان هتلر بعد تسلمه سدة الحكم . كما ظهرت مثل هذه المنظمات في ايطاليا الفاشستية قبل الحرب العالمية الثانية .

واتخذت في كلا هذين البلدين طابعاً عسكرياً ، مبطناً باهداف سياسية . اذ كانت الغاية منها تربية الشبان على الخضوع الأعمى للزعماء ، وخاصة الزعيم الواحد ، وابعادهم عن العمل ضد الحكم القائم والمظاهرات السياسية العنيفة ضد مفاسده . وقد ربت هذه المنظمات العسكرية في هؤلاء الشبان التعصب الأعمى ضد الشعوب والعروق ، والطاعة العمياء ، وفقدان المحاكمة والمناقشة لأوامر الزعماء وأعمالهم وأفعالهم ، وتفضيل استعمال العنف والضرب مع الخصم دون المناقشة الاقناعية واحترام شخصيته البشرية ، وبكلمة واحدة ربت فيهم الروح الفاشيستية القائمة على العنف والحرب والتعصب الأعمى والخضوع الاعمى.

ومثل هذه المنظمات العسكرية لا لزوم لها ، لولا الأهداف السياسية المبطنة التي يريد الحكام الوصول إليها ؛ ومالزومها مادام في هذه البلدان خدمة عسكرية اجبارية قد تمتد حتى ثلاث سنوات ؟؟؟[٤٩].

ومهما يكن من أمر هذه المنظمات العسكرية ، فهي تربي في النشء روح التجمع ، وروح القطيع ، ولا تؤهله تأهيلاً اجتماعياً سليماً يقوده إلى الاستقلال في التفكير والشخصية والسلوك الاجتماعي والأخلاقي ...

ونعدد هنا بعض منظمات الشبيبة هذه .

---

٤٩ – ١ً – من أجل منظمات الشبيبة في ألمانيا راجع :

H. Becker ; German Youth ; Bondor Free. N. Y. Oxford. 1946.

٢ً – من أجل منظمات الشبيبة في ايطاليا راجع :

Goodwin Watson ; Youth after Conflict. N. Y. Association Press. 1947.

١ – **الكشاف** للفتيان والفتيات : وتعتبر الحركة الكشفيه مفضلة تماماً على حركات الشبيبة العسكرية .

٢ – **منظمة الصليب الأحمر للشباب والشابات :**

٣ – **نوادي الصبيان أوالشباب** : وهي نواد منوعة الأهداف : ثقافية وفنية ورياضية ...

٤ – **نوادي البنات أو الفتيات** : وتضم كالنوادي السابقة ، نشاطات مختلفة .

٥ – **نوادي الشبان والفتيان** 4H Clubs وتضم داخلها الفتيان والفتيات من الجنسين بين ١٠ – ٢٠ سنة ؛ ويلح فيها على تعلم الأمور الزراعية ، وشؤون المنزل ، والادارة ؛ ويهتم فيها تماماً بصحة الفرد والجماعة وسلامة المنزل والمزرعة ، وبالفن والطبيعة ، وتنمية المؤسسات المحلية .

٦ – **منظمات الشبيبة الريفية** : ومنها : « مزارعو المستقبل » ، و « المزارعون الشباب » و « نوادي تدبير المنزل » .

٧ – **مخيمات العمل** ، وتنشأ في الصيف وخاصة لابناء المدن ، يعملون فيها في الريف لتوجيهه والمشاركة في حياته تحت اشراف أساتذة مختصين في هذه الشؤون .

٨ – **بيوت أو فنادق الشباب** : وتقام خاصة في الريف . وتمارس فيها نشاطات متنوعة : رياضية وفنية وثقافية ...

٩ – **معسكرات الرواد والقادة** : وتقام للمدرسين والطلاب والطالبات لتأهيل الرواد من الاول ، والقادة من الاخيرين .

وقد أخذت مثل هذه المنظمات أهمية كبرى في الدول الراقية كما قلنا سابقاً ، وأقبل عليها الشبان والشابات بحماس . ونعطي القارىء أسماء بعض هذه المنظمات في الولات المتحدة الأميركية وعدد المنتسبين إليها في عام ١٩٥١ .

أسم المنظمة	عدد المنتسبين إليها
– الصليب الأحمر الامريكي للشبيبة	١٩٠٠٠٠٠٠
– كشاف صبيان أو فتيان أمريكا	٢٦٠٠٠٠٠
– جمعيات الشباب المسيحيين	١٨٢١٠٠٠
– نوادي الفتيان والفتيات 4 - H Clubs	١٧٠٠٠٠٠
– كشاف البنات	١١٠٧٠٠٠
– نوادي شبان أمريكا	٤٠٠٠٠٠
– مخيم النار للبنات	٣٦٠٠٠٠
– أدلاء أمريكا	٣٢٥٠٠٠
– نوادي بنات أو فتيات أمريكا	١٩٠٠٠
– انجاز الشباب	١٣٠٠٠
– فنادق الشبيبة الامريكية	١٠٠٠٠

كما أعطى براون لائحة بأسماء بعض هذه المنظمات مع أسماء أخرى وتاريخ نشأتها وكيف نمت ومانسبة هذا النمو بين أعوام ١٩٣٥ – ١٩٣٦ و ١٩٣٩ – ١٩٤٠

وقد وجد تشامبرز Chanbers عام ١٩٤١ ، ٣٢٠ منظمة في الولايات المتحدة الامريكية ، ٨١ منها مخصصة لاشخاص تتراوح أعمارهم بين ١٢ – ٢٥ سنة ؛ أما الباقية منها وهي ٢٣٩ منظمة ، فكانت أقوى أجزاء برامجها الرئيسية والجوهرية مخصصة لخدمة الشباب (٥٢) .

مبادىء مساهمة الشبيبة : يجب ان يساهم بعض الراشدين في مساعدة بعض

---

٥٠ – نقلاً عن : Moore and Cole ; op. cit. p. 89.

٥١ – راجع : F. J. Brown ; op. cit. p. 233.

٥٢ – راجع :

M. M. Chambers ; Youth Serving organisations. Washington, D. C. American Council on Education. 1944.

منظمات الشبيبة ، وتوجيهها . وقد وضعت بعض مبادىء لهذا الاشراف نقدم للقارىء بعضاً منها :

١ – يجب ان يفهم المسؤولون والموجهون والأهل انه من الواجب ان يساهم اكبر عدد ممكن من الشباب [٥٣] في منظمات الشبيبة .

٢ – يجب ان يتعاون الراشدون ، في أي جماعة ، مع الشباب ، لانشاء عدد من المنظمات الارادية : كالنوادي ، ومنظمات الشبيبة ، ومراكز الترفيه التي توافق حاجاته واهتماماته ، ويجب ان يلعب الشباب الدور الحاسم في تهيئة برامج هذه المنظمات . ويجب ان تكون هذه البرامج مرنة بشكل تام لتساعد على نمو الفرد ، ومبادهته .

٣ – على قادة الرهوط ان يعلموا ان الشباب يسر بتأسيسه رهوطاً طبيعية ، وعليهم ان يتعرفوا على الشباب ويمرنوه على اعمال القيادة والادارة والانحراف .

٤ – يجب ان يقدم كل منهاج شبيبة الفرصة للتعبير المبدع عن الذات . ويدفع الشباب الى التفكير في النفس والتعرف عليها ، ويشجعه على المساهمة في شؤون المجتمع .

٥ – يجب ان تتعاون جميع المؤسسات والوكالات في سبيل تأمين فرص للشباب للمساهمة في شؤون المجتمع المحلي ، وتجنيده في المشاريع الرامية إلى تحسين حياة الجماعة ، وتشجيعه على التفتيش عن الحوادث أو الوقائع ، والمساهمة فيها والتأثير فيها . ويجب على الراشدين ان يدعموا عمل الشباب عندما يقوم هذا العمل على الحوادث أو الوقائع ، والحكم الصائب ...

٦ – يجب على برامج الشباب ، لتكون معوضات بناءة عن النشاطات غير المرغوب فيها والهدامة وضد الاجتماعية ، ان تقدم درجة معادلة من الاهتمام ، وارضاء الحاجات الاساسية ، وخبرة جديدة ، ومغامرة واقعية ... [٥٤]

---

٥٣ – تضم لفظة الشباب الذكور والاناث .

٥٤ – نقلا عن : Moore and Cole : op. cit. P.P. 91–92

مطاليب رهوط الشباب من المدرسة والتربية : تتطلب رهوط الشباب ان تدعم من قبل المدرسة . فعلى المدارس الإعدادية والثانوية خاصة أن تولي اهتمامها مايلي :

١ – المشاكل الاجتماعية والمدنية والاقتصادية والسياسيه .

٢ – تحليل الدعاية ، واستعمال أكثر عدد ممكن من المجلات والصحف .

٣ – العلاقات العائلية ؛ التربية الجنسية ؛ نمو الطفل ؛ القرابة وتدبير المنزل

٤ – صحة الفرد وسلامته ؛ التغذية ...

٥ – السلوك البشري ؛ العلاقات الشخصية ؛ الانجاز الفردي ؛ الصحة العقلية .

٦ – مستهلك الحاجيات .

٧ – العمليات المشروعة المشتركة أو العامة .

٨ – أهداف السعادة ؛ الحياة الناجحة : « الاهداف الاساسية للحياة الجيدة » ؛ فلسفة الحياة . .

٩ – عوامل الحياة الناجعة للجماعة .

١٠ – تربية الأمن أو السلامة ؛ الاسعاف الاولي .

١١ – الدراسة الموضوعية للثقافة ، ومشاكل أو مسائل البلدان والشعوب كأساس للتعاون العالمي .

١٢ – الإخبار المهني ، ومشاكل أو مسائل يوم العمل العالمي .

١٣ – مشاكل المعرفة العرقية والتسامح .

١٤ – مجالي الفن والموسيقى ، والفنون الجميلة الاخرى التي تساهم في احقاق الحياة المرحة .

١٥ – علم البيئة معبراً عنه بالفاظ مألوفة وسهلة وواضحة .

١٦ – الهوايات الترفيهية ، والنشاطات المبدعة[٥٤] فاذا ماساهمت المدرسة

---

٥٤ – راجع :

S.V. Mclaughlin : Youth Demands Achange ; in, Progressive Education , vol . 21 . [44 . P.P. 5—6

في تفهيم وتحقيق مثل هذه الأمور ساعدت على انقاذ أغلب الشبان من الانحلال والضياع والشذوذ والجنوح والانخراط في عصابات خطرة ...

المدرسة والوكالات الاجتماعية الأخرى ورهوط النشاط عامة .

اختلفت النظرة إلى اللعب ، ورهوط اللعب خلال التاريخ ، وفي الأمة الواحدة ، والشعب الواحد ، وكانت نظرة بعض رجال الدين والفلاسفة إلى اللعب سيئة ، اذ كانوا يعتبرونه دافعاً إلى اللهو وبالتالي إلى الخطيئة . وعندما جاء القرن التاسع عشر أخذ بعض الفلاسفة بتهديم هذه النظرة ، واعتبروا اللعب ضرورة حيوية واجتماعية واستمرت هذه الأفكار إلى أيامنا هذه . ومن هنا جاءت نظريات سبنسر ، وكارل غروس ، وستانلي هول ، وسواهم من الذين عرضنا آراءهم في اللعب ، في مستهل فصلنا هذا ... وقد ألح جميع هؤلاء مع السوسيولوجيين التربويين والمربين على أهمية اللعب كمهيء لحياة الراشدين ، وكوسيلة لتعلم الكثير من العمليات والروابط الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية . وتبنت المدرسة الحديثة أفكار هؤلاء المفكرين ، وأخذت على عاتقها احترام لعب الأطفال والمراهقين ونشاطات الشباب .. فعلى المدرسة ، إذا ماأرادت ان تطبق المفاهيم التربوية الحديثة ، أن تنتبه إلى النواحي التالية :

١ - يجب ان تعلم إن الأطفال يقبلون عليها وهم يملكون بعض الرغبات والادارات والميول التي توجه سلوكهم بشكل قوي . فلدى الأطفال الرغبة في الحب والعطف ، والميل إلى الصداقة ، والتعاطف ، والقبول ، والمركز ، والحظوة ، والمغامرة ، والخبرة الجديدة ، والطمأنينة ، والحاجة إلى تحقيق الذات ؛ فإذا لم تساهم المدرسة في اشباع هذه الميول والرغبات والحاجات دفعت الأطفال إلى الشذوذ والانحراف ، والمراهقين إلى تشكيل العصابات والشلات الخطرة ...

٢ - يجب أن تستخدم رهوط اللعب ، وتشجع على انشاء رهوط النشاط السوية والطبيعية على اختلاف أنواعها .

٣ ـ يعني المجيء الى المدرسة إعادة تشكيل رهوط النشاط الموجودة خارج المدرسة ، وتوجيهها وجهة سليمة وصالحة . وقد انتبهت رياض الأطفال ، والمدارس الفاعلة إلى هذه الناحية ، وأولتها كل العناية والاهتمام .

٤ ـ يجب أن تتعاون المدرسة مع جميع الوكالات الاجتماعية الأخرى في سبيل تنظيم وتشجيع مثل هذه الرهوط . ويجب أن يتم التعاون خاصة بين المدرسة ومحاكم الأحداث الجانحين ، ومنظمات إصلاح الاحداث الجانحين ... وبين المدرسة والأسرة على النحو الذي أسلفناه سابقاً في سبيل إنشاء وكالات ترفيهية ، وإنشاء حدائق ، وملاعب ، ومراكز اجتماعية يخيم فيها جوّ اجتماعي سليم .

٥ ـ ويجب أن تتعاون المدرسة مع البلديات والحكومات على إنشاء مكتبات ، وملاعب ومنظمات رياضية متنوعة ، يستطيع الشبان أن يصرفوا فيها أوقات فراغهم وعلى شكل سوي ، بدلاً من أن يستسلموا للمفاسد ورفاق السوء ، ويرتادوا الأمكنة المشبوهة .. [٥٦] .

الخلاصة : اللعب حاجة حيوية وضرورة اجتماعية . وتبعاً لهذا اتخذت رهوط النشاط لدى الأطفال والمراهقين والشباب أهمية كبرى في المجتمع الحديث ، والمدرسة الحديثة والتربية الحديثة . وتظهر رهوط اللعب عامة في السنة الثالثة من العمر ، ولكن لا تظهر بشكل حقيقي قبل الرابعة . وتتصف رهوط اللعب لدى الأطفال في سن المرحلة التي تسبق الدخول إلى المدرسة ، بالعفوية ، وضعف التشكيل ، والتنظيم ، وقصر المدة ، وصغر الحجم ، والعدوان ... أما رهوط اللعب التي تظهر لدى الأطفال قبل سن المراهقة فتتصف بشيء من التنظيم والثبات ، والتقيد بالقواعد والأنظمة ، ويظهر فيها التعاون والاستقلال والزعامة ، والتمييز العرقي والديني والطبقي ، كما يظهر فيها الطابع الاصطناعي والإرادي أكثر من قبل ... ولرهوط اللعب فوائد

---

٥٦ - راجع : Roucek and Associates : op. cit. p. p. 140-141.

هامة إذ تساعد على اكتشاف ميول الطفل واستعداداته ، والتنفيس عن توتره ، وتستخدم كوسيلة للعلاج من الاضطرابات والأمراض والشذوذات النفسية ، والتربية والتعليم ، وتنمية الشخصية ...

أما رهوط النشاط في المراهقة فتتصف بتنظيمها القوي وتعلقها بالزعيم ، وعدوانيتها وتعارضها مع المجتمع وبعض مؤسساته وخاصة الأسرة ، كما يظهر فيها التنوع ، لذا تظهر في هذه المرحلة رهوط عفوية ، وأخرى اصطناعية ، وثالثة متجانسة ، ورابعة غير متجانسة ، وخاصة مختلطة ... كما تظهر ، في هذه المرحلة ، العصابات غير السوية والجانحة ... كما تظهر أيضاً في هذه المرحلة ، ومرحلة الشباب ، منظمات الشبيبة من نواد ، وحركات شبيبة ، وكشفية .. فعلى المدرسة أن تتعاون مع الدولة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى على تنظيم رهوط النشاط واللعب ، والاهتمام بها ، لتشبع ميول وحاجات الأطفال والمراهقين والشباب ، وتجنبهم مهاوي الزلل والانحراف والجنوح .

مصادر عامة

1 — F. Z. Brown : Educational Sociology. N. Y. prentice-Hall - 1947. Chap. 10.

2 — The Sociology of childhood. N. Y. Prentice-Hall. 1939 Part. III.

3 — Moore and Cole : Sociology in educational Practice. Boston. Houghton Mifflin... 1945 Chap. 4.

4 — Z. S. Roucek and Associates : Sociological Foundations of Education. N. Y. Th. Y. Crowell... 1942. Chap. 6.

5 — Axline, Virginia Mae : Play therapy. Boston. Houghton... 1947.

6 — Chambers, M. M. : Youth Serving organisations. Washington, D. C : the American Council on Education. 1947.

7 — Homans, G. C. ; The Human Group. N. Y. Harcourt. Brsace and Compagny... 1950.

8 — Thrasher, F. M. ; The gang. Chicago, Univ. of Chicago Press. 1936.

9 — Slavson, S. R. Creative Group Education. N. Y. Association Press, 1937.

10 | René Fau ; Les Groupes d. Enfants et d. Adolescents. Paris. P. U. F. 1952.

المدرسة والتربية

— تمهيد أولي لهذا البحث —

تكلمنا في الفصلين السابقين عن وكالتين من وكالات التربيـة : المدرسة ورهوط اللعب والنشاط . ونتكلم في هذا البحث الطويل ، الذي سيضم عدة فصول ، عن المدرسة والتربية ؛ وسنحلل وندرس فيه علاقة المدرسة ، بالثقافة والحضارة ، وبالبيئة المحلية من الناحيتين الطبيعية والاجتماعيـة ، وجو المدرسة الاجتماعي ، وبنيتها الاجتماعية ، وأثر المعلم وأدواره ، وعملية التبيؤ أو التأهيل الاجتماعي فيها . . .

وسيظهر في هذا الجزء فصل واحد فقط من هذه الفصول ، هو « المدرسة والثقافة والحضارة » ، على أن نعود في الجزء الثاني من كتابنا هذا الى ما تبقى من فصول تضاف إلى أبحاثنا الأخرى في سوسيولوجيا التربية .

الفصل الحادي عشر

المدرسة والثقافة والحضارة

مقدمة :

تكلمنا في الفصلين السابع والثامن عن علاقة التربية بالطبقات الاجتماعية ، والنظام الاقتصادي ؛ كما تكلمنا في الفصل الرابع عشر عن التربية والمجتمع ، وقد ظل بحثنا في هذا الفصل الاخير عاماً لم ندخل فيه الى التفصيل ، كما فعلنا في الفصلين السابع والثامن . لهذا نعود الآن الى تفصيل بعض النواحي التي لابد من معالجتها لفهم العملية التربوية عامة ، وتأثر المدرسة بالثقافة والحضارة اللتين تؤسس فيهما ، والحاجة أو العوامل التي دفعت الى تأسيسها . **ونطرح الآن السؤال التالي : لماذا نشأت المدرسة ؟ .**

علينا ، قبل أن نجيب على هذا السؤال ، أن نحدد ما ذا نعني بمفهومي : ثقافة وحضارة .

تعريف الثقافة : لقد اختلف السوسيولوجيون والانتروبولوجيون الثقافيون على تعريف الثقافة . اذ تأثر بعض السوسيولوجيين بألفرد فيبر A. Weber الذي ميز بين الثقافة والحضارة ؛ فرأى أن الثقافة تعبر عن نفسها في الفن والدين والفلسفة .. وهي موسومة بطابع الابداع والخلق ... أي أنها تعبر عن الجانب « الروحي » في المجتمع ... ورأى في الحضارة الوجه المادي للمجتمع ، وتعبر عن نفسها خاصة في التكنولوجيا والعلوم الطبيعية . وهي

موسومة بطابع القصدية Purposefulness والعقلانية rationality والنفعية Utility ... [1]

وقد تأثر بعض السوسيولوجيين من أمثال مرتون Merton ، وبيج Page ومكيفر Mciver . . بتمييز فيبر هذا [2] .

ولنعد الى قاموس السوسيولوجيا « Dictionary of Sociology » لنرى تعريفه . يقول مؤلف مادة : Culture « انها اسم جماعي لكل انماط السلوك المكتسبة اجتماعياً ، والمنقولة اجتماعياً بواسطة وسائل الرموز ... ومن ثم اسم لكل المنجزات المميزة للرهوط البشرية ، لا يضم تحته فقط مواضيع كهذه : اللغة ، ووسيلة الانتاج tool-making ، والصناعة ، والفن ، والعلم والقانون ، والحكومة ، والأخلاق ، والدين ، بل يضم أيضاً الآلات المادية أو الخيرات المادية artifacts التي تحتوي على المنجزات الفكرية ، والتي بواسطتها تعطي الاشكال أو المجالي الفكرية الثقافية مردوداً عملياً أو تطبيقياً مثل : البناء ، والوسائل ، والماكينات ، وخطوط المواصلات ، وأشياء الفن ، الخ . .

ولكن المعنى العلمي لهذه اللفظة يختلف تماماً عن مدلولها الشعبي . إنه يتضمن كل ما يُتعلم خلال الاتصال ـ المتبادل intercommunication . ويشمل كل من اللغة ، والتقاليد ، والعادات ، والمؤسسات ... » [3] .

أما الانتروبولوجيون الثقافيون فيعنون بالثقافة مجموع أنماط سلوك الرهط

---

(١) راجع :

A.Weber : Cultural History as Cultural Sociology.1935

: Principles of Historical and Cultural Sociology. N.Y.1921.

(٢) راجع :

Micver and Page : Society... N,Y.1949 ...chap XXI and XXII

(٣) H.P. Fairchild : Dictionary of Sociology.N.Y.Phil. library. 1944.P.80.

ويعنون بالحضارة ثقافة أكثر نمواً وتشعباً أو تعقيداً . وقد شايعهم في هذه النظرة مؤلفون من أمثال جيلين وجيللين [٤] .

تعريف الحضارة : رأينا تعريف ألفريد فيبر وأتباعه ، وتعريف الانتروبولوجيين الثقافيين وأتباعهم ، فلا حاجة الى ترديدهما . ونقدم الى القارىء تعريف قاموس السوسيولوجيا .

« الحضارة هي النمو الثقافي ... وتتضمن اللفظة ، في الاستعمال المعتاد ، درجة عالية تماماً في سلم تطور الثقافة . ويرتكز عليها في التمييز (أو التضاد) بين « الشعوب المتحضرة » ، و « الشعوب غير المتحضرة » . ولكن استعمالاً آخر أكثر صحة ودقة يشير الى الشعوب الأكثر حضارة ، والأدنى حضارة . والصفات المحددة أو المميزة « للأمور » الفكرية ، والفنية ، والتكنولوجية ، والمنجزات الروحية »[٥] .

وفي اللغة العربية نستخدم هذا المفهوم للاشارة الى مرحلة معينة من المدنية بلغها شعب ، أو أمة ، من الشعوب خلال تطوره التاريخي ... ويقترب هذا المفهوم من مفهوم الثقافة بالمعنى العامي أو الشعبي الذي ذكر في قاموس السوسيولوجيا ، والذي أخذ به الانتروبولوجيون الثقافيون وكثير من المؤلفين الامريكيين وعدد لا بأس به من المؤلفين الالمان ... أما نحن فنميل هنا الى استعمال الثقافة للدلالة على البنية الفوقية في المجتمع البشري ، وتضم اللغة والفلسفة والعلم والفن والدين والدولة والأخلاق والعادات والتقاليد[٦] ...

ويقترب مفهوم الحضارة في نظرتنا من مفهوم اسلوب انتاج الخيرات المادية

---

(٤) راجع :

Gillin and Gillin : Introduction to Sociology. N.Y.Macmillan. Ehap.6.

(٥) راجع : Ibid P. 41.

(٦) راجع : منير مشابك موسى . المطول في السوسيولوجيا - الكتاب الاول - الجزء الاول - الفصل الحادي عشر .

بمظهريه : علاقات الانتاج ، والقوى المنتجة . ونقصد هنا خاصة نوع العمل : زراعـة ، صناعة ، تجارة ، والخيرات المادية من مأكل وملبس ، ومسكن أي الانتاج ، ووسائل الانتاج : التكنولوجيا والوسائل ، وعلاقات الانتاج ، وعاداته[٧] .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان تمييزنا بين ثقافة وحضارة عبارة عن تمييز شكلي وصوري ، لأننا لا نستطيع أن نفصل بينهما ، لأنهما عبارة عن مظهرين متصلين ومندمجين ومتحدين ومتفاعلين ، لكلٍ واحد هو الواقع الاجتماعي أو المجتمع البشري .

نشأة المدرسة : نجد التربية في كل المجتمعات من أقلهـا رقيا إلى أعلاها حضارة . ذلك لأن في كل مجتمع ثقافة تتناسب ودرجة الحضارة التي بلغها هذا المجتمع في سلم تطوره . وهكذا نجـد في كل مجتمع **إرثاً ثقافياً** ، من أولى وظائف التربية المحافظة عليه ونقله من جيل إلى جيل ، وإنماؤه ، واغناؤه بما يظهر من جديد في المجالين الثقافي والحضاري ... وفي المجتمعات الاولى ، والمجتمعات « البدائية » الحالية ، يقوم بنقل الارث الثقافي ، الى جيل غير الراشدين ، جيل الراشدين في الاسرة أو في الوسط خارج الأسرة . ذلك لأن الارث الثقـافي يعتبر بسيطاً ، اذ يتكون من مجموعة طرق تستخدم لتأمين الضروريات الأساسية من غذاء ومأوى وحماية . وتجعل العلاقة الوثيقة القائمة بين السلوك والأمن ، من الطبيعة معلماً ناجعاً . وتقدم الاسرة والفخذ التثقيف الضروري ؛ ويتعلم الطفل من خـلال المحاولة والخطأ ، والتقليد والملاحظة . ومع أن مدى نفوذ المحرمات وتحمل المسؤوليـات يوجه بشكل قصدي ، فهو يختلف بين مجتمع وآخر ، كما أظهرت ذلك م . ميد في مقارنتها بين أطفال المانوس Manus وأطفال غينيا الجديدة ، حيث يتقبل هؤلاء الاطفال ، وبصورة مبكرة ، الحقائق الصارمة للحياة . وغالباً ما يكون حفظ البقاء أو الذات بحد ذاته ، كفاحاً ضد الفروق

---

(٧) راجع : نفس المصدر السابق . الفصل الحادي عشر .

الكبرى ، حتى ان على الأطفال الصغار المساهمة بنصيبهم في توفير البقاء في بيئة مقاومة[٨].

وقد وصف **هرسكو فيتز** Herskovitz مسؤوليات الصبيان والبنات في أعمار مختلفة في أحد الرهوط البدائية . ففي سن السادسة يبدأ الصبيان بمساعدة ذويهم في تنظيف الحظائر ، وذب الطير عن الاراضي المزروعة حديثاً ، وعن المحاصيل ، ومرافقة الاسرة الى أعمال الحراثة والحصاد . ومن السادسة حتى التاسعة ، يضاف الى الاعمال السالفة بناء البيوت ، والمساهمة في الحراثة والحصاد ، وفي نهاية هذه المرحلة يذهب الصبي مع الرعاة الصبيان لرعي الماشية ، كما يشترك في رعاية الدواجن ؛ ومن التاسعة الى الثانية عشرة تلقى عليه كامل مسؤولية رعاية الماشية والدواجن ، ويساعد والديه في الحفاظ على المحاصيل ، أو يساعد والده في مهنته ، اذا كان صاحب حرفة ، ويتعلمها منه بالملاحظة ؛ ومن الثانية عشرة الى الخامسة عشرة يقوم حقاً بحراثة اراضيه الخاصة ، ويقود الصبيان الاحداث الى الرعي ، او يساعد والده في مهنته . ومسؤوليات مشابهة تختلف باختلاف الجنس ، تضطلع بها البنات ، اللواتي يساهمن في الخامسة عشرة من عمرهن بقسط من جميع المسؤوليات المنزلية المتعلقة بالحياة اليومية ، وبالمسؤوليات المتعلقة بالمناسبات الاحتفالية .

ويلعب الطفل في هذه المجتمعات البدائية بلعب تشبه وسائل عمل او إنتاج ابيه ، وعندما يبلغ اشده يأخذ بمرافقة والده في البحث عن الطعام ، وملاحقة الأعداء . وتتعلم البنت ايضاً الاعمال المنزلية من امها . وكذلك وصف هرسكوفيتز باهتمام وتفصيل تقسيم العمل والمسؤولية ، لأنهما يتضمنان وظائف رئيس القبيلة ، ودور « الطبيب » ، وسواهما في الاحتفالات القبلية . وحتى هذه المعارف والمهارات تكتسب بالملاحظة والتقليد او المحاكاة .. [٩]

---

(٨) راجع : M.Mead : Coming of Agein Samoa.N.Y.1936 : Growing up in New Guinea.N.Y.1930

(٩) راجع :

M.Y. Herskovitz : The Economic life of Primitive Peoples N.Y.A.A.Knopf.. 1940 P.P. 109 - 110

ما قدمه المؤلف من وصف لقبيلتي الأكوماس Acomas والنافاهوس Navahos يظهر لنا رهطين تعديا مرحلة اشباع الضرورات الاقتصادية ، الى مرحلة تضم بذوراً اولى من المظاهر الفكرية للتراث الثقافي : كالفن ، والاساطير ، والاغاني والملاحم البطولية ، والمحرمات والاحتفالات الدينية والسحرية ...

وقد تقدم هؤلاء الى حد ما ، في التنظيم القبلي ووظائف اعضاء القبيلة ، ولكنهم لم يشعروا ، مع ذلك ، **في حاجة إلى المدرسة**. فالارتباط اليومي داخل الرهط الاولي ، وترداد الاغاني والإحتفالات او الحفلات الدينيـة ، والعقاب السريع الذي ينزل بمخالف المحرمات ، تنقل التراث الثقافي دون تغيير او تبديل !. وهكذا يتعلم الاطفال النواحي الطقوسية والدينية من الاشخاص الكبار . ويعتمد هؤلاء البدائيون على حفلات التأهيل ا. « الدخول » ، التي تعتبر من اكثر الوسائل التربوية الرسمية اوليـة ، حيث ينقل الراشدون الى المراهقين التراث الثقافي للقبيلة ، ويسدون بهذا النقص التربوي الذي كان سيحصل لو أهمل هؤلاء المراهقون الى الوكالات التربوية غير الرسمية . ففي الرهوط التي تراكم فيها التراث الثقافي الى حد لا يسمح معه بتركه بصورة كلية الى المحاولة والخطأ ، تقام مثل هذه الدورات التثقيفية الخاصة ليلقن فيها الافراد أدوارهم الخاصة بهم ، ويعطوا التثقيف الذي يعتبر ، الى حد ما ، رسمياً . (١٠)

وينطبق كل هذا على الحضارات البدائية والأولية التي تكلمنا عنها سابقاً ، والتي تقدمت على الحضارات الكبرى . (١١)

ذلك لان الحضارة والثقافة كانتا فيها غير معقدتين ولا تحتاجان الى مدارس لتعليمهما ، ولم تكن قد ظهرت بعد اللغة المكتوبة . وبحلول الحضارات الكبرى ، وخاصة حضارات الزراعة الكبرى المستقرة والصناعة والتجارة أي حضارات النظام العبودي ، حصلت ثورة في جميع مناحي الحيـاة الاجتماعية . اذ دفعت

---

(١٠) راجع : الفصل الثامن من كتابنا هذا .

(١١) راجع نفس المصدر السابق . ونفس الفصل .

التبدلات الاقتصادية الى تبدلات عميقة في النواحي السياسية والفكرية والفلسفية والدينية والاخلاقية والعلمية والفنية .. وتعقدت الحضارة والثقافة مع الزمان فدفع كل هـذا التعقيد الحضاري والثقافي الناس **إلى إنشاء المدارس والتعليم الصحيح** لتخريج السياسيين والمختصين بشؤون الادارة والصناعة والتجارة والتخطيط المدني ، والهندسة الزراعية ، والفلاسفة ورجال الاخلاق ، ورجال الدين ، كل ذلك في سبيل تدعيم الإرث الاجتماعي والثقافي والحضاري وتنميته ونقله من جيل إلى جيل . (١٢) ، ذلك لانه اصبح من المتعذر على الاسرة ورجال الدين والراشدين الآخرين أن يتولوا نقل كل هذه الإختصاصات الثقافية والحضارية الى الاطفال والمراهقين والشباب ، ...

أين نشأت أولى المدارس : يقول براون « فقط مع نمو او نشوء حروف اللغة ، كما في الصين ، والابجدية ، ومنظومة الاعداد (أو الارقام) في الثقافة المبكرة لبعض الرهوط ، تراكم الإرث الثقافي الى حد أصبح لايمكن معه أن يودع ولزمان طويل ، حتى في حفلات التأهيل أو الدخول . حينئذ أسست المدرسة في الصين ، ومصر ، وبابل ، والهند ، واليونان ، وروما . حتى أن المدارس الرسمية كانت بصورة رئيسية ، مقصورة على المواطن ذات التراكم الحضاري العالي ، كاللغة المكتوبة ، والدين ، والفلسفة ، والرياضيات .. » (١٣) .

ويحدد بعض المؤلفين ، ول ديورنت مثلا ، ظهور أولى المدارس في سومر . إذ يقول : « وفي تلك البلاد (سومر) — على قدر ما وصل اليه علمنا في الوقت الحاضر — نجد اول ما أسسه الانسان من دول وامبراطوريات ،

---

(١٢) راجع : منير مشابك موسى : المطول في علم الاجتماع - الكتاب الاول - الجزء الاول - الفصل الحادي عشر .

راجع منير مشابك موسى : الفصل الثامن من كتابنا هذا . وخاصة ص ١٨٦-١٨٧ .

(١٣) F.Y.Brown: Educational Sociology N.Y.Printice - Hall. 1944.

وأول نظام الري ، وأول استخدام للذهب والفضة في تقويم السلع ، وأول العقود التجارية ، وأول نظام للإئتمان، وأول كتب القوانين ، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع ، وأولى قصص الخلق والطوفان ، **وأولى المدارس والمكتبات ..** »[١٤] .

ومهما يكن من أمر هذا الرأي أو ذاك حول تأسيس أولى المدارس وحول البلد الذي أسست فيه ، فمما لا شك فيه ان المدارس نشأت أول ما نشأت في الحضارات الكبرى الزراعية والتجارية التي ظهرت في سومر وآشور وبابل ومصر وفينيقيا ، والصين والهند واليونان والرومان ..

نمو وتطور المدرسة : أسست المدرسة تجاوباً مع حاجات حضارة نامية، أصبح فيها اختصاصات مختلفة ، وتقسيم اجتماعي للعمل واضح تماماً ؛ وكانت المدرسة في كل مرحلة حضارية تعكس ، خلال التاريخ ، الوجه المسيطر والهام في هذه المرحلة. ففي المرحلة الأولى كانت تعكس حاجات الطبقة الارستوقراطية الى تثقيف أبنائها وتهيئتهم لتسنم الوظائف الرئيسية في الدولة ، وصبهم في قالب طبقتهم وتثقيفهم ثقافة تتفق ومركزهم الاجتماعي والسياسي . وكان يشرف على هذه المدارس رجال الدين ، لأن التربية كانت تتم غالباً في المعابد أو حول المعابد . حصل هذا في الحضارات الأولى ، لأن الجماعة الدينية لم تكن منفصلة عن الدولة . لهذا كان رئيس الدولة أو الملك ملكا وكاهناً في نفس الوقت : أي يجمع بين يديه السلطتين الزمنية والروحية. ولكن مع تعقد الحضارة والثقافة انفصلت الوظيفة السياسية عن الوظيفة الدينية . وتعقدت الوظيفتان وتطلبت كل منهما احتفالات وطقوساً . وسلمت هذه الطقوس والاحتفالات في مرحلة أولى « للكهنة » ؛ وفي مرحلة ثانية أصبح من اختصاص هؤلاء الكهنة تعليم النشء الارستوقراطي تقاليد وعادات الماضي ، وتثقيفهم حسب محرمات وأنماط

---

١٤ – ول ديورنت : قصة الحضارة . الجزء الثاني . ترجمة محمد بدران – القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ ص ٤٠

سلوك الحاضر . وهكذا كان معلمو البشرية الأوائل رجال دين ، وكانوا يلقبون بمثل هذه الألقاب : طبيب ، دكتور ، أو مصل[١٥] .

وكانوا دائماً من الأسر الحاكمة ، أو من أتباعها الارستوقراطيين ، وكان الهدف من ذلك السيطرة على الطبقة الشعبية الكادحة من عبيد وفلاحين وفقراء . . (سنعود بالتفصيل الى هذا حالاً) . وعندما تعقدت الحضارة في ذروة العهد العبودي ، وظهرت الفلسفة والعلوم والقوانين والفنون بشكل واضح ، وعندما ارتقت الصناعة والتجارة ، وتعقدت وظائف الدولة وتعددت ، انعكس كل هذا على المدرسة وأوضاعها . فدعيت مرة أخرى للتلاؤم مع الأوضاع الجديدة. **فتعددت ، تبعاً لهذا ، المدارس وتنوعت** ، وانفصل كثير منها عن رجال الدين ، وانتقل منهم الى الفلاسفة والعلماء والأطباء والخطباء والحكماء ، وارتفع ايضاً مستواها . فبدلاً من أنها كانت في البدء أولية وبدائية ، أصبحت في هذه المرحلة على درجات : منها الابتدائي والثانوي والعالي . وبهذا ظهرت الجامعات الراقية وخاصة في الصين والهند ومصر واليونان وروما . .

وعندما حلت العصور الاقطاعية أصاب المدرسة نكسة . فعادت في القرون الوسطى الى أيدي رجال الدين ، وأصاب العلوم والفلسفة نكوص ورجعة ؛ ولما حلت العصور الحديثة عادت العلوم والفلسفة والصناعات والتكنولوجيا ، فاحتلت مكان الصدارة في المدارس الحديثة (سيظهر لنا هذا جلياً من خلال بحثنا) .

نعطي الآن بعض أمثلة موضحة نأخذها من الحضارات القديمة والحديثة لنوضح رأينا هذا ، ونظهر تطور المدرسة تبعاً لتطور الحضارة والثقافة ، وتلاؤمها المستمر مع كل مرحلة حضارية خلال التاريخ .

---

١٥ – راجع : Brown: op. cit. P.P. 247-248

المدرسة في الحضارات القديمة :

١ – **سومر** : نأخذ سومر أولاً لأن حضارتها أقدم من حضارة سواها . يقول ول ديورنت : « وكانت تلحق بمعظم الهياكل **مدارس** يعلم فيها الكهنة الأولاد والبنات الخط والحساب ، ويغرسون في نفوسهم مبادىء **الوطنية والصلاح** ، ويعدون بعضهم للمهنة العليا مهنة الكتبة »[١٦] .

وكان التعليم في المعابد مختلطاً . وأصبحت هذه المعابد ، فيما بعد ، لاتخرج الكتبة فقد ، بل الأطباء والمحامين والكهنة والعرافين والمنجمين[١٧] .

٢ – **مصر** : كانت التربية في بادىء الأمر محصورة بين أيدي الكهنة الذين كانوا رجال العلم وحفظته والمعلمين والمؤدبين . وكانت الحياة المدرسية تبتدىء في الغالب في سن الخامسة . وكانت التربية مقصورة في هذه المدارس على تلقين الأطفال مبادىء القراءة والكتابة والحساب[١٨] . وكانت هناك تربية أرقى من هذه مقصورة على أبناء الأشراف والنبلاء ، وكانت مدارسها محصورة في معابد المدن الكبرى مثل معبد فتاح في منف ، ومعبد رَعْ في عين شمس ، ومعبد أمون في طيبة[١٩] .

وبارتقاء الحضارة المصرية ارتقت هذه المدارس العالية وأصبحت تخرج الحرفيين والكتاب والموظفين ورجال المهن الراقية . اذ « كانت تنحصر التربية ، كما يقول مصطفى أمين ، في اعداد الطلاب لاعمال الحياة وتخريجهم في المهن والحرف التي يريدون مزاولتها في حياتهم العملية . . وأهم هذه المهن وأعمها شيوعاً بين الطلاب مهنة الكتابة ، وقد كانت تعد أساس التعليم العالي ، وأول

---

١٦ – ول ديورنت : قصة الحضارة . الجزء الثاني . ص ٣١

١٧ – راجع رالف لنتون : شجرة الحضارة . الجزء الثاني ترجمة أحمد فخري القاهرة – مكتبة الانجلو مصرية. ص ٢٢٤–٢٢٥

١٨ – راجع : مصطفى أمين : تاريخ التربية . القاهرة ١٩٢٦. ص ١٨–١٩

١٩ – راجع : نفس المصدر السابق . ص ١٩

خطوة يخطوها الشبان الى المناصب العالية في الحكومة »[٢٠] . وكان للكتاب وظائف متعددة منها : نسخ الكتب المقدسة ، وتحرير الوثائق الرسمية، وإدارة القرى الواسعة، والمتاجر الكبيرة التي لا تستقيم أمورها بغير الحساب والكتابة، وتسيير أعمال الجندية والدينية .. وكان الكتاب طبقتين : دنيا وعليا . اما كتاب الفئة الدنيا فكانوا يقنعون بتعلم الخط الهيراطيقي وتحرير العقود والوثائق والحساب .

اما كتاب الفئة العليا فكانوا يتعلمون الهيروغليفية والهيراطيقية والديموتيقية والفلسفة والقانون ... والاخلاق الحميدة الطيبة ...[٢١]

وكانت المواضيع التجارية اكثر ما يعلم في هذه المدارس[٢٢] . أما من كان يريد ان يعد نفسه لمهنة اخرى غير الكتابة ، فكان يمكن ان يجد ذلك في المعاهد العليا . فمن رغب في هندسة البناء كان عليه ان يدرس الرياضيات والميكانيك ، والتاريخ والدين . . واصبحت هذه المدارس تخرج الاطباء وكان عليهم ان يدرسوا الفيزيولوجيا ويلموا بجميع اعضاء الجسد ، وضروب السحر والرقى والشعوذة) . . . والكهنة (وكان عليهم ان يدرسوا الكتب المقدسة وشعائر الدين دراسة واسعة، ويتمكنوا في الرياضيات والعرافة والتنجيم والمعارف الفلسفية والعلمية . .)[٢٣] .

وفي القرن السابع قبل الميلاد حدثت ثورة تربوية في مصر ، لأن ابسمتيك الاول ، مؤسس الاسرة السادسة والعشرين ، اراد الانتفاع بحضارة الاغريق، فعلم اولاده علومهم وفنونهم ، واخذت بعد ذلك التربية والمدارس الاغريقية (اليونانية) تلعب دوراً هاماً في الحياة المصرية . . . في ايام البطالسة برزت

---

٢٠ - نفس المصدر السابق ص ٢٠

٢١ - راجع نفس المصدر السابق . ص ٢١

٢٢ - راجع ول ديورنت : المصدر المذكور سابقاً. ص ١٠٥

٢٣ - راجع مصطفى امين : المصدر المذكور سابقاً ص ٢١

معاهد عالية ، واصبحت الاسكندرية محجة يؤمها الطلاب من جميع انحاء الاقطار .. واهم هذه المعاهد متحف الاسكندرية ، ودار الكتب فيها (كانت تحتوي على ما يقرب من ٧٠٠ الف كتاب) [٢٤] .

وكان يلح على الفضيلة والطاعة والخضوع والنظام في جميع مراحل التعليم [٢٥] ولا يخفى الهدف السياسي الذي يكمن وراء هذا التعليم الاخلاقي الذي كان يمزج بتعليم ديني مليء بالاساطير والخرافات . .

٣ — **الهند** : كانت المدارس الهندية ، في بدء حضارة الهند ، بسيطة تتفق والمرحلة الحضارية التي بلغتها الهند . وكان يسيطر على التعليم فيها رجال الدين ، وكان التعليم في اول الامر مقصوراً على ابناء البراهمة وحدهم ، ومع تقدم الحضارة اخذ التعليم يترقى والمدارس تتعدد وتتعقد . . ولكن اغلب الذين كانوا يدخلون هذه المدارس كانوا من البراهمة والطبقات الارستوقراطية . وكان هؤلاء الاطفال يدخلون المدرسة في سن الخامسة ليتموا دراستهم فيها في سن الثامنة . وكان التعليم فيها ذا صبغة دينية غالبة ، كائناً ما كان موضوع الدراسة . وكان على كل طالب ان يحفظ نصوص الفيدات ، ويشتمل برنامج التعليم على القراءة والكتابة والحساب . . . وكان الهدف الاساسي من هذا التعليم ، ليس القراءة والكتابة والحساب . . . بل **الاخلاق والنظام** والطاعة والطهارة .

وفي سن الثامنة ينتقل التلميذ الى « شيخ » يلازمه حتى العشرين من عمره ، ويلقنه العلوم والاخلاق ويطالبه بالتزام العفة والتواضع والنظافة والامتناع عن اكل اللحم وجباته . . وكان قوام تعليم الشيخ « الشاسترات الخمس » أي العلوم الخمسة وهي : النحو والفنون ، والصناعات ، والطب والمنطق ، والفلسفة . وبعدئذ يطلق في الحياة مزوداً بنصح حكيم هو ان التعليم يأتي ربعه

---

٢٤ — راجع نفس المصدر السابق ص ٢١ و ١٩

٢٥ — راجع رول ديورنث : المصدر المذكور سابقاً ص ١٠٥

من المعلم ، وربعه من الدراسة الخاصة ، وربعه من الزملاء ، وربعه من الحياة .[٢٦]

وعندما تقدمت الحضارة الهندية ظهرت فيها جامعات كبرى وهامة ، كانت مفخرة الهند في العصور القديمة والوسيطة ، وهي جامعات :

بنارس وتاكسيلا وفداربها واجانتا ويوجين ونالاندا . . وظهرت الاختصاصات الراقية في هذه الجامعات . فكانت جامعة بنارس حصناً حصيناً للتعاليم البرهمية الاصيلة في ايام بوذا ، ولا تزال كذلك الى ايامنا هذه . وكانت جامعة تاكسيلا في عهد غزوة الاسكندر معروفة في آسيا كلها على انها مقر الزعافة في البحث العلمي في الهند ، واشهر ما اشتهرت به مدرسة الطب فيها ، واحتلت جامعة بوجين مكانة عالية بما فيها من علماء الفلك ، كما اشتهرت جامعة اجانتا بتعليم الفنون . . وأنشئت جامعة نالاندا بعد بوذا بزمن قصير وخصصت لها الدولة دخل مائة قرية للانفاق عليها ، وكانت تضم ١٠ آلاف طالب ، ومائة قاعة للمحاضرات ، ومكتبات ضخمة ، وست اجنحة للسكن . . وكان الطلاب الداخليون يتعلمون مجاناً ويأكلون وينامون مجاناً . ويخضعون بالمقابل الى نظام تقشفي يشبه حياة الرهبان في الاديرة[٢٧] .

٤ - **اليونان** : وحدث ما يشبه هذا في اليونان . ذلك لأن التربية اليونانية كانت في عهد « حكومات المدن » ، تربية تتفق والمرحلة الحضارية التي وصلت اليها هذه المدن . اذ تركت هذه المدن نظام العشائر الذي كان سائداً في العصر الهوميري ، وتبنت نظام الحكومات المدنية ، التي اصبحت الرابطة فيها قائمة على الاشتراك في ارض واحدة وحياة اجتماعية واحدة ، لا على الدم او الانتساب الى عشيرة ، او اسرة واحدة . وكانت التربية مقصورة على المواطنين اليونانيين ومحرمة على العبيد . مع ان نسبة العبيد كانت تفوق احياناً نسبة المواطنين .

---

٢٦ - راجع ول ديورنت : قصة الحضارة . الجزء الثالث . ترجمة زكي نجيب محمود . ص. ٢٨٥-٢٨٦

٢٧ - راجع نفس المصدر السابق. ص ٢٨٦-٢٨٧

فمثلاً كانت في ايام سقراط ، نسبة المواطنين الاحرار في اثينا الى نسبة العبيد تبلغ $\frac{٤٠٠٠٠}{١٥٠٠٠٠} = \frac{٤}{١٥}$. فاذا اخذنا التربية في اسبارطة واثينا رأينا انهما تختلفان الواحدة عن الاخرى .

ففي اسبارطة كانت التربية موضوعة تحت اشراف الدولة الكامل وتكلمنا. في فصل سابق عن التربية فيها ولا لزوم هنا للالحاح عليها [٢٨] . كانت الغاية منها تهيئة الجندي القوي والباسل ولذا كانت الصبغة العسكرية غالبة عليها ، وكانت عامة لجميع المواطنين . فكان الاطفال يؤخذون الى « المعسكرات » منذ السابعة من عمرهم ، فينامون ويأكلون جماعياً . وكانوا حتى الثانية عشرة يعيشون عيش التقشف ويتعلمون تحمل الآلام والجوع والعطش والتعب . . ويمارسون الرياضة والعدو والسباحة ، وقذف القرص والرمح . . ومنذ السنة ١٢ تبدأ الصفوف العالية . ففي صفوف سنوات ١٢ – ١٥ و ١٥ – ١٨ و ١٨ – ٢٠ كانت التربية تنصب بغالبها على التربية العسكرية . وكان التلاميذ يتعلمون شيئاً من الرقص الديني والعسكري ، والموسيقى الحماسية والحربية والدينية . وكانت التربية الثقافية او العقلية تقتصر على القليل: قصائد هوميروس وبعض قصائد حربية ، وبعض اشعار اخلاقية . . ولذا كان القليلون منهم يقرأون ويكتبون . . وتدوم التربية العسكرية المحضة من الـ ٢٠–٣٠ [٢٩]

فهذه التربية الاولية من الناحية الثقافية والفكرية تتفق والمرحلة الحضارية الاولية التي بلغتها اسبارطة .

اما في اثينا فكانت التربية حرة ومتروكة للأفراد [٣٠] . لذلك كانت المدارس مفتوحة تقريباً للأغنياء والطبقة الارستقراطية فقط . . وكان ابناء

---

٢٨ – راجع الفصل الرابع من كتابنا هذا . ص ٤٩–٥٠

٢٩ – راجع :

R. Hubert: Histoire de la Pédagogie. Paris. P. U. F. 1949. P. P. 17 - 19

٣٠ – راجع الفصل الرابع من كتابنا هذا . ص ٥٠

الارستقراطيين يذهبون الى المدارس منذ السابعة (وفي بعض الاحيان منذ الخامسة) . وكانوا يتعلمون على يد النحوي مبادىء القراءة والكتابة والحساب وعلى يد الموسيقي الموسيقى والغناء ، ويتعلمون ديانة المدينة واخلاقها ، ويتمرنون على العدو وقذف القرص والرمح والقتال . . وعندما ظهر السوفسطائيون اخذت المدارس تعلم البيان والجدل والسفسطة ، وبعض مبادىء العلوم المعروفة في ذلك العهد في الفلك والجغرافيا والفيزياء .

ومنذ عهد السوفسطائيين اصبح هدف المدارس ، وهدف التربية فيها ، تكوين الانسان المثقف ، القادر على القيام بكل وظائف الحياة الخاصة والعامة ، والخطيب ورجل الدولة ، ففي هذا العهد من تكوين الدولة كانت التربية الاثينية تهدف لأن تكون فردية وجدلية وبيانية [٣١] . اي تكون الانسان لنماذج الخدمات والوظائف الجديدة التابعة للدولة [٣٢] .

وعندما تشكلت الامبراطورية اليونانية سارت الحياة الثقافية والحضارية في مجرى عميق وراق ، وبدأت هذه الثورة منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وكان الفضل الاكبر فيها للاسكندر المكدوني الذي مهد لها بمد رقعة الامبراطورية الى كثير من البلاد الشرقية . فظهرت في هذا العهد صناعة راقية وتجارة راقية وثقافة راقية . . وظهر اثر ذلك في المدارس التي أسست لترضي الحاجات الاجتماعية والثقافية والحضارية اذ ظهرت المدارس الآتية :

أ – مدارس الفلسفة : وكانت تدرس فيها الفلسفة والعلوم النظرية على ايدي فلاسفة كافلاطون وارسطو وزينون .

ب – مدارس البيان : وانشئت لتعليم الخطابة والمنطق الفصيح واقتباس المعارف العصرية . وكان هم القائمين عليها تخريج رجال بصيرين بأمور الحياة العملية ، والنجاح في السياسة ، ولم تعن هذه المدارس بتدريس الفلسفة ولا الجانب النظري من مسائل العلوم والفنون .

---

٣١ – راجع : Hubert : op. cit P. P. 19-22

٣٢ – راجع : Brown: op. cit. P. 250

ج – **الجامعات** : وقد انشئت لدراسة الفلسفة والآداب والبحث العلمي ، ومن اشهرها جامعتا اثينا والاسكندرية [٣٣] .

من هنا نلاحظ ان المدارس اليونانية تطورت تبعاً لتطور الثقافة والحضارة اليونانيتين ، وكانت دائماً تتطور لترضي الحاجات المستجدة في كليهما .

٥ – **روما** : وتجد نفس الظاهرة في نشأة المدارس الرومانيه . ففي المرحلة الأولى لنشوء هذه المدارس كانت اهداف التربية فيها نفعية وعملية [٣٤] .

وكان التلاميذ من جميع الطبقات يتلقون فيها القراءة والكتابة والحساب ويتعلمون قانون الألواح الاثني عشر . . وأما أبناء الميسورين منهم ، وخاصة أبناء الطبقة الأرستوقراطية ، فكانوا يتثقفون ، بعد هذا ، في أمور الحرب في معسكرات ، وأمور السياسة بحضور جلسات مجلس الشيوخ . ولم تظهر الثقافة أو التربية الراقية الا بعد حلول منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، عندما انطلقت روما نحو الفتح وتشكيل امبراطوريتها . . عندئذ أخذ الأساتذة اليونانيون يتوافدون على روما . . فاصطبغت التربية الرومانية ، بعد تشكل الامبراطورية بالصبغة اليونانية . فظهرت المدارس الراقية ، وكانت على أربعة أنواع :

أ – **المدارس الابتدائية** : وكانت تدرس فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب الأولي . وكان يلح فيها على القصص التاريخية والاناشيد الدينية وشريعة الألواح الاثني عشرية .

ب – **المدارس الثانوية** : وكانت على نوعين : يونانية تعلم اللغة والآداب اليونانية ، ولاتينية تعلم اللغة والآداب اللاتينية . وكان يلح فيها جميعاً على قواعد اللغة : النحو والصرف والعروض وعلم الاشتقاق ومخارج الحروف ، وشرح

---

٣٣ – من اجل بعض التفاصيل راجع : مصطفى امين : المصدر المذكور سابقاً ص ١٠١ – ١٠٨

٣٤ – راجع الفصل الرابع من كتابنا هذا . ص ٥٠ – ٥١

الجمل .. وعلى الالقاء الحسن ، والخطابة الجيدة . . كما كان يدرس فيها الحساب للانتفاع به في المتاجر والمزارع والأعمال الدنيوية ، والهندسة لاستخدامها في أعمال المساحة وزرع الأرض ، والفلك ، ومبادىء وصف الأرض ، والموسيقى

ج - **مدارس البيان** : كانت هذه المدارس تعد طلابها ليكونوا خطباء مفوهين . وكان على الخطيب أن يكون طلق اللسان ، حسن البيان ، جم المعارف ، ملما بالشرائع والقوانين ، وحوادث التاريخ ، خبيرا بالعواطف والمشاعر الانسانية ، قادراً على اثارتها أو تهدئتها حسب الظروف ، وحازماً وفيلسوفا . . .

وقد ذهب بايي Bayet الى القول : كانت نخبة الشباب تكون حسب مثل أعلى موحد او عيني هو مثل الخطيب القوي والدقيق [٣٥] .

ولهذا كانت تدرس هذه المدارس ، علاوة على البلاغة والخطابة ، معارف واسعة في اللغة والآداب والعوم ، والحكمة والفلسفة . .

د - **الجامعات** : وأشهرها وأقواها جامعة روما . كانت الدراسة في هذه الجامعات مقصورة في أول الأمر ، على العلوم العقلية السبعة ، ولا سيما قواعد اللغة وفن البيان ، ولكن أضيف الى موادها ، بعد ذلك ، تدريس الحقوق والطب . وفن البناء والتكنولوجيا . ولكن لم يكن للفلسفة النظرية والبحوث العلمية حظ يذكر في برامجها .

وعندما انحطت الامبراطورية ، وأخذ نجمها بالأفول أخذت المدارس الرومانية بالانحطاط والتعلق بالصوري من الدراسات والجدل والبيان ، [٣٦] . .

وهكذا نرى ان المدارس الرومانية كانت تابعة ، في تأسيسها وازدهارها وانحطاطها ، لنشأة الثقافة والحضارة الرومانيتين وازدهارهما وانحطاطهما . .

٦ - **بلاد العرب** : نذكر هنا المدارس العربية والاسلامية مع أن أقواها

---

٣٥ - نقلاً عن : Hubert : op. cit. P. 23-24

٣٦ - من أجل بعض المعلومات الموسعة راجع : مصطفى امين : المصدر المذكور سابقاً ص ١٢٥ - ١٤٥

وأغلبها ظهر في القرون الوسطى . ذلك لأن الحضارة العربية ظهرت قبل ظهور الاسلام بقرون وفي أمكنة مختلفة في الجزيرة العربية . ولا بد أن تكون عرفت هذه الحضارات ، كحضارة اليمن ، وسبأ ، التعليم . ولكننا مع الأسف لا نملك المصادر الموثوقة عن هذا التعليم . ومهما يكن من أمر فقد عرف العرب المسيحيون في الجزيرة العربية الأديرة كأمكنة للتعليم قبل الاسلام وبعده . كما عرفوا نظام القرّايات (القرّاية) التي كان يعلم فيها رجال دين أو قراؤون ، وكان يسمى الواحد منهم قرّا . وكان العلم فيها مصطبغاً بالصبغة الدينية ، ويدرس فيها التلميذ القراءة في المزامير أو « الكتاب المقدس » خاصة ، ويتعلم مبادىء الكتابة والحساب . كما عرف العرب المسيحيون في حوران مثلا المدارس الرومانية ، وكذلك عرفت أجزاء الامبراطورية العربية المختلفة ، خارج الجزيرة العربية ، المدارس الراقية من فارسية ويونانية ورومانية .. قبل حلول الاسلام وقبل انشاء الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ..

وعندما انتصر الاسلام في البلاد العربية وتبنته الدوله العربية كدين رسمي لها ، وحاولت نشره في جميع انحاء امبراطوريتها الواسعة ، انشأت بعض المؤسسات التعليمية لنشره بين الانباع وتعليمه لابنائهم ، وتلقي العلوم التي سبقتهم الأمم المتحضرة اليها ..

وقد ظهر لدى العرب المسلمين قبل تشكيل الامبراطورية العربية وبعدها المؤسسات التعليمية الآتية .

١ ـ **المسجد والجامع** : يعتبر المسجد أقدم المؤسسات التعليمية عند العرب المسلمين . اذ بدىء بانشاء المساجد منذ عهد النبي الكريم . وبدىء بتعليم القرآن ومبادىء الإسلام فيها منذ هذا العهد . وأصبح الجامع ، فيما بعد ، بمثابه المدرسة الثانوية والعالية . إذ لم يكن التدريس فيه ، بعد نشوء الحضارة العربية الإسلامية الراقية ، مقصورا على المواد الدينية ، بل تناول مواد مختلفة كالعلوم والشعر والنحو والأدب والفلك والحساب ، وحتى الطب أحيانا . وكان الاستاذ ، أو

الشيخ ، يختار له مكانا معيناً في جانب صحن الجامع حيث يلتف حوله طلابه جالسين على بساط أو حصير مكونين حوله ما سمي بالحلقة . وكان في الجامع أحياناً ، عدة حلقات ، يتصدر كل منها أستاذ أو عالم . .

ومن أشهر الجوامع التي اشتهرت بالتدريس :

أ ــ **جامع عمرو بن العاص** . بدأت الدراسة فيه سنة ٣٦ هـ .

ب ــ **جامع احمد بن طولون** : تم بناؤه عام ٢٥٦ هـ ، وكان التعليم فيه يشمل الفقه والحديث والقرآن والطب .

ج **الجامع الازهر** : وهو باق حتى أيامنا هذه .

٢ ــ **الكتّاب** : أنشىء الكتاب بعد الجامع في أيام أبي بكر وعمر ، عندما احتك العرب ، بعد امتداد الفتح ، بالشعوب المتمدنة المجاورة . وكان يدرس فيه التلاميذ الصغار القرآن .

٣ ــ **دور الحكمة والعلم** : وظهرت في العصر العباسي بعد ان احتك العرب تماماً بالشعوب المختلفة . وقد انشئت على الأرجح في عهد الرشيد . وكان الغرض الاول من تأسيسها جمع ونقل العلوم الأجنبية وخاصة العلوم والفلسفة اليونانية الى اللغة العربية .

ومنها دار الحكمة في بغداد التي أسسها الرشيد . وكان يلحق بها عدد من العلماء يقرأون ويعلمون الطلاب . وكانت هذه الدار أقرب إلى الجامعة ، حيث كانت تدرس فيها علوم مختلفة بدرجة كافية من التعمق ، وحسب طرق علمية تتطلب الاطلاع الشخصي والاستقلال الفكري . ومنها دار الحكمة في القاهرة (أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ ،) .

٤ ــ **المدرسة** : ظهرت المدرسة في نهاية القرن الرابع الهجري . وقد نشأت كرد فعل ضد المذهب الشيعي ، الذي انتشر بقوة في القرن الرابع الهجري . فعممها السلاجقة السنيون على الجزء الاكبر من الامبراطورية العربية والاسلامية ، لتعضيد المذهب السني ، عن طريق العناية بتدريس الفقه

الاسلامي ، وفقه المذاهب السنية الاربعة . وكانت تبنى المدرسة عادة لاحد الفقهاء المشهورين في أحد المذاهب الأربعة ... « ولم تختلف المدرسة ، كما تقول أسماء حسن فهمي ، عن الجامع أو المسجد لا من ناحية البناء ، ولا من ناحية الوظيفة أو الغرض »[٣٧] .

ومن اشهر هذه المدارس المدرسة النظامية ، والمدرسة المستنصرية (في بغداد) ، والناصرية (في القاهرة) ؛ وكان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة عدة مدارس في دمشق ...

٥ – **الخوانك والزوايا والربط** : وتشبه هذه المعاهد الأديرة والصوامع من نواح عدة . إذ كان الطلاب ينقطعون فيها للدرس والعبادة . كما انها كانت تؤسس غالباً للمتصوفين . وفي الخوانك كان الطلاب يتعلمون أحياناً دروس في الفقه ، واخرى في الحديث النبوي ، وثالثة لقراءة القرآن بالروايات السبع .

أما الزاوية فكانت أصغر من الخانقاه ، وكانت تبنى للفقراء من المتصوفين للدرس والتعبد . أما الربط فكانت بيوت المتصوفين حقاً يتفرغون فيها للتعبد والدرس . وبنيت ربط خاصة بالنساء .

٦ – **البيمارستان** : بنيت البيمارستانات لعلاج المرضى بالمجان ولدراسة الطب دراسة عملية . وأول من بنى المارستان ودار المرضى الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨هـ .

٧ – **حلقات الدرس** : وكانت تعقد في دور العلماء وقصور الحكام . . فكان مثلا لابن الاعرابي الكوفي في القرن الثاني للهجرة حلقة يحضرها خلق كثير من المستفيدين . وكذلك كان للطبيب يوحنا بن ماسويه حلقة يعقدها في منزله ببغداد للمناقشة والدرس ، يحضرها الاطباء وعلماء المنطق والفلاسفة والادباء . .[٣٨]

---

٣٧ – اسماء حسن فهمي : مبادىء التربية الاسلامية . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٣٣

٣٨ – من أجل تفاصيل عن المدارس في البلاد العربية الاسلامية راجع :
اسماء حسن فهمي : المصدر المذكور سابقاً . ص ٢٢ – ٥ ؛

ومهما يكن من أمر فان المدرسة العربية تطورت بتطور الثقافة والحضارة العربيتين . وكانت تحاول ان تتلاءم مع مقتضيات المجتمع العربي . ولكن ظلت الصبغة الدينية ، غالبة ومسيطرة عليها ، فهل تأتى هذا عن ظهور أغلب وأرقى المدارس العربية في القرون الوسطى ، أم عن كون الامبراطورية العربية قامت على الدين الاسلامي ، الذي كان أقوى ركيزة ودعامة من دعائمها وركائزها الاساسية ؟ .

المدرسة في العهد الاقطاعي والقرون الوسطى : بعد سقوط الامبراطورية الرومانية (في القرن الخامس للميلاد) عرفت أوروبا النظام الحضاري الإقطاعي وكان النظام الإقطاعي خطوة الى الأمام بالنسبة للنظام العبودي . اذ خفف عن كاهل الفلاحين والعمال العبيد ، وجعلتهم اقناناً بعد ان كانوا عبيداً . وكان القن يتمتع في هذا النظام بشخصية وحرية وكرامة أفضل نسبياً منها لدى العبد او العرق . ولكن حل النبيل الاقطاعي ، مالك الارض ، مكان الارستوقراطي المستعبد ، مالك الارض والاقنان الذين يعملون عليها .

كانت طبقة النبلاء الطبقة الحاكمة و لمسيطرة في هذا العهد يشاركها ويساندها ويدعمها في ذلك طبقة الكهنة أو رجال الدين . فاستخدم النبلاء الاقطاعيون كل الوسائل من سياسية (الدولة) ، وحقوقية (القوانين ...) وفكرية (التربية والتعليم والثقافة..) لتثبيت ملكيتهم وخطواتهم وامتيازاتهم. فاستلموا هم الحكومة والجيش والمحاكم وتشريع القوانين التي تناسب مصالحهم واعتمدوا على رجال الدين في الناحية الفكرية والثقافية . لذلك كانت التربية والحياة الفكرية تحت اشراف الكهنة الكامل ، ولهذا اتخذتا طابعاً دينياً محرفاً ومنحرفاً عن روح الدين الصحيح والمبدع ، وصبغة مدرسية (سكولاستيكية) جامدة ومتحجرة وصورية ... وكان القصد من ذلك تبرير الملكية الاقطاعية ، كما فعل القديس توما الاكويني ، وكونفوشيوس وسواهما من زعماء رجال

الدين[٣٩] ، وقتل الشخصية البشرية القومية ، والفكر الانساني المبدع والمتحرر لدى الطبقة الكادحة من فلاحين (خاصة) وعمال ، وتعويدهم على الخضوع الأعمى ، ليتجنبوا بذلك انتفاضاتهم وثوراتهم . ولهذا وجهت المدرسة توجيهاً دقيقاً لتتلاءم مع الوضع الحضاري الجديد . وعاد الكهنة فسيطروا عليها ، كما كان في اول نشأتها وعهدها الاول ، بعد أن حررها اليونانيون والرومانيون في سيطرتهم هذه . وقد قال المؤلف الامريكي براون في ذلك : « ظلت التربية فعلياً ، اكثر من الف سنة بعد سقوط روما ، بين ايدي الكنيسة . وضاع الكثير من تعليم اليونان وروما ، واصبحت الحاجة الى المدارس ضعيفة ، إلا بين الكهنة ؛ وحتى بالنسبة لهؤلاء كان التثقيف صورياً ومحدوداً .

وقدم فرسان القرون الوسطى المدارس — الحصون التي كانت تعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة ، ولكن كان هدفها الاولي إقامة أو تثبيت نظام الفروسية الخاص بها »[٤٠] .

ويعتقد هوبر Hubert ان الكنيسة كانت ضد الثقافة والحضارة والفنون والآداب اليونانية ، لانها تحمل ، بالنسبة إليها ، بين طياتها الروح الوثنية ... فضاعت الثقافة القديمة عملياً من العالم الغربي ، بين القرنين الرابع والسادس للميلاد . ففي بلاد الغال لم يحل محل المدارس العامة من العهد الروماني سوى مدارس دينية فقيرة ، القصد منها تخريج الكهنة . وخبا كل اهتمام بالدراسات العامة .. وفسدت اللغة اللاتينية . وأصبحت الكتب مفقودة ..[٤١]

والسلاح الديني كان نافذاً جداً ويأتي بعد سلاح الدولة وأسلحة النبلاء

---

٣٩ — راجع منير مشابك موسى : المطول في علم الاجتماع — الكتاب الاول — الجزء الاول — الفصل الحادي عشر .

(٤٠) Brown : op. cit. P. 251

(٤١) راجع : R. Hubert : Op. Cit P. P. 28 — 29

الفرسان ولهذا لجأت اليه الطبقة المستغـلة ايضاً في كفاحها ضد الطبقة المستغلة ، وهكذا كان الفلاحون والاجراء من العمال يستشهدون بالتوراة والانجيل في كفاحهم ومطاليبهم ، فظهرت بهذا شيع وفرق تفاقم خطرها على النبلاء . واضطهدت الكنيسة الكاثوليكية ومحاكم التفتيش بوحشية هؤلاء « الزنادقة » او « الهراطقة » ، وكانت تلجأ احياناً الى حرقهم ، لا لشيء ، سوى انهم يطالبون بالمساواة والحقوق المسلوبة .

ومهما يكن من أمر فقد فقدت المدرسة في القرون الوسطى طابعها الابداعي والتحرري او اقتصرت على تعليم أبناء النبلاء ، والكهنة ، وحرم منها أبناء الفلاحين خاصة والعمال عامة ، وأصبح التعليم فيها شفاهياً تماماً مقصوراً على القراءة والاملاء ، وأصبحت الدروس عبارة عن شروح كتب ، ولا ترتبط المعرفة بالوقائع بل بآراء المؤلفين الذين كانوا يعتبرون أساتذة او معلمي العلم المعصومين . وكانت ترين في المدرسـة روح السيطرة والسلطة ، لأن مفهوم السلطة لازم للفكر اللاهوتي . . . وكانت هذه السلطة تتأتى عن ثلاثة مصادر : فهي سلطة الكتاب المقدس اولاً ، وسلطة ارسطو ثانياً ، وسلطة كبار شارحي فلسفة ارسطو واتباعه ثالثاً (٤٢) .

نلاحظ هنـا ان المدرسة أصيبت في اوروبا الاقطاعية . بنكسة لأنهـا لم تحاول ان تتلاءم تماماً مع الوضع الحضاري الذي وصلت اليه البشرية في تطورها التاريخي بل خضعت كل الخضوع لسيطرة النبلاء الاقطاعيين وأعوانهم من الكهنة ، وحاولت ان تدعم المؤسسات الاخرى ، في محاربة الطبقة البورجوازية الصاعدة ، والطبقة الكادحة المستغلة من فلاحين وعمـال ، لذا كانت ابوابها مفتوحة امام ابناء النبلاء واولئك الذين سيؤهلون ليصبحوا كهنة ومغلقة امام ابناء الطبقتين الأخريين . . . ومن هذه الناحية يمكن القول ان

---

٤٢ – راجع : Ibid : P. 36-37

المدرسة قامت بالرسالة التي ارادها لها النبلاء ، وتلاءمت مع وضع ثقافي وحضاري رجعي وراجع .

المدرسة في العصور الحديثة وتلاؤمها مع المجتمع الحديث وثقافته وحضارته ، وتعقد وتنوع برامجها واختصاصاتها :

كان لصنع الورق في اوروبا في القرن الثالث عشر ، واختراع الطباعة (في القرن الخامس عشر) اثر في خلق حاجة جديدة للتربية الرسمية ، وبحلول العهد الصناعي وخاصة في انكلترا ، وظهور البورجوازية الناشطة والصاعدة ، التي ابرزها حلول النظام الرأسمالي ، وبتكاتفها مع الفلاحين خاصة في ثوراتهم وانتفاضاتهم ضد الاقطاعيين ، وبقضائها عليهم في البلاد الواطئة (في القرن السادس عشر) وفي انكلترا (في القرن السابع عشر) وفي فرنسا (في نهاية القرن الثامن عشر) ، حل عهد حضاري جديد هو العهد الرأسمالي والصناعي البورجوازي . . . وحلت تبعاً لهذا ثورة في النظام التربوي ، فتأثرت المدرسة بعددها واتساعها ومحتواها وتنوعها بهذه الثورة التي شملت جميع مناحي الحياة . وأظهرت البورجوازية تحرراً وثورية في اول أمرها ، لتجتذب الفلاحين والعمال اليها في كفاحها ضد الاقطاعية لهذا أسست المدارس العامة وفتحتها امام جميع أبناء الطبقات . . .

فأخذت البلديات تؤسس المدارس للناس ، وكان من اهمها وأسبقها مدارس الجيمنازيوم في ستراسبورغ التي اسست سنة ١٥٣٦ . وقد صدر في انكلترا قانون « الانكليزي الفقير » سنة ١٦٠١ ، فقرر ضرائب للعناية بالفقير ، ساعدت الكثير من ابناء الفقراء ، صبياناً وبنات ، على ان يتعلموا حرفة نافعة . وبحلول النزعة القومية في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، أخذت الدولة تتحرر من سلطة الكنيسة ، وتفصل الدين عن الدولة ، وتؤسس المدارس العامة لجميع المواطنين والمواطنات لتثقفهم ثقافة قومية ووطنية ، وتصهرهم في بوتقة قومية واحدة توحد ما امكن في اتجاهاتهم ومنازعهم وافكارهم وعواطفهم . . .

وأخذت الدولة تسيطر شيئاً فشيئاً على المدارس ، وقد ظهرت ذروة سيطرة الدولة على جميع المدارس في النظام النازي ، وفي ايامنا هذه في النظام الاشتراكي الروسي . . . وفي القرن العشرين لم تفتح المدارس في الامم الصناعية امام أبناء جميع الطبقات فقط ، بل اصبح التعليم فيها اجبارياً ، ولو في مرحلته الابتدائية ، ولكن اجبارية التعليم لم تكن كافية لتحقيق تعليم ابناء الطبقة الفقيرة ، من عمال وفلاحين ، التي كان قسم كبير منها لا يقوى على الاستغناء عن عمل ابنائه ليرسلهم الى المدارس ، لهذا اصبح التعليم فيها اجباريا ومجانياً ومانحاً او منحياً . وظهرت ذروة هذا الاتجاه في روسيا السوفيتية وفي انكلترا بعد الحرب العالمية الثانية . . . وكان الفضل في ذلك لوعي الطبقة الكادحة ، وخاصة العمال ، والاهمية التي اتخذتها في النظام الصناعي الرأسمالي . لم يكن تعميم التعليم في المدارس على جميع أبناء وبنات الشعب التغيير الوحيد الذي حصل في هذه المدارس . بل دعت ضرورة الرقي الصناعي والحضاري ، في الحقلين الصناعي (خاصة) والزراعي الى العودة للعلوم النظرية ، وخاصة الميكانيك والفيزياء والرياضيات والكيمياء، والى تخريج المهندسين والاداريين والمشرفين والعمال الفنيين ، وتهيئة تكنولوجيا راقية جداً ، كما مس تعقد الحياة الاجتماعية وتنوع اختصاصاتها الى تخريج جميع المختصين اللازمين لها من موظفين ومستخدمين وحرفيين مختلفين . . . ودفعت نظرة احترام الشخصية البشرية الى دراسة الانسان لفهم نفسيته وتربيته خير تربية تتفق وميوله والحاجات الاجتماعية والحضارية والثقافية ، ودراسة المجتمع لتخفيف ويلاته وامراضه وعلله ، وبنائه على شكل سوي لا يبقى فيه أثر هام للاستغلال والظلم وعدم المساواة والتعصب العرقي والطائفي والاجتماعي . . . وضع كل هذا أمام المدرسة حاجات ومطالب ورغبات يجب عليها ان تلبيها. وقد تكيفت مع الوضع الجديد تكيفاً موفقاً ، وتلاءمت مع العهد الجديد تلاؤماً وقوياً . فكثر عدد المدارس ، وتنوعت اختصاصاتها ، وغنيت برامجها

حتى شملت جميع نواحي الحياة الاجتماعية والبشرية والفردية ، وارتفعت سويتها وتعمق اختصاصها حتى أصبح فيها اختصاصات شتى في كل مادة . فلو أخذنا مادة السوسيولوجيا مثلاً لرأينا انه اصبح فيها ثلاثون اختصاصاً على الاقل[٤٣]، وقل ذلك بالنسبة للسيكولوجيا ، والرياضيات والفيزياء والتكنولوجيا . . . وكانت المدرسة تتلاءم بسرعة مع كل تغير سريع يحدث في المجال الصناعي او الزراعي او الاجتماعي ، او الثقافي عامة .

ونعطي هنا مثالاً لثلاث دول حديثة : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي ، والجمهورية العربية المتحدة ، حاولت فيها المدرسة ان تتكيف مع اوضاعها الجديدة ، لنظهر صحة آرائنا السالفة .

١ — المدارس في الولايات المتحدة الامريكية :

لا يمكن ان نتكلم هنا بالتفصيل عن كل أنواع المدارس وعددها واختصاصاتها ، لان ذلك يحتاج الى كتاب خاص . وانما المهم ان نعطي هنا ولو معلومات اولية وعامة في مدارسها العالية فقط . يذكر براون انه لم يكن في التعليم العالي الامريكي سنة ١٨٢٠ سوى ٣٨ كلية (كوليج) ، وبين عامي ١٨٥٠ — ١٨٥٩ أسست ٩٢ كلية أخرى ، كما اسست ٣٠٠ كلية اخرى بين عامي ١٨٥٠ — ١٨٨٩ . . .[٤٤] .

ولكن التقدم الحضاري السريع في ميادين الاقتصاد والمال والصناعة والزراعة وجميع النواحي الاجتماعية ، دعا الى انشاء عدد هائل جداً في المدارس العالية وغير العالية لانجد له مثيلاً في جميع انحاء العالم . إذ يبلغ عدد الجامعات الحكومية والحرة اكثر من ٥٢، اذ اثناء الحرب العالمية الاولى قررت احدى

---

٤٣ — راجع منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا . الكتاب الاول ، الجزء الأول ، الفصل الرابع .

٤٤ — راجع : Brown: op. cit. P. 259

اللجان المنتدبة من قبل الحكومة الفدرالية ان هناك :

أ ـ حاجة ماسة للتربية المهنية ، ب ـ مشكلة التربية المهنية مشكلة متسعة الافق تماماً ولا يمكن ان تتم خارج وكالة قومية ، جـ ـ الدولة فقيرة جداً للتوصل الى حل هذه المشكلة ؛ د ـ يتطلب حراك السكان والعمل استخدام الثروات والموارد الفدرالية ؛ هـ ـ تدريب المعلمين للمواضيع المهنية يكلف غالياً والمعلمون مهاجرون ... ولهذا اسس مجلس فدرالي للتربية المهنية . وقسمت الميزانية الفدرالية ، التي وضعت لهذا الشأن ، الى ثلاثة اقسام :

أ ـ للتربية الزراعية ، ب ـ للتجارة ، الاقتصاد المنزلي والتربية الصناعية ، جـ ـ لتدريب معلمي المواد المهنية .. ففي سنة ١٩١٨ كان هناك ١٧٤١ مدرسة من هذا النوع تضم ١٦٤١٨٦ طالباً وتقدم اليها المساعدات من الحكومة الفدرالية ، وفي سنة ١٩٢١ اصبح هناك ٣٨٥٩ مدرسة من هذا النوع تضم ٣٠٥٢٢٤ طالباً .

وفي سنة ١٩٢٤ كانت تضم هذه المدارس ١١٠٠٠٠٠ طالب . . . وبين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ خصصت الدولة ٢٢٧ مليون دولار للتدريب التجاري والصناعي ؛ و٦٣ مليون دولار للتدريب الزراعي ...وقد حضر هذه الدروس خلال هذه السنوات الخمس حوالي ١١٥٠٠٠٠٠ من الشباب ...[٤٥]

وعلى هذا الاساس تعددت المدارس المهنية وغير المهنية .

وقد أعطى براون قائمة غير تفصيلية للمعاهد العالية في الولايات المتحدة عام ١٩٤٤ـ١٩٤٥ نقدمها الى القارىء كما هي[٤٦].

---

٤٥ ـ من أجل معلومات موسعة راجع :

N. Hans : Comparative Education. London. Routeldge and Kegan Paul .. 1950. P.P. 281-289

٤٦ ـ راجع : Ibid ; : P. 261

نوع المؤسسة	تحت اشراف الدولة	تحت اشراف المدينة او المقاطعة	حاصة	بروتستانتية	كاثوليكية	المجموع
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
كلية (كوليج) او جامعة	١٠١	١٤	١٨٣	٢٥١	١٤٣	٦٩٢
مدرسة مهنية	١٨ (a)	١	١٤٧	٦٩	٢٤	٢٥٦
كليات معلمين	١٥٦	٣	١٤	١	٩	١٨٣
دار معلمين	٧	١	٨	٣	٢	٢١
جونير كوليج	٤٢ (b)	١٦٥	٨٧	١٠١	٢٩	٤٢٤
مؤسسات زنوج						
كلية او جامعة	١٩	٢	٧	٣٧	١	٦٦
مدرسة مهنية	١	...	٤	٢	...	٧
كليات معلمين	١٠	٣	...	١	...	١٤
دار معلمين	...	...	...	...	...	
جونير كوليج	...	٣	١	١٥	...	١٩
المجمـوع						
مؤسسات بيض	٣٢٤	١٨٤	١٣٩	٤٢٥	٢٠٧	١٥٧٩
مؤسسات زنوج	٣٠	٨	١٢	٥٥	١	١٠٦
المجموع الكلي	٣٥٤	١٩٢	٤٠٥١	٤٨٠	٢٠٨	١٦٨٥

نلاحظ من هذه القائمة غير التفصيلية الى اي حد دعيت (ووفقت في ذلك) المدرسة الامريكية الحديثة للتلاؤم مع الحضارة والثقافة الامريكيتين الحديثتين.

٢ — **المدارس فى الاتحاد السوفييتى** : لانستطيع ان نتكلم هنا بالتفصيل عن **كل المدارس السوفييتية . وسنقصر بحثنا على بعض المعاهد العالية فقط .**

— تعني a ان ثلاثا منها تحت الاشراف الفدرالي .

— تعني b ان واحدة منها تحت الاشراف الفدرالي .

ظهرت في الاتحاد السوفييتي ثورة كبرى في جميع النواحي الثقافية والحضارية بعد انتصار الثورة الروسية الكبرى عام ١٩١٧ . وقد مست الحاجات الصناعية والزراعية والثقافية المختلفة إلى انشاء مدارس كثيرة متنوعة . وساهمت المدرسة السوفييتية بقسط واسع في بناء المجتمع السوفييتي الحديث والحضارة والثقافة السوفييتيتين الجديدتين. وقدرت حكومة الاتحاد السوفييتي جهود المدرسين والاساتذة فاعطتهم اضخم رواتب في العالم . اذ نشرت جميع صحف الغرب عام ١٩٥٧ بعناوين بارزة ارقاماً دقيقة عن رواتب الاساتذة الجامعيين والمدرسين تعتبر خيالية . وقد قارنت بينها وبين رواتب المدرسين والاساتذة في الولايات المتحدة الامريكية ، التي تأتي بعد الاتحاد السوفييتي في اعطاء رواتب ضخمة للاساتذة والعلماء ، فكانت الفروق مدهشة للغاية . . . ومهما يكن من أمر فقد تلاءمت المدرسة السوفييتية مع الوضع الحضاري والثقافي السوفييتي الجديد ، وتمت معه وتطورت بتطوره . . .

اذ بلغ عدد الجامعات القديمة والحديثة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٧، ٣١ جامعة . ويوجد ١٤ منها في عواصم الجمهوريات الـ ١٤ التي يتكون منها الاتحاد. ويدرس في هذه الجامعات : الفيزياء والرياضيات ، والأدب واللغة ، والتاريخ والجغرافيا ، والبيولوجيا والكيمياء والفلسفة والحقوق ، والجيولوجيا ، والدراسات الشرقية ... ويوجد أكادمي ارثوذكسية واحدة في موسكو لتدريس اللاهوت ، يشرف عليها بطريرك موسكو .

والى جانب الجامعات يوجد **المعاهد العالية** التي تضم معاهد الهندسة ، والزراعة ، والطب ، والتربية والاقتصاد .

وفيها معاهد بوليتكنيكية وتدرس فيها كما في معهد لينيغراد مثلا ، هندسة المعادن ، والميكانيك ، والميكانيك الكهربائي ، وهندسة الطاقة ، وانشاء ـ الآلآت ، والهندسة المائية ، والهندسة عامة والاقتصاد .. ، وهناك معاهد للبحرية ، واخرى كثيرة للزراعة .. وتخصص اكثر هذه المعاهد لتدريب

او تأهيل مدرسي المدارس الثانوية . ففي عام ١٩٤٦ كان في الاتحاد السوفييتي ٣٢٠ معهداً تربوياً ، و ١٥٤ معهداً تكنولوجياً ، و٩٩ معهداً زراعياً وحراجياً وطباً بيطرياً ، و٧٤ معهداً طبياً ، و ٣٨ معهداً للاقتصاد والحقوق ، و٥٥ معهداً للفنون ، و١٥ معهداً للتربية البدنية ، وستة معاهد أخرى من هذا النوع .....[٤٧]

٣ — **المدارس في الجمهورية العربية المتحدة** : وفي الجمهورية العربية المتحدة تلاءمت المدرسة أيضاً مع المقتضيات الحضارية والثقافية التي تجتازها هذه الجمهورية الفتية . ولعبت المدرسة الحديثة في اقليمي الجمهورية ، مصر وسوريا، دوراً حساساً وفعالاً في التلاؤم مع المجتمع الجديد بجميع نواحيه ومظاهره وقطاعاته ... وندرس تنوع هذه المدارس في الاقليمين .

أ — **المدارس في الاقليم المصري** : كان الاستعمار البريطاني يحارب بشكل جدي افتتاح المدارس في مصر . وكان يعاكس بشكل خاص افتتاح الجامعات والمدارس التكنيكية ، من صناعية وتجارية وزراعية وسواها ... وهكذا بقيت مصر حتى سنة ١٩٠٨ بدون جامعة ، الى ان انشئت في هذا العام ، ونتيجة لجهود افراد الشعب الاحرار ، الجامعة المصرية ....[٤٨].

ولكن اخذت مصر تستيقظ من ثباتها بعد الحرب الكبرى الاولى . . فأسست مدارس كثيرة ومتنوعة لتنفض عنها غبار الماضي .

وسارت مصر ، بعد الحرب العالمية الثانية في طريق التصنيع ، والتقدم الزراعي ، وتعقد جميع النواحي الاجتماعية . ومن هنا دعيت المدرسة المصرية للتلاؤم مع الوضع الجديد . فأسس عدد محترم من المدارس في جميع المستويات

---

٤٧ — من أجل معلومات موسعة راجع : Ibid; : P.P. 308-325

٤٨ — من أجل معلومات موسعة راجع : محمد خيري حربي والسيد محمد العزاوي : تطور التربية والتعليم في اقليم مصر في القرن العشرين. القاهرة. وزارة التربية والتعليم — ١٩٥٨ ص ١٥ — ٢٥

الاولية ، والابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية ...[٤٩]

ونقدم الى القارىء قائمة غير تفصيلية بعدد المدارس في مصر في جميع المستويات وفي عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ [٥٠].

نوع التعليم		عدد المدارس	أقسام ملحقة بها
دور الحضانة		٤١	٦٦
التعليم الابتدائي		٧٤٢٢	٧١
معاهد الشواذ والمؤسسات الاجتماعية		٧٠	١٢
الابتدائي الراقي والامداد العملي		١٨	١٤
التعليم الاعدادي العام		٧٤٨	١٣١
التعليم الثانوي العام		٢٠٢	٧٤
الاعدادي الفني	صناعي	٥٥	١٠
	تجاري	١٠	—
	زراعي	١٣	١
	في بنات (تدبير منزل وتطريز)	٤	—
جملة الاعدادي الفني		٨٢	١١
الثانوي الفني	صناعي	٢٤	٢
	زراعي	٣١	٣
	تجاري	١٤	—
	نسوي (تدبير منزل تطريز)	١٨	١٢
جملة الثانوي الفني		٨٧	١٧
مدارس معلمين ومعلمات ريفية		٨	—

٤٩ - من أجل معلومات قيمة جداً راجع نفس المصدر السابق ص ٢٧-١٣٢

٥٠ - نقلاً عن تطور التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ - مركز الوثائق التربوية - القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٦-٨٧ (لم ننقل القائمة بكاملها لأنها تحتوي ايضا على عدد الفصول والطلاب والطالبات ..)

مدارس معلمين و معلمات عامة	٥٢	١٩
اقسام اضافية	—	٤
مدارس معلمين و معلمات خاصة	٨	١
مدارس معلمين و معلمات خاصة فرنسية	٤	١٠
المعاهد العليا لاعداد المعلمين و المعلمات	١٥	—
المعاهد العليا الفنية	١٨	—
الجامعات الاربع (القاهرة ، عين شمس ، الاسكندرية ، اسيوط)	—	—
الجامعة الازهرية	٤٤	—

ويجب ألا ننسى مدارس الجيش والبحرية ومعامل الدفاع .

نرى ان عدد المدارس في الاقليم المصري يعتبر ضخماً ومتمشياً مع المرحلة الحضارية والثقافية التي يجتازها هذا الاقليم . ويجب ان نلاحظ ان الالحاح على التعليم العالي (٤ جامعات) ، والتعليم التكنيكي من صناعي وزراعي وتجاري ونسوي ... لم يأت عن عبث بل عن ضرورات حضرية وثقافية تعانيها مصر في مرحلتها التاريخية الحاضرة [٥١] .

ب — **المدارس في الاقليم السوري** : لقد عانى الاقليم السوري من الاستعمار العثماني حرمانا قوياً من المدارس . ومهما يكن من امر فقد أسس في دمشق معهد طبي سنة ١٩٠٣ ، دعي فيما بعد بالمعهد الطبي العربي ، وبعدها بكلية الطب ، كما اسست كلية الحقوق في عام ١٩١٤ تحت اسم معهد الحقوق . وعندما حل الاستعمار الفرنسي افتتح بعض المدارس الابتدائية والثانوية . ولكن المدارس بقيت غير كافية ، من حيث العدد والنوع والتنوع ؛ اذ لم تكن تعرف البلاد التعليم الصناعي (اللهم الا في مدرسة بوقا الزراعية) ولا التعليم التجاري ، ولا التعليم النسوي التكنيكي ، ولم تكن تعرف انواعاً اخرى من

---

٥١ — من أجل معلومات وجداول مفصلة جداً ، راجع : نفس المصدر السابق ص ٨٤ - ١١١ .

الكليات سوى كليتي الطب والحقوق . ولكن حكومات الاستقلال المتعاقبة حاولت ان تجعل من المدرسة السورية مؤسسة تتلاءم بعض الشيء مع المرحلة الحضارية التي تجتازها البلاد ، فأسست مدارس صناعية وزراعية وريفية ودور معلمين . . . كما اسست منذ عام ١٩٤٦ وبعده كليات : الآداب والعلوم والتربية والهندسة في حلب ، وطب الاسنان والصيدلة ، والتجارة ، والشريعة . . . ومدرسة القبالة والتمريض . .

وضمت جميع هـذه الكليات الى كليتي الطب والحقوق ومدرسة القبالة والتمريض ودعيت بالجامعة السورية ، جامعة دمشق حالياً .

ونعطي لائحة بعدد المدارس في جميع مستويات التعليم وفي عام ١٩٥٧ — ١٩٥٨ :

نوع التعليم		عدد المدارس
الاولي والابتدائي	مدارس حكومية	٢٥٩١
	مدارس حرة	٤٢٣
الاعدادي والثانوي	مدارس حكومية	٩٤
	« حرة	١٩٢
دور المعلمين والمعلمات الابتدائية والريفية		٨
مدارس ريفية (للذكور فقط)		٣٤
التعليم الفني (تجاري وفني وفنون نسوية	حكومية	١٢
	حرة	٣
مدارس زراعية	ثانوية	٢
	اعدادية	٣

جامعة دمشق (بجميع كلياتها ومعاهدها) .

وهناك مدارس أخرى منها الشرعية ، ومدارس الشرطة والدرك ، ومدرسة انعاش الريف والارشاد القومي (دمشق) ، ومدارس ملاحظة الاحداث

الجانحين ، ومدرسة المساحة والتحسين العقاري ، ومدرسة الارصاد الجوية ، ومدرسة البريد والبرق والهاتف ، ومدرسة الاحصاء ، والمدرسة المالية ، والكلية الحربية ، ومدرسة الطيران (حلب) ، والمدارس الميكانيكية التابعة للجيش . .[٥٢]

نلاحظ ان المدرسة السورية حاولت ان تتلاءم مع الاوضاع الجديدة الحضارية والثقافية ؛ ولكن عدد المدارس لا يزال غير كاف وخاصة في مجال التعليم العالي (جامعة واحدة في كل الاقليم السوري !) واكثر خصوصية في المجالي التكنولوجي والمهني الصناعي والتجاري والزراعي والهندسي في الفروع المختلفة وخاصة الكهربائي والميكانيكي . . كما نلاحظ ان الحضارة في الاقليم المصري ارقى منها في الاقليم الشمالي ، وهذا ظاهر من تنوع وتعدد المدارس المهنية والفنية في الاقليم السوري . . وهذا يعني ان الاقليم المصري متقدم على الاقليم السوري في مجال التصنيع والفن وخاصة الفن السينمائي والمسرحي . .

من الامثلة المتقدمة السابقة التي اخذناها من ثلاث دول حديثة ، يظهر لنا بوضوح مدى رقي وتعقد وتنوع المدرسة المعاصرة الحديثة التي تتفق وتعقد وتنوع ورقي الحضارة والثقافة الحديثتين . . .

المدرسة وتلاؤمها مع وجوه الثقافة والحضارة المختلفة : بعد ان اعطينا بعض امثلة تاريخية وعامة عن علاقة المدرسة بالثقافة والحضارة ، نبدأ هنا باظهار العلاقة بين المدرسة واغلب مظاهر الثقافة والحضارة بشكل تخصيصي .

أ ـ المدرسة ومظاهر الثقافة :

منذ نشأة المدرسة ، حاول القائمون عليها ان يجعلوا منها وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي ، ووكالة من وكالات الحفاظ على الارث الثقافي ، ووسيلة من وسائل تثبيت الاوضاع القائمة . وقد اهتمت المدرسة خلال تاريخها الطويل لمختلف مظاهر الثقافة ، وادخلتها في صلب مناهجها وبرامجها . ونحاول هنا ان

---

٥٢ - راجع : نفس المصدر السابق . ص ١١٥ - ١٢١ .

تدرس علاقة المدرسة **باللغة** ، **والعادات والتقاليد** ، **والدين** ، **والاخلاق** ، والقوانين ، والفلسفة ، والعلم والفن . .

أ – المدرسة واللغة :

تعتبر اللغة من اهم مظاهر الثقافة لدى الانسان لانها وسيلة للتفاهم مع امثاله، وأطر لحفظ الارث الثقافي ، وعامل من عوامل الوحدة والتماسك داخل الرهط الواحد .

لهذا اهتمت المدرسة بها منذ ظهورها . اذ اهتمت المدرسة قبل كل شيء بتعليم قراءة اللغة و كتابتها . وقد استمرت في اداء رسالتها هذه حتى ايامنا هذه . واتخذت اللغة اهمية كبرى في الجامعات اليونانية والرومانية (خاصة) والعربية والمصرية والصينية . . القديمة .

وكادت الدراسة في مدارس القرون الوسطى تقتصر على تعليم اللغة وفروعها والدين والجدل وبعض الاحوال الفلسفية ... أما المدرسة الحديثة فقد أعارت اللغة وفروعها وآدابها عناية فائقة ، اذ ادخلتها جميع مستوياتها من قراءة ، وشرح نصوص، وانشاء ، وأدب ، وبديع وبيان ... كما خصصت لها ولفروعها كلية (كلية الآداب) تدرسها في أكثير من واحد من فروعها واقسامها .

ب – المدرسة والعادات والتقاليد : منذ ظهور المدرسة اعتبرت مؤسسة قوية لتثبيت العادات والتقاليد والمحافظة عليها . وكل مدرسة ، سواء أكانت قديمة أم حديثة ، مضطرة لان تحترم تقاليد وعادات البلد الذي تدرس فيه ، والمنطقة التي تؤسس فيها . اذ توجد في جميع بلاد العالم عادات وتقاليد يحافظ الناس عليها جيلا بعد جيل ، ويتمسكون بها ويشفقون عليها في كل تفسير او تجديد . لهذا تجد المدرسة نفسها مجبرة على احترامها . وتجب الملاحظة ان المدرستين القديمة و«الوسيطة» تمسكتا بالتقاليد بشكل اعمى اكثر من المدرسة الحديثة . لان التقاليد اتخذت ، في العصور القديمة والوسيطة ، كوسيلة لتخدير

الطبقة الشعبية وتثبيت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت في صالح الطبقة الارستقراطية الحاكمة . اما المدرسة الحديثة ، في الامم الراقية ، فقد حافظت على التقاليد الحسنة والجيدة ؛ واطرحت الفاسد منها ، كي لاتظل عائقاً في سبيل تقدم هذه الامم . والتفتت الامم الحديثة الى التقاليد والعادات القديمة ، واهتمت بالفولكلور الشعبي ، فأسست لدراستها المدارس الخاصة ، واقامت من أجلها المتاحف والمعارض ...

ج – **المدرسة والدين :** ارتبطت المدرسة ، منذ نشأتها بالدين ؛ ذلك لان الدين كان بيد الحكام الطغاة من اقوى الوسائل لتثبيت الاوضاع القائمة وتخدير الطبقة الفقيرة المستغلة ، وبهذا ابعدوه عن جوهره الصحيح ؛ ولأن رجال الدين كانوا معلميها وموجهيها . وكما قال رالف لنتون كان المعبد (الذي تحول ايضاً الى مدرسة) يهيمن على الحياة الفكرية والاقتصادية في المدينة (البابلية) [٥٣] .. وكان الدين يتكيف وحاجات الملوك وأذواقهم ويتبدل بتبدلها ، كما كان يحصل في آشور وسواها ... [٥٤]

وقد لجأ الملوك الى الآلهة ليخدروا بهم الناس . وهكذا حرفوا علاقتهم بهم ، وجعلوها للتدجيل والاستغلال ، بدلا من ان تكون للتقوى والصلاح . إذ رأت جميع الحكومات المستغلة ، كما في سومر ومصر وبابل .. مثلا ، ماللالتجاء الى الدين من فوائد سياسية . فمثلاً يقول ول ديورنت عن سومر « فلما ان اصبح الآلهة ذوي فائدة من هذه الناحية (اي الناحية السياسية) تضاعف عددهم مراراً حتى اصبح لكل مدينة ، ولكل ولاية ، ولكل نوع من النشاط البشري ، إله موحٍ مدبر . » [٥٥]

وقد دخل الدين في جميع المدارس القديمة ، وفي جميع مستوياتها ، وكان

---

٥٣ – راجع رالف لنتون : شجرة الحضارة. الجزء الثاني. ص ٢٢٣

٥٤ – راجع : ول ديورنت : قصة الحضارة . الجزء الثاني. ص ٢٨٢

٥٥ – نفس المصدر السابق. ص ٣٠

المادة الاساسية في مدارس العصر الاقطاعي . ولا تزال المدرسة الحديثة ، تعيره في كثير من البلدان ، غير الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفييتي ، اهتماماً قوياً في جميع مستوياتها فمثلا تعيره الجمهورية العربية المتحدة اهتماماً بالغاً وتدرسه في جميع مدارسها الرسمية وغير الرسمية وفي جميع المستويات ، وقد جعلته مادة من مواد الفحوص العامة في الشهادات الابتدائية (الغيت) والاعدادية والثانوية . . . وقد خصصت في جامعة دمشق مثلاً كلية ، كلية الشريعة ، لتدريس الدين الإسلامي وفقهه . . . هذا علاوة على المدارس الثانوية الشرعية التابعة لوزارة الاوقاف . . . اما في الاقليم المصري فيحظى الدين باهتمام اقوى بكثير منه في الاقليم السوري . . اما في الولايات المتحدة الامريكية ، والبلاد التي تسيطر عليها البابوية ، فيأخذ فيها الدين اهمية كبرى ايضاً ، وتسيطر فيها الكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية على عدد ضخم جداً من المدارس والمعاهد ، وحتى على بعض الجامعات . .[٥٦]

اما في البلدان الاشتراكية ، كالاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا مثلاً ، فتعليم الدين ممنوع منعاً باباً في المدارس الرسمية . . .

ويجب ان نذكر ان في العودة الى الالحاح على الدين في برامج المدرسة وفي بلد ما تعبيراً عن تخوف الطبقة الحاكمة في هذا البلد من الطبقة المحكومة فيه التي اخذت باليقظة والوعي وتبني المباديء التقدمية والتجديدية والثورية . . . وهذا ماحصل بالذات في المانيا النازية ، وايطاليا الفاشيستية ، وهذا مايحصل في ايامنا هذه في الولايات المتحدة وفرنسا والبلدان العربية . . . لان الطبقة الحاكمة فيها تتخوف من يقظة ووعي الطبقة الكادحة . . .

---

٥٦ – راجع :

Moore and Cole : Sociology in educational practice. Boston. 1925. P.P. 100-122

د – المدرسة والاخلاق :

ومنذ نشأة المدرسة ، ادخلت الاخلاق كمادة اساسية ، في صلب البرامج المدرسية ذلك ان لكل شعب اخلاقاً ومثلا اعلى اخلاقياً وقيما اخلاقية ، يريد ان يحافظ عليها ويثبتها . ولهذا كانت المدرسة وسيلة قوية للمحافظة عليها وتثبيتها وخاصة عندما كان هذا في صالح الطبقة الحاكمة والمستغلة . ولكن المدرسة الحديثة ، خاصة ، حاولت ان تحافظ على الجيد من الاخلاق ، وتطرح الفاسد والعتيق منها . وقد خصصت المدرسة الحديثة جزءاً لابأس به من برامجها في جميع المستويات للاخلاق . فمثلا في الاقليم السوري تدرس الاخلاق في كل الصفوف الابتدائية ، وتدرس كمادة اساسية في الشهادة الاعدادية وفي الشهادة الثانوية ايضاً (اخلاق ومنطق) ، كما خصصت شهادة بكاملها في كلية الآداب (قسم الفلسفة) للاخلاق وعلم الاجتماع ... والمدرسة مجبرة دائماً على ان تتلاءم مع الاخلاق السائدة لدى الشعب ، واذا خرجت عليها كلياً لاقت « الثورة » والاستهجان ... ولكن هذا لايعني ان تكون المدرسة محافظة فقط على الاخلاق بل يجب ان تكون ايضاً مبدعة ومجددة فيها ...

هـ – المدرسة والقوانين :

منذ ان نشأت القوانين كانت اكبر وسيلة بيد الدولة والطبقة الحاكمة لتثبيت الاوضاع القائمة وترسيخها ، واعطائها طابعاً شرعياً ومشروعاً ومقدساً احياناً ولأهميتها هذه ادخلتها المدرسة في برامجها . وعندما تعقدت القوانين ، كما عند الرومان مثلا ، اسست مدارس لتعليمها لتخريج رجال الادارة والقضاء والسياسة .. وقد اخذت القوانين في المدرسة الحديثة دوراً كبيراً فأسست من اجلها كلية تعتبر من اهم كليات الجامعات ، هي كلية الحقوق ... ويلعب الحقوقيون دوراً هاماً جداً في سياسة الامم وتوجيهها لان اغلب رجال السياسة منهم :

(المحامون والقضاة يعتبرون أقوى نسبة من سواهم بين النواب والشيوخ والوزراء ورجال الإدارة ..) . ولم تحافظ المدرسة الحديثة على القوانين فقط ، بل حاولت دائماً ان تجدد فيها ، وان كان هذا التجديد بطيئاً وغير محبذ من قبل الطبقة المستغلة ، وخاصة عندما يكون التجديد لصالح الطبقة المستغلة ..

و – المدرسة والفلسفة :

عندما انفصلت الفلسفة عن الدين ، وخاصة في بلاد اليونان ، أدخلت في صلب البرامج المدرسية الثانوية والعالية .. وأصبح كثير من المدرسين والاساتذة فلاسفة . وقد حاولت المدرسة ان تدخل الفلسفة ، كمادة هامة في برامجها ، لانها تعتبر بالنسبة إليها ، ثقافة عامة تقوي التفكير والمنطق السليم .. وقد ألحت المدرسة ، في القرون الوسطى ، عليها وعلى الجدل ، واتخذتهم كوسيلة للدفاع عن المبادىء الدينية . . أما المدرسة الحديثة فقد اهتمت بالفلسفة في مدارسها الثانوية ، وخاصة في الصف النهائي منها ، كما اهتمت بها في كلية الآداب وخصصت لها قسماً كاملا هو قسم الفلسفة ..

ز – المدرسة والعلم :

اهتمت المدرسة بالعلم كمادة أساسية منذ العهد اليوناني .. وقد اهتمت من بين العلوم ، منذ نشأتها ، **بالحساب والرياضيات** . . كما اهتمت لدى اليونان والرومان والعرب . . **بالطب والفلك والطبيعيات** والكيمياء .. علاوة على الحساب والرياضيات . .

وقد أهملت المدرسة في القرون الوسطى كثيراً من هذه العلوم .. وعندما جاءت المدرسة الحديثة أولت العلوم ، على اختلافها وتنوعها ، أهمية كبرى ؛ لأن الحضارة الحديثة تقوم باغلبها على العلوم الوضعية والموضوعية . . ولهذا أدخلتها في جميع صفوفها ، وفي جميع مستوياتها . كما خصصت لها كلية خاصة هي

كلية العلوم ، ومعاهد خاصة عالية يختص كل منها بفرع من فروعها . وقد أحسنت المدرسة الحديثة صنعاً ، لأن لا شيء يحرر الانسان من الخوف والفقر والمرض والجهل والخرافات أكثر من العلم الوضعي الصحيح القائم على التجربة والوقائع ...

ح — **المدرسة والفن :**

في كل شعب من الشعوب فن خاص به ، يعتز به ، وينتشي به ، لهذا اهتمت المدرسة ، منذ نشأتها ، بالفنون . وأول من اهتم بالفنون ، بصورة قوية جداً ، المصريون (وخاصة بالنقش والرسم والموسيقى) ، واليونانيون الذين أدخلوها ، وخاصة الموسيقى والرقص والشعر ، في صلب برامجهم المدرسية منذ المرحلة الابتدائية . . وقد اهتمت المدرسة الحديثة بالفنون المختلفة ، وهي تدرس بعضها : كالموسيقى والرسم ، في جميع مستوياتها . وخصصت كليات ومعاهد خاصة لتعليم الفنون على اختلافها وتنوعها : **كالموسيقى والغناء والرسم والنحت والتمثيل** والسينما ، وتهتم جميع الامم الراقية ، في أيامنا هذه ، بفنونها وتحاول أن تعبر فيها عن إبداعها ، وروحها السامية ، كما اتخذتها الدول الاشتراكية وسيلة لتصوير مآسي الشعب بغية توجيهه والنهوض به ، كما اتخذت منها وسيلة لترقية نفسه وذوقه وحيويته . حبذا لو اتخذنا في البلاد العربية مثل هذا الاتجاه في الموسيقى والغناء والسينما ، على أقل تقدير . لأن هذه لاتزال عندنا عاملا لقتل الحيوية بدلاً من بعثها .

ما قدمنا عن علاقة المدرسة بالثقافة يكفي لاعطائنا فكرة واضحة عن إتجاه المدرسة للتلاؤم مع الثقافة ومظاهرها والتمسك بها ، والمحافظة عليها من جهة ، وتجديدها وتطويرها من جهة أخرى .

٢) المدرسة ومظاهر الحضارة :

لن نلح على هذا الموضوع ، لأن قسماً كبيرا منه مر معنا في الفصل الثامن .

ونأخذ الآن بعض المظاهر الحضارية من زراعة وصناعة وتجارة وتكنولوجيا وطراز مسكن وملبس ومأكل لنبين علاقتها بالمدرسة ، ومحاولة هذه التلاؤم معها والتجديد فيها .

أ ـ المدرسة والزراعة :

أسست المدرسة في الحضارات الزراعية الكبرى ، فكان لا بد لها من أن تتأثر بالزراعة ومتطلباتها . فمثلا أخذت بعض المدارس المصرية القديمة ، تخرج المساحين ، ومهندسي الماء والري ، وبعض المهندسين الذين يشرفون على الامور الزراعية ، والكتاب الذين يديرون القرى .

ولكن ظلت مهنة الزراعة تتعلم خارج المدرسة ، وفي الحياة والممارسة . ولم تنشأ في العصور القديمة ولا الوسيطة مدارس زراعية خاصة بالزراعة . ولكن عندما حلت العصور الحديثة ، وخاصة القرن الحالي ، أخذت الزراعة تعتمد على التكنولوجيا والآلات المعقدة والتصميم والتخطيط والهندسة الراقية . لهذا رأت المدرسة نفسها مضطرة لأن تتلاءم مع الوضع الزراعي الجديد ، فأدخلت تعليم المبادىء الزراعية الأولية في مرحلتها الابتدائية . وأخذت الحكومات تهتم بالمدارس الريفية ، كالاهتمام الحالي في الاقليم الشمالي ؛ وأنشئت مدارس اعدادية ، وثانوية ، ومعاهد ، وكليات عالية لتعليم الزراعة والهندسة الزراعية وقيادة الآلات الزراعية . ولو أخذنا بلداً كالاتحاد السوفييتي نرى أن المدرسة تأثرت فيه بالزراعة ، تأثراً قوياً . إذ عندما أخذت روسيا السوفييتية بمشاريع السنوات الخمس للإصلاح الزراعي ، رأت الدولة ان تساهم المدرسة بقسطها بالنهوض الزراعي وبتطبيق مشروع السنوات الخمس . لهذا أنشئت مدارس زراعية عديدة جداً ، كما رأينا في هذا القصل ، ومن مستويات مختلفة . وكان القصد من ذلك تخريج الزراعيين المختصين والمهندسين والمشرفين ، كما أنشئت مدارس ومعاهد للأبحاث الزراعية . ونظرة بسيطة على المدارس الزراعية قبل

الثورة وبعدها ترينا مدى اهتمام الروس بالزراعة ، إذ لم يكن في روسيا ، من المعاهد الزراعية العالية عام ١٩١٥ سوى ٧٨٣٢ طالباً ، فأصبح عددهم عام ١٩٢٨ ٢٧٣٣٥ ، كما أصبح هذا العدد في عام ١٩٣٣ ، ٦٢٢٢٤ [٥٧] أي كانت نسبة هؤلاء الطلاب بالنسبة لمجموع الطلاب العام ١٩٦ ٪ فقط في عام ١٩١٥ فأصبحت ١٣ ٪ في عام ١٩٣٣ . [٥٧] وهذا عائد إلى تطبيق مشروع السنوات الخمس للاصلاح الزراعي : وقد ارتفعت هذه النسبة ارتفاعاً قوياً بعد الحرب العامة الثانية من جراء استمرار السوفييتيين في تطبيق مشاريع السنوات الخمس للاصلاح والانعاش الزراعي .

كذلك اهتمت الولايات المتحدة الامريكية بانشاء المدارس والمعاهد والجامعات الزراعية في أكثر أنحائها ، لأن قسماً كبيراً من اقتصادها يقوم على الزراعة والصناعات الزراعية . ونرى نفس الاتجاه الآن في الجمهورية العربية المتحدة التي أخذت تحسن الزراعة ، وتستغل الصناعات الزراعية . نلاحظ إذن ان المدرسة الحديثة تندفع دائماً وبسرعة للتلاؤم مع مقتضيات الزراعة الحديثة المتطورة والنامية .

ب – المدرسة والصناعة :

لم تعتن المدرسة القديمة ولا الوسيطة بالصناعة ، بل ظلت الصناعات تدرس داخل الأصناف وعلي أيدي « الأساتذة » كما رأينا سابقاً . وقد وجدت ، مع ذلك ، بعض مدارس في مصر القديمة تدرس بعض المهن كالهندسة وفن البناء [٥٨] .

ولكن النظام الصناعي الحديث ، سواء أكان رأسمالياً أم اشتراكياً ، يقوم في أساسه على الصناعة . لهذا أولى أغلب اهتمامه للصناعة واختصاصاتها وآلاتها

---

٥٦ – راجع : Hans. op. cit. P.78.

٥٧ – راجع : Ibid; : p. 77.

٥٨ – راجع مصطفى أمين : الكتاب المذكور آنفاً : ص ١٨ .

وإدارتها. ومن هنا كان على المدرسة أن تتلاءم كل الملاءمة مع هذا الوضع الجديد الذي لم يعرف له التاريخ مثيلا. ومن هنا أيضاً جاءت المدارس الصناعية الإعدادية والثانوية والعالية . فمثلا عندما أخذ الاتحاد السوفييتي بتطبيق مشروع السنوات الخمس للانماء الصناعي كان على المدارس ان تقوم بعبئها القوي في تطبيق وانجاز هذه المشاريع . لذا أنشئت المدارس الصناعية الاعدادية والثانوية والعالية لهذا الغرض .

وقد وجهت الدولة عدداً كبيراً من الطلاب نحو هذه المدارس التي رأينا سابقا قسما كبيرا منها . فمثلاً كان عدد الطلاب في المعاهد الصناعية التكنكية العالية في عام ١٩١٥ ، ٢٤١٦٣ طالباً ، وأصبح في عام ١٩٢٨ ، ٤٦٧٨٩ طالباً، وأصبح في عام ١٩٣٣، ٢٣٣٤٣٨ طالباً ..[٥٩] أي كانت نسبة الطلاب التكنيكيين ١٩٪ من مجموع الطلاع في عام ١٩١٥ ، فأصبحت في عام ١٩٣٣، ٤٩٪ من مجموعهم هذا ...[٦٠] وحدثت نفس الزيادة في انكلترا ، والولايات المتحدة الامريكية ..[٦١]

جـ ـ المدرسة والتجارة :

حاولت بعض المدارس منذ القديم ان تهتم بالتجارة . ورأينا اكبر اهتمام بها في المدارس المصرية القديمة ، التي كانت تخرج الكتاب الذين يحررون الوثائق الرسمية ويديرون المتاجر . وكان هؤلاء يدرسون بعض المبادىء التجارية في المدارس الابتدائية او يتمونها في متجر بممارستهم للتجارة فعلاً ...[٦٢]

ولم تتخذ التجارة أثرها القوي في المدرسة وبرامجها إلا بحلول العهد الصناعي الحديث واعتماده على التجارة الراقية والمحاسبة الدقيقة والمصارف الكبرى . لهذا

---

٥٩ – راجع : Hans : op. cit. p. 78.

٦٠ – راجع : Ibid; : P. 77.

٦١ – راجع : Ibd; : p. p. 70 - 71, and Chap. XIII and XIV.

٦٢ – راجع مصطفى أمين : المصدر المذكور آنفاً : ص ٢٠ – ٢١ .

انشئت المدارس التجارية الاعدادية والثانوية والعالية لتخريج جميع المختصين بالشؤون التجارية المصرفية . وأكبر عدد من هذه المدارس ، واكثرها تنوعاً نجده في الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا ...

د ـ المدرسة والتكنولوجيا :

بقيت التكنولوجيا بعيدة بعض الشيء عن المدرسة القديمة والوسيطة . . . ولكنها ادخلت الى المدرسة الحديثة بشكل واسع جدا ، ذلك لأن الزراعة والصناعة الحديثتين تقومان على التكنولوجيا الراقية ... ولهذا أسست معاهد وجامعات تكنولوجية راقية جدا لتتلاءم مع الوضع الحضاري الجديد.. ومن يراجع هذه المدارس في الولايات المتحدة الامريكية وروسيا السوفييتية وانكلترا وفرنسا .. يجد ما يدهش ..

هـ ـ المدرسة والمسكن والملبس والمأكل :

رأينا ان المدرسة القديمة في مصر مثلاً ، حاولت ان تتلاءم مع العهد الحضاري بتخريج مهندسي البناء . . ولكن ظلت بعيدة عن ان تهتم بتخريج الخياطين والطباخين.. اذ ظلت مثل هذه المهن تعلم على ايدي المهرة من الخياطين والطباخين والبنائين . . وعندما حل العهد الصناعي الحديث تغير الامر . لأن فن البناء تعقد واربقى ، وقل ذلك بالنسبة لفن الطبخ ، وفن الخياطة .. فكان لا بد للمدرسة اذن من ان تتلاءم مع هذا الوضع الحضاري الجديد فنشأت تبعاً لهذا مدارس كثيرة وراقية لتخريج المهندسين المعماريين ، والخياطين ، والطباخين.. ومن هنا نشأت مدارس أخرى لتخريج المختصين في جميع نواحي الحياة المادية الأخرى .. وبهذا تلاءمت المدرسة مع الوضع الحضاري الحديث خير تلاؤم .

الخلاصة

من كل ما تقدم ، نلاحظ ان هناك علاقة وثيقة بين الثقافة والحضارة . وقد نشأت المدرسة في الحضارة الزراعية الكبرى لتحافظ على الارث الثقافي وتغنيه ، ولتنمي الارث الحضاري وترقيه . ودرسنا هذه العلاقة الوثيقة خلال تاريخ الشعوب. إذ كانت المدارس تتعدد عامة ، وتتنوع وترتقي تبعاً لمتطلبات الثقافة والحضارة . وقد ظهر اقوى تلاؤم للمدرسة واكثره توثيقاً في العهد الصناعي الحديث . . وعبرت المدرسة الحديثة عن ابداعها الثقافي والحضاري ، كما عبرت عن حفاظها على الارثين الثقافي والحضاري . . ومن هنا يظهر لنا جلياً ان المدرسة يجب الا تكون عنصر محافظة فقط ، كما يريدها بعض المتحجرين لاغراض سياسية واقتصادية ، بل يجب ان تكون أيضا عنصر تقدم وابداع وابتكار وتجديد ، كما بدا لنا هذا واضحاً في الفصل الخامس من كتابنا هذا . . وقد قال براون في هذا الصدد : « تعكس المدرسة ثقافة (بمعنى ثقافة وحضارة) الجماعة او الامة ، ولكنها تعتبر ايضاً قوة رئيسية في تغيير النمط الثقافي ، فالمدرسة باختيارها لمحتوى بعض القيم المختارة ، وبالحاحها النسبي عليها ، تحدد وتوجه تعليم الاطفال والشباب : فهي تقولب بسياستها وطرقها (او اساليبها) المواقف في مفاهيم العلاقات البشرية الأقل أساسية ، والاساسية . وتقدم المدرسة بتهيئتها القاعدة الاساسية للمعرفة ، وبتنميتها الفطنة والمبادهة في الفرد ، الاساس للاختراع ، والتبدل (او التغير) الاجتماعي »[٦٣].

---

٦٣ – راجع : Brown : op. cit. p. p. 275 - 276.

مصادر

لم يقع بين أيدينا مصادر مخصصة لهذا البحث سوى فصل واحد لا بأس به من كتاب براون Brown الذي نذكره حالاً . لهذا اضطررنا ، لتأليف هذا الفصل ، إلى مراجعة كتب كثيرة ليس لها علاقة مباشرة بموضوعه . ولكننا ، مع ذلك ، نثبت بعض المصادر التي اعتمدنا عليها :

1 — F. Y. Brown : Educational Sociology. N. Y. Printice-Hall. 1947 - chap. 11.

2 — R. Hubert : Histoire de la Pédagogie. P. U. F. 1949.

3 — M. Mead : Coming of Age in Samoa. N. Y. 1936.

٤ — منير مشابك موسى : المطول في السوسيولوجيا — الجزء الأول — الفصل الحادي عشر . دمشق : ١٩٥٩ .

٥ — ول ديورنت : قصة الحضارة — ٤ أجزاء . ترجمة مؤلفين مختلفين — القاهرة . . . .

٦ — مصطفى أمين : تاريخ التربية . القاهرة — الطبعة الثانية ، ١٩٢٦ .

٧ — رالف لنتون : شجرة الحضارة . الجزء الثاني . ترجمة أحمد فخري — القاهرة ١٩٥٩ .

٨ — أسماء حسن فهمي : مبادىء التربية الاسلامية . القاهرة . مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ .

فهرست المواد

	صفحة
المقدمة	٣
القسم الاول : مدخل	٥
الفصل الاول ـ لمحة تاريخية ـ أصول سوسيولوجيا التربية ـ	٧
أصول السوسيولوجيا التربوية في أمريكا	١٠
المتون التي ظهرت في هذا العلم	١٢
مدارس السوسيولوجيا التربوية	١٣
الفصل الثاني : تعريف سوسيولوجيا التربية وموضوعها	١٧
تعاريف مختلفة	١٧
مواضيع سوسيولوجيا التربية	٢١
القسم الثاني	٢٥
الفصل الثالث : التربية والتبيؤ أو التأهيل الاجتماعي	٢٧
التأهيل الاجتماعي معناه وتعريفه ـ	٢٧
مراحل التأهيل الاجتماعي	٢٨
اختلاف التبيؤ الاجتماعي باختلاف المجتمعات	٣٣
شروط وعوامل التبيؤ الاجتماعي	٣٧
عمر التبيؤ الاجتماعي	٤١
اتصال وعدم اتصال التبيؤ الاجتماعي	٤١
ثبات عملية التبيؤ الاجتماعي	٤٢

	صفحة
أساليب وطرق التنبؤ الاجتماعي	٤٢
مركز الذين يشرفون على التنبؤ الاجتماعي	٤٢
الفصل الرابع : التربية والمجتمع	٤٥
تعريف التربية	٤٥
وظائف وأهداف التربية	٤٧
اختلاف أهداف التربية باختلاف المجتمعات	٤٩
أهداف التربية عند قدماء المصريين	٤٩
» » عند اليونان	٤٩
» » عند الرومان	٥٠
» » عند العرب	٥١
» » الروسية الحديثة	٥١
» » في المانيا النازية	٥٣
» » في انكلترا	٥٧
» » في الولايات المتحدة الامريكية	٥٨
اختلاف التربية وأهدافها باختلاف المرحلة التاريخية في نفس الشعب	٥٩
» » باختلاف الجنسين	٦٣
» مدة التربية باختلاف المجتمعات	٦٧
» بدء التربية باختلاف المجتمعات	٦٨
» اتصال التربية وانفصالها باختلاف المجتمعات	٦٩
» الثبات والوحدة في التربية » »	٧٠
» طرق وأساليب التربية » »	٧١
» المربين باختلاف الشعوب والمراحل التاريخية	٧٣
» المناهج » » » »	٧٤

صفحة

الفصل الخامس : وظائف التربية ٧٦

١ ـ الوظيفة الاولى هي : هضم وتمثيل التقاليد ٧٦

٢ ـ » الثانية هي : تنمية وتنشئة نماذج سلوكية اجتماعية جديدة ٧٩

٣ ـ » الثالثة هي : نشر الافكار الديموقراطية ... ٨٦

٤ ـ » الرابعة هي : اعداد الفرد للحياة الاقتصادية ٨٦

٥ ـ » الخامسة هي : اعداد الانسان المبدع والخلاق والمواطن الصالح ٨٧

الفصل السادس : التربية والدولة ـ الاشراف على التربية ٩٢

التربية والدولة ونوع الحكم ٩٢

» في الملكيات ٩٣

» في الحكومة المستبدة ٩٥

» في الدولة الجمهورية ٩٦

لماذا تتمسك الدولة بالتربية ٩٨

اشراف الدولة على التربية ١٠١

اختلاف الدول حول هذا الموضوع ١٠٣

لماذا يحق للدولة الاشراف على التربية ١٠٧

كيف تتوصل الدولة الى الاشراف على التربية ١١٢

وسائل وطرق الاشراف على التربية ١١٣

الفصل السابع : التربية والطبقات الاجتماعية ١٢٠

علاقة التربية بالطبقات الاجتماعية عامة ١٢٤

الطبقات الاجتماعية ومتابعة الدراسة ١٢٨

» والتعليم الابتدائي والتعليم الثانوي ١٢٩

» » العالي ١٤٤

الفروق بين الطبقات في نموذج التربية ١٥٣

صفحة

الاستعدادات العقلية والمستوى الطبقي ١٦٠
فروق الطبقات في النشاطات المدرسية ١٦٧
الفروق الطبقية من حيث الاشتراك في الجماعات والرهوط غير المشروعة ١٧٠
الطبقات والزعامة ١٧١
التربية والحراك الاجتماعي ١٧٢
الفصل الثامن : التربية والنظام الاقتصادي ١٧٨
النظم الاقتصادية ١٧٨
تطور التوبية تبعاً لتطور الانظمة الاقتصادية ١٨٠
أ ـ التربية في الحضارة البدائية ١٨٢
ب ـ التربية في الحضارات الاولية ١٨٦
جـ ـ » » الكبرى ١٨٦
١ ـ التربية في نظام الرق ١٨٦
٢ ـ » » النظام الاقطاعي ١٩١
٣ ـ » » » الصناعي والمالي ١٩٦
التربية في العهد البورجوازي الصناعي الاول ١٩٧
التربية في النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة الامريكية ١٩٩
» » النظامين الرأسماليين الفاشيستي والنازي ٢٠٣
» » النظام الاشتراكي السوفييتي ٢٠٧
خاتمة عامة للقسم الثاني : ٢١٢
القسم الثالث : مؤسسات التربية ووكالاتها ٢١٥
تصدير لهذا القسم المؤسسات الاجتماعية ووكالات التربية ٢١٧
الفصل التاسع : الاسرة والتربية ٢٢١
الأسرة كمؤسسة اجتماعية . ٢٢١

صفحة

وظائف الاسرة وتطورها . ٢٢٢
تطور الوظيفة التربوية . ٢٢٤
الأسرة الحديثة والتربية . ٢٢٥
المكتسبات في الاسرة . ٢٢٦
محتوى التربية الاسروية . ٢٣١
مورفولوجيا الأسرة . ٢٣٤
الطفل الوحيد . ٢٣٤
الترتيب في الأسرة . ٢٤٠
الطفل الأكبر . ٢٤٢
الطفل الثاني . ٢٤٣
« المتوسط . ٢٤٤
العمر في الأسرة . ٢٤٦
الجنس في الأسرة . ٢٤٧
الجو الاجتماعي والعمليات الاجتماعية في الأسرة . ٢٤٩
الجو الاجتماعي . ٢٤٩
أ ـ الطمأنينة . ٢٥١
ب ـ التضامن . ٢٥٥
العلاقات والعمليات الاجتماعية داخل الأسرة
١ً ـ العلاقات بين الأب والأم . ٢٥٦
٢ً ـ « « الوالدين والأولاد . ٢٥٧
٣ً ـ « « الجدين والأحفاد . ٢٦٩
٤ً ـ العلاقات والعمليات الاجتماعية بين الأولاد فيما بينهم . ٢٧١
التنافس والخصومة . ٢٧٢

صفحة

التعاون . ٢٧٥
التكيف . ٢٧٦
مساهمة الأطفال في تكوين البيت . ٢٧٧
الواجبات المترتبة على أعضاء الأسرة . ٢٧٨
العلاقة والتعاون بين الأسرة والمدرسة . ٢٨١
الفصل العاشر : رهوط النشاط والتربية . ٢٩٢
أنواع رهوط النشاط . ٢٩٤
أولاً – رهوط النشاط لدى الأطفال قبل دخول المدرسة . ٢٩٧
ثانياً – « « في مرحلة ما قبل المراهقة (٧ – ١٢ أو ١٣) ٣٠٢
ثالثاً – « « في المراهقة : الرهوط المنظمة . ٣٠٩
الرهط الكشاف . ٣١٨
حركات الشباب . ٣١٩
العصابة . ٣٢٠
رابعاً – بعض منظمات الشبيبة . ٣٣٤
مبادىء مساهمة الشبيبة ٣٣٧
مطاليب رهوط الشباب في المدرسة والتربية ٣٣٩
المدرسة والوكالات الاجتماعية الأخرى ورهوط النشاط عامة ٣٤٠
المدرسة والتربية . ٣٤٥
الفصل الحادي عشر : المدرسة والثقافة والحضارة . ٣٤٧
تعريف الثقافة . ٣٤٧
« الحضارة .
نشأة المدرسة . ٣٥٠
أين نشأت أولى المدارس . ٣٥٣

صفحة

نمو وتطور المدرسة . ٣٥٤

المدرسة في الحضارات القديمة . ٣٥٦

١ — سومر . ٣٥٦

٢ — مصر . ٣٥٦

٣ — الهند . ٣٥٨

٤ — اليونان . ٣٥٩

٥ — روما . ٣٦٢

٦ — بلاد العرب . ٣٦٣

المدرسة في العهد الاقطاعي والقرون الوسطى . ٣٦٧

المدرسة في العصور الحديثة . . . ٣٧٠

١ — المدارس في الولايات المتحدة الامريكية . ٣٧٢

٢ — « « الاتحاد السوفييتي . ٣٧٤

٣ — « « الجمهورية العربية المتحدة . ٣٧٦

المدرسة وتلاؤمها مع وجوه الثقافة والحضارة المختلفة . ٣٨٠

١ً) المدرسة ومظاهر الثقافة . ٣٨٠

أ — المدرسة واللغة . ٣٨١

ب — المدرسة والعادات والتقاليد . ٣٨١

جـ — المدرسة والدين . ٣٨٢

د — المدرسة والأخلاق . ٣٨٤

هـ — « والقوانين . ٣٨٤

و — « والفلسفة . ٣٨٥

ز — « والعلم . ٣٨٥

ح — « والفن . ٣٨٦

صفحة

٢ً) المدرسة ومظاهر الحضارة . ٣٧٦

أ — المدرسة والزراعة . ٣٨٧

ب — « والصناعة . ٣٨٨

جـ — « والتجارة . ٣٨٩

د — « والتكنولوجيا . ٣٩٠

هـ — « والمسكن والملبس والمأكل . ٣٩٠

الخلاصة . ٣٩١

جدول الخطأ والصواب

وقعت بعض الأخطاء المطبعية سهوا . لهذا نصحح الرئيسي منها ونترك الطفيف لذكاء القارىء الكريم .

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
Smiht	Smith	السطر الأخير	١٢
التربوية	التربية	١٠	١٥
الروح العملية	الروح العلمية	٩	١٨
cIiqnes	cliques	٩	٢٢
بابين	باين	١٢	٤٧
وخدعتها	وخدمتها	١	٥٣
خلقت	خلّفت	١٢ و ١٤	٦٢
joussain	Joussain	الهامش	٦٢
وألفه	وأمنه	٤	٩٢
إلى على	إلا على	٩	٩٥
لما	لماذا	١٩	٩٥
كافية من	كافية في	٥	١٠٨
فإنه يبقى	فإنه لا يبقى	٩	١١٧
نوعاً ما في	نوعاً ما عن	١٠	١٢٠
وعث	وعن	١٥	١٢١

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
الوسطى ،العليا ، الوسطى ـ الدنيا] ؛	الوسطى ـ العليا ، الوسطى ، الوسطى ـ الدنيا .	٧	١٢٣
الفصل السابع	**الفصل الثامن**	١	١٧٨
ecuomny	economy	٧	١٨٠
مدرسة collége	مدرسة أو كلية	٢٣	٢٠٠
الآثنية	الاتنية	١٣	٢١٨
Soeiol	Social	١٣	٢١٨
الفصل السابع	**الفصل التاسع**	١	٢٢١
مورقولوجيا	مورفولوجيا	٣	٢٣٤
زمرة équipe	زمرة أو فريق équipe	١٠	٢٣٨
قتل	مثل	٢٠	٢٧٢
بين الأسرة	بين الأسرة والمدرسة	٧	٢٨٨
سنعود إليها في المدرسة فصل قادم	سنعود إليها في المدرسة في فصل قادم	٧	٢٨٨
assoiation	association	١٠	٢٩٢
٥ ـ نوادي الشبان والفتيان .	نوادي الشبان والفتيات	٨	٢٣٦

* *

كتب للمؤلف

1 — Etude Sociologique des Alaouites ou Nusairis. 2 Volumes (thèse Dactylographiée)

2 — Théorie de la l'Origine de la religion d'après E. Durkheim. 1 Volume. Paris 1958 — (thèse Dactylographiée)

١ — المطول في السوسيولوجيا :

الكتاب الاول — الجزء الأول — في السوسيولوجيا العامة (صدر) .

٢ — المطول في السوسيولوجيا

الكتاب الثالث — الجزء الاول في سوسيولوجيا التربية (صدر)

تحت الطبع :

١ — المطول في السوسيولوجيا — الكتاب الأول — الجزء الثاني

قيد التحضير

١ — المطول في السوسيولوجيا

الكتاب الثاني : طرق البحث في السوسيولوجيا (سيصدر خلال عام ١٩٦٠)

٢ — المطول في السوسيولوجيا — الكتاب الثالث — الجزء الثاني

٣ — علم النفس الاجتماعي — الكتاب الاول

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072710849